
موسوعة الإمام المهدي
السيد محمد الصدر
تاريخ
الغيبة الصغرى
دار التعارف للمطبوعات
١


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

تاريخ الغيبة الصغرى

موسوعة الامام المهدي (ع)

الكتاب الأول

تاريخ الغيبة الصغرى

يتكفل بالبحث والتحليل بأسلوب جديد وعميق تاريخ الإمامين العسكريين والإمام المهدي (ع) وسفرائه في غيبته الصغرى

تأليف

محمد الصدر

دار التعارف للمطبوعات

بيروت - لبنان

دار التعارف للمطبوعات

المكتب : شارع سوريا - بناية درويش - الطابق الثالث
الادارة والمعرض : حارة حريك - المنشية - شارع دكاش - بناية الحسنين
تلفون : ٨٣٧٨٥٧ - ٨٢٣٠١٠ - ٨٢٣٦٨٥
صندوق البريد : ٨٦٠١ - ١١ - ٦٤٣ - ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضلُ الصلاة
على أشرف الخلق محمد وآله الطاهرين

كلمـــة الدار

من دواعي الاعتزاز أن تثابر « **دار التعارف للمطبوعات** »، بوعي وإيمان ، وجلد وحزم في أداء رسالتها الثقافية الاسلامية بعطاء ناضج ، وأقلام كفوءة حية ، ومحلولات فكرية جريئة تنسجم وطبيعة الظروف المعاشة لواقعنا الاسلامي .

والان ، وفي امتداد ذلك الخط الذي رسمته مكتبتنا لنفسها في تبليـغ أهدافها ودعوتها ، نقدم للقراء الكرام كتاباً جديداً ، يعالج موضوعاً حساساً من أشد المواضيع صلة بحياتنا الفكرية والتاريخية ، ومن أبرزها أهمية في كيان المجتمع من حيث بنائه الفكري والتاريخي.

ولما كانت قضية الامام المهدي من القضايا الفكرية الحساسة في الاسلام التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالجانب العقيدي من تفكيرنا الاسلامي بالنظر إلى ما أثير حولها من علامات الاستفهام ومن الشكوك الكثيرة التي انطلقت لتناقش هذه العقيدة وتحاكمها على ما تحسبه علماً وتحليلاً واجتهاداً .

لذلك شعرت **دار التعـــارف** بالحاجة إلى أن تقدم للقراء هذا الكتاب الذي يحاول أن يعالج الفكرة ويؤرخ لها ويدفع الشبهات عنها لتعود ـ كما هي في واقعها الأصلي ـ حقيقة ناصعة في أفكار

الجيل المعاصر الذي يعيش القلق والحيرة والتطلع نحو المصلح المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

أما قلم الكاتب فهو من الأقلام الاسلامية التي أعطت الفكر الاسلامي وأغنته بالكثير من الابحاث والأحاديث الرائعة .

وقد عرفه القراء في أكثر من كتاب وفي أكثر من بحث كاتباً واعياً يعيش الاسلام فكراً وأسلوباً وحياة .

ونحن على ثقة بأن هذا الكتاب سوف يؤكد بنفسه على أنه يحمل بين أضلاعه فكراً ، ومادة ، ومنهجاً وأسلوباً ، وحتماً سوف ينال رضا القراء وإعجابهم .

وأملنا بالله سبحانه أن نكون قد وفقنا إلى حسن الاختيــار ، وأداء الرسالة ، ومنه نستمد التوفيق .

الإهداء

سيدي ومولاي ومولى المؤمنين ، بقية الله في أرضه والمذخور لنشر عدله في بريته ... الحجة بن الحسن المهدي (ع) .

ارفع إلى مقامك السامي .. بكل خشوع .. هذا المجهود المتواضع . . عسي أن يخدم ـ بما بذلت فيه من مجهود ـ قضيتك الكبرى التي كنت ولا زلت وستبقى الرائد الأول لرفع رايتها وغرس بذرتها وجني ثمارها .

وغاية أمله ـ يا سيدي ـ وفخره . . أن يحظى منك بنظرة رحمة ولمسة دعاء .. وأن تراه عملا خالصاً مخلصاً نقيا من شوائب الانحراف .. وخطوة موفقة لانتظار مستقبلك .. مستقبل الاسلام.. حين تملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً ..

المؤلف

بحث حول المهدي

مقدمة تفضل بها سماحة سيدنا الاستاذ آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر دام ظله الشريف تبريكاً لهذه الموسوعة الشريفة .

« وَنُرِيدُ أن نَمُنَّ عَلى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا في الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » ٥ : القصص .

ليس المهدي تجسيداً لعقيدة لامية ذات طابع ديني فحسب ، بـــل هو عنوان لطموح اتجهت اليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها ، وصياغة لإلهام فطري ، ادرك الناس من خلاله ـ على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب ـ أن للانسانية يوماً موعـوداً على الأرض . تحقق فيه رسالات السماء بمغزاهـــا الكبير ، وهدفها النهائي ، وتجد فيه المسيرة المكـدودة للانسان على مرّ التاريخ استقرارها وطمانينتها ، بعد عناءٍ طويل . بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب ، بل امتدَّ الى غيرهم أيضاً وانعكس حتى على أشدّ الايديولوجيات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيات ، كالمادية الجدلية التي فسّرت التاريخ على أساس التناقضات ، وآمنت بيــوم موعود ، تصفى

فيه كل تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام . وهكذا نجد ان التجربة النفسية لهذا الشعور التي مارستها الانسانية على مرّ الزمن ، من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً بين أفراد الانسان .

وحينما يدعم الدين هذا الشعور النفسي العام ، ويؤكّد ان الأرض في نهاية المطاف ستمتلأ قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ، يعطي لذلك الشعور قيمته الموضوعية ويحوله الى ايمان حاسم بمستقبل المسيرة الانسانية ، وهذا الايمان ليس مجرد مصدر للسلوة والعزاء فحسب ، بل مصدر عطاء وقوة ، فهو مصدر عطاء ، لأن الايمان بالمهدي ايمان برفض الظلم والجور حتى وهو يسود الدنيا كلها ، وهو مصدر قوة ودفع لا تنضب ، لأنه بصيص نور يقاوم اليأس في نفس الانسان ، ويحافظ على الأمل المشتعل في صدره مهما ادلهمّت الخطوب وتعملق الظلم ، لأن اليوم الموعود ، يثبت ان بامكان العدل ان يواجه عالماً مليئاً بالظلم والجور فيزعزع ما فيه

من اركان الظلم ، ويقيم بناءه من جديد ، وان الظلم مهما تجبّر وامتدّ في ارجاء العالم وسيطر على مقدراته ، فهو حالة غير طبيعية ، ولا بد ان ينهزم . وتلك الهزيمة الكبرى المحتومة للظلم وهو في قمة مجده ، تضع الأمل كبيراً أمام كل فرد مظلوم ، وكل أمة مظلومة في القدرة على تغيير الميزان واعادة البناء .

وإذا كانت فكرة المهدي أقدم من الاسلام وأوسع منه ، فان معالمها التفصيلية التي حددها الإسلام جاءت أكثر اشباعاً لكل الطموحات التي انشدت إلى هذه الفكرة منذ فجر التاريخ الديني ، واغنى عطاءً واقوى إثارةً لأحاسيس المظلومين والمعذبين على مرّ التاريخ وذلك لأن الإسلام حوّل الفكرة من غيب إلى واقع ، ومن مستقبل إلى حاضر ، ومن التطلع الى منقذ تتمخض عنه الدنيا في المستقبل البعيد ، المجهول إلى الايمان بوجود المنقذ فعلا ، وتطلعه مع المتطلعين إلى اليوم الموعود ، واكتمال كل الظروف التي تسمح له بممارسة دوره العظيم ،

فلم يعد المهدي « عليه السلام » فكرةً ننتظر ولادتها ، ونبوءةً نتطلع إلى مصداقها ، بل واقعاً قائماً ننتظر فاعليته وانساناً معيناً يعيش بيننا بلحمه ودمه نراه ويرانا ، ويعيش مع آمالنا وآلامنا ويشاركنا احزاننا وافراحنا ، ويشهد كل ما تزخر به الساحة على وجه الأرض من عذاب المعذبين وبؤس البائسين وظلم الظالمين ، ويكتوي بكل ذلك من قريب أو بعيد ، وينتظر بلهفة اللحظة التي يتاح له فيها ان يمدّ يده إلى كل مظلوم وكل محروم ، وكل بائس ويقطع دابر الظالمين .

وقد قدّر لهذا القائد المنتظر أن لا يعلن عن نفسه ، ولا يكشف للآخرين حياته على الرغم من انه يعيش معهم انتظاراً للحظة الموعودة .

ومن الواضح ان الفكرة بهذه المعالم الإسلامية ، تقرّب الهوة الغيبية بين المظلومين كل المظلومين ، والمنقذ المنتظر وتجعل الجسر بينهم وبينه في شعورهم النفسي

قصيراً مهما طال الانتظار .

ونحن حينما يراد منا أن نؤمن بفكرة المهدي بوصفها تعبيراً ، عن انسان حي محدد يعيش فعلاً كما نعيش ويترقب كما نترقب ، يراد الايحاء الينا بان فكرة الرفض المطلق لكل ظلم وجور التي يمثلها المهدي ، تجسّدت فعلاً في القائد الرافض المنتظر ، الذي سيظهر وليس في عنقه بيعة لظالم كما في الحديث ، وان الايمان به ايمان بهذا الرفض الحي القائم فعلاً ومواكبة له .

وقد ورد في الاحاديث الحث المتواصل على انتظار الفرج ، ومطالبة المؤمنين بالمهدي ان يكونوا بانتظاره . وفي ذلك تحقيق لتلك الرابطة الروحية ، والصلة الوجدانية بينهم وبين القائد الرافض ، وكل ما يرمز اليه من قيم ، وهي رابطة وصلة ليس بالامكان ايجادها ما لم يكن المهدي قد تجسّد فعلاً في انسان حي معاصر .

وهكذا نلاحظ ان هذا التجسيد اعطى الفكرة زخماً

جديداً ، وجعل منها مصدر عطاءٍ وقوة بدرجة أكبر ، اضافة إلى ما يجده أي انسان رافض من سلوة وعزاء وتخفيف لما يقاسيه من آلام الظلم والحرمان ، حين يحس ان إمامه وقائده يشاركه هذه الآلام ويتحسّس بها فعلاً بحكم كونه انساناً معاصراً ، يعيش معه وليس مجرد فكرة مستقبلية .

ولكن التجسيد المذكور أدى في نفس الوقت إلى مواقف سلبية تجاه فكرة المهدي نفسها ، لدى عدد من الناس الذين صعب عليهم ان يتصوروا ذلك ويفترضوه .

فهم يتساءلون ! إذا كان المهدي يعبر عن انسان حي ، عاصر كل هذه الأجيال المتعاقبة منذ أكثر من عشرة قرون ، وسيظل يعاصر امتداداتها إلى ان يظهر على الساحة ، فكيف تاتى لهذا الانسان أن يعيش هذا العمر الطويل ، وينجو من قوانين الطبيعة التي تفرض على كل انسان أن يمر بمرحلة الشيخوخة والهرم ، في وقت

سابق على ذلك جداً وتؤدي به تلك المرحلة طبيعياً الى الموت ، أو ليس ذلك مستحيلاً من الناحية الواقعية ؟

ويتساءلون أيضاً ! لماذا كل هـــذا الحرص من الله ـ سبحانه وتعالى ـ على هـذا الانسان بالذات ، فتعطل من اجله القوانين الطبيعية ، ويفعـل المستحيـل لإطالة عمره والاحتفاظ به لليوم الموعود ، فهل عقمت البشرية عن انتاج القادة الأكفاء ؟ ولماذا لا يترك اليوم الموعـود لقائد يولد مع فجر ذلك اليوم ، وينمو كما ينمو الناس ، ويمارس دوره بالتدريج حتى يملأ الأرض قسطاً وعـدلاً بعد ان ملئت ظلماً وجوراً ؟

ويتساءلون أيضاً ! إذا كان المهدي اسماً لشخص محدّد هو ابن الامام الحادي عشر من أئمة أهل البيت (ع) الذي ولد سنة (٢٥٦)هـ وتوفي أبوه سنة (٢٦٠)هـ ، فهذا يعني انه كان طفلاً صغيراً عند موت ابيه ، لا يتجاوز خمس سنوات ، وهي سن لا تكفي للمرور بمرحلة اعـــداد

فكري وديني كامل على يد أبيه ، فكيف وبأي طريقة يكتمل اعداد هذا الشخص لممارسة دوره الكبير ، دينياً وفكرياً وعلمياً ؟

ويتساءلون أيضاً ؟ إذا كان القائد جاهزاً فلماذا كل هذا الانتظار الطويل مئات السنين ؟ أو ليس في مـا شهده العالم من المحن والكوارث الاجتماعية ما يبرّر بروزه على الساحة واقامة العدل على الأرض ؟

ويتساءلون أيضاً ! كيف نستطيع أن نؤمن بوجود المهدي ، حتى لو افترضنا ان هذا ممكن ؟ وهـل يسوغ لانسان ان يعتقد بصحة فرضية من هذا القبيل دون ان يقوم عليها دليل علمي أو شرعي قاطع ؟ وهل تكفي بضع روايات تنقل عن النبي (ص) لا نعلم مدى صحتها للتسليم بالفرضية المذكورة ؟

ويتساءلون أيضاً بالنسبة إلى ما اعدّ له هذا الفرد من دور في اليـوم الموعود !.. كيف يمكن أن يكون للفرد

هذا الدور العظيم الحاسم في حياة العالم ، مع ان الفرد مهما كان عظيماً لا يمكنه أن يصنع بنفسه التاريخ ، ويدخل به مرحلة جديدة ، وانما تختمر بذور الحركة التاريخية وجذوتها في الظروف الموضوعية وتناقضاتها ، وعظمة الفرد هي التي ترشحه لكي يشكل الواجهة لتلك الظروف الموضوعية ، والتعبير العملي عما تتطلبه من حلول ؟

ويتساءلون أيضاً ! ما هي الطريقة التي يمكن أن نتصور من خلالها ما سيتمّ على يد ذلك الفرد من تحول هائل وانتصار حاسم للعدل ورسالة العدل على كل كيانات الظلم والجور والطغيان ، على الرغم مما تملك من سلطان ونفوذ ، وما يتواجد لديها من وسائل الدمار والتدمير وما وصلت اليه من المستوى الهائل في الامكانات العلمية والقدرة السياسية والاجتماعية والعسكرية !

هذه اسئلة قد تتردد في هذا المجال وتقال بشكل وآخر ، وليست البواعث الحقيقية لهذه الاسئلة فكرية

فحسب ، بل هناك مصدر نفسي لها أيضاً ، وهو الشعور بهيبة الواقع المسيطر عالمياً وضآلة أي فرصة لتغييره من الجذور ، وبقدر ما يبعثه الواقع الذي يسود العالم على مرّ الزمن من هذا الشعور تتعمق الشكوك وتترادف التساؤلات . وهكذا تؤدي الهزيمة والضآلة والشعور بالضعف لدى الانسان ، إلى ان يحسّ نفسياً بإرهاق شديد لمجرد تصور عملية التغيير الكبرى للعالم التي تفرغه من كل تناقضاته ومظالمه التاريخية ، وتعطيه محتوىً جديداً قائماً على أساس الحق والعدل ، وهذا الارهاق يدعوه إلى التشكك في هذه الصورة ومحاولة رفضها لسبب وآخر

ونحن الآن ناخذ التساؤلات السابقة تباعاً ، لنقف عند كل واحد منها وقفة قصيرة بالقدر الذي تتسع له هذه الوريقات .

١ - كيف تأتى للمهدي

وبكلمة أخرى هل بالامكان ان يعيش الانسان قروناً كثيرة كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر لتغيير العالم، الذي يبلغ عمره الشريف فعلاً أكثر من ألف ومائة وأربعين سنة، أي حوالي (١٤) مرة من عمر الانسان الاعتيادي الذي يمر بكل المراحل الاعتيادية من الطفولة إلى الشيخوخة؟

وكلمة الامكان هنا تعني أحد ثلاثة معان، الامكان العملي، والامكان العلمي، والامكان المنطقي أو الفلسفي، واقصد بالامكان العملي، أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي أو لك، أو لانسان آخر فعلاً ان يحققه، فالسفر عبر المحيط، والوصول إلى قاع البحر، والصعود الى القمر، أشياء أصبح لها امكان عملي فعلاً. فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وآخر.

وأقصد بالامكان العلمي ، ان هناك اشياء قـــد لا يكون بالامكان عملياً لي أو لك ، أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعـاصرة ، ولكن لا يوجـد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحركة الى مـا يبرر رفض امكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصة ، فصعود الانسان الى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم مـا يرفض وقوعه ، بل ان اتجاهاته القائمة فعـلاً تشير إلى امكان ذلك وان لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً لي أو لك ، لأن الفارق بـين الصعود إلى الزهرة والصعود إلى القمر ليس الا فـارق درجة ، ولا يمثـل الصعود إلى الزهرة إلا مرحلة تذليل الصعـاب الاضافية التي تنشأ من كون المسافة أبعـد ، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً وان لم يكن ممكناً عملياً فعلاً . وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس في كبد السماء فإنه غير ممكن علمياً ، بمعنى ان العلم لا أمل له في وقوع ذلك إذ لا يتصور علمياً وتجريبيـاً امكانية صنع ذلك الدرع الواقي من الاحتراق بحرارة الشمس ،

التي تمثل آتوناً هائلاً مستعراً باعلى درجة تخطر على بال انسان .

وأقصد بالامكان المنطقي أو الفلسفي ان لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية ـ أي سابقة على التجربة ـ ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته .

فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر الى نصفين ليس له امكان منطقي ، لأن العقل يدرك ـ قبل أن يمارس أي تجربة ـ ان الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً ، فلا يمكن ان تنقسم بالتساوي لأن انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد وهذا تناقض ، والتناقض مستحيل منطقياً . ولكن دخول الانسان في النار دون ان يحترق وصعوده للشمس دون ان تحرقه الشمس بحرارتها ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية إذ لا تناقض في افتراض ان الحرارة لا تتسرب من الجسم الأكثر حرارة الى الجسم

الأقل حرارة ، وانما هو مخالف للتجربة التي اثبتت تسرب الحرارة من الجسم الأكثر حرارة الى الجسم الاقل حرارة الى ان يتساوى الجسمان في الحرارة .

وهكذا نعرف ان الامكان المنطقي أوسع دائرة من الامكان العلمي ، وهذا أوسع دائرة من الامكان العملي .

ولا شكّ في ان امتداد عمر الأنسان آلاف السنين ممكن منطقياً ، لأن ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية ، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أي تناقض ، لأن الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع ولا نقاش في ذلك .

كما لا شكّ أيضاً ولا نقاش في ان هذا العمر الطويل ليس ممكناً امكاناً عملياً على نحو الإمكانات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود الى القمر ، ذلك لأن العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً ، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة ، لا تستطيع أن تمدد عمر

الانسان مئات السنين ، ولهذا نجد أن أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرة على تسخير امكانات العلم ، لا يتاح لها من العمر إلا بقدر ما هو مالوف .

وأما الامكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرر رفض ذلك من الناحية النظرية . وهذا بحث يتصل في الحقيقة بنوعيـــة التفسير الفلسجي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الانسان ، فهل تعبّر هذه الظاهرة عن قانون طبيعي يفرض على انسجة جسم الانسان وخلاياه بعد ان تبلغ قمة نموها أن تتصلب بالتدريج وتصبح أقل كفاءة للاستمرار في العمل ، إلى ان تتعطل في لحظة معينة ، حتى لو عزلناها عن تأثير أي عامل خارجي ، أو أن هذا التصلب وهـــذا التناقص في كفاءة الانسجة والخلايا الجسمية ، للقيام بادوارها الفسيولوجية نتيجة صراع مع عوامل خارجيـة كالميكروبات أو التسمم الذي يتسرب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثف ، أو ما يقوم به من عمل مكثف أو أي عامل آخر ؟

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه : وهو جاد في الاجابة عليه ، ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلمي . فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتجه إلى تفسير الشيخوخة والضعف الهرمي ، بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية معينة فهذا يعني أن بالامكان نظرياً ، إذا عزلت الانسجة التي يتكون منها جسم الانسان عن تلك المؤثرات المعينة أن تمتد بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة وتتغلب عليها نهائياً .

وإذا أخذنا بوجهة النظر الأخرى التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والانسجة الحية نفسها بمعنى انها تحمل في احشائها بذرة فنائها المحتوم ، مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاءً بالموت .

أقول : إذا اخذنا بوجهة النظر هذه فليس معنى هذا عدم افتراض أي مرونة في هذا القانون الطبيعي ، بل

هو على افتراض وجوده قانون مرن ، لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية ولأن العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلميـة ان الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية ، لا زمنية قـــد تأتي مبكرة وقد تتاخر ولا تظهر إلا في فترة متأخرة ، حتى ان الرجل قد يكون طاعنا في السن ولكنه يملك اعضاء لينة ولا تبدو عليه اعراض الشيخوخة كما نص على ذلك الاطباء . بل ان العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض ، فاطـــالوا عمر بعض الحيوانات مثـــات المرات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية ، وذلك بخلق ظروف وعوامـل تؤجل فاعلية قانون الشيخوخة .

وبهذا يثبت علمياً أن تاجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معينة أمر ممكن علميـاً ، ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلاً هذا التاجيل بالنسبة إلى كائنٍ معقد معين كالانسان فليس ذلك إلا لفارق درجه بـين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة إلى الانسان وصعوبتهـا بالنسبة إلى

احياء أخرى . وهذا يعني ان العلم من الناحية النظرية وبقدر ما تشير اليه اتجاهلته المتحركة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض امكانية اطالة عمر الانسان ، سواءً فسرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية أو نتاج قانون طبيعي للخلية الحية نفسها يسير بها نحو الفناء .

ويتلخص من ذلك : أن طول عمر الانسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً ، إلا ان اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الامكان عبر طريق طويل .

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي « عليه الصلاة والسلام » وما احيط به من استفهام أو استغراب . ونلاحظ : انه بعد ان ثبت امكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً ، وثبت ان العلم سائر في طريق تحويل الامكان النظري الى امكان عملي تدريجياً ، لا يبقى

للاستغراب محتوىً الا استبعاد ان يسبق المهدي العلم نفسه ، فيتحول الامكان النظري الى امكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل ، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان .

وإذا كانت المسألة هي انه كيف سبق الاسلام ـ الذي صمم عمر هذا القائد المنتظر ـ حركة العلم في مجال هذا التحويل ؟

فالجواب : انه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الاسلام حركة العلم . أو ليست الشريعة الاسلامية ككل ، قد سبقت حركة العلم والتطور الطبيعي للفكر الانساني قروناً عديدة ؟ أوَ لَمْ تنادِ بشعارات طرحت خططاً للتطبيق لم ينضج الانسان للتوصل اليها في حركته المستقلة إلا بعد مئات السنين ؟ أوَ لَمْ تأت بتشريعات في غاية الحكمة لم يستطع الانسان أن يدرك اسرارها ووجه الحكمة فيها إلا قبل برهة وجيزة من الزمن ؟ أوَ لَمْ تكشف رسالة السماء اسراراً من الكون

لم تكن تخطر على بال انسان ، ثم جاء العلم ليثبتها ويدعمها ؟! فاذا كنا نؤمن بهذا كله فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة ـ سبحانه وتعالى ـ أن يسبق العلم في تصميم عمر المهدي ؟ وانا هنا لم اتكلم الا عن مظاهر السبق التي نستطيع ان نحسها نحن بصورة مباشرة ، ويمكن أن نضيف إلى ذلك مظاهر السبق التي تحدثنا بها رسالة السماء نفسها . ومثال ذلك انها تخبرنا بأن النبي(ص) قد أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهذا الاسراء ، إذا أردنا أن نفهمه في اطار القوانين الطبيعية فهو يعبر عن الاستفادة من القوانين الطبيعية بشكل لم يتح العلم أن يحققه إلا بعد مئات السنين ، فنفس الخبرة الربانية التي اتاحت للرسول (ص) التحرك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك ، اتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك .

نعم ، هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ

المنتظر يبدو غريباً في حدود المألوف حتى اليوم في حياة الناس وفي ما انجز فعلا من تجارب العلماء . ولكن أوَ لَيْسَ الدور التغييري الحاسم الذي أعد له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة الناس . وما مرت بهم من تطورات التاريخ ؟ أوَ لَيْسَ قد أنيط به تغيير العالم ، واعادة بنائه الحضاري من جديد على أساس الحق والعدل ؟ فلماذا نستغرب إذا اتسم التحضير لهذا الدور الكبير ببعض الظواهر الغريبة والخارجة عن المألوف كطول عمر المنقذ المنتظر ؟ فان غرابة هذه الظواهر وخروجها عن المألوف مهما كان شديداً ، لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعود انجازه . فاذا كنا نستسيغ ذلك الدور الفريد تاريخياً على الرغم من انه لا يوجد دور مناظر له في تاريخ الإنسان ، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة ؟

ولا أدري هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط ،

بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد ، فيكون لكل منهما عمر مديد يزيد على اعمارنا الاعتيادية اضعافاً مضاعفة ؟ احدهما مارس دوره في ماضي البشرية وهو نوح النبي نص القرآن الكريم على انه مكث في قومه ألف عام إلا خمسين سنة ، وقدر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد . والآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية وهو المهدي النبي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام وسيقدر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد .

فلماذا تقبل نوح النبي ناهز الف عام على أقل تقدير ولا تقبل المهدي ؟

المعجزة
والعمر الطويل

وقد عرفنا حتى الآن ان العمر الطويل ممكن علمياً ،
ولكن لنفترض انه غير ممكن علمياً ، وان قانون
الشيخوخة والهرم قانون صارم ، لا يمكن للبشرية اليوم
ولا على خطها الطويل أن تتغلب عليه ، وتغير من
ظروفه وشروطه فماذا يعني ذلك ؟ انه يعني ان اطالة
عمر الانسان ـ كنوح أو كالمهدي ـ قروناً متعددة ، هي
على خلاف القوانين الطبيعية التي اثبتها العلم بوسائل
التجربة والاستقراء الحديثة ، وبذلك تصبح هذه الحالة
معجزة عطلت قانوناً طبيعياً في حالة معينة للحفاظ على
حياة الشخص الذي انيط به الحفاظ على رسالة السماء ،
وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها ، أو غريبة على
عقيدة المسلم المستمدة من نص القرآن والسنة ، فليس
قانون الشيخوخة والهرم أشد صرامة من قانون انتقال
الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة
حتى يتساويان ، وقد عطل هذا القانون لحماية حياة ابراهيم
« عليه السلام » حين كان الاسلوب الوحيد للحفاظ عليه

تعطيل ذلك القانون فقيل للنـــار حين ألقي فيها ابراهيم «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إبْرَاهِيمَ»[1] فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذى ، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطلت لحماية اشخاص من الأنبياء وحجج الله عـــلى الأرض ففلق البحر لموسى . وشبّه للرومان انهم قبضوا على عيسى ولم يكونوا قـد قبضوا عليه ، وخرج النبي محمـد (ص) من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلت ساعات تتربص به لتهجم عليه ، فستره الله تعالى عن عيونهم وهـو يمشي بينهم . كل هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطلت لحماية شخص ، كانت الحكمة الربانية تقتضي الحفاظ على حياته ، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين .

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام وهو انه كلما توقف الحفاظ على حياة حجة لله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي وكانت ادامة حياة ذلك الشخص ضرورية

---

(١) الانبياء : ٦٩ .

لإنجاز مهمته التي أُعِدَّ لها ، تدخلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لانجاز ذلك ، وعلى العكس إذا كان الشخص قد انتهت مهمته التي أُعِدَّ لها ربانياً فانه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرره القوانين الطبيعية.

ونواجه عادة بمناسبة هذا المفهوم العام السؤال التالي : كيف يمكن أن يتعطل القـانون ، وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية ؟ وهل هـذه إلاّ مناقضة للعلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي ، وحدد هـذه العلاقة الضرورية على أسس تجريبية واستقرائية ؟

والجواب : ان العلم نفسه قد أجاب على هذا السؤال بالتنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعي وتوضيح ذلك : ان القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة ، فحين يطرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة اخرى يستدل بهـذا الاطراد على

قانون طبيعي ، وهو انـه كلما وجدت الظاهرة الأولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها ، غير ان العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعي علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتهـا ، وصميم تلك وذاتها لأن الضرورة حـــالة غيبية ، لا يمكن للتجربة ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي اثباتها ، ولهذا فان منطق العلم الحديث ، يؤكد ان القانون الطبيعي ـ كما يعرّفه العلم ـ لا يتحدث عن علاقة ضرورية بل عن اقتران مستمر بين ظاهرتين ، فـــإذا جاءت المعجزة وفصلت احدى الظاهرتين عن الاخرى في قانون طبيعي لم يكن ذلك نقصاً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين .

والحقيقة ان المعجزة بمفهومها الديني ، قـد اصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر ممـا كانت عليه في ظل وجهة النظر الكلاسيكية الى علاقات السببية فقد كانت وجهة النظر القديمة ، تفترض ان كل ظاهرتين اطرد اقتران احداهما بالآخرى ، فالعلاقة بينهما

علاقة ضرورة ، والضرورة تعني ان من المستحيل أن تنفصل احدى الظاهرتين عـــن الأخرى ، ولكن هذه العلاقة تحولت في منطق العلم الحديث الى قانون الاقتران أو التتابع المطرد بـــين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبية .

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الاطراد في الاقتران أو التتابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدي إلى استحالة .

وأما على ضوء الأسس المنطقية للاستقراء فنحن نتفق مع وجهة النظر العلمية الحديثة في ان الاستقراء ، لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين ولكنا نرى انه يدل على وجود تفسير مشترك لاطراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار ، وهذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتيـــة ، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمـــة دعت منظم

الكون إلى ربط ظواهر معينة بظواهر اخرى باستمرار وهذه الحكمة نفسها تدعو أحيـاناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة .

٢ ـ لماذا كل هذا الحرص
على اطالة عمره ؟

ونتناول الآن السؤال الثاني وهو يقول : لماذا كل هذا الحرص من الله سبحانه وتعالى على هذا الانسان بالذات ، فتعطل من أجله القوانين الطبيعية لاطالة عمره ؟ ولماذا لا تترك قيادة اليوم الموعود لشخص يتمخض عنه المستقبل ، وتنضجه ارهاصات اليوم الموعود فيبرز على الساحة ويمارس دوره المنتظر .

وبكلمة اخرى : ما هي فائدة هذه الغيبة الطويلة وما المبرّر لها ؟

وكثير من الناس يسالون هذا السؤال وهم لا يريدون أن يسمعوا جواباً غيبياً ، فنحن نؤمن بان الأئمة الاثني عشر مجموعة فريدة لا يمكن التعويض عن أي واحد منهم ، غير ان هؤلاء المتسائلين يطالبون بتفسير اجتماعي للموقف ، على ضوء الحقائق المحسوسة لعملية التغيير الكبرى نفسها والمتطلبات المفهومة لليوم الموعود .

وعلى هذا الأساس نقطع النظر مؤقتاً عن الخصائص التي نؤمن بتوفرها ، في هؤلاء الأئمة المعصومين ونطرح السؤال التالي :

اننـــا بالنسبة إلى عملية التغيير المرتقبة في اليوم الموعود ، بقدر ما تكون مفهومة على ضوء سنن الحياة وتجاربها ، هل يمكن أن نعتبر هذا العمر الطويل لقائدها المدّخر ، عاملاً من عوامل انجاحهـا وتمكنه من ممارستها وقيادتها بدرجة أكبر ؟

ونجيب على ذلك بالايجاب ، وذلك لعدة أسباب منها ما يلي :

ان عملية التغيير الكبرى تتطلب وضعاً نفسياً فريداً في القائد الممارس لهـــا مشحوناً ، بالشعور ، بالتفوق والاحساس ، بضآلة الكيانات الشامخة ، التي أعِدّ للقضاء عليها ولتحويلها حضارياً إلى عالم جديد ، فبقدر ما يعمر قلب القائد المغير من شعور بتفاهة الحضارة التي يصارعها

وإحساس واضح بأنها مجرد نقطة على الخط الطويل لحضارة الانسان ، يصبح أكثر قدرة من الناحية النفسية على مواجهتها والصمود في وجهها ومواصلة العمل ضدها حتى النصر .

ومن الواضح ان الحجم المطلوب من هذا الشعور النفسي يتناسب مع حجم التغيير نفسه ، وما يراد القضاء عليه من حضارة وكيان ، فكلما كانت المواجهة لكيان أكبر ولحضارة أرسخ وأشمخ تطلبت زخماً أكبر من هذا الشعور النفسي المفعم .

ولما كانت رسالة اليوم الموعود تغيير عالم مليء بالظلم بالجور ، تغييراً شاملاً بكل قيمه الحضارية وكياناته المتنوعة فمن الطبيعي أن تفتش هذه الرسالة عن شخص أكبر في شعوره النفسي من ذلك العالم كله ، عن شخص ليس من مواليد ذلك العالم الذين نشاوا في ظل تلك الحضارة التي يراد تقويضها واستبدالها بحضارة العدل

والحق ، لأن من ينشأ في ظل حضارة راسخة ، تعمر الدنيا بسلطانها وقيمها وأفكارها ، يعيش في نفسه الشعور بالهيبة تجاهها لأنه ولد وهي قائمة ، ونشأ صغيراً وهي جبارة ، وفتح عينيه على الدنيا فلم يجد سوى أوجهها المختلفة ، وخلافاً لذلك شخص يتوغل في التاريخ عاش الدنيا قبل أن تر تلك الحضارة النور ، ورأى الحضارات الكبيرة سادت العالم الواحدة تلو الأخرى ثم تداعت وانهارت ، رأى ذلك بعينيه ولم يقرأه في كتاب تاريخ ثم رأى الحضارة التي يقدّر لها أن تكوّن الفصل الأخير من قصة الانسان قبل اليوم الموعود ، رآها وهي بذور صغيرة لا تكاد تتبين ، ثم شاهدها وقد اتخذت مواقعها في احشاء المجتمع البشري تتربص الفرصة لكي تنمو وتظهر ، ثم عاصرها وقد بدأت تنمو وتزحف وتصاب بالنكسة تارة ويحالفها التوفيق تارة اخرى ، ثم واكبها وهي تزدهر وتتعملق وتسيطر بالتدريج على مقدّرات عالم بكامله ، فان شخصاً من هذا القبيل عاش كل هذه

المراحل بفطنة وانتباه كاملين ينظر الى هـــذا العملاق — الذي يريد أن يصارعه — من زاوية ذلك الامتـــداد التاريخي الطويـل الذي عاشه بحسه لا في بطون كتب التاريخ فحسب ، ينظر اليه لا بوصفه قدراً محتوماً ، ولا كما كان ينظر « جان جاك روسو » الى الملكية في فرنسا ، فقد جاء عنه انه كان يرعبه مجرد ان يتصور فرنسا بدون ملك ، على الرغم من كونـــه من الدعاة الكبار فكرياً وفلسفياً إلى تطوير الوضع السياسي القائم وقتئذٍ ، لأن « روسو » هذا نشأ في ظل المَلَكيّة وتنفس هواءها طيلة حياته ، وأما هذا الشخص المتوغـــل في التاريخ ، فله هيبة التاريخ وقوة التاريخ والشعور المفعم بأن ما حوله من كيان وحضارة ، وليـــد يوم من أيام التاريخ تهيـــأت له الأسباب فوجد وستتهيأ الأسباب فيزول ، فلا يبقى منه شيء كما لم يكن يوجد منه شيء بالأمس القريب أو البعيد ، وان الأعمـــار التاريخية للحضارات والكيانات مهما طالت فهي ليست إلا أياماً

قصيرة في عمر التاريخ الطويل .

هل قرأت سورة الكهف ؟ وهل قرأت عن أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى ، وواجهوا كياناً وثنياً حاكماً ، لا يرحم ولا يتردد في خنق أي بذرة من بذور التوحيد والارتفاع عن وحدة الشرك ، فضاقت نفوسهم ودب اليها اليأس وسدّت منافذ الأمل أمام أعينهم ، ولجأوا إلى الكهف يطلبون من الله حلاً لمشكلتهم بعد ان اعيتهم الحلول وكبر في نفوسهم ان يظل الباطل يحكم ، ويظلم ويقهر الحق ويصغى كل من يخفق قلبه للحق ، هل تعلم ماذا صنع الله تعالى بهم ؟ انه أنامهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين في ذلك الكهف ، ثم بعثهم من نومهم ودفع بهم إلى مسرح الحياة ، بعد ان كان ذلك الكيان الذي بهرهم بقوته وظلمه ، قد تداعى وسقط وأصبح تاريخاً لا يرعب أحداً ولا يحرك ساكناً ، كل ذلك لكي يشهد هؤلاء الفتية مصرع ذلك الباطل الذي كبر عليهم امتداده وقوته واستمراره ، ويروا انتهاء أمره

باعينهم ويتصاغر الباطـــل في نفوسهم ، ولئن تحققت لأصحاب الكهف هذه الرؤية الواضحة بكل ما تحمل من زخم وشموخ نفسيين من خلال ذلك الحدث الفريد الذي مدد حياتهم ثلاثمائة سنة ، فان الشيء نفسه يتحقق للقائد المنتظر من خلال عمره المديـد الذي يتيح له أن يشهد العملاق وهو قزم والشجرة الباسقة وهي بذرة، والاعصار وهو مجرد نسمة .

أضف إلى ذلك : أن التجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها لهـــا أثر كبير في الاعداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود ، لأنها تضع الشخص المدّخـر أمـام ممارسات كثيرة للآخرين بكل ما فيهـا من نقاط الضعف والقوة ومن ألوان الخطأ والصواب وتعطي لهذا الشخص قدرة أكبر على تقييم الظواهر الاجتماعية بالوعي الـكامل على اسبابها ، وكل ملابساتها التاريخية .

ثم ان عملية التغيير المدّخرة للقائد المنتظر تقوم على

أساس رسالة معينـة هي رسالة الإسلام ، ومن الطبيعي أن تتطلب العملية في هذه الحالة قائداً قريباً من مصادر الإسلام الأولى ، قد بنيت شخصيته بناءً كاملاً بصورة مستقلة ومنفصلة عن مؤثرات الحضارة التي يقـدر لليوم الموعود أن يحاربها وخلافـاً لذلك الشخص الذي يولد وينشأ في كنف هذه الحضارة وتتفتح افكاره ومشاعره في اطارها ، فانه لا يتخلص غالباً من رواسب تلك الحضارة ومرتكزاتها ، وان قاد حملة تغييرية ضدها ، فلكي يضمن عدم تاثر القائد المدّخر بالحضارة التي اعد لاستبدالها لا بد أن تكون شخصيته قـد بنيت بناءً كاملاً في مرحلة حضارية سابقة هي أقرب ما تكون في الروح العـامة ، ومن ناحية المبدأ الى الحـالة الحضارية التي يتجه اليوم الموعود إلى تحقيقها بقيادته .

٢ ـ كيف اكتمل اعداد القائد المنتظر ؟

ونأتي الآن على السؤال الثالث القائل : كيف اكتمل إعداد القائد المنتظر مع انه لم يعاصر اباه الامام العسكري الا خمس سنوات تقريباً وهي فترة الطفولة التي لا تكفي لانضاج شخصية القائد فما هي الظروف التي تكامل من خلالها ؟

والجواب : ان المهدي « عليه السلام » خلّف أباه في امامة المسلمين ، وهذا يعني انه كان اماماً بكل ما في الإمامة من محتوى فكري وروحي في وقت مبكر جداً من حياته الشريفة .

والامامة المبكرة ظاهرة سبقه اليها عدد من آبائه عليهم السلام ، فالامام محمد بن علي الجواد (ع) تولى الإمامة وهو في الثامنة من عمره والامام علي بن محمد

الهادي تولى الامامة وهو في التاسعة من عمره والامام أبو محمد الحسن العسكري والد القائد المنتظر تولى الامامة وهو في الثانية والعشرين من عمره ، ويلاحظ ان ظاهرة الامامة المبكرة بلغت ذروتها في الامام المهدي (ع) والامام الجواد (ع) ونحن نسميها ظاهرة لأنها كانت بالنسبة إلى عدد من آباء المهدي « عليه السلام » تشكل مدلولاً حسياً عملياً ، عاشه المسلمون ووعوه في تجربتهم مع الامام بشكل وآخر ، ولا يمكن أن نطالب باثبات لظاهرة من الظواهر أوضح وأقوى من تجربة امة . ونوضح ذلك ضمن النقاط التالية :

أ ـ لم تكن امامة الامام من أهل البيت مركزاً من مراكز السلطان والنفوذ التي تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن ويدعمها النظام الحاكم كإمامة الخلفاء الفاطميين ، وخلافة الخلفاء العباسيين ، وانما كانت تكتسب ولاء قواعدها الشعبية الواسعة عن طريق التغلغل الروحي والاقناع الفكري لتلك القواعد

بجدارة هذه الامامة لزعامة الإسلام وقيادته على أسس روحية وفكرية .

ب - ان هذه القواعد الشعبية بنيت منذ صدر الإسلام، وازدهرت واتسعت على عهد الامامين الباقر والصادق « عليهما السلام » واصبحت المدرسة التي رعاها هذان الامامان ، في داخل هذه القواعد تشكل تياراً فكرياً واسعاً ، في العالم الإسلامي يضم المئات من الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والعلماء في مختلف ضروب المعرفة الاسلامية والبشرية المعروفة وقتئذٍ ، حتى قال الحسن بن علي الوشا : اني دخلت مسجد الكوفة فرأيت فيه تسعمائة شيخ كلهم يقولون حدثنا جعفر بن محمد .

ج - ان الشروط التي كانت هذه المدرسة وما تمثله من قواعد شعبية في المجتمع الإسلامي ، تؤمن بها وتتقيد بموجبها في تعيين الامام والتعرف على كفاءته للامامة

شروط شديدة ، لأنها تؤمن بأن الامام لا يكون اماماً إلا إذا كان أعلم علماء عصره .

د - ان المدرسة وقواعدها الشعبية كانت تقدم تضحيات كبيرة في سبيل الصمود على عقيدتها في الامامة ، لأنها كانت في نظر الخلافة المعاصرة لها تشكل خطاً عدائياً ، ولو من الناحية الفكريه على الأقل ، الأمر الذي أدى إلى قيام السلطات وقتئذٍ وباستمرار تقريباً حملات من التصفية والتعذيب ، فقتل من قتل ، وسجن من سجن ، ومات في ظلمات المعتقلات المئات . وهذا يعني ان الاعتقاد بامامة أئمة أهل البيت كان يكلفهم غالياً ولم يكن له من الاغراءات سوى ما يحسّ به المعتقد أو يفترضه من التقرب إلى الله تعالى والزلفى عنده .

هـ - ان الأئمة الذين دانت هذه القواعد لهم بالامامة لم يكونوا معزولين عنها ولا متقوقعين في بروج عالية

شان السلاطين مع شعوبهم ، ولم يكونوا يحتجبون عنهم إلا ان تحجبهم السلطة الحاكمة بسجن أو نفي ، وهذا ما نعرفه من خلال العـدد الكبير من الرواة والمحدثين عن كل واحد من الأئمـة الاحد عشر ومن خلال ما نقل من المكاتبات التي كانت تحصل بـين الامام ومعاصريه وما كان الامام يقوم به من اسفار من ناحية ، وما كان يبثه من وكلاء في مختلف انحاء العالم الاسلامي من ناحية أخرى وما كان قد اعتاده الشيعة من تفقـد أئمتهم وزيارتهم في المدينـة المنورة عندمـــا يؤمون الديار المقدسة من كل مكان لاداء فريضة الحج ، كل ذلك يفرض تفاعـــلا مستمراً بدرجة واضحة بين الامــــام وقواعده الممتدة في ارجاء العالم الإسلامي بمختلف طبقاتهـا من العلماء وغيرهم .

و - ان الخلافة المعاصرة للأئمـة (ع) كانت تنظر اليهم وإلى زعامتهم الروحية والامـامية بوصفها مصدر

خطر كبير على كيانها ومقدراتها ، وعلى هذا الاساس بذلت كل جهودها في سبيل تفتيت هذه الزعامة وتحملت في سبيل ذلك كثيراً من السلبيات ، وظهرت احياناً بمظاهر القسوة والطغيان حينما اضطرها تامين مواقعها إلى ذلك ، وكانت حملات الاعتقال والمطاردة مستمرة للأئمة أنفسهم على الرغم مما يخلفه ذلك من شعور بالألم أو الإشمئزاز عند المسلمين وللناس الموالين على اختلاف درجاتهم .

إذا أخذنا هذه النقاط الست بعين الاعتبار ، وهي حقائق تاريخية لا تقبل الشك ، أمكن أن نخرج بنتيجة وهي : ان ظاهرة الامامة المبكرة كانت ظاهرة واقعية ولم تكن وهماً من الأوهام ، لأن الامام الذي يبرز على المسرح وهو صغير فيعلن عن نفسه اماماً روحياً وفكرياً للمسلمين ، ويدين له بالولاء والامامة كل ذلك التيار الواسع لا بد أن يكون على قدر واضح وملحوظ بل وكبير من العلم والمعرفة وسعة الأفق والتمكن من الفقه

والتفسير والعقائد ، لأنه لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تقتنع تلك القواعد الشعبية بامامته مع ما تقدم من أن الأئمة كانوا في مواقع تتيح لقواعدهم التفـــاعل معهم وللأضواء المختلفة ، ان تسلط على حيـــاتهم وموازين شخصيتهم . فهـل ترى ان صبياً يدعو إلى امامة نفسه وينصب منها علماً للإسلام وهـو على مرأى ومسمع من جماهير قواعده الشعبية فتؤمن به وتبـذل في سبيل ذلك الغالي من أمنها وحياتها بدون أن تكلف نفسها اكتشاف حاله وبدون أن تهزها ظاهرة هـــذه الامامة المبكرة لاستطلاع حقيقة الموقف وتقييم هذا الصبي الامام؟ وهب ان الناس لم يتحركوا لاستطلاع الموقف ، فهل يمكن أن تمر المسالة أياماً وشهوراً بـل اعواماً دون أن تتكشف الحقيقه على الرغم من التفاعل الطبيعي المستمر بين الصبي الامام وسائر الناس؟ وهل من المعقول أن يكون صبياً في فكره وعلمه حقاً ثم لا يبدو ذلك من خلال هـــذا التفاعل الطويل ؟

وإذا افترضنا ان القواعد الشعبية لامامة أهل البيت لم يتح لها أن تكتشف واقع الأمر فلماذا سكتت الخلافة القائمة ولم تعمل لكشف الحقيقة إذا كانت في صالحها ؟ وما كان أيسر ذلك على السلطة القائمة لو كان الامام الصبي صبياً في فكره وثقافته كما هو المعهود في الصبيان ، وما كان أنجحه من اسلوب ان تقدم هذا الصبي إلى شيعته وغير شيعته على حقيقته وتبرهن على عدم كفاءته للامامة والزعامة الروحية والفكرية . فلئن كان من الصعب الاقناع بعدم كفاءة شخص في الأربعين أو الخمسين قد احاط بقدر كبير من ثقافة عصره لتسلم الامامة فليس هناك صعوبة في الاقناع بعدم كفاءة صبي اعتيادي مهما كان ذكياً وفطناً للامامة بمعناها الذي يعرفه الشيعة الاماميون ، وكان هذا أسهل وأيسر من الطرق المعقدة وأساليب القمع والمجازفة التي انتهجتها السلطات وقتئذٍ .

ان التفسير الوحيد لسكوت الخلافة المعاصرة ، عن

اللعب بهذه الورقة هو انها أدركت ان الامامة المبكرة ظاهرة حقيقية وليست شيئاً مصطنعاً .

والحقيقة انها أدركت ذلك بالفعل بعد ان حاولت أن تلعب بتلك الورقة فلم تستطع ، والتاريخ يحدثنا عن محاولات من هذا القبيل وفشلها بينما لم يحدثنا اطلاقاً عن موقف تزعزعت فيه ظاهرة الامامة المبكرة أو واجه فيه الصبي الامام احراجاً يفوق قدرته أو يزعزع ثقة الناس فيه .

وهذا معنى ما قلناه من أن الامامة المبكرة ظاهرة واقعية في حياة أهل البيت وليست مجرد افتراض ، كما ان هذه الظاهرة الواقعية لها جذورها وحالاتها المماثلة في تراث السماء الذي امتد عبر الرسالات والزعامات الربانية ويكفي مثالاً لظاهرة الامامة المبكرة في التراث الرباني لأهل البيت (ع) يحيى (ع) إذ قال الله سبحانه وتعالى : (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ

الحكمَ صبيّاً)[1] .

ومتى ثبت ان الامـامة المبكرة ظـاهرة واقعية ومتواجدة فعلا في حياة أهل البيت لم يعد هناك اعتراض فيما يخصّ امامة المهدي « عليه السـلام » وخلافته لأبيه وهو صغير .

(١) سورة مريم آية ١٢ .

٤ ـ كيف نؤمن بأن
المهدي قد وجد!

ونصل الآن إلى السؤال الرابع وهو يقول : هب ان فرضية القائد المنتظر ممكنة بكل ما تستبطنه من عمر طويل وامامـــة مبكرة وغيبة صامتة فان الامكان لا يكفي لاقتناع بوجوده فعلا . فكيف نؤمن فعلا بوجود المهدي؟ وهل تكفي بضع روايات تنقل في بطون الكتب عن الرسول الاعظم (ص) للاقتناع الكامل بالامام الثاني عشر على الرغم مما في هذا الافتراض من غرابة وخروج عن المألوف بل كيف يمكن أن نثبت ان للمهدي وجوداً تاريخياً حقاً وليس مجرد افتراض توفرت ظروف نفسية لتثبيته في نفوس عدد كبير من الناس ؟

والجواب : ان فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم الى الافضل قـد جاءت في احاديث الرسول الاعظم عموماً وفي روايات أئمة أهـــل البيت خصوصاً ،

وأكدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى اليها الشك ، وقد أحصي أربعمائة حديث عن النبي (ص) من طرق اخواننا أهل السنة [1] كما أحصي مجموع الأخبار الواردة في الامام المهدي من طرق الشيعة والسنه فكان أكثر من ستة آلاف رواية [2] ، وهذا رقم احصائي كبير لا يتوفر نظيره في كثير من قضايا الإسلام البديهية التي لا يشك فيها مسلم عادة .

واما تجسيد هذه الفكرة في الامام الثاني عشر « عليه الصلاة والسلام » فهذا ما توجد مبررات كافية وواضحة للاقتناع به .

ويمكن تلخيص هذه المبررات في دليلين : أحدهما إسلامي والآخر علمي .

فبالدليل الإسلامي نثبت وجود القائد المنتظر ،

---

(١) يلاحظ كتاب (المهدي) للسيد الشهيد الصدر قدس الله روحه الذكية .

(٢) يلاحظ كتاب منتخب الأثر في الامام الثاني عشر للشيخ لطف الله الصافي .

وبالدليل العلمي نبرهن على ان المهدي ليس مجرد اسطورة وافتراض بل هو حقيقة ثبت وجودها بالتجربة التاريخية.

أما الدليل الاسلامي ، فيتمثل في مئـــات الروايات الواردة عن رسول الله (ص) والأئمة من أهل البيت(ع) والتي تدل على تعيين المهدي وكونه من أهـل البيت ومن ولد فاطمة ومن ذرية الحسين وانه التاسع من ولد الحسين وان الخلفاء اثنا عشر ، فان هـــذه الروايات تحدد تلك الفكرة العامة وتشخيصها في الامـام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ، وهي روايات بلغت درجة كبيرة من الكثرة والانتشار على الرغم من تحفظ الأئمـــة « عليهم السلام » واحتياطهم في طرح ذلك على المستوى العام وقاية للخلف الصالح من الاغتيال أو الاجهاز السريع على حياته .

وليست الكثرة العددية للروايات هي الأساس الوحيد لقبولها ، بل هناك اضافـة إلى ذلك مزايا وقرائن تبرهن على صحتها ، فالحديث النبـــوي الشريف عن الأئمة أو

الخلفاء أو الأمراء بعده وانهم اثني عشر اماماً أو خليفة أو أميراً ـ على اختلاف متن الحديث في طرقه المختلفة ـ قد أحصى بعض المؤلفين رواياته فبلغت أكثر من مائتين وسبعين رواية ماخوذة من أشهر كتب الحديث عند الشيعة والسنة بما في ذلك البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود ومسند أحمد ومستدرك الحاكم على الصحيحين

ويلاحظ هنا أن البخاري الذي نقل هذا الحديث كان كان معاصراً للإمام الجواد والامامين الهادي والعسكري وفي ذلك مغزىً كبير ، لأنه يبرهن على ان هذا الحديث قد سجل عن النبي (ص) قبل أن يتحقق مضمونه وتكتمل فكرة الأئمة الاثني عشر فعلاً ، وهذا يعني انه لا يوجد أي مجال للشك في أن يكون نقل الحديث متاثراً بالواقع الامامي الاثني عشري وانعكاساً له ؛ لأن الاحاديث المزيفة التي تنسب إلى النبي (ص) وهي انعكاسات أو تبريرات لواقع متأخر زمنياً لا تسبق في ظهورها وتسجيلها في كتب الحديث ذلك الواقع الذي تشكل

انعكاساً له ، فما دمنا قد ملكنا الدليل المادي على ان الحديث المذكور سبق التسلسل التـاريخي للأئمة الاثني عشر ، وضبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقـع الامامي الاثني عشري ، أمكننا أن نتأكد من أن هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع وإنما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لا ينطق عن هوى ، فقال : ان الخلفاء بعدي اثني عشر . وجاء الواقع الامامي الاثني عشري ابتداءاً من الامام علي وانتهاءاً بالمهدي ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث النبوي الشريف .

وأما الدليل العلمي ، فهو يتكون من تجربة عاشتها أمة من الناس فترة امتدت سبعين سنة تقريباً وهي فترة الغيبة الصغرى . ولتوضيح ذلك نمهـد باعطاء فكرة موجزة عن الغيبة الصغرى :

ان الغيبة الصغرى تعبر عن المرحلة الأولى من امامة القائد المنتظر « عليه الصلاة والسلام » فقـد قدّر لهذا

الامام منذ تسلمه للامامة أن يستتر عن المسرح العام ويظل بعيداً باسمه عن الاحداث وان كان قريبـــاً منها بقلبه وعقله ، وقد لوحظ ان هـذه الغيبة إذا جاءت مفاجأة حققت صدمة كبيرة للقـواعد الشعبية للامامة في الأمة الإسلامية ، لأن هـذه القواعد كانت معتادة على الاتصال بالامام في كل عصر والتفاعل معه والرجوع اليه في حـل المشاكل المتنوعة فإذا غاب الامـــام عن شيعته فجأة وشعروا بالانقطاع عن قيادتهم الروحية والفكرية سببت هذه الغيبة المفاجـــأة الاحساس بفراغ دفعي هائل قد يعصف بالكيان كله ويشتت شمله ، فكان لا بد من تمهيد لهذه الغيبة لكي تالفها هـذه القواعـد بالتدريج وتكيف نفسها شيئاً فشيئاً على أساسها ، وكان هـــذا التمهيد هو الغيبة الصغرى التي اختفى فيها الامام المهدي عن المسرح العام غير انه كان دائم الصلة بقواعده وشيعته عن طريق وكلائه ونوابه والثقاة من أصحابه الذين يشكلون همزة الوصل بينه وبين الناس المؤمنين بخطه الامامي . وقـد

أشغل مركز النيابة عن الامام في هـذه الفترة أربعة ممن أجمعت تلك القواعـد على تقواهم وورعهم ونزاهتهم التي عاشوا ضمنها وهم كما يلي :

١ - عثمان بن سعيد العمري .

٢ - محمد بن عثمان بن سعيد العمري .

٣ - ابو القاسم الحسين بن روح .

٤ - ابو الحسن علي بن محمد السمري .

وقد مارس هؤلاء الأربعة مهـــام النيابة بالترتيب المذكور وكلما مات أحدهم خلفه الآخر الذي يليه بتعيين من الامام المهدي (ع) .

وكان النائب يُتصل بالشيعة ويحمـــل اسئلتهم إلى الامـام ، ويعرض مشاكلهم عليه ويحمـل اليهم اجوبته شفهية أحياناً وتحريرية في كثير من الأحيان ، وقـــد وجدت الجماهير التي فقدت رؤية امامهـا العزاء والسلوة في هذه المراسلات والاتصالات غير المباشرة . ولاحظت

ان كل التوقيعات والرسائل كانت ترد من الامام المهدي (ع) بخط واحد وسليقة واحـــدة طيلة نيابة النواب الأربعة التي استمرت حوالي سبعين عاما ، وكان السمري هو آخر النواب فقـــد اعلن عن انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى التي تتميز بنواب معينين ، وابتـــداء الغيبة الكبرى التي لا يوجـــد فيها اشخاص معينون بالذات للوساطة بين الامام القائد والشيعة ، وقد عبر التحول من الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى عن تحقيق الغيبة الصغرى لأهدافها وانتهاء مهمتها لأنها حصنت الشيعة بهذه العملية التدريجية عن الصدمة والشعور بالفراغ الهائـل بسبب غيبة الامام ، واستطاعت أن تكيف وضع الشيعة على أساس الغيبـة وتعدهم بالتدريج لتقبـل فكرة النيابة العامة عن الامام وبهذا تحولت النيابة من أفراد منصوصين إلى خط عام وهو خط المجتهـــد العادل البصير بامور الدنيا والدين تبعـــا لتحول الغيبة الصغرى إلى غيبة كبرى .

والآن بإمكانك أن تقدر الموقف في ضوء ما تقدم لكي تدرك بوضوح ان المهدي حقيقة عاشتها أمة من الناس وعبر عنها السفراء والنواب طيلة سبعين عاماً من خلال تعاملهم مع الآخرين ، ولم يلحظ عليهم أحد كل هذه المدة تلاعباً في الكلام او تحايلاً في التصرف أو تهافتاً في النقل . فهل تتصور ـ بربك ـ ان بإمكان اكذوبة أن تعيش سبعين عاماً ويمارسها أربعة على سبيل الترتيب كلهم يتفقون عليها ويظلون يتعاملون على أساسها وكأنها قضية يعيشونها بأنفسهم ويرونها باعينهم دون أن يبدر منهم أي شيء يثير الشك ودون أن يكون بين الأربعة علاقة خاصة متميزة تتيح لهم نحواً من التواطؤ ويكسبون من خلال ما يتصف به سلوكهم من واقعية ثقة الجميع وإيمانهم بواقعية القضية التي يدعون انهم يحسونها ويعيشون معها !؟

لقد قيل قديماً ان حبل الكذب قصير، ومنطق الحياة يثبت أيضاً ان من المستحيل عملياً بحساب الاحتمالات أن

تعيش اكذوبة بهذا الشكل وكل هذه المدة وضمن كل تلك العلاقات والأخذ والعطاء ثم تكسب ثقـــة جميع من حولها .

وهكـذا نعرف ان ظاهرة الغيبة الصغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية لاثبات ما لها من واقع موضوعي والتسليم بالامام القـــائد بولادته وحياته وغيبته واعلانه العام عن الغيبة الكبرى التي استتر بموجبهـا عن المسرح ولم يكشف نفسه لأحد .

٥ ـ لماذا لم يظهر القائد اذن ؟

لماذا لم يظهر القائد إذن طيلة هذه المدة ؟ وإذا كان قد أعَدَّ نفسه للعمل الاجتماعي ، فما الذي منعه عن الظهور على المسرح في فترة الغيبة الصغرى أو في اعقابها بدلاً عن تحويلها إلى غيبة كبرى ، حيث كانت ظروف العمل الاجتماعي والتغييري ، وقتئذٍ أبسط وأيسر وكانت صلته الفعلية بالناس من خلال تنظيمات الغيبة الصغرى تتيح له أن يجمع صفوفه ويبدأ عمله بداية قوية ولم تكن القوى الحاكمة من حوله قد بلغت الدرجة الهائلة من القدرة والقوة التي بلغتها الانسانية بعد ذلك من خلال التطور العلمي والصناعي ؟

والجواب : ان كل عملية تغيير اجتماعي يرتبط نجاحها بشروط وظروف موضوعية لا يتاتى لها أن تحقق هدفها إلا عندما تتوفر تلك الشروط والظروف .

وتتميز عمليات التغيير الاجتماعي التي تفجرها السماء على الأرض بانها لا ترتبط في جانبها الرسالي بالظروف الموضوعية ، لأن الرسالة التي تعتمدها عملية التغيير هنا ربانية ومن صنع السماء لا من صنع الظروف الموضوعية ، ولكنها في جانبها التنفيذي تعتمد الظروف الموضوعية ويرتبط نجاحها وتوقيتها بتلك الظروف . ومن أجل ذلك انتظرت السماء مرور خمسة قرون من الجاهلية حتى انزلت آخر رسالاتها على يد النبي محمد (ص) لأن الارتباط بالظروف الموضوعية للتنفيذ كان يفرض تأخرها على الرغم من حاجة العالم اليها منذ فترة طويلة قبل ذلك .

والظروف الموضوعية التي لها أثر في الجانب التنفيذي من عملية التغيير منها ما يشكل المناخ المناسب والجو العام للتغيير المستهدف ، ومنها ما يشكل بعض التفاصيل التي تتطلبها حركة التغيير من خلال منعطفاتها التفصيلية . فبالنسبة إلى عملية التغيير التي قادها مثلاً لينين في روسيا بنجاح كانت ترتبط بعامل من قبيل قيام

الحرب العالمية الأولى وتضعضع القيصرية ، وهذا ما يساهم في ايجاد المنـاخ المناسب لعملية التغيير ، وكانت ترتبط بعوامل أخرى جزئية ومحـدودة من قبيل سلامة لينين مثلاً في سفره الذي تسلل فيه إلى داخل روسيا وفـاد الثورة ، إذ لو كان قد اتفق له أي حـادث يعيقه لـكان من المحتمل أن تفقـد الثورة بذلك قدرتها على الظهور السريع على المسرح .

وقد جرت سنة الله تعالى التي لا تجد لهـا تحويلاً في عمليات التغيير الرباني على التقيد من النـاحية التنفيذية بالظروف الموضوعية التي تحقق المناخ المناسب والجو العام لانجاح عملية التغيير ، ومن هنا لم يات الإسلام إلا بعـد فترة من الرسل وفراغ مرير إستمر قروناً من الزمن

فعلى الرغم من قـدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ على تذليـل كل العقبات والصعاب في وجه الرسالة الربانية وخلق المناخ المناسب لها خلقاً بالاعجاز لم يشأ أن يستعمل

هذا الاسلوب ، لأن الامتحان والابتلاء والمعاناة التي من خلالها يتكامل الانسان يفرض على العمل التغييري الرباني أن يكون طبيعياً وموضوعياً من هذه الناحية ، وهذا لا يمنع عن تدخل الله ـ سبحانه وتعالى ـ احياناً فيما يخص بعض التفاصيل التي لا تكونُ المناخ المناسب وانما قد يتطلبها أحياناً التحرك ضمن ذلك المناخ المناسب ، ومن ذلك الامدادات والعنايات الغيبية التي يمنحها الله تعالى لأوليائه في لحظات حرجة فيحمي بها الرسالة وإذا بنار نمرود تصبح برداً و سلاماً على ابراهيم ، وإذا بيد اليهودي الغادر التي ارتفعت بالسيف على رأس النبي (ص) تشل وتفقد قدرتها على الحركة ، وإذا بعاصفة قوية تجتاح مخيمات الكفار والمشركين الذين احدقوا بالمدينة في يوم الخندق وتبعث في نفوسهم الرعب ، إلا أن هذا كله لا يعدو التفاصيل وتقديم العون في لحظات حاسمة بعد ان كان الجو المناسب والمناخ الملائم لعملية التغيير على العموم قد تكونُ بالصورة الطبيعية ووفقاً للظروف الموضوعية .

وعلى هذا الضوء ندرس موقف الامام المهدي « عليه السلام » لنجد ان عملية التغيير التي اعد لها ترتبط من الناحية التنفيذية كاي عملية تغيير اجتماعي اخرى بظروف موضوعية تساهم في توفير المناخ الملائم لها ، ومن هنا كان من الطبيعي أن توقت وفقاً لذلك . ومن المعلوم ان المهدي لم يكن قد اعد نفسه لعمل اجتماعي محدود ، ولا لعملية تغيير تقتصر على هذا الجزء من العالم أو ذاك ، لأن رسالته التي أدخر لها من قبل الله ـ سبحانه وتعالى ـ هي تغيير العالم تغييراً شاملاً ، واحراج البشرية كل البشرية من ظلمات الجور إلى نور العدل ، وعملية التغيير الكبرى هذه لا يكفي في ممارستها مجرد وصول الرسالة والقائد الصالح وإلا لتمت شروطها في عصر النبوة بالذات ، وإنما تتطلب مناخاً عالمياً مناسباً وجواً عاماً مساعداً يحقق الظروف الموضوعية المطلوبة لعملية التغيير العالمية .

فمن الناحية البشرية يعتبر شعور انسان الحضارة

بالنفاد عاملاً أساسياً في خلق ذلك المناخ المناسب لتقبل رسالة العدل الجديدة ، وهذا الشعور بالنفاد يتكون ويترسخ من خلال التجارب الحضارية المتنوعة التي يخرج منها انسان الحضارة مثقلاً بسلبيات ما بنى مدركاً حاجته إلى العون ، متلفتاً بفطرته إلى الغيب أو إلى المجهول . ومن الناحية المادية يمكن أن تكون شروط الحياة المادية الحديثة أقدر من شروط الحياة القديمة في عصر كعصر الغيبة الصغرى على انجاز الرسالة على صعيد العالم كله ، وذلك بما تحققه من تقريب المسافات والقدرة الكبيرة على التفاعل بين شعوب الأرض وتوفير الأدوات والوسائل التي يحتاجها جهاز مركزي لممارسة توعية لشعوب العالم وتثقيفها على أساس الرسالة الجديدة .

وأما ما أشير اليه في السؤال من تنامي القوى والاداة العسكرية التي يواجهها القائد في اليوم الموعود كلما أجّل ظهوره ، فهذا صحيح . ولكن ماذا ينفع نمو

الشكل المادي للقوة مع المزيمة النفسية من الداخل وانهيار البنـــاء الروحي للانسان الذي يملك كل تلك القوى والأدوات ؟ وكم من مرة في التاريخ انهار بنـاء حضاري شامخ باول لمسة غازية لأنه كان منهاراً قبل ذلك وفاقداً الثقة بوجوده والقناعة بكيانه والاطمئنان إلى واقعه .



٦ ـ وهل للفرد كل
هــذا الدور !

ونأتي إلى سؤال آخر في تسلسل الاسئلة المتقــدمة وهو السؤال الذي يقـول : هل للفرد مهما كان عظيماً القدرة على انجاز هذا الدور العظيم ؟ وهـل الفرد العظيم إلا ذلك الإنسان الذي ترشحه الظروف ليكـون واجهته له في تحقيق حركتها ؟

والفكرة في هـذا السؤال ترتبط بوجهة نظر معينة للتاريخ تفسره على أساس ان الانسان عامـــل ثانوي فيه والقوى الموضوعية المحيطة به هي العامل الأساسي ، وفي اطار ذلك لن يكون الفرد في أفضل الأحوال إلا التعبير الذكي عن اتجاه هذا العامل الأساسي .

ونحن قـــد أوضحنا في مواضع أخرى من كتبنا المطبوعة ان التاريخ يحتوي على قطبين . أحدهما الانسان ، والآخر القوى المادية المحيطة به . وكما تؤثر القوى المادية وظروف الانتـــاج والطبيعة في الانسان يؤثر الانسان

أيضاً فيا حوله من قوى وظروف ، ولا يوجـــد مبرر لافتراض ان الحركة تبتدأ من المـادة وتنتهي بالإنسان إلا بقدر ما يوجد مبرر لافتراض العكس ، فالإنسان والمادة يتفاعلان على مر الزمن وفي هـذا الإطار بامكان الفرد أن يكون أكبر من ببغـاء في تيار التاريخ ، وبخاصة حين ندخل في الحساب عامل الصلة بين هـذا الفرد والسماء . فإن هذه الصلة تدخل حينئذٍ كقوة موجهـــة لحركة التاريخ . وهذا مـا تحقق في تاريخ النبـوات وفي تاريخ النبوة الخاتمة بوجـه خاص ، فان النبي محمـد (ص) بحكم صلته الرسالية بالسماء تسلم بنفسه زمـام الحركة التاريخية وأنشأ مـداً حضارياً لم يكن بامكان الظروف الموضوعية التي كانت تحيط به أن تتمخض عنه بحال من الاحوال ، كا أوضحنا ذلك في المقدمة الثانية للفتاوى الواضحة .

وما أمكن أن يقع على يـد الرسول الأعظم يمكن أن يقع على يد القـــائد المنتظر من أهل بيته الذي بشر به ونوه عن دوره العظيم .

٧ ـ ما هي طريقة التغيير في اليوم الموعود !

ونصل في النهاية إلى السؤال الأخير من الأسئلة التي عرضناها ، وهو السؤال عن الطريقة التي يمكن أن نتصور من خلالها ما سيتم على يد ذلك الفرد من انتصار حاسم للعدل وقضاء على كيانات الظلم المواجهة له ؟

والجواب: المحدد على هذا السؤال يرتبط بمعرفة الوقت والمرحلة التي يقدر للامام المهدي (ع) أن يظهر فيها على المسرح وامكان افتراض ما تتميز به تلك المرحلة من خصائص وملابسات لكي ترسم في ضوء ذلك الصورة التي قد تتخذها عملية التغيير والمسار الذي قد تتحرك ضمنه ، وما دمنا نجهل المرحلة ولا نعرف شيئاً عن ملابساتها وظروفها فلا يمكن التنبؤ العلمي بما سيقع في أليوم الموعود وان امكنت الافتراضات والتصورات التي تقوم في الغالب على أساس ذهني لا على أسس واقعية عينيه .

وهناك افتراض أساسي واحد بالامكان قبوله على ضوء الأحاديث التي تحدثت عنه والتجارب التي لوحظت لعمليات التغيير الكبرى في التاريخ ، وهو افتراض ظهور المهدي « عليه السلام » في أعقاب فراغ كبير يحدث نتيجة نكسة وأزمة حضارية خانقة . وذلك الفراغ يتيح المجال للرسالة الجديدة أن تمتد وهذه النكسة تهيء الجو النفسي لتقبولها ، وليست هذه النكسة بجرد حادثة تقع صدفة في تاريخ الحضارة الإنسانية وإنما هي نتيجة طبيعية لتناقضات التاريخ المنقطع عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ التي لا تجد لها في نهاية المطاف حلاً حاسماً فتشتعل النار التي لا تبقي ولا تذر ويبرز النور في تلك اللحظة ليطفىء النار ويقيم على الأرض عدل السماء .

وسأقتصر على هذا الموجز من الأفكار تاركاً التوسع فيها وما يرتبط بها من تفاصيل إلى الكتاب القيم الذي أمامنا ، فإننا بين يدي موسوعة جليلة في الامام المهدي « عليه السلام » وضعها أحد أولادنا وتلامذتنا الأعزاء وهو العلامة البحاثة السيد محمد الصدر ـ حفظه الله

تعالى ـ وهي موسوعة لم يسبق لها نظير في تاريخ التصنيف الشيعي حول المهدي « عليه السلام » في احاطتها وشمولها لقضية الامام المنتظر من كل جوانبها ، وفيها من سعة الأفق وطول النفس العلمي واستيعاب الكثير من النكات واللفتات ما يعبر عن الجهود الجليلة التي بذلها المؤلف في انجاز هذه الموسوعة الفريدة . وإني لأحس بالسعادة وأنا أشعر بما تملأه هذه الموسوعة من فراغ وما تعبر عنه من فضل ونباهة وألمعية وأسال المولى ـ سبحانه وتعالى ـ أن يقر عيني به ويريني فيه علماً من أعلام الدين . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين. وقد وقع الابتداء في كتابة هذه الوريقات في اليوم الثالث عشر من جمادي الثانية سنة ١٣٩٧هـ ووقع الفراغ منها عصر اليوم السابع عشر من الشهر نفسه .

والله ولي التوفيق .

محمد باقر الصدر

النجف الأشرف

قرن من الزمن ، على وجه التقريب .. هو الذي يحاول هذا الكتاب أن يعرضه له تاريخاً وتحليلاً وتبويباً ... على ضوء سائر المصادر الاسلامية التي تعرضت لذلك ، سواء في ذلك التاريخ العام ، أو التاريخ الخاص الذي انبثق عن أقلام علمائنا الأبرار .

قرن من الزمن .. حافل بروائع الأحداث وجلائل الأخطار . . أنموذج فذ من القرون ... سواء على الصعيد السياسي العام من حيث ما آلت اليه الخلافة العباسية يومذاك ، من الضعف والتصدع . . . أو من ناحية الأئمة ، وكيف كانوا يخوضون غمار البؤس والأخطار بكل حذق وصبر .

انموذج خاص .. لا مثيل له في الدهر ، بالأسلوب الخاص الذي اتخذه الامام المهدي (ع) في قيادة شعبه ، حال اختفائه عن مسرح الناس ، عن طريق السفراء الأمناء الذين كانوا ينقلون عنه التوجيهات ، ويقومون بالتنفيذ .

قرن من الدهر ... تكفله هذا الكتاب . . . ولم يكن كله متضمناً للغيبة الصغرى ... وان احتلت معظمه .. ولكن الكلام في مثل هذه الفترة الحرجة الدقيقة ، التي يكتنفها الغموض من العديد من جوانبها ، ولم تسلم من الأحكام العشوائية من عدد من الكتاب المسلمين وغيرهم . .

هذه الفترة تحتاج في عرضها الأمين الدقيق . . الى تقديم كبير ، للظروف السابقة عليها ، حتى نعرف بوضوح وتفصيل العوامل الإساسية التي أدت اليها وبلورت الاحداث فيها .

ومن ثم سار منهج هذا الكتاب ، على بيان مقدمة ، باديء ذي بدء في بيان نقاط الضعف الأساسية في تاريخنا الإسلامي . . . والتي تعيق الباحث عن التوصل الى جملة مما يهمه ويؤثر في بحثه ، من قضايا الاسلام والمسلمين .

ثم أعطى فكرة كافية عن تاريخ الامامين العسكريين (ع) وهما علي بن محمد الهادي (ع) جد الامام المهدي (ع) والحسن بن علي (ع) أبوه .. وما كان يتخذه هذان الامامان من تدابير وما يقومان به من أعمال تجاه الدولة وتجاه قواعدهم الشعبية .

حتى ما اذا ما حملنا من ذلك فكرة كافية ... وصلنا الى تاريخ الغيبة الصغرى .. لنتعرف على الاتجاهات العامة والاعمال التفصيلية التي كان يقوم بها الامام المهدي (ع) وسفراؤه وما كانت تقوم به الدولة تجاههم من أعمال ، وما كانت تتبناه من أفكار .

ومن هنا قسم هذا الكتاب إلى قسمين رئيسيين ـ أولهما : يبدأ بإشخاص الامام الهادي (ع) إلى سامراء عام ٢٣٤ الى وفاة الامام العسكري (ع) عام ٢٦٠ .. وثانيهما : يبدأ بما انتهى به القسم الأول : وينتهي بوفاة السفير الرابع من سفراء الامام المهدي عام ٣٢٩ .

وقد قرنا ، كلا من القسمين بفصل تحليلي لاهم الحوادث والاتجاهات

التي كانت سائدة في كل من هذين العصرين.. بحسب ما يدلنا عليه التاريخ الاسلامي العام .. بما له من مصادر متوفرة .

وهذا الكتاب .. بماله من اتجاه تاريخي ، لا يتكفل الدخول في مجال الجدل العقائدي الذي قد يثيره الكلام عن الامام المهدي (ع) . كاثبات وجوده وطول عمره وغير ذلك ... ان لم يكن هذا التاريخ بنفسه كافياً لأثبات القطع بتواتر أخبار الامام المهدي (ع) في الاسلام . . . وسيكون لهذا الجدل ، وغيره من البحوث حول الامام المهدي (ع) مجالات اخرى عسى الله عز وجل ان يوفقنا إلى خوض غمارها في سلسلة من البحوث المقبلة في هذه الموسوعة ان شاء الله تعالى .

المؤلف

مقدمة

نقاط الضعف في التاريخ الاسلامي

تمهيد :

اننا حين نريد أن نستوحي تاريخنا الاسلامي الخاص ، نجده بشكل عام ، غامضاً مليئاً بالفجوات والعثرات . يحتاج في تصفيته وترتيبه ، وأخذ زبدته المصفاة والعبرة المتوخاة إلى جهد كبير وفكر مضاعف جليل .

وهذا يعود إلى عدة أسباب ، لعلنا نستطيع أن نلم ببعض جوانبها المهمة فيما يلي :

الجانب الأول :

ما يرجع إلى واقع التاريخ المعاش آنذاك . . أي أن نفس حوادث التاريخ وتحركات أعلامه ، كان مقتضباً غامضاً مقيداً .

وذلك : أن أئمتنا عليهم السلام ، كانوا يمثلون على طول الخط ، دور المعارضة الاسلامية الصامدة ، ضد خط الجهاز الحاكم الذي يمثل الانحراف عن تعاليم دينها القويم ، بقليل أو بكثير . فان الحكم وإن كان قائماً على اسم الاسلام ، ولم يكن الخليفة ليتسنم مركزه الكبير ، إلا باعتباره خليفة الرسول (ص) والخلفاء الراشدين من بعده . إلا ان شخص الخليفة ، اذ لم يكن قد تفهم الاسلام على حقيقته أو تشرب روحه وميزان عدله ، فكان يمارس الحكم على مقدار فهمه ، وأفق تفكيره ، مضافاً إلى سيطرة الآخرين على كثير من مراكز الدولة الحساسة ، ممن لا يفضلون على الخليفة نفسه ، بالوعي والروح ، وليسوا في حال يحسدون عليه من هذه الناحية .

فكان موقف أئمتنا عليهم السلام ، ضد الجهات الحاكمة رأياً وتطبيقاً ، موقفاً حازماً صارماً ، مستمداً من حكمة الله تعالى وقوته وتوفيقه . فكان لهم موقفان أساسيان، لا ترتاح اليهما الجهات الحاكمة :

الموقف الأول :

مطالبتهم الدائمة ، نظرياً ـ على الأقل ـ بمنصب رئاسة الدولة الاسلامية وتولي الامامة في الأمة المرحومة ، وقيام كيان الائمة عليهم السلام في تابعيهم وقواعدهم الشعبية الموسعة ، على ذلك .

فكان هذا مما يهدد الخلافة الأموية والعباسية في الصميم ، ويقض مضاجع الخلفاء ، ويجعلهم حذرين كل الحذر مما يقوم به الأئمة من

أفعال وما يصدر عنهم من أقوال ، ويجعلونهم ، دائماً ، تحت المراقبة والاحتياطات المشددة ، بما يملك الحكم من سيطرة ونفوذ .

الموقف الثاني :

مما يرجع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاصلاح في أمة جدهم رسول الله (ص) ، نتيجة للظلم والانحراف والحروب المنحرفة والمصالح الشخصية ، التي كانت نافذة المفعول في المجتمع ، والذي خلف ـ في أغلب فترات التاريخ ـ بؤساً اقتصادياً وتخلفاً اجتماعياً مؤسفاً .

فكان الأئمة (ع) يحسون بواجبهم ، ويشعرون بمسؤوليتهم ، بصفتهم الممثلين الحقيقيين لنبي الاسلام (ص) ، على ما يعتقدون ـ على الاقل ـ تجاه اصلاح الفاسد وتقويم المعوج في الامة الاسلامية ، بمقدار امكانهم والفرص التي كانت تسنح لهم في خلال الايام .

وهم في كل ذلك ، كانوا يتوخون ما تقتضيه المصلحة الاسلامية العليا في ذلك الحين، بما يواجه المجتمع من مشاكل والدولة من أزمات فكان موقفهم ، تجاه صراع الدولة الاسلامية ، بما فيها الجهاز الحاكم ، مع الكفر ، ومع الاخطار المحدقة بالمسلمين ، من قبل الاعداء ، مادياً وعقائدياً ، موقف المؤيد للجهات الحاكمة ، تأييداً محترساً مقتضباً ، خشية أن تقع هذه الجهات في الانحراف ، حتى في هذا الحقل نفسه .

وكان موقفهم ، تجاه المشاكل الداخلية ، للدولة الاسلامية ، تلك المشاكل التي كان يثيرها حكام أو جماعات منحرفة في الداخل ، موقف المراقب والمصلح والناصح . ولم يكن مثل هذا الموقف بسائغ في نظر سائر الحكام من خلفاء ووزراء وقضاة . وكانوا يتقون من ذلك ويحذرونه بعمق ، ويجعلون الاحتياطات المشددة أيضاً ضده .

فكان هذان الموقفان الاسلاميان من ائمتنا (ع) ، مثيراً لحقد الجهاز الحاكم عليهم وتحذره منهم ، قولاً وفعلاً ، وبالطبع فان الأئمة (ع) كانوا يعملون بمقدار الامكان ، وعند وجود الفرص السانحة ، آخذين بنظر الاعتبار هذا الضغط المتزايد الوارد إليهم والموجه عليهم. فكان هذا الضغط موجباً لكفكفة نشاط الأئمة (ع) وقلة اصلاحاتهم وضآلة تأثيرهم ، بالنسبة إلى الحاجات الكبرى للمجتمع .

ومن ثم كان أئمتنا (ع) يقتصرون في غالب نشاطاتهم، على الدوائر الخاصة من أصحابهم ، وفي حدود ارتفاع الضغط ، أو قلته أو المخاتلة معه ، وكانت تتسع هذه الدائرة ، أو تضمر أو بحسب الظروف التي يمر بها الامام (ع) وتتناسب كثرتها تناسباً عكسياً مع ضعف الجهاز الحاكم .

فكان إذا ضعفت الخلافة ، ووهى جانبها ينفتح أمام الامام (ع) في ذلك العصر ، فرصة العمل والجهاد والدعوة كما حدث في زمن الامام الصادق جعفر بن محمد (ع) الذي عاش في عصر تحول الدولة الاسلامية من الخلافة الاموية إلى العباسية . فاشتغل ببث العلوم

الاسلامية والتعاليم الإلهية على أوسع نطاق . وكان إذا قويت الخلافة أو قوي صنائعها والمنتفعون منها ، فانه ينغلق أمام الامام (ع) في ذلك العصر ، فرص العمل والجهاد والدعوة ، الا في أضيق الحدود . كما حدث في العصر الذي نؤرخه ، حيث سيطرت الموالى وجماعة الأتراك على الحكم ، وجعلوا الأئمة (ع) تحت أشد الرقابة وأعمق الحذر .

والموقف نفسه ، كان هو موقف أصحاب الأئمة (ع) والمجاهدين بين يديهم . فانهم ان توسع امامهم (ع) في العمل توسعوا وان ضيق ضيقوا ، وكان الامام (ع) ينهى أصحابه ، في أوقات الشدة والضيق، عن التصريح بما يخالف القانون السائد والوضع القائم .

والامام (ع) بشخصه ، بصفته الرئيس الفعلي ، لقواعد الشعب كبيرة ، يكون - على كل حال - في حصانة جزئية عن التنكيل الفعلي المكشوف من قبل الحاكمين ، لئلا يثيروا عليهم الرأي العام والشعب باكمله آخذين بنظر الاعتبار ، نظر التقديس والاجلال الذي كان ينظره الناس إلى أئمة الهدي (ع) ، ذلك النظر الذي اجمع المسلمون على صحته وصوابه واخلاصه ، وان كان جملة منهم ، لا يؤمنون بأمامتهم . ومن ثم كان الامام في حصانة جزئية من التنكيل الفعلي الصريح وهذا هو الذي كان شان الأئمة (ع) من الامام الرضا الى الامام العسكري عليهم السلام . مضافاً الى أن سياسة الخلفاء قامت بالنسبة الى الامام الجواد (ع) ومن بعده ، الى تقريبهم للبلاط ، واسكانهم في

بروج عاجية ، توخياً إلى فصلهم التام عن قواعدهم الشعبية، ونشاطهم الجهادي ، على ما سيأتي تفصيله .

ولئن كان موقف الأئمة ، محصناً من الناحية الشكلية ، إلا أن موقف أصحابهم وتابعيهم ، ومن عرفه الحكام بالولاء لهم ، كانوا يذوقون سوط العذاب ، إلا أن يتقوا منهم تقاة . فكان أقل ما يلاقيه الفرد منهم العزل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي .

فينتج من ذلك - بكل وضوح - أمران :

الأمر الأول : ضآلة النشاط السياسي والاجتماعي ، من قبل الأئمة (ع) وأصحابهم ، ذلك النشاط الذي لو كان موجوداً لفتح آفاقاً تاريخية واسعة ، بقيت مطوية وغامضة أمام من يأخذ التاريخ من زاوية موضوعية محضة .

الأمر الثاني :

إن جملة من أعمال الأئمة (ع) وأصحابهم وأقوالهم ، كانت سرية بطبيعتها وأصل ظروف وجودها ، بحيث لم يكن ليتجاوز خبرها الاثنين أو الجماعة القليلة ، وكانوا يتبانون على ستره وكتمانه بامر من الامام عليه السلام ، ولم يكن مما يكتب على صفحات التاريخ . شان كل حزب سري معارض ينزل إلى حلبات الجهاد .

* * *

الجانب الثاني

ما يرجع إلى معرفتنا بذلك التاريخ ومقدار اطلاعنا عليه وهو

الذي يمثل الصورة التي أعطاها المؤرخون في كتبهم عن تلك الفترات وهل هي مطابقة للواقع أم لا ، وبأي مقدار كانت سعة الصورة ودقتها وعمقها ؟ ! والى أي مدى كان فهم المصور المؤرخ واستيعابه للأحداث، ولما وراءها من فلسفة وعلل ونتائج .

لعل من مستانف القول ... الخوض في البحث الذي يذكر عادة للطعن في أصـــل التاريخ وكيفية جمعه وترتيبه ، ويذكر لذلك عدة وجوه .

الوجه الاول :

إن المؤرخ ليس الا بشرًا مثلنا ، له ما لنا من جوانب القوة ، وعليه ما علينا من نقاط الضعف ، والمشاهد بيننا بالوجدان ، بان قضية ما قد تقع في البلدة مثلاً يشاهدها المئات أو الآلاف ، إلا أننا نسمع من كل فرد شاهد عيان نقلاً لحوادثها يختلف عن نقل الآخر بقليل أو بكثير ، حتى انه قد يصل الفرق إلى حد التناقض .

هذا في المشاهدين ، فكيف الحال في النقل والرواية ، فإن الحال تزداد سوءاً ، ولا يكاد يبقى للحادثة المروية جسم . ولا روح . هذا في البلد الواحد ، والمشاهدين الكثيرين ، فكيف في بعد الزمان وتفرق المكان وقلة المشاهدين وطول سند الرواية ، كما هو متوفر في كتب التاريخ المتوفرة .

الوجه الثاني :

ان المؤرخ ، كأي إنسان ، ليس إلا مزيجاً غريباً من مجموعة من

عواطف وغرائز وعقائد ومسبقات ذهنية وعادات حياتية . ولا يمثل العقل والفكر منه الا بعضها من هذا المزيج، والمؤرخ وان كان يتخيل ويفترض أنه يكتب تاريخه بعقله وفكره، الا أن هذا واضح البطلان، وانما هو يكتب تاريخه بمجموع عواطفه وسائر مرتكزاته ، **وبخاصة** في الحوادث التاريخية التي تقترن بخلاف بين جماعتين ، أو بعواطف معينة .

الوجه الثالث :

ان هناك نحوين من الملاحظة، بحسب الاصطلاح العلمي ـ أولهما: طريقة الملاحظة المنظمة التي يتعمد الباحث فيهـــا النظر ويتقصى الحقائق حول حادثة معينة أو عدة حوادث حين وقوعها . ثانيهما : الملاحظة المشوشة غير القائمة على التنظيم والتعمد ، كالتاجر يذهب ألى بلد معين ليستورد منها البضاعة ، أو السائح يذهب اليه ليشاهده ، وحين يعود ، يسال عن ذلك البلد ، وعن حقائقه ووقائعه ، في حين انه قد شاهدها صدفة وأحس بها احساساً عشوائياً ، ولم يتعمد فهمها ، ولا التفكير فيها على وجه الخصوص .

والتاريخ مدون عادة بالنحو الثاني من الملاحظة . لأن الأشخاص الذين كانوا يعيشون تلك الأزمنة ، إنما عاشوها بصفتها حياة عادية ، لا يعيدون فيها النظر ولا يتعمقون في أسبابها ونتائجها . ثم ياتي الراوي منهم الى المؤرخ ليعطي له ما علق في ذهنه من هذا الخضم الزاخر الذي عاشه في حياته ، مما قد مر أمامه مروراً عابراً .

لا اريد أن أدخل في البحث عن هذه المشكلات ، فاننا ينبغي أن نكون فارغين عن أجوبتها قبل الدخول في البحث التاريخي ، وإلا فالأولى لمن يؤمن بحرفية هذه المشكلات وصدقها ، ألا يحاول قراءة أي حرف من التاريخ .

طرق تذليل المشاكل التاريخية :

يقتضي التحقيق التاريخي تذليل هذه المشكلات باحد الأساليب الآتية :

الاسلوب الاول :

الحصول على التواتر في النقل التاريخي ، فإذا اتفق كلام عدد كبير من الناقلين على وصف حادثة معينة ، كان ذلك كافياً لاثباته تاريخياً ، بل القطع به في كثير من الأحيان .

ولو اتفقوا على بعض خصائص الحادثة ، كان ذلك ثابتاً بالتواتر ، دون ما زاد عليه . ولو اختلفوا في كل الخصائص مع اتفاقهم على أصل الحادثة ، كان أصل حدوثها متواتراً فقط .

الاسلوب الثاني :

اننا اذا لم نستطع أن نحصل على التواتر المنتج للعلم ، فبالامكان الحصول على الاطمئنان والظن الراجح بحصول الحادثة ناشئاً من جماعة يطمان بعدم اتفاقهم على الكذب ، وهو معنى الاستفاضة في النقل، فيما

اذا اتفق أكثر المؤرخين أو جملة منهم على شيء معين ، مع سكوت الباقين عن التعرض اليه أو نفيه .

وهذان الأسلوبان ، يدفعان ، فيما يتحققان فيه ، جميع الشبهات الثلاثة التي أوردناها . إذ بعد حصول العلم أو الاطمئنان بوقوع الحادثة ، لا يضر بذلك ، أن يكون الناقل لها متحيزاً لمذهب أو لمصلحة أو أن ملاحظته لم تكن منظمة ، إذ المفروض ، اتفاق الناقلين على النقل وعلى وقوع الحادثة .

الاسلوب الثالث :

اننا بعد اليأس عن حصول العلم أو الاطمئنان ، من النقل التاريخي في نفسه ، نستطيع الحصول على الوثوق بقول الناقل ، وان كان منفرداً ، بحيث لا يبقى للشبهات السابقة أثر ملتفت اليه .

وهذا يتم بأحد نحوين :

اولهما :

الاطمئنان ، بعد البحث في ترجمة هذا المؤرخ والاطلاع على خصوصياته الشخصية ، بأنه ثقة مأمون عن الكذب والدس والخداع ، فيطمأن بأنه لم يتعمد الكذب في نقله التاريخي .

ثانيهما :

الاطمئنان بوجود الروح العلمية الموضوعية في نفس هذا المؤرخ ، باعتبار أن الانسان بعد أن يتمرس في البحوث العلمية ، ويتعود على الاسلوب العلمي ، فانه يغلب على الظن حصول الموضوعية العلمية

والتجرد في نفسه ، جهد الامكان . أو على الأقل ، لا يضـــع خبراً مكذوباً نتيجة لمذهبه أو مصلحته ، أو باي دافع شخصي آخر .

الاسلوب الرابع :

الحصول على الاطمئنان بوقوع الحادثة نفسها ، بقرائن خارجية أو اعتبارات عقلية ، توجب الظن بأنه من المناسب وقوع هذه الحادثة أو عدم وقوعها . كما لو كان القول المنسوب إلى الشخصية التاريخية ، أو الفعل المسند اليه ، مناسباً مع سلوكه العام المعروف عنه ، أو مع وجهة نظره تجاه الدين والحياة .

ولكن هذا لا يضر بوثاقه المؤرخ الناقل ، في سائر ما نقله من أخبار التاريخ ، إذ قد يكون الكذب غير مستند الى تعمده الشخصي بل هو إما مستند الى السهو منه أو من الرواة السابقين عليـــه أو اللاحقين له ، أو إلى عمدهم أحيـــاناً ، ولا يتحمل المؤرخ نفسه ، من المسؤولية العامة ، الا إذا وجدنا في كلامه الكثير من هذه الهفوات ، بحيث ينثلم الظن بوثاقته أساساً .

كما أن هذا الاسلوب الرابـع، قديوجبقوة النقل التاريخي الضعيف أو الشاذ ، بحصول الاطمئنان به بما تقوم عليه من قرائن وما تحفه من اعتبارات .

وبهذه الأساليب الأربعة ، نستطيع أن ندفع الشبهات الثلاثة العامة على النقل التاريخي ، أو نقلل من تاثيرها جهد الامكان . فاحتمال التحيز يرتفع بقليل أو كثير ، مع تعدد النقل وقيام القرائن الخارجية

على صدقه ، كما أن احتمال الكذب بدأفع شخصي آخر ، يكون مرتفعاً لنفس السبب .

كما أننا بعد تاكدنا يقيناً أو اطمئناناً ، من صدق الكلام ، لا يهمنا أن تكون. الملاحظة منظمة أو غير منظمة ، على أن المطلوب في الملاحظة . هو ترسيخ الحادثة في الذهن وتأكيدها في الذاكرة ، وهو ما يتوفر في الملاحظات غير المنظمة أيضا ، كما في الحوادث التي يعتاد الانسان عليها أو يهتم بها اهتماماً كبيراً أو يتعجب منها تعجباً شديداً أو يفرح بها فرحاً عظيماً أو يخافها خوفاً كبيراً .

فإن الراوي الذي يعيش الحادثة على إحدى هذه المستويات، يندمج بها إلى حد كبير ، مما يوجب رسوخها في ذهنه وتعمقها في ذاكرته ، مما يفتح للمؤرخ فرصة كبيرة للاستفادة في هذا السبيل . ويندرج كامثلة لذلك : حوادث الحروب والمناصب السياسية أو الدينية ، والأمور المالية المهمة ، سواء منها الخاصة أو العامة ، والمعجزات ، والوساطات بين الدول أو بين أهل النفوذ ، وغير ذلك .

على أننا لا نعدم الملاحظة المنظمة بالنسبة إلى جملة من المؤرخين ، فإن المؤرخ ، وأن كان يعرض للحوادث السابقة على عصره ، بطريق الرواية ، إلا أن بالنسبة إلى سنيّ حياته ، وخاصة بعد عزمه على تأليف كتابه التاريخي ، لا شك أنه سيلاحظ حوادث عصره بالملاحظة المنظمة الناشئة من تعمد التسجيل وعمق التفكير . وهذا يتوفر عادة

في أواخر جوامع التاريخ ، كالطبري والمسعودي وابن الأثير وغيرهم .

وعلى أي حال،فقد كان التعرض لهذه المشكلات وحلها استطراداً على ما نحن بصدده ، من عرض مشكلات تاريخنا الخاص ، وما هو مورد كلامنا في هذا الكتاب . فلئن كان هناك أساليب تخفف من شبهات التاريخ بشكل عام ، وتؤثر بدورها في تاريخنا الخاص ، إلا أن تاريخنا يستقل بمشاكل وعقبات ، يكون تذليلها أصعب وأعمق إلى حد كبير .

مشكلات تاريخنا الخاص :

وتتلخص المشكلة التي نواجهها في حقلنا ، وهو تاريخ الأئمة عليهم السلام وأصحابهم ، ان المؤرخين الذين تعرضوا لهـــذا التاريخ ، على ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

المستشرقون : ومن حذا حذوهم وحاول تقليدهم من الشرقيين المسلمين .

وديدنهم العام على أن ينظروا إلى التاريـــخ الاسلامي من زوايا خاصة ، تتلخص فيما يلي :

الأولى : الزاوية المادية التي يؤمنون بهـــا ايمانهم بالحضارة الغربية ووجهة نظرها إلى الكون والحياة ، تلك الوجهة التي نتجت بعد عصر النهضة ، وانتجت فصل الدين عن الدولة والكفر بسائر القيم الروحية والاخلاقية .

الثانية : الزاوية المسيحية : التي تفترض سلفاً ، ومن دون اعطاء أي فرصة للمناقشة ، ان الدين الاسلامي باطل ، وأن محمد بن عبد الله

صلى الله عليه وآله ليس بنبي ، وأن القرآن ليس كتاباً سماوياً ، فضلاً عن أصحابه وخلفائه وائمتنا عليهم السلام . فضلاً عن أفكار غيبية قد نؤمن بها ، كالمعجزات ووجود المهدي ، وغيرها .

الثالثة : الزاوية الاستعمارية ـ فإن جملة منهم عمـــلاء من حيث يعلمون أو لا يعلمون ، للدول التي ينتمون اليها أو للحضارة التي يعيشون فيها . فالمستشرق إما ماجور حقيقة أو « عضو شرف » في قائمة الدس والتلفيق ، حيث يشعر بضرورة الانتصار لدولته أو مصالح دينه أو قومه أو لأي شعار من الشعارات المعادية للإسلام .

على أن الأجر المبذول للتبشير الاستعماري المسيحي ، ليس بالقليل ولا الضئيل، بل هو مما يعد بملايين يسيل لها لعاب كثير من المفكرين ، وتشترى بها عقول عدد من الباحثين .

ومن ثم لم تصلح كتب المستشرقين لاعطاء الباحث صورة واضحة سليمة عن التاريخ الإسلامي . وانما غاية الباحث في الاطلاع على مـــا كتبوه ، هو التعرف على ما فيها من النقد والدس والتلفيق ، ومحاولة الجواب عليه ، وتذليل ما عرضت فيه من مشكلات .

القسم الثاني :

المؤرخون العامة : من مؤرخي الاسلام غير الشيعـــة الامامية اولئك الذين يذكرون تاريخ ائمتنـــا عليهم السلام ، وهم لا يؤمنون بامامتهم ولا طاعتهم ولا قيادتهم .

وهذا القسم من المؤرخين ، هو الذي تؤلف مؤلفاتهم الجزء الأكبر

والأهم من التاريخ الاسلامي العام أو التراجم أو الحديث التاريخي ، وأقصد به الروايات التي تتضمن حوادث تاريخية معينـــة . كالطبري وابن الأثير وأبو الفـــداء وابن خلكان وابن الجوزي وابن الوردي ؛ وبعض ما تتضمنه الصحاح الستة من الحديث التاريخي .

وأعدل مـا يقال بالنسبة إلى تعرض هؤلاء المؤرخين وامثالهم إلى حياة الأئمة عليهم السلام : انه تعرض موجز عابر ، يكتفي بالحادثة الواحدة والفكرة الشاردة ، ويتجنب بحذر متعمد الخوض في تفاصيل تواريخهم عليهم السلام .

والسبب في ذلك ، فيما أرى ، يعود إلى عدة أمور :

السبب الأول : التعصب المذهبي الذي يتجلى على أشكال متعددة في ذهن مؤرخ وآخر :

الشكل الأول :

عدم الايمان بقدسية الأئمة عليهم السلام وكمالهم . بل الميل إلى ضد ذلك من الطعن فيهم والتنزيل من شأنهم .

الشكل الثاني :

ان المؤرخ وان كان يؤمن بقدسيتهم وكمالهم ؛ الا ان ضيق نظره وضحالة تفكيره ، تقوده إلى الاعتقاد بأن شيعتهم أعداء تقليديين له ولأهل مذهبه ، اذن فمن عطل القول أن يهتم بتمجيد قادة اعدائـــه وأئمتهم .

الشكل الثالث :

انه وإن كان التعصب عـــلى ذهن المؤرخ قليلاً ، باعتبار وعيه

الاسلامي الصحيح ؛ إلا انه على أي حال مناصر لمذهبه ، يود زيادة مؤيديه ورسوخ عقيدتهم فيه . وهو يحتمل ـ على الاقل ـ انه ان اسهب في بيان تاريخ أئمتنا (ع) وأطال في ذكر أقوالهم وأفعالهم ، فانه قد يميل بعض ابناء جلدته اليهم ويجد ما يدعوه إلى الايمان بامامتهم وهذا ما لا يريده المؤرخ بأي حال من الأحوال . فهو يترك الاطالة في تاريخهم تمسكاً بمذهبه ومحافظة عليه .

السبب الثاني :

ان تاريخ الأئمة عليهم السلام ، لا يعيش في أذهان هؤلاء المؤرخين الا قليلاً ، وفي زاوية مهملة من زواياه فان الذي يستجلب انظارهم ويستقطب اهتمامهم نحوان من الأشخاص :

النحو الأول :

الاشخاص السياسيون الذين تسنموا منصباً في الدولة أو داروا في فلك الخلافة أو كانوا أعداء لها وتولوا الحروب ضدها . وبالجملة كل من سلك مسلك الحكم والسلطان .

النحو الثاني :

الاشخاص الدينيون والعلماء المسلمون الذين يقتضي مذهب هؤلاء المؤرخين الايمان بهم والدعوة اليهم.ولم يكن ائمتنا ـ في غالب أمرهم ـ من يندرج في أحد هذين النحوين . اذن فلا يجد المؤرخ حاجة في نفسه إلى ذكرهم بأكثر مما تعرض اليه .

السبب الثالث :

ما يعود إلى الجهاز الحاكم المعاصر للمؤرخ .

فانه من المعلوم ان الصدر الأول من المؤرخين العامة ، كالذين سبق ان سميناهم ، كانوا يعيشون في عهود الدولة العباسية ، التي كانت بمسلكها العام معلنة العداء مع مسلك أهل البيت عليهم السلام وعزل أصحابهم عن المسرح الاجتماعي والسياسي بالكلية .

ومن ثم يتخذ المؤرخ ، أحد موقفين .

الموقف الأول :

الحذر من السلطات واتقاء شرها . وذلك بالتجنب عن الخوض فيما لا يحبون وترك التعرض إلى ما يكرهون . وذلك : إما بترك ذكر تاريخ أئمتنا وأصحابهم أساساً ، كأنهم ليسوا اناسا كانوا في الوجود وقدموا إلى البشرية والاسلام اجل الخدمات . وإما أن يذكرهم لكن بأقل القليل ، من الجانب الذي يكون خاليا من الخطر ، بنحو لا يثير على المؤرخ حقداً أو يحرك نحوه عاطفة .

الموقف الثاني :

ان يسير المؤرخ في ركاب الحكام ، يواكبهم في أفكارهم ، ويحاذيهم في اساليبهم ، فينخرط إما اجيراً أو كـ « عضو شرف » في الجهاز الحاكم علما وفكراً ، أن لم يكن عملاً ونشاطاً . ولا ينبغي السؤال ــ بعد ذلك ــ عن شأن ذكر الأئمة عليهم السلام ، في تاريخه ، وهو بهذه الصفة ! .

وبالرغم من هذه الدواعي الضخمة ، إلى الحذر والاختصار ، في تاريخ أئمتنا عليهم السلام ، فقد فرض هؤلاء القادة انفسهم على

المؤرخين ، وتمثلت جملة من مواقفهم واتجاهاتهم في كلام المؤرخين . إلى حد نستطيع ان نستخلص منه أحد أمرين :

الأول : معرفة مدى رسوخ الذكر الصالح لأئمتنا (ع) في القواعد الشعبية الاسلامية بشكل عام ، وتأكد أعمالهم وعلومهم في أذهان الناس إلى حد كانت المسؤولية الأدبية التي يواجهها المؤرخ في ترك التعرض لتاريخ الأئمة عليهم السلام ، أقوى من ضغط الحكام ومن التعصب المذهبي ، ومن كل سبب رخيص .

الثاني : الاستفادة مما ورد في ما ذكره هؤلاء المؤرخون ، عن أئمتنا (ع) في التعرف على بعض حوادث حياتهم وشيء من علو مقامهم وتأثيرهم السياسي والاجتماعي مما يكون مورد نفع كبير - بالرغم من اختصاره ووجود الفجوات الكبرى فيه - فيما نعتقده فيهم عليهم السلام ، وما نريد ان نؤرخه من حياتهم .

القسم الثالث :

المؤرخون الإماميون : وهم مؤرخو الأئمة (ع) ، الذين يؤمنون بامامتهم ويعتقدون بقيادتهم ويستضيئون بافعالهم وأقوالهم . الا ان الحديث في تواريخهم لا يقل في شجونه عن الحديث في القسمين الأولين ، وان كانت شجوننا بشكل آخر .

فانه لا يرد عليهم جملة من الاعتراضات التي كانت ترد على اولئك المؤرخين ، والسر في ذلك واضح : وهو ان الأئمة عليهم السلام وتابعيهم ، كانوا ولا زالوا يمثلون الجبهة الواعية المعارضة للجهاز الحاكم

على طول التاريخ ، وقد بذلوا في هذا السبيل كثيراً من التضحيات فمن غير المحتمل في المؤرخ الامامي اذا كان مخلصاً غير منحرف ، أن يكون تابعاً للجهاز الحاكم الذي يعاديه ويثور عليه ، أو أن يكون أجيراً له أو « عضو شرف » يعيش على موائده . كما أنه من غير المحتمل ان يهمل ذكر الأئمة (ع) تحت أي ظرف من الظروف ، أو أن يجعل لهم في ذهنه زاوية مهملة أو في تاريخه قسطاً قليلاً ، بعد أن كان يؤمن بهم أئمة وسادة وقادة و مثلاً اسلاميين مبدأبين .

الا ان الشجون تتمثل عندهم في عدة جوانب :

الجانب الأول : أخذهم بالتقية التي يؤمنون بها ويطبقونها في جوانب حياتهم . فان الضغط الذي عاشوه ، كان يقلل من نشاطهم ويكفكف من أعمالهم ، ويثير لديهم الحذر والكتمان . فيحملهم على التلميح بدل التصريح والاختصار عوض التطويل .

الجانب الثاني : ما تعرض له المسلمون بشكل عام ، والاماميون بشكل خاص ، من القتل والتشريد على أيدي أشرار خلق الله وأعداء دين الله . وكانت الحروب تنصب فيما تنصب عليه ، على المكتبات الفارهة الزاخرة ، فيضاف إلى إتلاف النفوس اتلاف الكتب، بالاغراق والاحراق ، لأجل قطع الأجيال المقبلة عن دينها المقدس وعن حديث نبيها وأئمتها وتاريخ أبطالها ، وفقهم وعقائدهم .

وكانت أرقام الكتب التالفة ، في كل حرب من حروب التتار والمغول والصليبيين ، يرتفع إلى مئات الآلاف ، فكيف بالمجموع ؟!

ومن المعلوم أن تلف هذه الكميات الهائلة من الكتب ، هو في الواقـع ، تلف لكميات هائلة من الثروة الفكرية الضخمة التي كان المجتمع المسلم زاخراً بها ، من أول ايامه ، ولم يبق منها اليوم إلا القليل .

ومن هنا نحتمل ، بــل نستطيع أن نتاكد ، انه كان لمؤرخي الامامية وعلمائها ، كلام أكثر ، ونقل أزيد عـن أئمتهم ، سواء في الترجمة أو العلم أو العمل أو غير ذلك من جوانب الحيـاة . وقد تلف أكثر ذلك ولم يرد الينا شيء منه . وقـــد أصبنا نتيجة لذلك بمحل فكري ، وحصل في تاريخنا الاسلامي فجوات مؤسفة ، من الصعب علينا التأكد مما يملؤها على وجه التحديد .

ولكن النعمة الالهية والحكمة الازلية ، الثابتة بمقتضى وعـد الله تعالى في كتابـه الكريم بان يتم نوره ولو كره المشركون ، اقتضت بان يبقى من الكتب لسد ما هو الضروري من حاجـات العقائد والتاريخ والفقه وغيرها من الميادين الاسلامية .

الجانب الثالث : وهو ما يعود إلى الاسلوب العام الذي مشى عليه مؤرخونا ، في حدودما وصـل الينا من الكتب السالمـة من التلف .

ونحن بهذا الصدد نستطيـع أن نقسم مؤرخينا إلى قسمين :

القسم الأول :

من سار في أسلوبه التاريخي ، على غرار التاريخ العام الذي مشى عليه الأولون قبلهم . كالمسعودي واليعقوبي فقد ساروا ـ على خلاف

اعتقادهم ـ على ترتيب تسلسل الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين ، واسهبوا في بيان التاريخ السياسي للسلطات الحاكمة ، ولم يعطوا لتاريخ الأئمة إلا القليل ، وان كان أكثر بقليل من كثير من المؤرخين .

وبذلك حرمنا هؤلاء المؤرخون ، من التاريخ الامامي العام الذي يشمل سائر جوانب الحياة ، الذي يعطي جانب الأئمة عليهم السلام وأصحابهم من الاهتمام والشرح بقدر ما يعطي الجهاز الحاكم ، ويذكر للجميع أعمالهم وأقوالهم بتجرد واخلاص ، ويدع الحكم والتحليل للاجيال المقبلة . ولله في خلقه شؤون .

القسم الثاني :

من سار في تاريخه ، على طريقة سرد الاحاديث والروايات الواردة عن الأئمة انفسهم ، بالشكل الذي وصلت اليهم على طريقة الرواية المسندة عنهم عليهم السلام .

وهذا الذي ذكره هؤلاء المؤرخون، أمثال الشيخ الطوسي والشيخ المفيد والطبرسي وابن شهر اشوب ، هو المورد الوحيد الذي اغنانا بثروة مهمة من أخبار الأئمة (ع) وتراجمهم وأفعالهم وأقوالهم . وهو المصدر الاساسي الذي اذا ركن اليه الباحث ، فانما يركن إلى تاريخ الأئمة ماخوذاً من تابعيهم وذويهم ، لا من الآخرين الذين لا يعتقدون بهم ، ولا يمتون اليهم في العقيدة بصلة .

نقاط الضعف في التاريخ الامامي الخاص :

وكان هذا الاسلوب الذي اتخذه علماؤنا ومشايخنا ، لا يخلو من عدة نقاط ضعف نستطيع ان نعرضها فيما يلي ، منطلقين من مورد بحثنا ومحل كلامنا .

النقطة الأولى : أن التاكيد كل التاكيد في كتب هؤلاء الاعـلام ، والغرض الاساسي لهم ، هو الناحية العقائدية بالخصوص . اذ يبذل المؤلف منهم جهداً كبيراً ويكرس كتابه على اثبات امامـــة الأئمة ، وذكر فضائلهم ومعاجزهم ، ويغفلون عن تخصيص فصل يذكرون فيه جهاد الأئمة عليهم السلام ونشاطهم الاسلامي ، وما يكتنف ذلك من علاقات واراء وثورات وحوادث.يستثنى من ذلك ما يمكن استخلاصه عرضاً مما ورد في خلال ما نقلوه من المعجزات والفضائل من حوادث التاريخ . وهو الذي استطعنا ان نعتمد عليه في خـــلال بحوثنا الآتية .

غير أنه من المعلوم ، أن هذه الحوادث تكون أقل عمقا حين يكون النظر متوجهاً إلى غيرها والتاكيد منصرف إلى سواها ، وهو أمر

يثير في النفس أشد الأسف .

النقطة الثانية : مجيء هذه التواريخ ، في كلامهم ، مبعثرة مشوشة إذ تحتوي كل رواية على قسم صغير من الحوادث ، وقسم كبير من التأكيد العقائدي . مما يحتاج ترتيبه وتبويبه وارجاعه إلى أصوله ، إلى جهد مضاعف وعمل كبير .

النقطة الثالثة : مجيء هذه التواريخ مهملة ـ في غالبها ـ من المكان والزمان . لا يعلم ـ في حدود ما نقلوه ـ عام حدوثها ولا مكانها ولا مقارناتها من حوادث التاريخ .

ومن ثم اكتنف الغموض أسبابها ونتائجها ، واحتاج في ردها إلى موضعها الطبيعي من عمل جديد وجهد جهيد . مع مقارنتها ببعضها البعض ، وبالتاريخ العام ، كما سنصنعه فيما يلي من الحديث .

النقطة الرابعة : التطويل فيما ينبغي فيه الاختصار والاقتضاب فيما ينبغي فيه التطويل . فليس العرض على شكل واحد متساوي الجوانب فقد تحتوي الرواية على وصف مسهب للحياة الشخصية لراو معين مقدمة لفهم كلامه مع الامام (ع) ، ولكنها لا تكاد تدخل في المجال التاريخي . على حين انك تجد اقتضاباً مخلاً إذا أردت التعرف على تفاصيل موقف الأئمة عليهم السلام أو أصحابهم أو سفرائهم ، من الحوادث السياسية السائدة في عصورهم ، كثورة صاحب الزنج أو القرامطة ، مثلاً . أو رأيهم في تاسيس دولة الأندلس الاسلامية في قلب اوروبا ، ودولة ابن طولون في مصر ، وغيرها من حوادث العصر

الذي نؤرخ له . ولن تجد في هذه المصادر إلا اشارات ضئيلة وعبارات قليلة ، لا تكفي الا لتكوين فكرة شاحبة ذات فجوات واسعة ، عن نشاط الأئمة (ع) ووكلائهم وأصحابهم وقواعدهم الشعبية ، ورأيهم في ذلك .

النقطة الخامسة : هي نقطة اسناد الروايات ، وحال رواتها السابقين على هؤلاء المؤلفين الاعلام ، من الوثاقة والضعف

.فإن هؤلاء الاعلام بذوقهم الموضوعي العلمي ، واتجاههم الموسوعي الذي يرمي إلى حفظ كل حديث وارد والتقاط كل وارد وشارد .. قد جمعوا في كتبهم كل ما وصلهم من الروايات عن الأئمة (ع) أو عن أصحابهم ، بغض النظر عن صحتها أو ضعفها ، وأوكلوا مسؤولية التدقيق والتمحيص إلى مراجعي الكتاب من الباحثين في الأجيال المقبلة ، وهذا ـ إلى هذا الحد ـ عمل أمين وجليل ، حفظوا فيه التاريخ الاسلامي ، واستحقوا عليه الشكر والثناء .

ولو كان بأيدينا فكرة واضحة مفصلة . عن أحوال الرواة لهذه الأحاديث الكثيرة ، لهان الأمر الى حد كبير ، ولأخذنا بالرواية الموثوقة وأهملنا الرواية الضعيفة ، ولم نعتبرها إثباتاً تاريخياً كافياً ، إلا مع وجود قرائن خاصة تدل على صدقها ومطابقتها للواقع .

إلا أنه من المؤسف القول ، ان أعلامنا الأوائل ، اذ الفوا في علم الرجال وصنفوا في تراجم الرواة،اقتصروا في ذلك ـ في كل كتبهم ـ على الرجال الرواة للاحاديث الفقهية التشريعية التي تتعرض للأحكام الشرعية، وأولوها العناية الخاصة بصفتها محل الحاجة بالنسبة الى اطاعة

الأوامر الاسلامية . ولكنهم أهملوا اهمالاً يكاد يكون تاماً ذكر حال الرجال الذين وجدت لهم روايات في حقول اخرى من المعارف الاسلامية ، كالعقائد والتاريخ والملاحم وغيرها . ممن قد يربو عددهم على رواة الروايات الفقهية .

فان صادف ، من حسن حظ الراوي ، ان روى في التاريخ والفقه معاً ، وجدنا له ذكراً في كتبهم ، أما إذا لم يرو شيئاً في الفقه ، فانه يكون مجهولاً ، وان كان من خير خلق الله علماً وعملاً ، كما تدل عليه الروايات بالنسبة إلى عدد منهم .

منهجنا في التمحيص :

نستطيع الخروج ، من مازق جهالة حال الرواة ، بعدة أمور :

أولاً : الأخذ بالروايات الموثوقة سنداً ، ان فرض كون رواتها مذكورين ومنصوص عليهم بالوثاقة .

ثانياً : الاخذ بالروايات المشهورة في طبقة أعلامنا المؤلفين ، أو في الطبقات المتقدمة عليهم،إذ لعل كثرة روايتها منهم ، دال على اطمئنانهم بوثاقة راويها أو الظن بمطابقتها للواقع . ولعل الشهرة تصل إلى حد تكون بنفسها موجبة للاطمئنان الشخصي بصحة السند وصدق المضمون فتكون بذلك إثباتاً تاريخياً كافياً .

ثالثاً : الأخذ بالروايات التي قام شاهد على صدقها من داخل مضمونها أو بضم قرائن خارجية اليها . كتلك الروايات التي وردت في تاريخنا الخاص ، وتضمنت ذكر بعض الحوادث والحقائق التاريخية العامة ، كالقرامطة أو ابن طولون ، أو بعض الخلفاء العباسيين أو بعض وزرائهم ، أو تاريخاً لحادثة معينة ، مما نجده صادقاً عند مراجعة

التاريخ العام فيكون ذلك دليلاً على صدقها وصحتها لا محالة .

كما قد نستطيع أن نحصل على قرائن من بعضها على البعض ، أو من مناسبتها لمقتضى الحال ، أو نحو ذلك ، على ما سوف يأتي في البحوث الآتية :

رابعاً : الأخذ بالروايات المجردة عن كل ذلك ، إذا كانت خالية عن المعارض ، ولم تقم قرينة على كذبها وعدم مطابقتها للواقع . وكانت إلى جانب ذلك مما يساعدنا في تذليل بعض المشكلات أو الاجابة على بعض الاسئلة المطروحة على بساط التاريخ ، فاننا نضطر إلى الأخذ بها بصفتها المصدر الوحيد للجواب .

ولا يبقى بين أيدينا إلا الروايات التي هناك شاهد على كذبها ، والا الروايات المتعارضة التي نشير اليها في النقطة الآتية .

ولا يخفى ان كل ذلك ، انما هو بالنسبة إلى الحوادث الجزئية التي يحتاج إثباتها التاريخي إلى شاهد . وأما الأمور التي هي من ضروريات مذهبنا ، أو قام عليها التواتر في النقل ، فاننا نعتبر ذلك اثباتاً تاريخياً كافياً . بالرغم من أن ضرورة المذهب لا تكون ملزمة لمن لا يلتزم بالمذهب . الا ان المراد حيث كان هو التعرض لتاريخ الامام المهدي (ع) في غيبته الصغرى من تاريخنا الخاص كما نؤمن به وصرح به مؤرخو الامامية ؛ صح لنا الاعتماد على مثل هذه القرينة .

النقطة السادسة : ان اعلامنا المؤلفين، بذوقهم الموسوعي واتجاههم

إلى حفظ سائر الحديث ، اوردوا بعض الروايات المتعارضة ، كالروايات الواردة في جواب : ان المهدي (ع)ماذا نطق في اول ولادته. او الواردة في جواب : أن الشلمغاني هل كان وكيلاً للسفير الثالث للإمام المهدي (ع) او لم يكن ؟، وغيرها .

والانصاف إن من العجيب والطريف الموجب للاعجاب والاكبار لهؤلاء المؤلفين الاعلام ، اننا نجد ان تعارض الروايات على هذا الصعيد اقل منه بكثير مما هو في الفقه مثلاً . إذ يعاني الفقيه عناء كبيراً للتوفيق بين المتعارضات وحمل بعضها على بعض ، والتوصل في النتيجة إلى الحكم الشرعي المنشود . أما على هذا الحقل التاريخي ، فبالرغم من وفرة الروايات وجهالة جملة من رواتها ، فالروايات متفقة ومتعاضدة ويندر فيها ما يكون من قبيل المتعارضات إلا اقل القليل .

وعلى أي حال فاننا إذ نكون بحاجة إلى تذليل الصعوبة الناتجة عن التعارض ، لننتفع من نتائج الحل في بحوثنا التاريخية ، لا بد لنا ان نسير على إحدى الخطوات التالية :

أولاً : إذا كانت احدى الروايتين أصح سنداً أو أشهر نقلاً، أخذنا بها وطرحنا مدلول الرواية الاخرى ، ، بمقدار التعارض .

ثانياً : إذا كانت الشواهد والقرائن متوفرة على صدق احدى الروايتين دون الاخرى ، أخذنا ، بما قام الشاهد على صحته وطرحنا الآخر .

ثالثاً : إذا فقدنا المرجحات بين المتعارضين ، اسقطناهما معاً عن قابلية الاثبات التاريخي ، ولم يمكن الأخذ بأي منهما . ولكن الاسقاط يختص بحدود التعارض في المدلول لا محالة،ولا يعني ـ بمقتضى القواعد ـ اسقاط سائر ما دلت عليه الرواية ، فيؤخذ به ، مع توفر سائر الشرائط فيه .

فهذه هي أهم نقاط الضعف ، في أساليب أعلامنا المورخين مع بيان النهج الذي سنحاول السير عليه في بحوثنا الاتية .

ثم أننا سنواكب التاريخ مقتبساً من هذا القسم الأخير من أعلامنا المؤرخين ، لنحظى بعدة فوائد دفعة واحدة :

الفائدة الأولى :

أن نعرف تاريخ الائة عليهم السلام وأصحابهم ، من المؤرخين المؤمنين بهم الموالين لهم وصاحب البيت أدرى بالذي فيه . ومن المحتمل بل المعلوم تسرب بعض الحقائق إلى كتبهم مما حجب عن كتب الاخرين أو تعمدوا إلى تركه . فإن نشاط الأئمة (ع) وعلمهم وأقوالهم ، كانت ـ بلا شك ـ بالنسبة إلى أصحابهم أكثر مما هي بين الاخرين . وقد وصلت إلى أجيالهم المتأخرة دون الاخرين .

الفائدة الثانية :

ان نحظى بزيادات كثيرة غير موجودة في كلام غيرهم ، فإن كلام أعلامنا هو المصدر الوحيد لكثير من الحقائق التي تحل لنا المشكلات وتذلل

لنا العقبات وتملأ فجوات التاريخ إلى حد كبير ؛ وهي حقائق اهملها الاخرون عندما اقتضبوا الكلام في هذا الحقل ، من التاريخ الاسلامي ، الدواعي السابقة التي أسلفناها . فلم يكن من الممكن لهذا الحقل أن يكون تاماً وأن تملأ ما به من فجوات ، بتخصيص الاعتماد على كتب أخوتنا أهل السنة ، في التاريخ العام وغيره .

على اننا سوف نعتمد على كتب هؤلاء المفكرين ممن تعرض لهذا التاريخ ، كابن خلكان وابن الجوزي والخوارزمي وغيرهم . لنستفيد من اقوالهم في تحديد العصر الذي نؤرخه ، وخاصة في ما سقط من كلام اعلام مؤرخينا غفلة أو عمداً .

الفائدة الثالثة :

اننا نقتبس هذا التاريخ من اهله ، واضحاً صافياً خالياً من الدس ونقاط الضعف والخرافات ، بنحو نستطيع به ـ بكل سهولة ـ ان نناقش ما انفتحت به الألسنة من مناقشات وإشكالات ، ونواجه به سائر الباحثين من مسلمين وغير مسلمين ، فان سائر ما قيل ناشيء إما من الجهل بالتارخ وعدم الرجوع إلى مصادره الحقيقية ، واما من الاعتماد على الروايات الشاذة والظنون الواهية التي لا تستند على اساس . فاذا عرضنا التاريخ صريحاً واضحاً ممحصاً ، لم يبق أمامنا إشكال ، ولم يرد عليه أي سؤال .

***

وبعد هذه المقدمة ، لا بد لنا من الدخول في تفاصيل التاريخ ؛ وحيث كنا بصدد عرض تاريخ الامام المهدي عليه السلام ، في ولادته وغيبته الصغرى . لا بد أن نلتفت إلى الوراء بقليل لنتعرف على تاريخ أبيه وجده عليهما السلام، لنستطيع أن نلم بوضوح بكل الأسباب التي أدت إلى الحوادث في العصر الذي نؤرخ له .

ومن ثم قسمنا هذا التاريخ إلى قسمين :

القسم الأوّل

تاريخ الإمامين العسكريين

من عام ٢٣٤ إلى عام ٢٦٠

الفصل الأول

في عصرهما عليهما السلام

لا بد ، لنا ونحن في صدد الكلام عن تاريخ الامامين العسكريين ، ابتداء من أول سكنى الامام الهادي عليه السلام ، في سامراء عام ٢٣٤ هـ حين اشخصه المتوكل اليها ، وانتهاء بوفاة الامام العسكري عليه السلام ٢٦٠ هـ لابد لنا أن نلم المامة كافية ، بالحوادث الجارية في عصرهما والأفكار السائدة فيه ، حتى نكون على بصيرة من أمرنا حين نواجه تاريخ هذين الامامين عليهما السلام ، ونسمع ما يصدر منهما من أقوال وما يقومان به من أفعال .

وسيكون هذا العرض ـ في واقعه ـ عرضاً لعصر خلافة سامراء ابتدا من العام المشار اليه إلى قبيل آخره . وسيكون هذا العرض ، تحليلياً ، لا تاريخياً صرفاً ، اذ لا معنى لسرد الحوادث بشكل تفصيلي ، مع وجود المصادر الكثيرة للتاريخ العام . وانما الذي نحن بصدده ، هو اعطاء صورة كافية عن اتجاهات الحوادث واسبابها ونتائجها ، بشكل تحليلي منظم .

وعلى ذلك ، فالذي يظهر أو يستنتج من التاريخ الاسلامي العام :

ان المعتصم بالله العباسي ، حين رأى ازدحـــام الموالي في جيشه وقواده من الاتراك والمغاربة والفراغنة ، في العاصمة بغداد ، وتعرضهم إلى الأهالي بالأذى وعدم عنايتهم بالسلوك الحميد تجاه الناس [1] ، قرر بناء سامراء ونقل مركز الخلافة اليها ، لنقل هذا الجيش اليهـــا . وانتقل اليها فعلاً عام ٢٢٠ للهجرة [2] . واستقل هؤلاء القواد بالعاصمة الجديدة وسيطروا شيئاً فشيئاً على دفـة الحوادث ومجريات الأمور ، حتى وصلوا إلى السيطرة على مركز الخلافة نفسها، فاصبحوا يزعجون الخليفة ، ويشغبون عليه تارة ، ويقتلونـــه اخرى ، ويتحكمون في تنصيب خليفة ، ثالثة . وقد ذاق منهم الخلفاء الثمانية الذين تتابعوا على عرش سامراء الامرّين ، حتى خرج منها المعتمد في عـام ٢٧٩ [3] إلى حيث مات ، واستهل خلفه المعتضد خلافته ببغداد في نفس العام [4]

ومن هنا نرى ان سامراء ، كانت عاصمة الخلافـة العباسية ، أكثر من نصف قرن أصبحت خلالها زهرة البلدان ودرة التيجان ، لا أجمل

---

١ - المروج ص ٤٦٥ جـ ٣ و الكامل ص ٢٣٦ جـ ٥ وتاريخ سامراء ص ١٠١ .

٢ - الكامل : نفس الصفحة ، وتاريخ سامراء عن الطبري ص ١٠١ وعن معجم الحموي ص ١٩

٣ الكامل ص ٧٣ جـ ٦ والعبر جـ ٢ ص ٢٤ وتاريخ سامراء ص ٢٢١ .

٤ - الكامل جـ ٦ ص ٧٣ والمروج ض ١٤٣ جـ ٤ وابن الوردي جـ ١ ص ٢٤٢ .

ولا أعظم ولا آنس ولا أوسع ملكاً منها [1] ، وأصبح طول البناء فيها أكثر من ثمانية فراسخ [2] . ولكنها أصبحت خراباً بمجرد انتقال الخلافة عنها ، وغار نبعها دفعة واحدة ، حتى لم يبق منها الا موضع غيبة الامام المنتظر المهدي (ع) ، ومحلة اخرى بعيدة عنها يقال لها : كرخ سامراء . وسائر ذلك خراب ، يستوحش الناظر اليه [3] .

وقد تعاقب على سامراء من خلفاء بني العباس ، ثمانيـــة ، هم : المعتصم ، منذ انتقاله اليها إلى عام ٢٢٧ هـ حيث بويع بعده للواثق حتى عام ٢٣٢ هـ حيث بويع بعده للمتوكل حتى عام ٢٤٧ هـ يوم قتله الأتراك بعد ليلة حمراء زاخرة باللهو والشرب [4] فبويع بعده للمنتصر حيث بقي في الخلافة ستة أشهر ويومين [5] . وبايع الأتراك بعده المستعين عام ٢٤٨ هـ حتى خلع نفسه عام ٢٥٢ وبايع للمعتز بالله [6] حتى خلعه الأتراك عام ٢٥٥ ، وبويع للمهتدي بالله حتى قتله الأتراك أيضاً عـام ٢٥٦ هـ . وبويع للمعتمد على الله حتى عام ٢٧٩ هـ . وبويع بعـــده للمعتضد بالله في بغداد وبه كانت نهاية العاصمة (سامراء) .

---

١ - تاريخ سامراء ص ٥٦ ، عن الحموي .
٢ - نفس المصدر والصفحة .
٣ - تاريخ سامراء ص ٩٦ عن الحموي .
٤ - الكامل ص٣٠٢ ج ٥ . وما بعدها
٥ - المصدر ص ٣١٠ وانظر المروج ص ٤٦ ج ١ .
٦ - انظر المروج ص ٦٠ ج ٤ .

وقد اتصف هذا العصر بعدة خصائص ، يشترك بعضها مع بعض ما سبقه من عصور الخلافة ، ويستقل بالبعض الآخر . فكان جملة ما يلاحظ على هذا العصر من خصائص ، هي :

أولاً : ضعف الخلافة ، وسقوط هيبتها من أعين الناس إلى حد كبير . نتيجة لعدة عوامل ، منها : استيلاء الأتراك على العاصمة ، واستيلاء العمال والأمراء على الأطراف ، وانعزال الخليفة انعزالاً يكاد يكون تاماً عن ممارسة الحكم ، حتى قال المعتمد ، بعد التجربة التي قاساها :

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً ... وما من ذاك شيء في يديه
اليه تحمل الأموال طراً ... ويمنع بعض ما يجبى إليه[1]

ومنها : الليالي الحمراء واللهو والمجون ، الذي كان ينغمس فيه الخليفة بعد استلامه كرسي الحكم ، وينصرف به جزئياً أو كلياً عن النظر في شؤون الناس . يستثنى من ذلك المهتدى بالله الذي كان أحسنهم مذهباً وأجملهم طريقة ، حاول أن يكون في بني العباس ما كان عمر بن عبد العزيز في بني أمية[2] . الا ان ذلك كان بنفسه نقطة ضعف في نظر أصحابه الأتراك والمغاربة والفراغنة ، فقاتلوه

---

١ – الكامل ص ٧٣ جـ ٦ .

٢ – الكامل جـ ٥ ص ٣٥٨ والمروج جـ ٤ ص ١٠٣ وابن الوردي جـ ١ ص ٢٣٤ .

حتى قتلوه[١] .

أما حوادث اللهو والخمر والمنادمة ، فهذا أوضح من أن يستشهد له ، وكتب التاريخ زاخرة به . ولعل خير ما يذكر في المقام ، موقف المتوكل من الامام الهادي عليه السلام ، حيث أرسل جماعة من الأتراك لكبس بيته والقبض عليه في جوف الليل . فألقوا عليه القبض وهو يقرأ القرآن ، وحمل إلى المتوكل ، فمثل بين يديه ، والمتوكل يشرب وفي يده كأس فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه ، وناوله الكأس الذي في يده . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما خامر لحمي ودمي قط ، فاعفني ، فأعفاه[٢] ، إلى آخر الحادثة التي سوف تأتي في مقبل البحث .

ثانياً : استيلاء الموالى على دفة السياسة العليا ، في العاصمة والأطراف ، وأكثرهم من الأتراك وعزل الخليفة جزئياً أو كلياً عن النظر في شؤون الدولة .

فمن هؤلاء : بغا الكبير وابنه موسى بن بغاء وأخوه محمد بن بغاء وكيغلغ وبابكيال واسارتكين وسيما الطويل وياركوج وطسايغو واذكوتكين وبغا الصغير الشرابي ووصيف بن باغر التركي ، وقد

---

١ الكامل ص ٣٥٥ من نفس الجزء .

٢ – المروج ج ٤ ص ١١ وابن خلكان ج ٢ ص ٢٤٤ وابن الوردي ج ١ ص ٢٣٢ وغيرها من التواريخ .

تفرد هذان الاخيران بالأمور [1] وفيهما قيل :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا [2]

وكان هؤلاء القواد الموالى تارة ضد الخليفة واخرى ضد أعدائه ، بحسب ما يرون من المصلحة ، فهم في الوقت الذي لا يجد الخليفة سواهم من يرسله إلى الأطراف لقتال العصاة والخارجين عن الطاعة ؛ فانهم يكونون خارجين عليه في كثير من الأحيان ، ويقومون بقتل الخلفاء، واحداً بعد الآخر ، أما لتهديد الخليفة بعض قوادهم [3] أو لتاخر أرزاقهم ورواتبهم [4] .

وقد ذكرنا قتلهم للمتوكل والمهتدي ، ونجد لهم حوادث جمة ، كخلعهم المعتز والمؤيد ابني المتوكل من ولاية العهد [5] واستخلافهم للمستعين [6] واستيلائهم على الأموال في عهده [7] ومقاتلتهم اياه عندما غضب عليهم واعتصم ببغداد ، ومبايعتهم للمعتز وما رافق ذلك من القتال والجهد والبلاء على أهل بغداد حتى أكلو الجيف [8] ، وقد تقع

---

١ - العبر ص ٥ جـ ٢ .
٢ - المروج جـ ٤ ص ٦١ .
٣ - المروج جـ ٤ ص ٩٢ .
٤ - الكامل جـ ٥ ص ٣٤١ .
٥ - المصدر ص ٣٠٩ .
٦ - المصدر ص ٣١١ .
٧ - المصدر ص ٣١٣ .
٨ - الكامل ص ٣٢٠ والعبر جـ ٢ ص ٢ .

الفتنة بينهم حتى يؤدي الحال إلى القتال ، حين احتج المغاربة على الأتراك وقالوا لهم : كل يوم تقتلون خليفة وتخلعون آخر وتعملون وزيراً [1] .

وبقي الأتراك وسائر الموالي هم المتنفذين ، حتى ظهر صاحب الزنج ، بثورته العارمة ، على ما سنذكره ، فتحول ثقل التفكير والقتال والأموال إلى مواجهته ومدافعته ، ونسيت النعرات الشخصية إلى حد كبير .

ثالثاً : الشغب والفتن في بغداد . فانها لم تكن - وهي يومئذ خالية من الخلافة - خالية من المتاعب بالنسبة إلى سامراء . فكان فيها عدة فتن متتالية :

احداها : ما كان عام ٢٤٩ فقد شغب الجنود الشاكرية ببغداد ، ونادوا بالنفير وفتحوا السجون وأخرجوا من فيها ، واحرقوا أحد الجسرين وقطعوا الآخر . وكان أحد الأسباب لذلك احتجاجهم على الأتراك واستعظامهم قتلهم للمتوكل واستيلائهم على أمور المسلمين ، يقتلون من يريدون من الخلفاء ويستخلفون من أحبوا من غير ديانة ولا نظر للمسلمين [2] .

ثانيها : ما كان في أيام المستعين، حين سار الى بغداد غاضباً من شغب الاتراك والموالي ، واستيلائهم على دفة الأمور ، فوجهوا وفداً

---

١ - الكامل ص ٣٣٣ ج ٥ .

٢ - الكامل ج ٥ ص ٣١٣ .

يعتذر اليه ويسأله الرجوع فلم يصغ إلى ذلك . فبايعوا المعتز في سامراء فعقد لأخيه أبي أحمد الموفق بن المتوكل القيادة لحرب المستعين ، وجعل إليه الأمور كلها . وجعل التدبير إلى كلباتكين التركي ، فسار في خمسين ألفاً من الأتراك والفراعنة والفين من المغاربة [1] . وحاصر بغداد ، ودام الحصار أشهراً ، واشتد البلاء وكثر القتل ، وجهد أهل بغداد حتى أكلوا الجيف ، وجرت عدة وقعات بين الفريقين ، قتل في وقعة منها ، نحو الفين من البغادد ، إلى أن أكلوا وضعف أمرهم وقوي أمر المعتز [2] . وانتهى الأمر إلى تنازل المستعين عن الخلافة وخلعه لنفسه [3] .

فنرى من هذا المشهد ، كيف وقع العداء الفعلي والقتال الشديد بين خليفتين رسميين ، معترف بهما من قبل الجمهور ، بسبب هؤلاء الأتراك .

ثالثها : ما كان عام٢٥٢ إذ شغب الجند في بغداد مطالبين بالأرزاق، وإلا دوا أن يمنعوا الخطيب من الدعاء للمعتز . وكان لمحمد بن عبدالله بن طاهر ، موقف في محاربتهم وتفريقهم . حتى ما إذا رأى الجند قد غلبوا على أصحابه ، أمر بالحوانيت التي على باب الجسر ان تحرق ، فاحترق للتجار متاع كثيرة، فحالت النار بين الفريقين [4] .

---

١ - الكامل جـ ٥ ص ٣٢١ .
٢ - العبر جـ ٢ ص ٢٥٢ .
٣ - الكامل جـ ٥ ص ٣٣١ .
٤ - الكامل جـ ٥ ص ٣٣٢ .

رابعها : ما كان للجند ببغداد من الشعب عام ٢٥٢ [١] بسبب مطالبتهم بمبايعة الموفق أبي أحمد بن المتوكل ، بعد المعتز . ولكنهم أرغموا ، بعد لأي ، على مبايعة المهتدي ، بعد ان كانت سامراء قد بايعته .

الرابع : من خصائص هذا العصر ، وربما كان من أبرز سماته . وقد نشأ من ضعف الخلافة ، وعدم امتلاكها زمام الأمور ، وصرف سائر الطاقات والنشاطات في الحروب والمناوشات والعداوات الداخلية ، مع الانصراف عن الاطراف وما يقوم به العمال من الأعمال . فصار أي واحد من أمراء الأطراف في الدولة الاسلامية الواسعة ، غير مقيد بالارتباط الوثيق بالعاصمة، ان شاء كان موالياً وان شاء أصبح مستقلاً، وناجزوا الآخرين القتال ، بحسب أطماعه في ترسيخ ملكه وتوسيع بلاده .

فكانت الحروب تدور في الأطراف ، بين الأمراء والولاة. وتستقبل المدن الاسلامية ، في كل فترة ، وجهاً جديداً يحكمها ويدير شؤونها ويجبي خراجها ولم يكن لأي حاكم ،بما فيه الخليفة نفسه ، من شفيع الأسيفه ، وما يملك من قوة وعتاد .

فمن أوضح تلك الموارد: الأندلس التي كانت في تلك الفترة مستقلة بالخلافة تحت حكم عبد الرحمن الناصر الأموي [٢] .

---

(١) المصدر ص ٣٤٣ .

(٢) الكامل ص ٢٣٢ جـ ٥ .

وكان الشمال الافريقي مستقلاً - إلى حد كبير - تحت أمرة آل الأغلب ،إبتداءبزيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب،وبعده أخوه الأغلب[1] ، وانتهاء بزيادة الله بن أبي العباس بن عبد الله[2] الذي زال ملكه بسيف أبي عبد الله الشيعي الذي مهد لسلطان المهدي الافريقي جد الفاطميين، على ما يأتي في تاريخ القسم الثاني من هذا الكتاب. وفي كل ذلك لا تكاد تجد للخلافة في سامراء أو في بغداد أى رأي أو تصرف .

وأما بلاد فارس وما وراء النهر ،فقد كانت في عهد المعتصم مسرحاً للقتال ، ففي منطقة زنجان وأردبيل واذربيجان، حصل صدام مسلح بين بابـــك الخرّمي من ناحية وبين حيدر بن كاوس وبغا الكبير من ناحية أخرى عن السلطان . وذلك من عام ٢٢١ حتى عام ٢٢٣ حيث قدم الافشين إلى سامراء ومعه بابك وأخوه عبدالله ، فقتله المعتصم ، وأرسل رأسه إلى خراسان وصلب بدنه بسامراء[3] .

وفي سنة٢٢٤أظهر مازيار بن قادن الخلاف على المعتصم بطبرستان[4] ، وكان قد اصطنعه المأمون[5] .

---

(١) الكامل جـ ٥ ص ٢٥٢ .

(٢) المصدر ص ١٢٢ جـ ٦ .

(٣) المصدر جـ ٥ ض ٢٤٦ .

(٤) الكامل جـ ٥ ص ٢٥٣ .

(٥) المروج جـ ٣ ص ٤٧٣ .

وفي سنة ٢٢٣ ، كان باذربيجان قلاقل وحروب ، استمرت ثمانية أشهر ، قادها محمد بن البعيث بن الجليس وجماعته . حتى أخضعهم بغا الشرابي من قبل السلطان ، وفتح المدينة [١] . ثم استقدم ابن البعيث إلى سامراء وحبس فيها وجعل في عنقه مئة رطل ، فلم يزل على وجهه حتى مات [٢] .

وفي عام ٢٣٨ ، كان قتال في تفليس بين بغا وقواده الأتراك من ناحية وبين اسحاق بن اسماعيل من ناحية اخرى . وأحرق بغا المدينة، فاحترق فيها نحو خمسين الف انسان ، واسروا من سلم من النار وسلبوا الموتى [٣] .

وفي عام ٢٥٣ في عهد المعتز ، حدث قتال في همدان ، بين عبد العزيز بن ابي دلف ، في أكثر من عشرين الف من الصعاليك وغيرهم ، وبين جيش الخليفة ، بقيادة موسى بن بغا [٤] .

وكانت بلاد فارس ، والعراق احياناً [٥] ، مسرحاً خصباً لجيوش يعقوب بن الليث الصفار وحروبه ، من سنة ٢٥٣ إلى ان توفى عام ٢٦٥ وخلفه اخوه عمرو بن الليث ، إلا انه أصبح موالياً للخلافة [٦] .

---

١ الكامل ج ٥ ص ٢٨١ .
٢ – المصدر ص ٢٨٤ .
٣ – المصدر ص ٢٩٢ .
٤ – المصدر ص ٣٣٥ .
٥ – المروج ج ٤ ص ١١٢ وما بعدها .
٦ – الكامل ج ٦ ص ٢٤ .

على أن يعقوب كان يجد من مصلحته اظهار الولاء للدولة ، وان كان بمنزلة لا تقوى الدولة على قمعه ، فكان الخليفة يستميله ويترضاه [١] اتقاء لشره ولم يبرز مكنونه إلا في فراش الموت حيث قال لرسول الخليفة اليه : قل للخليفة انني عليل ، فان متّ ، فقد استرحت منك واسترحت مني ، وان عوفيت فليس بيني وبينك إلا هذا السيف [٢] .

ومنذ عام ٢٦١ استقل - إلى حد كبير - نصر بن احمد الساماني . ببلاد ما وراء النهر ، وهي تتمثل بمناطق بخـــارى وسمرقند إلى خراسان [٣] . حتى توفى عام ٢٧٩ ، وولي بعده اخوه اسماعيل بن أحمد [٤] .

وأما مصر فقد استقل بها أحمد بن طولون - وهو من الاتراك - استخلفه عليها بابكيال التركي عام ٢٥٤ في عهد المعتز [٥] ، وحين ولي المهتدي وقتل بابكيال صارت مصر لياركوج التركي ، وكان بينه وبين أحمد بن طولون مودة متاكدة ، فوسع ولايته على الديار المصرية كلها ، فقوى أمره ودامت ايامه [٦] . حتى توفى مبطوناً عام ٢٧٠ [٧] وكان قد استغنى من ملكه عن الارتباط بالخلافة [٨] وان لم يناجزهـا

---

١ - المصدر ص ٢١ .
٢ - نفس المصدر والصفحة .
٣ - المصدر ص ٢١ .
٤ - المصدر ص ٧٤ .
٥ - الكامل جـ ٥ ص ٣٣٩ .
٦ - المصدر والصفحة .
٧ - الكامل جـ ٦ ص ٥٥ .
٨ - انظر مثلا المصدر ص ١٣ .

العداء فعلاً .

* * *

ولم تكن الأطراف القريبة من العاصمة ، باحسن حالاً من الأطراف البعيدة . فقد كانت أيضاً مسرحاً لمصالح العمال والقواد من ناحية ، ومسرحاً لنشاط الخوارج والزنج ثم القرامطة على ما نشير اليه ، من ناحية ثانية .

فمكة والمدينة ، كانت تتعرض أحياناً للمصطادين بالماء العكر . فقد أصبحت المدينة عام ٢٣٠ وما بعده ، مسرحاً لغارات الأعراب المجاورين ، حتى ناجزهم بغا الكبير القتال [١] . وقتل عام ٢٥١ ثلثمائة رجل من مكة وغلت الأسعار فيها بسبب شغب مشابه [٢] .

وأما لو راقبنا سوريا في تلك الفترة ، بما فيها حمص وحلب ودمشق ، لوجدناها مسرحاً للاطماع وساحة للقتال . ففي عام ٢٢٧ في أول خلافة الواثق ، كانت دمشق مسرحاً لعصيان مسلح ، انتج قتل ما يقارب الألفي شخص ، من جيش الخليفة والثائرين [٣] . وفي عام ٢٤٠ وما بعده ، كانت حمص مجالاً لسوء تصرف العمال والولاة ، مما أوجب ثورة الأهالي واضطرابهم [٤] . وتكررت عين المشكلة عام ٢٥٠ ،

---

١ - الكامل جـ ٥ ص ٢٧٠ .
٢ - المصدر ص ٣٣٠ .
٣ - الكامل جـ ٦ ص ٥٦ .
٤ - الكامل جـ ٥ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ .

إلا ان هذا العصيان كان أكبر من سابقه ، فوجه المستعين اليها موسى بن بغا فحاربها ، وقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، وأحرقها واسر جماعة من أعيان أهلها [1] .

ولم تسلم سوريا حتى بعد ان احتلها احمد بن طولون ، عام ٢٦٤ [2] من الحروب . اذ بمجرد ان توفى ابن طولون عام ٢٧٠ [3] تحركت نحوها الاطماع ، استضعافاً واستصغاراً لخلفه ابنه خمارويه . فسير اليها ابو طلحة الموفق بن المتوكل ، قائدين من قواده الموالى ، وهما : اسحاق بن كنداجيق وابن ابي الساج ، لاحتلالها ، فدخلوها وفتحوا دمشق بعد قتال عظيم [4] . فسار اليها خمارويه بنفسه من مصر واحتلها مرة اخرى بقتال جديد [5] . وتكرر القتال عام ٢٧٤ و ٢٧٥ [6] .

وإذا نظرنا إلى الموصل وما حواليها من البلدان ، ومن في تلك المنطقة من الأكراد ، لم نجدهم أقل بلاء من سائر بلاد الاسلام . فقد تعرضت عام ٢٥٣ لقتال ونهب [7] وفي عام ٢٦٠ تعرضت لتعسف العامل عليها من قبل الخليفة ، وهو اذكوتكين التركي ، فانه اظهر الفسوق وأخذ الأموال ، فقاتلوه قتالاً شديداً حتى اخرجوه عن

---

١ - المصدر ص ٣١٨ .
٢ - المروج ج ٤ ص ١٢٣ .
٣ - الكامل ج ٦ ص ٥٦ .
٤ - المصدر والصفحة .
٥ - المصدر ص ٥٨ .
٦ - المصدر ص ٦٢ .
٧ - الكامل ج ٥ ص ٣٣٦ .

الموصل ونهبوا داره [1] وتعرضت في العام الذي يليه لحروب أيضاً بسبب رفضهم لعاملين عينهما اساتكين التركي عن الخليفة ، واختاروا لهم عاملاً آخر [2] .

وتعرضت الأكراد لهجوم وصيف التركي عـــام ٢٣١ ، وحبس منهم نحو خمسمائة ، وحصل وصيف على هذا العمل ، جائزة مقدارها خمس وسبعون الف دينار . وتعرضوا ايضاً لقتال موسى بن اتامش التركي عام ٢٦٦ [3] . وفي عـــام ٢٨١ حاربهم الخليفة المعتضد بنفسه [4] .

ولعلنا نستطيـع أن نعتبر هذه القلاقل جميعـــاً ، هدؤاً نسبياً ، وبرداً وسلاماً ، إذا قسناه إلى الجحيم الذي اوجده صـــاحب الزنج على العراق في عهد سامراء ، والقرامطة في العهد الذي يليه ، عـــلى ما سنذكره .

* * *

الخامس : من خصائص هذا العصر ، وليست من مختصاته على كل حال ، هو وجود الخوارج ، ومـــا يسببونه باستمرار من شغب وحوادث . فكان وجودهم شجى في حلق الدولة وحجر عثره أمام اطمئنان الأمة .

---

١ - المصدر ص ٣٧١ .
٢ - المصدر ص ٢٧٤
٣ - الكامل جـ ٥ ص ٣٧٢
٤ - الكامل جـ ٦ ص ٢٤
٥ - الكامل جـ ٦ ص ٧٧

ويبدأ نشاطهم الملحوظ في هـــذه الفترة ، عام ٢٥٢ حين قيام مساور بن عبد الحميد بن مساور الشاري البجلي الموصلي ، قائد الشراة، وهم الخوارج الذين يدعون انهم شروا الآخرة بالدنيا .

واستولى مساور على أكثر اعمال الموصل وقوي امره. فقاتله والي الخليفة على الموصل قتالاً شديداً ، فاندحر ، فاشتد أمر مساور وعظم شانه وخافه الناس [١] . وذلك عام ٢٥٤ . وكان ان صـــلى بالمسجد الجامع بالموصل صلاة الجمعة بالناس وخطبهم [٢] . وفي عام ٢٥٥ قاتله عسكر الخليفة فانتصر مساور أيضاً وانهزم عسكر الخليفة [٣] .

وفي عام ٢٥٦ ، ثار بوجه مساور الشاري أحد الخوارج ، بسبب اختلاف بينهما في بعض المسائل الكلامية ، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً أدى إلى فوز مساور وانهزام الخارجي الآخر ، وقتـــل أكثر جيشه [٤] . وبلغ مساور من السيطرة والقوة ان استولى على كثير من العراق ومنع الأموال عن الخليفة فضاقت على الجند ارزاقهم [٥] . وبقي على مثل هذه الحال إلى ان مات عام ٢٦٣ [٦] . واختلف الخوارج إلى مـــن

---

١ - الكامل جـ ٥ ص ٣٣٩ .
٢ - المصدر ص ٢٤٦ .
٣ - المصدر ص ٣٥٠ .
٤ - المصدر ص ٣٥٤ وما بعدها .
٥ - المصدر ٣٥٥ .
٦ - المصدر جـ ٦ ص ١٥ .

يرجعوا بعده ، وحدث لذلك بينهم قتال ، حتى تم أمرهم على هارون بن عبد الله البجلي الشاري[١] .

* * *

السادس : من خصائص هذا العصر ولعله أبعدها خطراً وأعمقها أثراً ، ويختص بالقسم الثاني من خلافة سامراء ، عند ازدياد ضعفها وتفسخها ، وذلك في عهد المهتدي والمعتمد . وهو ظهور صاحب الزنج الذي قتل الالوف من النفوس وهتك الآلاف من الأعراض ، احرق عشرات المدن وسبب بشكل غير مباشر إلى أمرين مهمين :

احدهما : ضعف الخلافة في عهد المعتمد ، وبقاء الخليفة صورة بلا واقع لا حل له ولا عقد .

ثانيهما : ترسخ قوة الخليفة في عهد المعتضد ، وذلك بعد انهيار الزنج وزوال سامراء كعاصمة للخلافة .

وصاحب الزنج هو الرجل الذي ثار في البصرة عام ٢٥٥[٢] اسمه علي بن محمد ، وزعم أنه علوي ، يتصل نسبه بزيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام . ولم يكن كذلك ، على ما يذكر التاريخ ، فان نسبه في عبد قيس ، وامه من بني اسد بن خزيمة[٣] . واستمر يعيث في المجتمع فساداً خمسة عشر عاماً ، إلى أن قتل عام ٢٧٠[٤] .

---

١ – الكامل ج ٦ ص ١٥ .
٢ – المصدر ص ٣٤٦ ج ٥ وابن الوردي ج ١ ص ٢٣٣ .
٣ – نفس المصدر والصفحة .
٤ – المصدر ج ٦ ص ٥١ .

وعمـــدة ما ارتكز عليه في ثورته ـ مضافاً إلى دعواه الانتساب بالنسب العلوي ـ انه وجه دعوته بشكل رئيسي إلى العمال والطبقـة الكادحة من الشعب ، وخاصة العبيد المماليك منهم ؛ تلك الطبقة التي تلاقي من ارهاق مستخدميها ومالكيها ومن ضغط الدولة أنواع الذل والشقاء . ومن ثم سمى صاحب الزنج أي قائد العبيد . فبدأ بعبيد أهل البصرة ودعاهم للاقبال اليه للخلاص من الرق والتعب ، فاجتمع عنده منهم خلق كثير، فخطبهم ووعدهم أن يقودهم ويملكهم الأموال وحاف لهم بالايمان ان لا يغدر بهم ولا يخذلهم . فأتاه مواليهم وبذلوا له على كل عبد خمسة دنانير ليسلم اليه عبده ، فأمر من عنده من العبيد فضربوا مواليهم أو وكلاءهم ، كل سيد خمسمئة سوط [1] . وكان هـــذا أول الشر. واكتسب العبيد بذلك قوة واندفاعاً وحماساً مضاعفاً ، استطاعوا أن يكتسحوا بها منطقة ضخمة من البلاد .

واتسع شرهم من البصرة إلى عبادان وإلى الأهواز [2] ودستميسان [3] وواسط [4] ورامهرمز [5] . وما بينهما من البلدان والمناطق . وحين احتلوا البصرة ، حاربوا أهلها بجيش من الزنج والاعراب ثلاث أيام . ثم أنه امنهم استجابة لابراهيم بن يحيى المهلبي ، ونادى مناديه من أراد

---

١ – الكامل جـ ٥ ص ٣٤٧ .
٢ – المصدر ص ٣٥٩ .
٣ – المصدر جـ ٦ ص ٨ .
٤ – المصدر ص ١٦ .
٥ – المصدر ص ٢٣ .

الأمان فليحضر إلى دار ابراهيم . فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملؤا الرحاب . فلما رأى صاحب الزنج اجتماعهم ، انتهز الفرصة لئلا يتفرقوا ، فغدر بهم وأمر اصحابه بقتلهم ، فكان السيف يعمل فيهم وأصواتهم مرتفعة بالشهادة ، فقتل ذلك الجمع كله ولم يسلم إلا النادر منهم . واحرق الجامع ، واحترقت البصرة في عدة مواضع منها،وعظم الخطر ، وعمها القتل والنهب والاحراق ، فمن كان غنياً اخذوا ماله وقتلوه ، ومن كان فقيراً قتلوه لوقته [١] . ومثل ذلك عمل الزنج بعبادان الاهواز والابله [٢] وابي الخصيب [٣] .

وحين رأت الدولة ذلك منه ، ناجزته القتال ببعض قوادها كسعيد الحاجب [٤] ومحمد المولد [٥] وموسى بن بغا [٦] الا انهم لم يؤثروا شيئاً ، وكان يستظهر عليهم صاحب الزنج ، وكانت اليد الطولى في محاربته ومصابرته والقضاء عليه في النتيجة ، لابي احمد الموفق طلحة بن المتوكل [٧] ، بمعونة ولده ابي العباس المعتضد الذي أصبح أول خلفاء بغداد بعد افول نجم سامراء . والتحق لمعونته اخيراً عام ٢٦٩

---

١ – الكامل جـ ٥ ص ٣٦٢ .
٢ – المصدر ص ٣٥٩ .
٣ – المصدر ص ٣٥٨ .
٤ – المصدر ص ٣٦١ .
٥ – المصدر ص ٣٦٣ .
٦ – المصدر ص ٣٦٧ .
٧ الكامل جـ ٥ ص ٣٩٥ ، وانظر العبر جـ ٢ ص ١٥ .

لؤلؤ غلام أحمد بن طولون الذي انشق على مولاه ، وسار إلى الموفق وهو يقاتل الزنج [1] وكان له يد طولى في القضاء على حركة الزنج في آخر ايامها [2] حتى قيل في عسكر الموفق [3] :

كيفما شئتم فقولوا   انما الفتح للولو

ولم يكن لجيش الموفق تجاه الزنج رحمة ، وانما كانت الحرب معهم حرب ابادة ، وقد اعمل معهم سائر انحاء القتل من الاحراق والاغراق والمطاردة وغير ذلك [4] . واستنقذوا ما لا يحصى من النساء والصبيان والمساجين [5] .

واستأمن إلى الموفق عدداً من قواد الزنج قبل قتله وبعده [6]. وقد كان لقتله والقضاء على حركته أثر كبير على سائر الناس بالشعور بالسرور والامن ، وقيلت في ذلك اشعار كثيرة [7] .

وقد اثرت مواقف الموفق هذه على سيطرته التامة على الأمور كلها في الدولة ، على الجيش والتعامل مع ولاة الاطراف وجباية الأموال وعزل وتنصيب الوزراء [8] ، حتى لم يبق لاخيه المعتمد من

---

١ – الكامل جـ ٦ ص ٤٩ .
٢ – المصدر ص ٥١ .
٣ – المروج جـ ٤ ص ١٢٤ .
٤ – انظر مثلاً ص ٤٦ جـ ٦ من الكامل وغيرها .
٥ – انظر المصدر ص ٤٧ .
٦ – المصدر ص ٥٣ .
٧ – المصدر ص ٥٣ – ٥٤ .
٨ – المصدر ص ١٧ .

الخلافة إلا اسمها ، ولا ينفذ له توقيع لا في قليل ولا في كثير [1] حتى قال :

اليس من العجائب ان مثلي ... يرى ما قل ممتنعاً عليه

في ثلاث ابيات ، سبقت .

وبقي الموفق على ذلك حتى مات عام ٢٧٨ [2] . فاجتمع القواد وبايعوا ابنه ابا العباس بولاية العهد ، ولقب المعتضد بالله [3] ولا يخفى ما في اكتسابه القوة والسيطرة اثناء حربه للزنج ، وتمرسه على انحاء القتال والقيادة ، في تولى الخلافة في العام الذي يلي ، أي عام ٢٧٩ ، بعد المعتمد ، فكان أول خلفاء بغداد ، بعد افول نجم سامراء .

* * *

السابع : من خصائص هذا العصر . وليست من مختصاته ، حصول ثورات متعددة في الأطراف داعين إلى الرضا من آل محمد (ص) ، أو متمردين على الظلم والعسف الذي كان ينال المجتمع بشكل عام ، وينالهم بشكل خاص .

والفكرة الاساسية التي كانت تقوم عليها الدولة ، وقتئذ بجميع اجهزتها وطبقاتها ،هو النفرة من العلويين ،ومطاردتهم والضغط عليهم .

---

١ – المصدر ص ٤٩ .

٢ – المصدر ص ٦٧ وما بعدها .

٣ – المصدر ص ٦٩ .

لا يختلف في ذلك الخليفة عن القواد عن الوزراء عن العامة انفسهم . ولما كانت الدولة تعاني التفكك والضعف ، كان نجرد وجود أي شبح للحركة العلوية أو تهمة في ذلك ، يثير الرعب لدى الخليفة واتباعه ويتصدى القواد الاتراك ومن اليهم بانزال اقصى العقوبات بالثائرين .

ونستطيع ان نستشهد من تاريخنا العام لهذا الحقد،بعدة أمور :

منها : ما كان المتوكل يستشعره من الكراهية تجـاه علي (ع) والعلويين ، وكان آل ابي طالب ـ على ما ينص التاريخ ـ في أيامه في محنة عظيمة ، قد منعوا من زيارة قبر الحسين عليه السلام والغري من أرض الكوفة . وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد ، وأمر بهدم قبر الحسين عليه السلام ومحو أرضه وازالة اثره وان يعاقب من وجد به [(١)] وحدث به وزرع فيه ، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله ، باخذ المال والدم [(٢)] ولم تزل الأمور كذلك إلى ان استخلف المنتصر ، فامن الناس وأمر بالكف عن آل ابي طالب وترك البحث عن اخبارهم . واطلق حرية زيارة قبر الحسين عليه السلام ، وغيره من آل ابي طالب، [(٣)] .

وسنذكر ما فعله المتوكل من ازعاج الامام علي بن محمد الهادي (ع) واشخاصه إلى سامراء من المدينة . لكي يكون تحت رقابتـــه وفي

---

١ – المروج ج ٤ ص ٥١ .
٢ – الكامل ج ٥ ص ٢٨٧ وانظر المقاتل للاصبهاني ص ٤٢٤ .
٣ – المروج ج ٤ ص ٥١ وانظر المقاتل ص ٥٠٤ .

قبضته . وكان يستدعيه الى قصره بين ألفينة والفينة ، معداً له مؤامرة القتل فتفشل ، وتضطره هيبة الامام عليه السلام إلى احترامه واكرامه [1] .

ومنها : قتل المعتمد للامام الهادي عليه السلام ، على ما ذكره ابن بابويه الصدوق [2] .

ومنها : مراقبة الخلفاء للأئمة (ع) على ماسنذكر ، وقضائهم على كل ثورة علوية .

ولم يكن القواد الاتراك باحسن من الخلفاء حالاً من هذه الناحية . بل هم أقل منهم ضبطاً وأكثر تهوراً كموسى بن بغا الذي قضى على ثورة الحسن بن اسماعيل العلوي [3] وعلى بن اوتامش [4] وصالح بن وصيف [5] واحمد بن عبيد الله بن خاقان [6] وسعيد الحاجب [7] ، ونحوهم ممن يمت إلى الدولة بخوف أوطمع أو حاجة .

في هذا الجو المكهرب العاصف ، كان يرى بعض العلويين الذين يتوسمون في أنفسهم القوة والاصحاب ، وجوب الثورة على الظلم والفساد ، واظهار كلمة الحق أمام المجتمع السادر في غفلته البعيد عن

---

١ - انظر المروج ج ٤ ص ١٠ .
٢ - مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٥٠٦ .
٣ - المروج ج ٤ ص ٦٩ .
٤ - اعلام الورى ٣٥٩ .
٥ - المصدر ص ٣٦٠ .
٦ - المصدز ص ٣٥٧ .
٧ - المصدر ص ٣٤٥ وانظر المروج .

روح الاسلام وتعاليم القرآن . لعل ذلك يكون سبباً من أسباب توعية الأمة وايقاظ ضميرها ، والتفاتها إلى واقع حياتها وواجبات دينها .

وكان الغالب منهم يدعو إلى (الرضا من آل محمد) ، ويعنون بذلك : الشخص الذي هو أفضل آل محمد (ص) في ذلك العصر . وليس ذلك إلا أحد أئمتنا عليهم السلام الذين كان يعتقد هؤلاء الثوار بامامتهم.

وانها لالتفاتة بارعة : ان يدعو الثائر إلى الرضا من آل محمد (ص) بهذا العنوان العام ، ولا يدعو إلى امام زمانه بالخصوص . وذلك : لئلا يوقف الثائر إمامه الذي يدعو اليه ، موقف الحرج تجاه السلطات الحاكمة ، وهو يعلم ان الامام عليه السلام ، أمام سمع الدولة وبصرها ، وليس اسهل عليها من ان تتهمه باثارة الحركة والعصيان ، مما يؤدي إلى قتله وخسارة المجتمع المسلم لوجوده . ومعه ، فيفكر هذا الثائر انه ان نجحت ثورته نجاحاً كبيراً يجعلها أهلا لمناصرة امامه عليه السلام ، فهو المطلوب ، والا كان وصحبه فداء لإمامه ولدينه .

وأئمتنا عليهم السلام – في عصورهم المتاخرة – كانوا لا يعيشون في الحياة إلا قليلاً ، ويصعدون إلى بارئهم في ريعان الشباب . فالامام الجواد محمد بن علي عليه السلام عاش خمساً وعشرين سنة [1] والامام الهادي علي بن محمد عليه السلام عاش احدى واربعين [2] والامام العسكري الحسن بن علي عليه السلام عاش ثمانياً وعشرين عاماً [3] . مما

---

١ - انظر الارشاد ص ٣٠٧ .

٢ - المصدر ص ٣١٤ .

٣ - المصدر ص ٣٢٥ .

يدل على سعي الخلفاء في القضاء عليهم وكتم انفاسهم ، ولو بالطريق غير المباشر ، مع إنهم لم يستطيعوا ان يحصلوا منهم على أي مستند أو دلالة على مشاركتهم في أي حركـــة وقيامهم بأي نشاط . فكيف إذا عرفوا منهم ذلك ، وحصلوا منهم على شك في ثورة أو تمرد .

لكن ، لعلنا نستطيع القول ، بان الائمة عليهم السلام ، شاركوا من قريب أو بعيد ، بقيام بعض هذه الثورات أو قسم مهم منها ، أمـــا مباشرة أو بحسب عموم تعاليمهم وروح ارشاداتهم التي كانت تؤثر في نفوس مواليهم أثر النار في الحطب والنور في الديجور ، مما يؤدي بهم إلى اعلان العصيان المسلح على الدولة ، ولكن الائمة (ع) استطاعوا بلباقة تامة وحذر عظيم ، اخفاء أي نوع من المستندات والدلالات على مثل هذا التأثير على الدولة القائمة . وكانوا يستعملون الرموز والمعاني البعيدة والأعمال غير الملفتة للنظر ، في قضاء بعض الحاجات الخطرة في منطق الدولة . كما هو غير خفي على من راجع رواياتهم ، وسنعرف بعض ذلك فيما يلي من البحث .

ولعل هناك سببا آخر ، في عدم دعوة ثوار العلويين إلى شخص الامام عليه السلام ، وهو ان الثائر منهم ، ان لم يكن على اتصال مسبق بالامام عليه السلام ، فانه يحتمل ان لا يكون الامام موافقاً على ثورته، لأنه لا يجد فيها المصلحة الكافية والاهلية الكاملة للتأييـد . أما لسوء توقيت الزمان، أو لسوء اختيار المكان ، أو لضعف نيات هذا الثائر وأصحابه وقلة اخلاصهم ، أو لضعف الثورة في نفسها ، بحيث لا أمل

فيها للبقاء . وغير ذلك من المحتملات التي ياخذها التاثر بعين الاعتبار من رأي إمامه عليه السلام ، فلا يدعو إلى شخصه ، وانما يدعو إلى عنوان عام ينطبق عليه : الرضا من آل محمد (ص)

ونحن ـ لاجل الدقة والموضوعية في البحث ـ لا نستطيع ان ان نقول : ان كل الثوار العلويين ، كان ثائراً بالمعنى الذي يقوم على أساس الوعي الاسلامي ، وهو : الدعوة إلى تطبيق احكام الاسلام برئاسة الامام المعصوم عليه السلام . فانه وان كان المعتقد ان غرض أكثر الثوار هو ذلك ، إلا ان افراداً منهم ربما كان منحرفاً عن ذلك أو غير واع له . فكانت ثورته اما للدعوة إلى إمامة نفسه ، أو إمامة شخص آخر غير الامام المعصوم عليه السلام ، أو لمجرد التمرد على الظلم ، أو لحب الظهور والسيطرة ونحو ذلك من الاهداف .

ولعلنا نستطيع ان نضع الحد الفاصل في فهم اخلاص الثائر وعليه، في كونه داعياً إلى الرضا من آل محمد (ص) . فان عرفنا انه دعى إلى ذلك ، فثورته مخلصة واعية ، وان لم يدع إلى ذلك ، ينفتح امامنا فيه احتمال الانحراف وعدم الاخلاص .

* * *

وقد احصينا من الثوار العلويين في العصر الذي نؤرخه ، من خلافة المعتصم إلى نهاية خلافة المعتمد ، وهو مايزيد على نصف قرن ، ثمانية عشر ثائراً .

اولهم : محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، ويكنى أبا جعفر ، وكانت العامة تلقبه بالصوفي ،

لأنه كان يدمن لباس الثياب من الصوف الأبيض ، وكان من أهل العلم والفقه والدين والزهد وحسن المذهب . وكان يذهب إلى القول بالعدل والتوحيد ، ويرى رأي الزيدية الجارودية .

خرج في أيام المعتصم بالطالقان ، فاخذه عبد الله بن طاهر ووجه به إلى المعتصم ، بعد وقائع كانت بينه وبينه [1] . وذلك عام ٢١٩ ، ودعا إلى الرضا من آل محمد ، ولكن اغراه شخص من خراسان إلى الدعوة إلى نفسه [2] . وهناك قوم اعتقدوا بانه لم يمت وانه يخرج فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ، وانه مهدي هذه الامة [3] . أقول : وسيأتي في بعض بحوثنا ان شاء الله تعالى مناقشة هذه الدعوى وأمثالها .

ثانيهم : يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن ابي طالب ، المكنى بابي الحسين [4] ، وكانت ثورته لذل نزل به وجفوة لحقته ومحنة نالته من المتوكل وغيره من الاتراك . وكان ذا زهد وورع ونسك وعلم [5] .

ثار عام ٢٥٠ في الكوفة ، وجمع جمعاً كثيراً ، ومضى إلى بيت

---

١ – المقاتل للاصبهاني ص ٤١١ .
٢ – الكامل جـ ٥ ص ٢٣٢ .
٣ – المروج جـ ٣ ص ٤٦٥ .
٤ – الكامل جـ ٥ ص ٣١٤ .
٥ – المروج جـ ٤ ص ٦٣ .

المال فيها ليأخذ ما فيه ، وفتح السجون واخرج من فيها واخرج عنها عمال السلطان . اجتمعت اليه الزيدية ، ودعا إلى الرضا من آل محمد ، فاجتمع الناس اليه واحبوه . وتولاه العامة من أهل بغداد ، ولا يعلم انهم تولوا أحداً من بيته سواه . وبايعه من أهل الكوفة من له تدبير وبصيرة في تشيعهم .

حاربه الحسين بن اسماعيل بن ابراهيم بن مصعب ، وقتل هـذا العلوي في المعركة [1] . وحمل رأسه إلى بغداد وصلب ، فضج الناس من ذلك ، لما في نفوسهم من المحبة له ، لامر استفتح به اموره ، بالكف عن الدماء والتورع عن أخذ شيء من أموال الناس ، واظهر العدل والانصاف [2] . وانشدوا في رثائه شعراً كثيراً حتى قال أبو الفرج : وما بلغني ان أحداً ممن قتل في الدولة العباسية من آل ابي طالب ، رثى بأكثر مما رثى به يحيى ، ولا قيل فيه الشعر باكثر مما قيل فيه . اشهرها قصيدة علي بن العباس بن الرومي التي أولها :

امامك فانظر أي نهجيك تنهج   طريقان شتى مستقيم وأعوج

وقد ذكرها أبو الفرج بطولها في المقاتل [3] .

ثالثهم : الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب . بدأت ثورته عام ٢٥٠ أيضاً بطبرستان ، فغلب

---

١ - الكامل ج ٥ ص ٣١٥ .

٢ - المروج ج ٤ ص ٦٣ .

٣ - المقاتل ص ٤٥٧

عليها ، وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد . وما زالت في يده إلى ان مات سنة ٢٧٠ [١] وخلفه اخوه محمد بن زيد فيها . وكان هذان الاخوان يدعوان إلى الرضا من آل محمد .

واستولى الحسن بن زيد على آمل وعلى الري [٢] وقاتله مفلح وموسى بن بغا عن الدولة [٣] ومحمدبن طاهر [٤] حاكمها على خراسان . وقاتله يعقوب بن الليث الصفار الذي سبق ان سمعنا عنه .

وكان الحسن هذا عالماً بالفقه والعربية ، وفيه يقول الشاعر :

لا تقل بشرى ولكن بشريان   غرة الداعي وعيد المهرجان

رابعهم : الحسن بن علي الحسني المعروف بالاطروش ، حكم طبرستان بعد محمد بن زيد الحسني ، وخلفه ولده . ثم الداعي الحسن بن القاسم الذي قتله أسفار بطبرستان [٥] .

خامسهم : محمد بن جعفر بن احمد بن عيسى بن الحسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . ثار في خراسان ، عام ٢٥١. فحاربه حاكمها محمد بن طاهر واسره [٦] وكان يدعو للحسن بن زيد

---

١ – الكامل ج ٦ ص ٥٥ .
٢ – الكامل ج ٥ ص ٣١٧ .
٣ – المصدر ص ٣٤٥ .
٤ – المصدر ص ٣٢٩ .
٥ – المروج ج ٤ ص ٦٨ .
٦ – الكامل ج ٥ ص ٣٢٩ .

صاحب طبرستان[1] .

سادسهم : ادريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب . ثار بالري مع محمد بن جعفر السابق الذكر ، عام ٢٥١ .[2]

سابعهم : احمد بن عيسى بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . دعا للرضا من آل محمد ، ثار بعد محمد بن جعفر وحارب محمد بن طاهر ، واستولى على الرى[3] .

ثامنهم : الحسن بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . الملقب بالكركي . وقيل هو الحسن بن احمد بن محمد بن اسماعيل .. الخ[4] . كانت ثورته بقزوين ، فحاربه موسى بن بغا ، وصار الكركي إلى الديلم[5] .

تاسعهم : الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب[6] أو الحسين بن احمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب[7] .

---

١ – المروج جـ ٤ ص ٦٩ .
٢ – الكامل جـ ٥ ص ٣٢٩ .
٣ – المروج جـ ٤ ص ٦٩ .
٤ – المروج جـ ٤ ص ٦٩ . ونسبه ابو الفرج بالنحو الاول وقال : المكني بالحرون . انظر المقاتل ص ٤٦٩ .
٥ – المروج ، الجزء والصفحة السابقين .
٦ – كما في المروج جـ ٤ ص ٦٩ .
٧ – كما في الكامل جـ ٥ ص ٣٣٠ .

ثار بالكوفة عام ٢٥١ ، واجلى عنها عامـــل الخليفة ؛ فسير اليه المستعين مزاحم بن خاقان فقاتله ، واطبق على أصحابه فلم يفلت منهم أحد ، ودخل الكوفة فرماه أهلها بالحجارة فاحرقها بالنار ، فاحترق منها سبعة أسواق [١] . وقال المسعودي : انه اختفى لترك اصحابه له وتخلفهم عنه [٢] .

عاشرهم : محمد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب كان خليفة الحسين بن محمد الحرون السابق الذكر . ثار بعده بالكوفة ، فكتب اليه ابن طاهر بتولية الكوفة ، وخدعه بذلك ، فلما تمكن بها اخذه خليفة ابي الساج ، فحمله إلى سرمن رأى ، فحبس بها حتى مات [٣] .

الحادي عشر : اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب . ثـار في المدينة عام ٢٥٢ ، وأصاب أهلها في أيامه الجهد والضيق . وخلفه بعد وفاتـه اخوه محمد بن يوسف ، حاربه ابو الساج ولما انكشف من بين يديه ، سار إلى اليامه والبحرين واستولى عليها [٤] .

الثاني عشر : علي بن عبد الله الطالبي المسمى بالمرعشي . ثار في

---

١ — المصدر والصفحة .

٢ — ج ٤ ص ٦٩ .

٣ — المقاتل لابى الفرج ص ٤٧٠ .

٤ — المروج ص ٩٤ ج ٤ . وانظر الكامل ج ٥ ص ٢٣٥ .

مدينة آمل عام ٢٥١ ، وحاربه اسد بن جندان [١] .

الثالث عشر : انسان علوي ، حصلت ثورته بنينوى عام ٢٥١ من أرض العراق . فحاربه هشام بن أبي دلف ، في شهر رمضان ، فقتل من أصحابه جماعة ، وهرب فدخل الكوفة [٢] .

الرابع عشر : الحسين بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي المعروف بالكوكبي . ثار بناحية قزوين وزنجان ، فطرد عمال السلطات، عنها . عام ٢٥١ [٣] . وبقي حاكماً على هذه المنطقة حتى عام ٢٥٣ ، حيث شارك في الهجوم الري مع جستان ، صاحب الديلم وعيسى بن احمد العلوي . فقتلوا وسبوا وطردوا واليها الممثل للسلطة . فصالحهم أهل الري على ان يدفعوا لهم مليوني درهم ، ويرتحلوا عنها ، ففعلوا [٤] .

وفي سنة ٢٥٣ حاربه موسى بن بغا وقضى على حركته باشعال النار في عسكره بحيلة حربية ، ودخل موسى بن بغا قزوين فاتحاً [٥] .

الخامس عشر : ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب . ويعرف بابن الصوفي . ثار عام ٢٥٦ في مصر،واستولى

---

١ - الكامل ج ٥ ص ٣٢٩ .
٢ - المصدر ص ٣٣٠ .
٣ - المصدر والصفحة .
٤ - المصدر ٣٣٥ .
٥ - الكامل ج ٥ ص ٣٣٧ .

على مدينة إستا ونهبها ، وعم شره البلاد ، فسير اليه احمد بن طولون جيشاً ، فهزمه العلوي ، واسر المقدم على الجيش ، فقطع يديه ورجليه وصلبه. فسير اليه ابن طولون جيشاً آخر ، واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم العلوي وقتل كثير من رجاله، وسار حتى دخل الواحات [1] . وبقي مختفياً فيها إلى عام ٢٥٩ ، حيث ظهر ثانياً ودعا إلى نفسه فتبعه خلق كثير ، وسار بهم إلى الاشمونين . فحاربه احمد بن طولون في وقعتين حتى هرب العلوي الصوفي إلى مكة ، فقبض عليه واليها ، وارجعه إلى ابن طولون ، فطيف به في البلد ثم سجنه واطلقه ثم رجع إلى المدينة ، فأقام بها حتى مات [2] .

السادس عشر : علي بن زيد العلوي . كانت ثورته بالكوفة عام ٢٥٦ . فاستولى عليها ، وازال عنها نائب الخليفة واستقر فيها ، فناجزته السلطة القتال عدة مرات ، مرتين بقيادة الشاه بن ميكال ، وثالثة بقيادة كيجور التركي ، حتى قتل بعكبرا سنة ٢٥٧ [3] .

السابع عشر : عيسى بن جعفر العلوي ، ثار مع علي بن زيد في الكوفة .قال المسعودي انه عام ٢٥٥ ، فسرّح اليهما المعتز سعيد بن صالح المعروف بالحاجب في جيش عظيم . فانهزم الطالبيين ، لتفرق أصحابهما عنهما [4] .

---

١ - الكامل ج ٥ ص٣٥٩ و ص ٣٦٠.
٢ - المصدر ص ٣٦٩ .
٣ - المصدر ص ٣٦٠
٤ - المروج ج ٤ ص ٩٤ .

الثامن عشر : ابن موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب . ظهر بالمدينة بعد اسماعيل بن يوسف السابق الذكر [1] .

فهؤلاء هم من يعرف بحمل السيف في هذه الفترة ، في وجه السلطات الحاكمة . واما الذين قتلوا أو طردوا أو سجنوا فهم أضعاف هذا العدد ، يشير إلى جملة منهم المسعودي في مروجه [2] والاصبهاني في مقاتله [3] .

* * *

ونستطيع ان نستنتج من ذلك اموراً :

الأمر الأول : هو مدى الظلم والعسف الذي كانت تنزله السلطات الحاكمة على العلويين نسباً وعقيدة . والا لم يجد هذا العدد الكبير خلال نصف قرن ، حاجة إلى هذه التضحيات الكبيرة ؛ فانه من المعلوم ان ازدياد الثورة تتناسب تناسباً طردياً مع ازدياد الظلم والضغط ، وكلما خف الظلم وهان الضغط ، قلت الثورة وخف اوارها .

ومن هنا نجد ـ مثلاً ـ انه في عهد الخليفة المنتصر ، الذي كان يميل إلى أهل البيت ، خلافاً لابيه وسافه المتوكل ؛ لم تحصل ثورة

---

١ ـ المصدر والصفحة .

٢ ـ المصدر ص ٩٥ .

٣ ـ انظر ص ٥٠٦ وما بعدها وما قبلها أيضاً .

ولم يجر منه على أحد من العلويين قتل أو حبس أو مكروه [1]. ولكنه بقي في الخلافة ستة أشهر فقط !!

الأمر الثاني : ان الخلافة على ضعفها وعجزها في هذا العهد ، وتفاقم هذا العجز كلما طال الزمان عليها في سامراء. إلا ان هذا لم يكن بمانع لها عن قمع الثورات العلوية مهما بعدت عن المركز ، ومهما قويت، وذلك : لأن الخليفة بنفسه ، وان كان عاجزاً عن تدبير الأمور العامة ، منصرفاً إلى لهوه وقصفه ، الا ان مناوأة الفكرة العلوية ، ليست خاصة به ، وانما هي عامة على كثير من القواد ـ وبخاصة الأتراك والموالى والعباسيين ـ ومن الوزراء وحكام الاطراف ، حتى المستقلين منهم ، كاحمد بن طولون في مصر والسامانية فيما وراء النهر وآل الأغلب في شمال افريقيا ، والتاريخ العام والخاص مليء بالشواهد على ذلك .

الأمر الثالث : ان بعض هؤلاء الثوار كانوا ضحية تخلف الوعي وسيطرة المصلحة على اتباعهم وافراد جيشهم . فان درجة الوعي عند الامة كان منخفضا جداً ، بمعنى ان ما كان يعيش في اذهانهم دائماً هو الشعور بالظلم تردي الحال اجتماعياً وسياسياً وثقافياً واقتصادياً ، وهو ما يدركه كل شخص من زاوية مصلحته وحياته الخاصة . دون شعور واضح واحساس عميق ، بالمسؤولية الكبرى الملقاة عليه كفرد من الامة ، في الدعوة إلى تطبيق ما هو البديل العادل لهذا الظلم والطغيان .

---

١ - المقاتل ص٤٥٠ .

ومن هنا كان هؤلاء الثوار يجمعون من الاتباع العدد الكبير نتيجة طبيعية لشعور الناس بالظلم وأملهم في الثائر الجديد . الا ان هذا العدد الكبير كان ينقسم دائماً إلى قسمين :

احدهما : وهم الخاصـــة الاقلون ، الواعون لأهدافهم الاسلامية ، الهادفون إلى خدمة امتهم واداء رسالتهم والباذلون مهجهم في سبيل عقيدتهم وربهم .

ثانيهما : وهم الأكثر عدداً ، الذين مثلوا المجتمع الذي عاشوه بدرجة وعيه واحساسه فهم يحسون بالظلم من زاوية شخصية مصلحية ، وحين ظنوا بالثائر خيراً لمصالحهم اتبعوه ذبوا عنه ، ولكنهم حـين احسوا بالموت أو النوم في سجون السلطات ، وايسوا من صاحبهم الثائر ، ولوا منهزمين وتفرقوا عنه وخذلوه كما سمعنا في عـــدد من الثوار العلويين .

الثامن : من خصائص هذا العصر ، وان لم يكن من مختصاتـــه ، قيام الميزان الاساسي والمعيار الغالب، في تقييم الخلفاء والوزراء والقواد والقضاة وغيرهم ، ممن بيده السياسة العليا للدولة ، وتحديد عـــلاقات الصداقة والحرب ، كلها بميزان مادي مالي خالص . لا يختلف في ذلك من يعيش في العاصمة وما حواليها ممن هو بعيد في الاطراف ، إلا من شذ وندر .

ويتضح بجلاء ، من استعراض التاريخ ، قيام المجتمع، بعد انحرافه عن الأسلام وتناسيه لمسؤوليته الكبرى ، قيامه عـــلى اساس الطبقية

الملموسة ، فالأموال تتركز بيد الأقوياء والمتنفذين في السلطة ، ويحضى الأتراك والقواد الموالى بقسط كبير منها ، على حين يعيش سائر الناس بالمستوى المتوسط فما دونه ، إلى حال الفقر المدقع ، من دون ضمان عيش أو أمل حياة .

وإذا أردنا ان نستعرض تفاصيل ذلك لطال بنا المقام ، وخرجنا عن الغرض ، لكن يكفي ان تعرف طرفا من ذلك :

فالواثق عام ٢٢٩ حبس كتاب دولته ، والزمهم أموالاً عظيمة . اخذ من احمد بن اسرائيل ثمانين الف دينار ، ومن سليمان بن وهب – كاتب ايتاخ – اربعمائة الف دينار ، ومن الحسن بن وهب اربعة عشر الف دينار . ومن ابراهيم بن رباح وكتابه مائة الف دينار . ومن احمد بن الخصيب مليونا من الدنانير ، ومن نجاح ستين الف دينار ، ومن ابي الوزير مائة واربعين الف دينار [1] .

فمن الطبيعي للانسان ان يتصور ان هؤلاء الكتاب ، كم كان مجموع ثرواتهم بحيث امكنهم دفع تلك الضرائب . وإذا كان الكاتب العادي لدى الوزير حاصل على مثل هذه الثروات فكيف بالوزير نفسه ومن في منزلته من القواد والقضاة والولاة . ولعل من نافلة القول وواضحه ، ان هذه الأموال انما تحصل في أيدي هؤلاء ، على حساب الأمة الاسلامية ، وفقر الفقراء ، والمصالح الكبرى التي تفوت بذلك .

---

١ – الكامل جـ ٥ ص ٢٦٩ .

وأخذ المتوكل من أبي الوليد حين قبض على ابيه احمد بن دؤاد ، قاضي القضاة يومئذ ، أخذ منه مئة وعشرون الف دينار وجواهر قيمتها عشرون الف دينار . حملها الى المتوكل اختياراً . ثم صولح بعد ذلك على دفع ستة عشر مليون درهم . وأما أبوه الذي كان قاضيـــا للقضاة ، فصادر جميع أملاكه وضياعه[1] .

ثم عين المتوكل لقضاء القضاة يحيى بن أكثم ، وذلك سنة٢٣٧ ،[2] الا انـــه عزله عام ٢٤٠ وغرمه خمسة وسبعون الف دينار، وأربعة آلاف جريب في البصرة .[3] فكم كان هذا الرجل قد حصل عليه من الاموال ، خلال هذه السنوات الثلاث ؟! .

ومن المستطاع القول ان مقتل المتوكل[4] وخلـــع المستعين[5] والمعتز[6] والمهتدي وقتلهم ، كان بسبب اقتصادي ، يعود الى اطماع الاتراك ، وعجز الخليفة عن ايفاء مطالب الدولة من الناحية المالية . ولا يبقى من خلفاء سامراء من مات ـ في هذه الفترة ـ حتف أنفه ، الا المنتصر[7] والمعتمد[8] .

---

١ – الكامل جـ ٥ ص ٢٨٩ .
٢ – المصدر ص ٢٣٧ .
٣ – المصدر ص ٢٩٤ .
٤ – المصدر ص ٣٠١ .
٥ – المصدر ص ٣٣١ .
٦ – المصدر ص ٣٤١ـ
٧ – المصدر ص ٣٥٥
٨ – المصدر ص ٣١٠ .
٩ – الكامل ص ٧٣ جـ ٦ .

ومن المستطاع القول ، بان الحرب المستعرة التي وقعت في بغداد بين المستعين والمعتز عام ٢٥١ ، تعود إلى سبب اقتصادي ، مرجعه إلى سوء تصرف الاتراك بالأموال بعد تسليطهم الكامل عليها . فان المستعين كان قد أطلق يد والدته ويد اتامش وشاهك الخادم في بيوت الاموال ، وأباح لهم ان يفعلوا ما أرادوا ؟ ! . فكانت الاموال التي ترد من الآفاق يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة . فأخذ أتامش أكثر ما في بيوت الاموال . وكان وصيف وبغا ــ وهما من الاتراك المتنفذين ــ بمعزل عن ذلك ، فشغبوا عليه وقتلوه وقتلوا كاتبه ونهبوا دوره [١] .

ثم كان لهذين مؤامرة في قتل المستعين ، فشلت وانكشفت له ، فقال المستعين لهما : أنتما جعلتماني خليفة تريدون قتلي [٢] . وكان باغر التركي مشتركا معهما في المؤامرة ، فتآمرا ضده وقتلاه [٣]. وقد كان قتل باغر الشرارة الأولى التي أشعلت الحرب في بغداد ، تلك الحرب التي أدت إلى قتل المستعين عام ٢٥٢ [٤] .

وقد كان لام المعتز تسبيباً إلى قتله . فأن الاتراك طلبوا منه المال، فلم يكن لديه ما يعطيهم ، فنزلوا معه إلى خمسين الف دينار ، فلم يكن يمكنه الدفع . فأرسل إلى امه يسألها مالا ليعطيهم ، فزعمت ان ليس عندها شيء ، فقتله الاتراك شر قتلة [٥] .

---

١ - الكامل جـ ٥ ص ٣١٣ .
٢ - المصدر ص ٣١٩ .
٣ - المصدر ص ٣١٨ .
٤ - المصدر ص ٣٣٣ .
٥ - المصدر ص ٢٤١ وما بعدها .

وقد وجدوا عندها ، بعد مقتل ابنها من الاموال مالا يقدر بثمن. فمن النقد مليون وثلثمائة الف دينار . ووجـــدوا في سفط قدر مكوك زمرد لم ير الناس مثله ، وفي سفط آخر مقدار مكوك من اللؤلؤ الكبار . وفي سفط آخر قدر كيلجة من الياقوت الأحمر الذي لم يوجد مثله . فحمل ذلك كله الى صالح بن وصيف ، فسبها وقال : عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار ، وعندها هـــذه الاموال كلها .

التاسع : من خصائص هذا العصر ، وليست من مختصاته أيضا : استمرار الفتح الاسلامي الذي أوجد بذرته الاولى وركيزته العظمى وروحه الدافقة ، نبي الاسلام (ص) .

إلا ان النبي (ص) أعطى الفكرة الصحيحة الداعية للفتح الاسلامي ، فالفتح ليس للقتل ولا الانتقام ، وانما هو رحمة وشفقة على البـــلاد المفتوحة ، وتخليصها من نير العبودية والظلم ، وتطبيق النظـــام الاسلامي الامثل عليها .

وإذا كان هذا هو المعنى الواعي للفتح ، فأنه يترتب عليه أمور :

أولاً : ان تقع المنطقة المفتوحة تحت سيطرة الدولة الاسلامية ، وإشرافها من حيث الناحيتين العقائدية والسياسية ، امنا للدولة الجديدة عن الانحراف واطمئنانا من حدوث شغب أو اضطراب أو انحراف عن تعاليم الاسلام .

المصدر ص ٢٤٤.

ثانيا : ان الفتح لا يكون الا باشراف رئيس الدولة الاسلامية ، وهو النبي (ص) في حياته ، أو خليفته الشرعي العادل بعد وفاته . فان هذا الرئيس هو المطلع على المصالح بشكل أعمق وأدق والممسك بيده زمام السياسة العليا ، والمستشعر بشكل اوضح وأوعى ، المعنى العظيم للفتح الاسلامي البعيد عن المصالح الشخصية والمنافع الذاتية . ومن ثم لم تكن الفتوح الاسلامية ، في زمن النبي (ص) والخلافة الراشدة منطلقة إلا باذن الحاكم الاسلامي الاعلى .

ثالثاً : إن الغنائم ليس لها أهمية تذكر . فان المقصود إذا كان هو رفع الظلم عن البلد المفتوح ، فهو حاصل ، سواء غنم الجيش الاسلامي أو لم يغنم . وإنما تكون الغنيمة من قبيل جوائز التشجيع توزع على الجيش الاسلامي المنتصر ، رفعاً لمعنوياته وترغيبا له على التكرار .

رابعا : ان الوعي إذا كان على هذا المستوى الرفيع ، كان الجيش الاسلامي هو المندفع والمنتصر دائماً والكاسح لعروش الظلم والفساد ، عروش كسرى وقيصر .

بل أن الشعب المظلوم المتخلف ، وهو يحس بظلامته ، بمجرد ان يفهم ان الغزاة المسلمين ليسوا طامعين ولا ناقمين ، وإنما قدموا ليطبقوا النظام العادل ويكفلوا لمجتمعهم السعادة والرفاه ، فانهم سوف يكونون قلبيا بل عمليا مع الجيش الفاتح ضد سلطاتهم وحكامهم ، وعونا للجيش الاسلامي ضدهم . ومن هنا وجب على الجيش الاسلامي

ان يدعو إلى الاسلام ويعرض محاسنه على أهل البلاد قبل ان يناجزهم القتال .

فهذه أمور أربعة يقتضيها الجهاد الواعي الذي أسس أساسه النبي (ص) . وكلها كانت ضئيلة أو منعدمة في الفتح الجاري أثناء العصر الذي نؤرخ له .

فنحن نسمع مثلا: ان العباس بن الفضل بن يعقوب،خرج عام٢٣٧ إلى قلعة ابن ثور فغنم وأسر وعاد ، فقتل الاسرى . وتوجـــه إلى مدينة قصريانه ، فنهب وأحرق وخرب[1] .

وفي سنة ٢٣٨ خرج حتى بلغ قصريانه ، ومعه جمع عظيم ، فغنم وخرب . وأتى قطانية وسرقوسه ونوطس ورخوس ، فغنم من جميـع هذه البلاد وأحرق . وفي سنة ٤٢ ، سار العباس في جيش كثيف ، ففتح حصوناً جمة .

وفي سنة ٢٤٣ سار إلى قصريانةفخرج أهلها فلقوه وقاتلوه فهزمهم، وقتل فيهم فأكثر . وقصد سرقوسة وغيرهما فنهب وخرب وأحرق . ونزل على القصر الحديد وحصره وضيق على من به من الروم ، فبذلوا له خمسة عشر الف دينار ، فلم يقبل وأطال الحصر ، فسلموا إليــه الحصن على شرط أن يطلق ماتي نفس ، فأجابهم إلى ذلك وملكه وباع كل من فيه سوى مأتي نفس ، وهدم الحصن[2].

---

١ – الكامل جـ ٥ ص ٢٨٩ .

٢ – كل ذلك في الكامل جـ ٥ ص ٢٨٩ .

ونسمع انه في عام ٢٤٦ غزا عمرو بن الله الاقطع الصائفة ، فاخرج سبعة عشر الف رأس . وغزا قريباس واخرج خمسة آلاف رأس . وغزا الفضل بن قارن في نحو من عشرين مركباً فافتتح حصن انطاكية . وغزا بلكاجور فغنم وسبى ، وغزا علي بن يحيى الارمني ، فغنم خمسة الآف رأس ومن الدواب والرمك والحمير نحواً من عشر الآف رأس [١] .

ولعل من أعظم الغنائم في ذلك العصر ما غنمه بازمار عام ٢٧٠ ، بعد ان قتل من الروم ـ فيما يقال ـ سبعين الفاً وعدداً من قوادهم . وغنم منهم : سبع صلبان من ذهب وفضة ، وصليبهم الاعظم من ذهب مكلل بالجوهر ، وأخذ خمسة عشر الف دابة وبغـل ، ومن السروج وغير ذلك ، وأربع كراسي من ذهب ومائتي كرسي من فضة وآنية كثيرة ، ونحواً من عشرة الآف علم ديباج ، وديباجاً كثيراً وبزيون وغير ذلك [٢] .

ونسمع انه في سنة ٢٤٨ أغزا المنتصر وصيفاً التركي إلى بـلاد الروم . وكان سبب ذلك : انه كان بينه وبين احمد بن الخصيب شحناء وتباغض ، فحرّض ابن الخصيب المنتصر واشار عليه باخراجه من عسكره للغزو [٣] ، فنفذ المنتصر ذلك وامره بالمقام بالثغر أربع سنين يغزو في أوقات الغزو ، إلى أن يأتيه رأيه .

---

١ ـ المصدر ص ٣٠٠ .

٢ ـ الكامل جـ ٦ ص ٥٥ .

٣ ـ الكامل جـ ٥ ص ٣٠٧

ولم يكن محور حركة الفتح الاسلامي واحداً ، بل كانت محاوره متعددة ، فالخلافة العباسية بقوادها الاتراك وغيرهم كانت تشارك فيه ، والدولة الاموية في الاندلس ، كانت دائمة المناوشة مع الافرنـج . وكان احمد بن طولون ممن يتولى الغزو أيضاً [1] . ودولة افريقيـة برئاسة محمد بن الاغلب واسرته كانت تتولاه أيضاً [2] .

وبهذا نرى ان حوادث الفتح ، مختلفة اختلافاً اساسياً عن مفاهيم الفتح الاسلامي الواعي الاصيل ، فالغزو اصبح للتجارة والحصول على الغنائم ، حتى ان القائد الغانم كان يساوم عليه بخمسة عشر الف دينار فلا يقبل. ولم تكن الدعوة إلى الاسلام قبل البدء بالقتال موجودة ولا متبعه ، مع ان وجوبها من واضحات الشريعة . كما ان الاسرى كانت تقتل ، خلافاً لتعاليم الاسلام . كما ان البلاد المفتوحة لم تكن تدخل على اثر الفتح في مجموعة البلاد الاسلامية ، بل كان القواد بمجرد ان يحصلوا على أرباحهم يتركون البلاد تنادي بالويل والثبور ، ويرجعون ، من دون ان يجعلوا عليها والياً اسلامياً ، أو يطلبوا من أهلها الدخول في دين الاسلام أو دفع الجزية .

كما ان الروم ، وهم عبارة عن الافرنج عامة والبزنطيين خاصة ، حين كانوا يرون ان الفكرة الاساسية للجهـاد في ذلك الحين هو النفعية ، كانوا هم أيضاً يقومون بنفس العمل ، فيغزون البلاد الاسلامية ويقتلون

---

١ – المصدر ج ٦ ص ١٤ وما بعدها

٢ – المصدر ج ٥ ص ٢٨٩ .

جملة من أهلها ، ويكسبون الربح التجاري ويرجعون . فهم كالمسلمين ، من حيث العدة والعدد ، فلماذا يمتنعون عن ذلك ؟! وماذا يميز المسلمين عنهم من الوعي المقدس الذي كان قد تبخر وانتفى . ومن ثم نجد ان الجيش الاسلامي ليس هو الغالب دائماً في هذا العصر الذي نؤرخه ، بل هناك انتصارات يحرزها الروم ، كما سبق ان سمعنا .

كما ان الفتح كان ، في الأغلب مستقلاً عن خلافة بغداد، وعن رأيها واذنها ، وانما كان القواد وحكام الاطراف يقومون به كل حسب رأيه ومصلحته . ولم نسمع أرسال الخليفة أحداً للغزو إلا فيما سمعناه من المنتصر حين أغزى وصيفاً التركي ، على ان هذه الحادثة الوحيدة ، لم تكن في سبيل الله ، وانما كانت ايفاءً للاحقاد والتباغض الذي كان بين وصيف واحمد بن الخصيب ، كما سمعناه .

الفصل الثاني

تاريخ الامام علي بن محمد الهادي (ع)

كانت سامراء عاصمة الدولة العباسية في اوج عزها وعمرانها ، وكان المتوكل هو الذي تسنم كرسي الخلافة جاء به جماعة من الموالى والاتراك عام ٢٣٢ . وكان قد تسلم الخلافة حاقداً على أئمتنا (ع) وعلى اصحابهم ، حذراً منهم كل الحذر. وهذا واضح لمن يراجع التاريخ كل الوضوح [١] بلغ في آل ابي طالب ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله ، وكان من ذلك ان كرب قبر الحسين عليه السلام وعفى آثاره .

وفكر المتوكل ان يستقدم الامام علي بن محمد الهادي عليه السلام إلى سامراء من المدينة ، آخذاً بالاسلوب الذي اخترعه المأمون العباسي وسار عليه من بعده تجاه الامام الجواد محمد بن علي عليه السلام ، ومن بعده من الأئمة (ع) . فان المأمون حين زوج ابنته أم الفضل للامام الجواد عليه السلام ، كان قد وضع الحجر الأساسي للمراقبة الشديدة والحذر التام من الامام عليه السلام من الداخل ، مضافاً إلى مراقبته من الخارج . وكان هذا الزواج وتقريبه إلى البلاط ، اسلوب ناجح

---

١ — انظر الكامل ج ٥ ص ٣٠١ وص ٢٨٧ والمروج ج ٤ ص ٥١ ومقاتل الطالبيين ج ٣ ص ١٢٤ .

الوصول إلى هذه النتيجة التي يراد بها جعل الامام عليه السلام بين سمع الخليفة وبصره ، وعزله عن قواعده الشعبية الموالية له ، وكفكفة نشاطه .

وإذ توفي الامام الجواد عليه السلام ، وتولى الامـــام الهادي عليه السلام الامامة بعده ، لم يكن ليفوت المتوكل ضرورة تطبيق نفس هذا الاسلوب عليه ، فهو يرى ان الامام حال وجوده في المدينة ، بعيـداً عنه ، يشكل خطراً على الدولة لا محالة ، اذن فلا بد من استقدامه إلى سامرا حتى يأمن خطره ويهدأ باله ، ويضعه تحت الرقابـــة المباشرة منفصلاً عن قواعده الشعبية .

ومن ثم كانت الوشاية به ـ وهي ناقوس الخطر ـ كافيه لحفز المتوكل على ضعضعة حياة الامام الهادي عليه السلام ، ونقله من موطنه وداره في المدينة ، إلى العاصمة سامراء ، لكي يبدأ تأريخاً جديداً حافلاً في موطنه الجديد .

الاتجاه العام للامام الهادي (ع) :

في استقدام المتوكل اياه :

لم يكن من المصلحة في نظر الامام عليه السلام ، اعلان الخـلاف ضد المتوكل ، وكذلك كانت سياسة ابيه وابنائه عليهم السلام بالنسبة إلى الخلافة العباسية ، حتى تكللت هذه السلبية بغيبة الامـام المهدي عليه السلام .

ولعلنا في غنى عن اعطاء الفكرة الكاملة عن سبب هذه السلبية ،

بعد وضوح ان ما يستهدفه الأئمة (ع) انما هو تاسيس المجتمع الاسلامي العادل الواعي الذي يطبق تعاليم الاسلام بتفاصيلها ، ويتعاون افراده في انجاح التجربة الاسلامية . وهذا انما يتوفر بعد وجود عنصرين :

اولهما : وجود الخلافة الاسلامية بالشكل الذي كان يؤمن به الأئمة عليهم السلام ، وهو توليهم بانفسهم منصب الامامة ورئاسة الدولة الاسلامية ، أو من يعينونه ويختارونه لذلك .

ثانيهما : وجود المجتمع الذي يملك اكثرية كبيرة أو مئة بالمئة ، لو تحقق ، من الافراد الواعين المتشبعين بفهم الاسلام نصاً وروحاً ، ومستعدين للتضحية في سبيله ، ولقول الحق ولو على أنفسهم ، ورفض مصالحهم الضيقة تجاهه . والذين يبذلون ـ نتيجة لذلك ـ الطاعة المطلقة للحاكم الاسلامي الحق .

ولعلنا نستطيع ان نستوضح أهمية انضمام هذين العنصرين في تكوين الدولة الاسلامية ، اذا تصورنا تخلي بعضها عن بعض . في صورة ما إذا تولى الامام الحق منصب الرئاسة في مجتمع متضارب الآراء مختلف الاهواء ، يعيش افراده على اللذاذة الآنية والمصلحة الشخصية ، بعيدين عن الاسلام وعن الاستعداد للتضحية في سبيله باقل القليل . هل يستطيع الامام ان يقدم الخدمات الاسلامية المطلوبة ، لمثل هذا المجتمع. كلا ، فان تطبيق العدل الكامل ، يحتاج إلى العمل الدائب والتضحيات الكبيرة والطاعة المطلقة للرئيس العادل ، وكل ذلك مما لا يمكن توفره في المجتمع المنحرف وغير الواعي .

ومن ثم لم يكن الأئمة عليهم السلام ، يرون المصلحة في تولي رئاسة الدولة الاسلامية في المجتمع المنحرف ، الذي أدى بمن تولى هذا المنصب منهم إلى المتاعب المضاعفة وإلى القتل في نهاية المطاف . وهم : جدهم الأعلى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، ومن بعده ابنه الامام الحسن المجتبى عليه السلام ، إذ لو كان المجتمع واعيا ومضحياً في سبيل دينه في عصرهما (ع) لكان لهما خاصة وللامة الاسلامية عامة تاريخ غير هذا التاريخ .

ولم يكن المجتمع في خلال عصور الأئمة جميعهم باحسن حالا من المجتمع الأول الذي قتل امير المؤمنين وخذل ابنه الحسن وقاتل ابنه الحسين عليهم السلام. ان لم يكن قد تزايد لهوه وبطره وحرصه على المصالح واللذاذات، نتيجة لانكباب الخلفاء انفسهم على ذلك ، فان الناس بدين ملوكهم ، مع انعدام أو ضآلة المد الكافي لتوعية المجتمع وارجاعه إلى فهم دينه الحنيف .

ومن ثم لم يكن لهم في الخلافة مطمع ، لانهم لم يكونوا يريدون السير على الخط (الأموي ـ العباسي) للخلافة ، ذلك الخط المنحرف الذي يؤمن للناس اطماعهم ولذا ذاتهم ويقسم المجتمع إلى نعمة موفورة وإلى حق مضيع .

فكان الهدف الاساسي للأئمة عليهم السلام ينقسم إلى أمرين مترابطين : أحدهما : حفظ المجتمع من التفسخ والانهيار الكلى ، أو بتعبير آخر : حفظ الثالة المشعة من الحق ، المتمثلة بهم وبمواليهم وقواعدهم

الشعبية . ثانيها : السعي الى تاسيس المجتمع الاسلامي الواعي ، ورفع المستوى الايماني في نفوس افراده ، تمهيداً لنيل الخلافة الحقة وتطبيق المنصب الالهي الذي يعتقدون استحقاقه .

وكانوا يعملون على تنفيذ ذلك ، في حدود الامكان الذي يناسب مع الحذر من الجهاز الحاكم وتجنب شره . إذ لم يكن من المصلحة ، ان يقوم الامام عليه السلام بحركة ثورية عشوائية بجماعة قليلة تؤدي به وبجميع أصحابه إلى الاستئصال التام ، ولا يتحقق شيء من ذينك الفرضين .

فهذا هو السر الاساسي للسلبية التي سار عليها الأئمة عليهم السلام تجاه السلطات الحاكمة ، وهو الذي يفسر لنا ـ على تفصيل وتحقيق لا مجال له هنا ـ اعلان الامام الحسن عليه السلام الصلح مع معاوية . ورفض الامام الرضا عليه السلام ولاية العهد التي عرضها عليه المأمون . وهو السبب الذي ادى إلى الموقف السلبي للامامين العسكريين عليهما السلام اللذين نورخ لهما وهو الذي ادى ـ في نهاية المطاف ـ إلى غيبة الامام المهدي عليه السلام ، على ما سنعرف .

سفره إلى سامراء :

وشى عبد الله بن محمد الذي كان يتولى الحرب والصلاة بمدينة الرسول المنورة ،بالامام الهادي عليه السلام ، وكان يقصده بالاذى.فبلغ إلى الامام خبر وشايته ، فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد عليه ، وكذبه فيما سعى به [1] .

فنرى كيف ان عبد الله بن محمد يمثل الخط العام للدولة ، في الفزع من نشاط الامام وتصرفاته ، وكيف وصل به الحال إلى ان يرسل إلى المتوكل بخبره ، باعتباره حريصاً على مصالح الدولة ، ومنتبهاً على مواطن الخطر ؟! ولعله التفت إلى بعض النشاطات المهمة التي كان يقوم بها الامام بعيداً عن السلطات ، فاوجس منها خيفة حدت به إلى هذه الوشاية .

الا ان المتوكل كان يعلم بكل وضوح ، عدم امكان الحصول على أي مستند ضد الامام عليه السلام ، فان للائمة عليهم السلام، كما سبق ان قلنا اساليباً من الرمزية والاخفاء يمكنهم خلالها القيام بجملة من جلائل

---

١ - انظر الارشاد ص ٣١٣ .

الأعمال . لعل أهم دلائل الاخفاء ، هو تصديه إلى تكذيب الخبر برسالة يرسلها إلى المتوكل نفسه ، يكذب فيها التهمة ، وينفي عن نفسه صفة التآمر على الدولة. فان نشاطه كان مقتصراً في الدفاع عن قواعده الشعبية وتدبير أمورهم ، وليس له ضد الدولة أي عمل ، وان كان قد أوجب عمله توهم عبد الله بن محمد لذلك .

والمتوكل هو من عرفناه بموقفه المتزمت ضد الامام عليه السلام وكل من يمت اليه بنسب أو عقيدة.ولكنه يتلقى رسالة الامام(ع) بصدر رحب ، ويرسل له رسالة مفصلة كلها اجلال له واعظام لمحله ومنزلته . يعترف بها ببرائته وصدق نيته ويوعز بعزل عبد الله بن محمد عن منصبه بالمدينة ، ويدعى الاشتياق اليه ويدعوه ان يشخص إلى سامراء مع من اختار من أهل بيته ومواليه[1] .

وهذا الطلب ، وان صاغه المتوكل بصيغة الرجاء ، الا انه هو الالزام بعينه ، فان الامام عليه السلام ان لم يذهب حيث امره يكون قد اثبت تلك التهمة على نفسه واعلن العصيان على الخلافة ، وكلاهما مما لا تقتضيه سياسة الامام (ع) .

واما عام سفره هذا ، فقد ذكر في الارشاد[2] : ان الرسالة مؤرخة بجمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين ومائتين . وليس في هذا ما يلفت النظر لولا ما ذكره ابن شهر اشوب من ان مدة مقام الامام

---

١ – انظر نص الرسالة في الارشاد . الصفحة السابقة وما بعدها .

٢ – انظر ص ٣١٤

الهادي عليه السلام في سامراء من حين دخوله إلى وفاته ، عشرون سنة [1] . واذ نعرف انــه عليه السلام توفى عام ٢٥٤ [2] ، تكون سفرته هذه قبل عشرين عاماً من هذا التاريخ أي سنة ٢٣٤ . وهـذا انسب بالاعتبار السياسي ، باعتبار كونه بعد مجيء المتوكل إلى الخلافة بعامين ، فيكون المتوكل قد طبق منهجه في الرقابة على الامام في الاعوام الأولى من خلافته بخلافه على الرواية الثانية ، التي تبعد بالتاريخ عن استخلاف المتوكل أحد عشر عاماً . والله العالم بحقائق الأمور .

اعطى المتوكل رسالتـه إلى احـد صنائعه ، يحيى بن هرثمة ، ليسلمها إلى الامام في المدينة ، وامره باستقدامـه إلى سامراء . فأسمعه يقول في روايته للحادثة [3] : فلما صرت اليها ـ يعني المدينة المنورة ـ ضج أهلها وعجوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعت مثله . فجعلت اسكنهم واحلف لهم اني لم أؤمر فيه بمكروه ، وفتشت بيته ، فلم أجدفيه إلا مصحفاً ودعاء وما أشبه ذلك .

فنعرف من ذلك ، مدى اخلاص اهل المدينة لامامهم عليه السلام ، وحرصهم عليه ، ومدى تأثيره الحسن فيهم ، ولم يكن هـذا الضجيج الكبير منهم ، إلا لمعرفتهم بوضوح سوء نية السلطات تجاه الامـــام

---

١ – الناقب ج ٣ ص ٥٠٥ .

٢ – انظر الارشاد ص ٣٠٧ وابن الوردي ج ١ ص ٢٣٢ وابن خلكان ص ٤٣٥ ج ٢ والطبري ج ١١ ص ١٥٧ والعبر ج ٢ ص ٥ وابو الفداء ج ص ٢٥٤

٣ – انظر المروج ج ٤ ص ٨٤ وما بعدها

وابتغائها الدوائر ضده . فكان تاسفهم وتأوههم ناشئاً من امرين :

احدهما : انقطاعهم عن الامام عليه السلام ، وحرمانهم من ارشاداته والطافه ونشاطه الاسلامي البناء . وهذا ما اراده المتوكل ، وقد حصل بالفعل بسفر الامام ، فانه لم يعد إلى المدينة بعد ذلك .

الثاني : مخافتهم على حياته ، لاحتمال قتله عند وصوله إلى العاصمة العباسية . وهذا هو الذي فهمه يحيى بن هرثمة من الضجيج ـ وحاول ان لا يفهم غيره ـ فحلف لهم انه لم يؤمر فيه بمكروه .

ولم يثن الضجيج هذا الرجل عن غرضه السياسي في التجسس ففتش دار الامام ، بالمقدار الذي حلا له ، فلم يجد فيه أي وثيقة تدل على التمرد أو الخروج على النظام العباسي . وبذلك يكون المتوكل قد فقد أي مستمسك يؤيد ما سمعه عنه أو خافه منه . واستطاع الامام عليه السلام ان يحافظ على مسلكه العام في السلبية .

وخرج الامام الهادي عليه السلام ، مصاحباً لولده الامام العسكري وهو صبي ، مع ابن هرثمة متوجهاً إلى سامراء . وحاول ابن هرثمة في الطريق اكرام الامام واحسان عشرته . وكان يرى منه الكرامات والحجج التي تدل على توليه طرق الحق ، وتوضح لهذا الرجل جريمته في ازعاج الامام وزعزعته والتجسس عليه ، وجريمة من امره بذلك أيضاً .

ويمر الركب ببغداد ـ في طريقه إلى سامراء ـ فيقابل ابن هرثمة

واليها ـ بعد انتقال الخلافة عنها ـ وهو يومئـذ اسحاق بن ابراهيم الطاهري . وهو ، بمقتضى منصبه ، محل الثقة الكبرى من قبل المتوكل، بحيث جعله والياً على عاصمته الثانية وقائماً مقامه فيها . فنرى اسحاقـاً الطاهري يوصي بن هرثمة بالامام مستوثقاً من حياته قائلاً له : يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمتوكل من تعلم وان حرضته على قتله،كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك. فيجيبه يحيى : والله ما وقفت له الا على كل امر جميل [1] .

ونحن حين نسمع هذا الحوار بين هذين الرجلين اللذين يمثـــلان السلطات نفسها ويعيشان على موائدها ، نعرف كم وصل الحقد والتمرد على النظام القائم يومئذ ، وكيف أنه تجاوز القواعد الشعبية إلى الطبقة العليا الخاصة من الحكام ، مواضع ثقة الخليفة ومنفذي اوامره . كما نعرف مدى اتساع الذكر الحسن والصدى الجميل لافعال الامام وأقواله بين جميع الطبقات ، حتى بين الحكام انفسهم .

وحين يصل الركب إلى سامراء ، يبدأ ابن هرثمة بمقابلة وصيف التركي ، وقد عرفناه قائداً من القواد الاتراك المنتفعين بالوضع القائم، ممـن كان يشارك في تنصيب الخليفة وعزله ومناقشته في اعماله ويظهر من التاريخ ان وصيفاً كان هو الآمر رسمياً على ابن هرثمة ، ومن هنا قـال له وصيف : والله لئن سقطت من رأس هـذا الرجـل شعرة ، لا يكون المطالب بها غيري .

---

١ ـ مروج الذهب جـ ٤ ص ٨٥ .

يقول ابن هرثمة : فعجبت من قولهما ، وعرّفت المتوكل ما وقفت عليه وما سمعته من الثناء عليه ، فاحسن جائزته واظهر برّه وتكرمته [1] . وقد عرفنا مما سبق ان كل هذا الكرم الحاتمي ، على الامام عليه السلام ، لم يكن من أجل حفظ حق الامام ، وانما كان تغطية للمنهج السياسي الذي يريد المتوكل اتباعه ، وهو عزل الامام عن نشاطه وقواعده الشعبية والحذر مما قد يصدر منه من قول أو فعل .

ومن هنا نرى ، ان المتوكل أمر ان يحجب عنه الامام [2] في يوم وروده الأول إلى العاصمة العباسية . ونزل الامام في مكان متواضع يدعى بخان الصعاليك ، فقام فيه يومه [3] .

ومر عليه ، وهو في هذا الخان احد محبيه مقدري فضله ، صالح بن سعيد ، فاحزنه حال الامام عليه السلام ، فقال له : جعلت فداك ، في كل الامور ارادوا اطفاء نورك والتقصير بك حتى انزلوك في هذا الخان الأشنع ، خان الصعاليك .

ويسمع الامام (ع) ما قال،فيجيب وكأنه قد التفت بعد استغراق تفكير وانشغال بال : ههنا انت يا ابن سعيد .

ثم يريد الامام (ع) ان يفهم هذا المشفق بان الحال الدينوية ، وان

---

١ – المصدر والصفحة

٢ الارشاد ص ٣١٤ .

٣ – اعلام الورى ص ٣٤٨ وانظر الارشاد أيضاً نفس الصفحة السابقة .

كانت قد وصلت به نتيجة للظلم والعذر إلى هذا الحد المنحدر ، إلا ان ذلك مما يرفعه قدراً ويزيده جهاداً ، ويضيف إلى فضائله فضيلة . فهو لم يخسر شيئاً وانما الامة الاسلامية هي التي خسرته . وانه يعيش على الأنوار الروحية واللذائذ العلمية والنفحات القدسية ، فكأنه في روض الجنان . فيومىء الامام بيده ، ويقول : انظر . قال ابن سعيد : فنظرت فاذا بروضات انقات وانهار جاريات وجنات فيها خيرات عطرات وولدان كانهن اللؤلؤ المكنون ، فحار بصري وكثر تعجبي . فقال لي ، حيث كنا : فهذا لنا يا ابن سعيد ، لسنا في خان الصعاليك [1] .

---

١ – الارشاد ص ٣١٤ واعلام الورى ص ٣٤٨ .

نشاطه السياسي في المدينة :

إذا أردنا ان نلتفت إلى اعمال الامام عليه السلام ونوع نشاطه الاجتماعي والسياسي ، في المدينة المنورة ، قبل وروده إلى سامراء ، تواجهنا أمور ثلاثة :

احدها : موقفه العام الذي اوجب اثارة واليها عبد الله بن محمد ضده وايصاله الاذى اليه ، واوجب السعاية به إلى المتوكل ، ذلك الموقف الذي علمنا اطاره العام ، واستطاع الامام واضطر التاريخ إلى اخفاء تفاصيله .

ثانيها : موقفه من بغاالكبير حين ورد على رأس جيش إلى المدينة لمنازلة الاعراب المخربين ، وسيأتي التعرض له فيما بعد .

ثالثها : رواية تضمنت بعض تعليقات الامام عليه السلام على بعض الحوادث السياسية الجارية في ذلك الحين ، وهو عام ٢٣٢ أي قبل ذهابه إلى سامراء بعامين بالتاريخ الذي رجحناه .

وذلك : في آخر خلافة الواثق وآخر وزارة محمد بن عبد الملك الزيات وزيره ، حيث عذبه المتوكل بعد توليه كرسي الخلافة ـ بعد

الواثق ـ اشد العذاب حتى مات تحت التعذيب [١] . فقد سأل الامـام عليه السلام أحد القادمين إلى المدينة من العاصمة سامراء ، يدعى بخيران الساباطي ، سأله عن خبر الواثق . قال : فقلت : جعلت فداك، خلفته في عافية ، انا من اقرب الناس عهداً به . عهدي به منذ عشرة أيام ، فقال لي : أهل المدينة يقولون إنه مات، فقلت : أنا أقرب الناس به عهداً ، قال فقال لي : ان الناس يقولون انه مات . فلما قال لي : ان الناس يقولون ،علمت انه يعني نفسه .

ثم قال عليه السلام : ما حال جعفر ، يعني المتوكل . قلت : تركته أسوأ الناس حالاً ، في السجن ، قال : فقال لي : اما انه صاحب الأمر . وإلى هنا نرى الامام (ع) قد تنبأ بموت خليفة وقيام آخر ، بالرغم من ان وجود المتوكل في السجن دال على بعد توليه الخلافة لا محالة .

ثم قال : ما فعل ابن الزيات ؟ قلت : الناس معه الامر امره . فقال : اما أنه شؤم عليه . يشير إلى موته تحت التعذيب بيد الخليفة الجديد ، جعفر المتوكل .

ثم اراد الامام عليه السلام ، ان يربط هذه الحوادث بقدرة الله وعلمه ، فقال للراوي : لا بد ان تجري مقادير الله واحكامه . ياخيران مات الواثق وقعد جعفر المتوكل ، وقد قتل ابن الزيات . فيسأله الراوي : متى جعلت فداك . فقال بعد خروجك بستة أيام [٢] .

---

١ ـ الكامل جـ ٥ ص ٢٨٠ .

٢ ـ الارشاد ص ٣٠٩ وانظر الفصول المهمة ص ٢٩٦ واعلام الورى ص ٣٤١ . ونور الابصار ص ١٦٥ .

وهنا لا بد ان نلاحظ امرين :

احدهما : ان الامام قد صرح بهذه الحقائق ، حين الامن من التصريح ، بزوال اصحابها عن الحكم . أما المتوكل الذي تولى الحكم ، فليس في كلام الامام ما يشعر بالطعن فيه ، لكي نعتبره نقداً سياسياً خارجاً عن الاسلوب العام للسلبية .

ثانيهما : ان الامام صرح بذلك بعد أربعة ايام من وقوعه ، وهي مدة لم تكن في تلك العصور كافية لتلقي الاخبار عادة . ولذا كان الراوي متأكداً من انه اقرب الناس عهداً بالوضع السياسي . فمن هنا يرجح ان يكون الامام قد اطلع على ذلك بنحو غيبي ، في زمان لم تكن الوسائل الحديثة بمتحققة في الوجود .

سلبية الامام تجاه الأحداث :

وقد عاصر الامام الهادي (ع) في سامراء بقية أيام المتوكل ، وهي حوالي اربعة عشر سنة، إلى ان قتله الأتراك عام ٢٤٧ ، ثم أيام المنتصر ثم المستعين ثم قسماً من خلافــة المعتز ، حيثتوفي الامام (ع) عام ٢٥٤ ، واما المعتز فقد خلعه الأتراك عام ٢٥٥ كما عرفنا .

وقد تتابعت في خلال هذه الأعوام من الحوادث ما لا يحصى ، مما عرفناه فيما سبق ومما لم نعرفه . ولعل أهم ما عرفناه هو حصار بغداد والقتال الذي وقع فيها بين المستعين والمعتز . والذي ادى إلى تولي الأخير كرسي الخلافة ، وخلع الأول نفسه عام ٢٥٢ .

كما أن هناك نشاط الخوارج الذي كان يومئذ قويا فعالاً مدعماً بالمال والسلاح ، بقيادة مساور الشاري . وهنــاك الثورات والانتفاضات العلوية وغيرها ، وهناك الفتوح والحروب الاسلاميــة على الحدود ، في الاندلس وسميساط وغيرها . وحروب في داخــل الدولة بين مختلف الطامعين في القيادة والظهور ، وهناك تغير الوزارات والقضاة وهناك الحالة الاقتصادية ، بما فيها مشاكل وتبذيرات البلاط والوزراء

والحاشية . وهناك موقف المتوكل من العلويين وهدمه لقبر الحسين عليه السلام ، إلى غير ذلك من الحوادث مما لا يكاد يحصى .

ولم يرد الينا تجاه ذلك ، أي تعليق من قبل الامام الهادي (ع) على أي واحد من هذه الحوادث ، مهما عظمت اهميته ، بل يمكن ان يقال بشكل تقريبي انه لم يرد الينا من موقف الامام (ع) مع الخلفاء ــ غير المتوكل ــ إلا أقل القليل .

وقد عرفنا فيما سبق الأسباب التفصيلية التي حدت بالامام إلى اتخاذ موقف السلبية تجاه الاحداث . على اننا يمكن أن نضيف إلى تلك العوامل ما يلي :

اما بالنسبة إلى علاقة الامام بالخلفاء ، فتتحكم فيها العوامل الثلاثة الآتية :

العامل الأول ما عرفناه من ضعف مركز الخلافة وسقوط هيبتها عن أعين الناس ، وخروج الأمر من يد الخليفة إلى زمرة من القواد الأتراك والموالي البعيدين كل البعد عن الاسلام وذكر الله تعالى . حتى استطاعوا ان يعزلوا الخليفة وينصبوا الآخر ، بما فيهم المتوكل نفسه ، وان استطاع ان يفك نفسه من هذا الأسر إلى حد ما فيقوم ببعض النشاط الاجتماعي ويبقى في الملك مدة كافية .

أما غير المتوكل من الخلفاء ، ممن وردوا إلى الحكم بعده ، فقد ازداد تقوقعه على نفسه وبطره وانصرافه عن شؤون الناس ، إلى اللهو

واللعب ، فلم يكن لديهم الادراك الكافي للمسائل الاجتماعية حتى ينظروا إلى الامام عليه السلام ، أو يكونوا معه علاقة خاصة واتجاهاً معيناً ، سوى الاتجاه العام الذي رسمه اسلافهم .

الأمر الثاني : ما عرفناه من ان المتوكل كان من متطرفي بني العباس ، في عداوة أهل البيت عليهم السلام ومواليهم . وفعل في ذلك ما لم يفعله غيره . وكان من آثار ذلك جلبه الامام الهادي (ع) إلى سامراء لزيادة مراقبته والحجر عليه ، ومعرفة جميع مستويات أعماله ، وهو مما يعكس حذراً وتوجساً في أعمال الامام (ع) لا محالة ، مضافاً إلى ما قد يريده الامام بسلبيته ، من اعلان الاحتجاج الصامت على تلك الأعمال النكراء .

على حين ان ابنه المنتصر حين تولى الخلافة بعد ابيه ، ألان مسلكه مع أهل البيت واظهر الميل اليهم ؛ فكان ان خف الضغط على الامام (ع) واصحابه ومواليه ، إلا ما كان من اتجاه الخط العام الضروري لحفظ أساس الدولة العباسية ، وكان نتيجة لذلك أقل خوفاً من غيره ، من انتفاض العلويين عليه .

الأمر الثالث : ان المتوكل كان يشعر بمسؤولية خاصة تجاه الامام عليه السلام ، باعتبار ما جعجع به من بلده واقلق حياته الخاصة والعامة . ولم يكن هذا الشعور بالمسؤولية ليؤثر في مثل حقد المتوكل ، باكرام الامام حقيقة ، والا فقد كان الخليق به ان يطلق له حريته ، وهو ما لا يريده المتوكل أن يكون ، وانما الشيء الذي انتجه هذا

الشعور بالمسؤولية أو تحسس الاثم ، هو ان الامام أصبح مركز انتباه المتوكل ومحور نشاطه ، فكان يجلسه في مجالسه ويركبه في مراكبه على ما يأتي توخياً إلى الامن منه وكفكفة نشاطه .

واما بالنسبة إلى عدم تعليق الامام عليه السلام على كثير من الأحداث، الداخلية والخارجية ، فلو غضضنا النظر عن العوامل التي ذكرناها في المقدمة ، وقلنا ان عدم الوجدان يدل على عدم الوجود ـ وهذا ما ننكره جزماً باعتبار ظروف النقل التاريخي التي عرفناها ـ فمن الممكن القول : ان هذه السلبية كانت نتيجة طبيعية، لانعزاله التام عن الشؤون السياسية :

فاننا نعلم ، من النظر في احوال زماننا وكل زمن ، ان من يعلن عن آرائه السياسية ، هو أحد شخصين أو جهتين :

احدهما : الشخص أو الجهة التي تمارس الحكم فعلاً ، فهي مسؤولة ـ لكي توضح موقفها من الأحداث ـ ان تعلن عن رأيها السياسي فيها، حتى يكون هو الميزان أمام الناس والتاريخ ، في تقييم هذا الحكم ، ولكي تعطي المبررات المنطقية لاجل نشاط معين في مصلحة أو ضد أمر سياسي أو اجتماعي معين .

ثانيهما : الشخص أو الجهة التي تطمع بتولي الحكم في يوم من الايام ولا يكون محجوراً عليها أو محدداً سلوكها ، من جهة قاهرة . فهي تعلن أمام الملأ آراءها السياسية ومبادءها الاجتماعية ، لكي تحاول اقناع

الجمهور بها ، فتجتلب بذلك المؤيدين والمناصرين ، ليكونوا عوناً لها في معركتها السياسية التي تنشدها .

اما الذي لا يكون متصفاً باحد هذين الصفتين ، مهما كان فرداً عظيماً ووجيهاً ، أو ذو جهة نافذة قوية على الصعيد السياسي ، فليس من الضروري أو المتوقع أن يعلن عن آرائه السياسية .

والامام لم يكن يمارس الحكم ، كما هو معلوم ، ولم يكن ممن يطمع بالحكم في ذلك العصر المنحرف غير الواعي ، كما قلنا . على انه لو كان مريداً ذلك في ضميره ، فقد كان مراقباً محجوراً ، ، تعد عليه أفعاله وأقواله . ومعه لا امل له في الحكم عادةً . اذن فقد كان الامام عليه السلام من الناحية السياسية ، فرداً عادياً من الامة ، وانه اراد ذلك لنفسه ، بحسب ما رآه من المصلحة ، بالرغم من انه من الناحية الدينية الامام والقائد والمثل الأعلى لمحبيه ومواليه .

ولم يكن له عليه السلام ، من امره يومئذ إلا الفتوى والجواب على السؤال الذي يتلقاه ، لو وجد مصلحة في الاجابة . ومن الواضح ان شخصاً من صانعي الأحداث في ذلك العصر لم يسأله عن عمل من أعماله، ليأخذ بمشورته ورأيه . فلا يبقى لدينا إلا احتمال ان أصحابه كان لهم الوعي الواسع ، وكانوا يسألون أمامهم عن آرائه السياسية ، وكان يجد مصلحة في جوابهم ، فيجيبهم . وهذا الاحتمال وان كان له ما يبعده ،

الا ان حدوث مثل ذلك ، في ذلك الظرف العصيب ، لم يكن ليصل الينا أكثر مما وصل منه فعلاً .

مضافاً ، إلى ان جملة من الأحداث ، كان في مستطاع أصحاب الامام عليه السلام واعدائه ، كما في مستطاع المؤرخ اليوم ، استنتاج رأيه فيها ، بصفته الوجود الممتد لرسول الله (ص) والممثل للقواعد الاسلامية الصحيحة. فنحن لا نحتاج إلى مزيد تفكير حين نريد معرفة رأيه باشخاص الخلفاء أو سلوكهم المنحرف أو الوزراء أو القواد ، ونشاطهم غير القائم على أساس العدل الاسلامي ، أو رأيه في الخوارج أو في هدم قبر جده الحسين عليه السلام ومنع الزوار عنه . فان كل ذلك مما يرفضه رفضاً باتاً ويستنكره أشد الاستنكار . وكذلك الحروب والمناوشات التي كانت تقع في داخل البلاد الاسلامية ، قائمة على الطمع والتوسع . وكذلك تنصيب القضاة غير الاكفاء بنظر الامام (ع) وجميع ما يصدرون من أحكام .

اما بالنسبة إلى حروب المسلمين مع الاغيار في الحدود الاسلامية ، فمن المستطاع القول بموافقته عليها ، باعتبارها القضية التي تخص الاسلام ، الذي يمثل الامام حقيقته وجوهره . ولو كان الجهاد في ذلك الزمان في سبيل الله محضاً ـ كما كان على عهد رسول الله (ص) ـ لكان الامام أول المبادرين إلى تأييده ، ولكننا اسلفنا في التاريخ العام ان فكرة الجهاد انحدرت في الازمان المتأخرة إلى التجارة والمساومة ، فلم

تكن هذه الناحية ، من الجهاد ، بمرضية للامام عليه السلام ، وبخاصة وان الأموال المغتنمة ، لم تكن تصرف في مصلحة الدين والامة ، وانما كانت : في الأغلب ، تصرف في الشؤون الخاصة للحكام .

وانما الذي يكون مرضياً للامام عليه السلام ، هو نتيجة الجهاد وهو سقوط المنطقة الكافرة بيد المسلمين ، ودخولها في بلاد الاسلام وخلاصها من حكم الكفر أو الالحاد .

الخطوط العامة لمواقف الامام (ع):

كان الامام الهادي عليه السلام في سامراء يمارس وظيفته الاعتيادية بصفته الامام والقائد لمواليه والمشرف على مصالحهم والمدافع عن عن قضاياهم بمقدار الامكان، في تلك الحدود الضيقة التي تحدد بحدود الضغط والرقابة الموجهة اليه وإلى مواليه.

فكان له في ذلك موقفان:

الموقف الأول: اثبات الحق أو نقد الباطل، بحسب وجهة نظره، تجاه الناس من غير الموالين له؛ سواء على المستوى العالي في الجهاز الحاكم، أو على مستوى القواعد الشعبية العامة.

الموقف الثاني: المحافظة التامة على أصحابه ورعاية مصالحهم وتحذيرهم من الوقوع في الشرك العباسي، ومساعدتهم في اخفاء نشاطهم، وما إلى ذلك، بحسب الامكان.

ولعلنا نستطيع ان نتكلم في كل موقف من هذين الموقفين، بما يوضح الفكرة ويبسط الامثلة التاريخية، ويؤسس الاساس لما نريد التوصل اليه في نهاية المطاف، من دون ان نكون مضطرين إلى ذكر

كل شاردة وواردة في ترجمته عليه السلام .

الموقف الأول :

نشاطه (ع) تجاه من لا يعتقد بامامته :

ويتجلى هذا الموقف في عدة نقاط :

النقطة الأولى : النقد السياسي على المستوى الاعلى وهو ما يعبر عنه بلغة الفقة ، انها كلمة حق أمام سلطان جائر .

ولعل أول وأوضح ما يندرج في هذا الصدد ، ما ذكره جماعة من المؤرخين العامة والخاصة ، من انه سعى به (ع) إلى المتوكل ، وقيل ان في منزله سلاحاً وكتباً ، وغيرها من شيعته واوهموه انه يطلب الأمر لنفسه فوجه اليه عدة من الاتراك ليلاً ، فهجموا على منزله على غفلة ، فوجدوه وحده في بيت مغلق وعليه مدرعة من شعر ، وعلى رأسه ملحفة من صوف ، وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى ، فأخذ على الصورة التي وجد عليها ، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل .

فمثل بين يديه والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كأس ، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه ، ولم يكن في منزله شيء مما قيل عنه ولا حجة يتعلل بها .

فناوله المتوكل الكاس الذي في يده . فقال : يا أمير المؤمنين ما

خامر لحمي ودمي قط ، فاعفني ، فاعفاه . وقال : انشدني شعراً استحسنه . فقال : اني لقليل الرواية للشعر . قال : لا بد ان تنشدني شيئاً . فانشده :

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم ... غلب الرجال فما اغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... فاودعوا حفراً يابئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الاسرة والتيجان والحلل

اين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الاستار والكلل

فافصح القبر عنهم حين ساءلهم : ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طال ما أكلوا دهراً وماشربوا ... فاصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا

قال : فاشفق من حضر على علي (ع) وظن ان بادرة تبدر اليه فبكى المتوكل بكاء كثيراً حتى بلت دموعه لحيته ، وبكى من حضره ثم امر برفع الشراب . ثم قال : يا ابا الحسن ، أعليك دين ؟! قال : نعم ، أربعة آلاف دينار . فامر بدفعها اليه ، ورده إلى منزله مكرماً [1] .

ولعلنا نستطيع أن نفهم من هذه القصة ، عدة امور :

الاول : مقدار الجو المكهرب الذي كان يعيشه الامام (ع) تجاه

---

١ - انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٤٣٤ ، وابو الفداء ج ١ ص ٤٧ وابن الوردي ج ١ ص ٢٣٢ والمسعودي في المروج ج ٤ ص ١١ .

السلطات ، وكيفية معاملتهم معه ، تلك المعاملة التي كان للاتراك اليد الكبرى في ارتكابها وتحمل جريرتها .

الثاني : ان الامام هو الذي أراد عن علم وعمد ان يكون في جوف الليل ، على الحالة التي رأوه عندها . فقد علم بنحو غيبي أو بطريق خاص ، بمثل هذا الهجوم المفاجيء . فاخفى مستنداته بنحو تام وبدأ بقراءة آيات في الوعد والوعيد ، مما يكون حجة على هؤلاء الأتراك المهاجمين . وان تخيل الحكام والمؤرخون أيضاً ان القيام بهذه العملية كان على حين غرة منه وغفلة .

الثالث : ان الامام اعطى لهذا المقام مقاله ، بالنحو الذي لا يكون مهدداً مباشرة للكيان القائم ، مع كونه واقعاً موقع التأثير البالغ ، لكونه تذكيراً بالموت والعقاب في وقت التلبس بعصيان أوامر الله تعالى . وكان له من الشمول لكل موقف سياسي أو شخص منحرف ، ما يكفي لمتعظ .

الرابع : ان المتوكل كان في لا شعوره وفي مرحلة غامضة من بواطن نفسه ، يعترف بامرين أولهما : ان الحق في جانب الامام ، وان قضيته عادلة ، ثانيهما : ان ما يقترفه من الأعمال ، انحراف عن الاسلام وعصيان لأوامر الله المتفق على ثبوتها بين المسلمين ، فهو يحس بوقع الجريمة ووخز الضمير . إلا ان كلا من هذين الاحساسين تغطيها اغشية المال والملك والمصالح الشخصية ، الذي جعلته في قمة المنحرفين والمعادين لأهل البيت .

وعلى أي حال فقد استطاع الامام أن يمس بانشاده بواطن احساسه، فابكاه ونجا من الشر والضرر الذي كان يحاوله ضده ، بل زاد المتوكل على ذلك باعطائه المال وصرفه إلى منزله معززاً مكرماً .

* * *

ومن مثل هذا الموقف ما كان من الامام (ع) مع أحمد بن الخصيب، ومن هو ابن الخصيب ؟! هو الذي استوزره المنتصر وندم على ذلك[1] وذلك لأن ابن الخصيب كان ضيق الصدر بطيئاً في حوائج الناس ظالماً ، ومن ذلك انه ركب ذات يوم فتظلم اليه متظلم بقصه ، فاخرج رجله من الركاب فزج بها في صدر المتكلم فقتله فتحدث الناس في ذلك. فقال بعض الشعراء في اثر ذلك :

قل للخليفة يا ابن عم محمد   اشكل وزيرك انه ركال
اشكله عن ركل الرجال فان ترد   مالا فعند وزيرك الأموال[2]

وقد شارك جماعة الأتراك في تنصيب المستعين بعد المنتصر[3] ، ولكن المستعين نفاه عام ٢٤٨ إلى اقريطش (اليونان)[4] .

ورد ان الامام عليه السلام كان يساير احمد بن الخصيب هذا ؛ في

---

١ - المروج ج ٤ ص ٤٨ .
٢ - المصدر والصفحة .
٣ - الكامل ج ٥ ص ٣١١ والمروج ج ٤ ص ٤٨
٤ - الكامل ص ٣١٢ . المروج ج ٤ ص ٦١ .

اثناء وزارته ، وقد قصر ابو الحسن عنه ، فقال له ابن الخصيب : سر جعلت فداك . فقال له ابو الحسن (ع) : انت المقدم . يقول الراوي: فما لبثنا إلا أربعة ايام حتى وضع الدهق عـــلى ساق ابن الخصيب ، وقتل[1] .

فهذا من النقد الضمني ، والقاء الحجة ، على هذا الوزير المنحرف، من حيث لا يعلم ، ولكن الامـام (ع) قال له قولا صريحاً ، نتيجة لاعتدائه عليه والحاحه في الانتقال من الدار التي قد نزلها وتسليمها اليه. قال الراوي : فبعث اليه أبو الحسن : لا قعدن بك من الله مقعداً لا تبقى لك معه باقية ، فأخذه الله في تلك الأيام . وهذه هي دعوة المظلوم المستجابة ، وخاصة في مثل شأن هذا الامام الممتحن (ع) .

ومن موارد اثبات الحجة على المستوى الحكرمي العالي ، ما ورد بشكل مشهور عن زرافة حاجب المتوكل ، ما حاصله : ان مشعوذاً هندياً أراد ان يأنس المتوكل بلعبه . وكان الامام (ع) حاضراً في المجلس فاراد الهندي أن يخجله ببعض شعوذاته ، ووجد من المتوكل رغبة في ذلك. فما كان من الامام إلا ان اشار إلى صورة أسد مرسومة على احدى الوسائذ فوثبت الصورة على شكل أسد حقيقي فافترس الهندي المشعوذ وعاد إلى شكله الأول على الوسادة .

قال الراوي : فتحير الحاضرون ، ونهض علي بن محمد (ع) فقال

---

١ - الارشاد ص ٣١١ . والمناقب ص ٥١١ ج ٣ .

له المتوكل : سألتك بالله الا جلست ورددته . فقال : والله لا يرى بعدها اتسلط أعداء الله على اوليائه ، وخرج من عنده . ولم ير الرجل بعدها [1] .

النقطة الثانية ـ اثبات الحجة على المستوى الشعبي العام :

وذلك : بالنحو الذي لا ينافي السلبية والحذر ، من السلطة القائمة . وذلك : على أحد مستويين ـ احدهما : المستوى الشخصي والآخر : المستوى الجماعي .

المستوى الأول : اثبات الحق واقامة الحجة تجاه أشخاص باعيانهم . مثل موقف الامام تجاه ذلك النصراني الذي جاء دار الامام حاملاً اليه بعض الأموال . وبمجرد ان وصل أمام الدار خرج اليه خادم أسود . فقال له : انت يوسف بن يعقوب . قال : نعم . قال : فانزل . واقعده في الدهليز ، فتعجب النصراني من معرفته لاسمه واسم ابيه ، وليس في البلد من يعرفه ، ولا دخله قط ، ثم خرج الخادم فقال : المئة دينار التي في كمك في الكاغذ،هاتها . فناولها اياه . وجاء فقال : ادخل ، فدخل ، وكان الامام وحده . فطالبه الامام (ع) بالاسلام والرجوع إلى الحق نتيجة للآيات التي رآها بقوله يا يوسف . ما آن لك ؟! فقال يوسف : يا مولاي ، قد بان لي من البرهان ما فيه كفاية لمن اكتفى . فقال : هيهات انك لا تسلم . ولكنه سيسلم ولدك فلان ، وهو من

---

١ ـ كشف الغمة ج ٣ ص ١٨٤ .

شيعتنا . يا يوسف ان اقواماً يزعمون ان ولايتنا لا تنفع أمثالك . كذبوا والله ، انها لتنفع . امض فيما وافيت له ، فانك سترى ما تحب . قال الراوي : فمضيت إلى باب المتوكل فنلت كل ما أردت وانصرفت [1] .

وعلى هذا المستوى موقف الامام (ع) تجاه سعيد بن سهل البصري المعروف بالملاح ، الذي كان واقفياً ، فقال له الامام (ع) ، إلى كم هذه النومة امالك ان تنتبه منها . قال : فقدح في قلبي شيئاً وغشي علي وتبعت الحق [2] .

انظر إلى هذه الرمزية التي استعملها الامام (ع) في كلامه ، بحيث لم يكن يصلح لفهمه إلا المخاطب ، وبذلك أدخله في مواليه وقواعده الشعبية ، بعد ان كان حائداً عنه . إلى غير ذلك من الامثلة التي نكتفي منها بما نقلناه .

المستوى الثاني : اثبات الحق أمام جماعة أو جماعات ، عند سنوح الفرصة وتنجز المسؤولية : بشكل هادىء ليس فيه تحد للوضع القائم ، أو مقابلة لخط الحكام .

فمن ذلك : انه كان لبعض أولاد الخلفاء وليمة دعا اليها الامام

---

١ - كشف الغمة ج ٣ ص ١٨٣ .

٢ - المناقب ج ٣ ص ٥١١ .

الهادي عليه السلام . فلما رأوه انصتوا إجلالاً له . وجعل شاب في المجلس لا يوقره ، وجعل يلفظ ويضحك،يدعوه إلى ذلك تجاهل وجود الامام والتهوين من شانه أمام جماعة المدعوين . فقال الامام له : ما هذا الضحك ملء فيك ، وتذهل عن ذكر الله ، وانت بعد ثلاثة أيام من أهل القبور . فكف عما هو عليه . وكان كما قال [1] حيث مات الشاب في الموعد المحدد . ولم يكن على أحد من المدعوين ، الا ان يعرف موعد مدته ، ليعرف حق قول الامام عليه السلام .

ومن ذلك : ان السلطان خرج في يوم من أيام الربيع ، الا انه صائف ، والناس عليهم ثياب الصيف . اما الامام (ع) فعليه لباد وعلى فرسه ثوب يحميه المطر ، وقد عقد ذنب فرسه . والناس يتعجبون منه ويقولون: ألا ترون إلى هذا المدني ، وما قد فعل بنفسه . قال الراوي : فلما خرج الناس إلى الصحراء لم يلبثوا ان ارتفعت سحابة عظيمة ، هطلت . فلم يبق أحد الا ابتل حتى غرق بالمطر . وعاد عليه السلام ، وهو سالم في جميعه [2] . وهنا كان يكفي كل واحد من هؤلاء ، قليلا من الالتفات ليروا كرامة الامام عليه السلام .

وهنا نلاحظ ان مشاركة الامام (ع) لموكب السلطان في الخروج إلى الصيد ـ وهو لهو كان مفضلاً عند الخلفاء والوزراء في تلك

---

١ ـ المناقب ج ٣ ص ٥١٧ .

٢ ـ المصدر السابق ص ٥١٦ .

العصور ـ ناتجة في الحقيقة عما عرفناه من سياسة الخلافة العباسية في حجز الامام (ع) في بوتقة البلاط، وعزله عن قواعده الشعبية ونشاطه البناء ، لكي يكون دائماً تحت الرقابة والنظر .

النقطة الثالثة ـــ جهاده العلمي :

ذلك الجهاد الذي كان يقوم به عليه السلام ، لكي يثبت حقاً أو يدفع باطلاً، أو يجيب عن استفتاءات الخليفة له ، أو يدفع تحديه عنه .

اما ما كان من اثبات الحق محضاً ، من دون أن يكون مسبوقاً بتحد أو ازعاج . فمنه ما اجاب به عليه السلام عن سؤال الاهوازيين حين سالوه عن الجبر والتفويض . وهو بيان مطول بدأه بمقدمة حول اثبات الامامة طبقاً للمفهوم الحق الذي يعتقده ، وأتبعه بالجواب الصحيح عن الامر بين الامرين[1] .

ومنه ما أجاب به أحمد بن اسحاق حين سأله عن الرؤية وما فيه الخلق[2] .

وأما ما كان من دفعه للباطل ، بعد اشتباه المسالة والتردد فيما هو الحق عند البعض ، فمنه ما تكلم بـه عليه السلام مع فتح بن يزيد الجرجاني ، لازالة بعض الشبهات الواردة في ذهنه[3] وما رد بـه على

---

١ - انظره في الاحتجاج ج ٢ ص ٢٥١ وما بعدها .

٢ - انظره في المصدر والصفحة .

٣ - انظره في المصدر ص ٢٦٠ .

رجل عباسي حين عز عليه تقدم الامام عليه ، مع اعتقاده انه اشرف منه نسباً !! [1] .

* * *

واما المتوكل واستفتاءاته وتحدياته للامام عليه السلام ، فهو كثير، فان المتوكل في الوقت الذي يعوزه الفقه في عدد من الوقائع ، يضطر إلى الرجوع إلى الامام لتذليل ما يواجهه من عقبات . ولكنه كان يمزج استفتاءاته بالتحدي ، فيسأل عن الحكمة أو الدليل بقصد الاحراج لا بقصد الفهم الصحيح ، على ما سنعرف . وكان الامام (ع) يجيبه بالشكل الذي يراه مناسباً مع فهمه وفهم الحاضرين ، وموافقاً للمصلحة مع كونه مثبتاً للحق في نفس الوقت .

فمن ذلك انه قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة ، فأراد ان يقيم عليه الحد ، فاسلم . فقال يحيى بن أكثم ـ وهو قاضي القضاة يومئذ ـ قد هدم ايمانه شركه وفعله . وقال بعضهم يضرب ثلاثة حدود . وقال بعضهم يفعل به كذا وكذا .

فلما رأى المتوكل هذا الاختلاف بين الفقهاء . أمر بالكتابة إلى ابي الحسن العسكري الامام الهادي عليه السلام ، لسؤاله عن ذلك . فلما قرأ الكتاب كتب عليه السلام : يضرب حتى يموت . فانكر يحيى

---

١ ـ انظر الاحتجاج ج ٢ ص ٢٦٠ .

وانكر فقهاء العسكر : سامراء ـ ذلك . فقالوا : يا أمير المؤمنين ، سله عن ذلك فانه شيء لم ينطق به كتاب ولم يجيء به سنة .

فكتب اليه : ان الفقهاء قد انكروا هذا . وقالوا : لم يجيء به سنة ولم ينطق به كتاب . فبين لنا لم أوجبت علينا الضرب حتى يموت . فكتب عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم : فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ، وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا [1] . فأمر به المتوكل ، فضرب حتى مات [2] .

ونستطيع ان نفهم من ذلك ، بوضوح ، امرين :

الأول : ان المتوكل بالرغم من افتقاره إلى الرجوع إلى فتوى الامام عليه السلام لحل معضلته ، لم يكن على استعداد لتنفيذ ما أمره الامام إلا بعد مراجعته والتأكيد عليه في طلب الدليل .

الثاني : اننا نفهم من سياق الآية التي استشهد بها الامام ، طريقة فهمه عليه السلام للموقف ، وهو : ان الاسلام الذي اظهره هذا النصراني ليس ايماناً صحيحاً ، وانما هو لقلقة لسان اظهرها للتهرب من اقامة الحد والنجاة من العقاب . وكل من اظهر الايمان خوفاً من العدل الالهي ، لا يكون الايمان نافعاً له ، ويكون مستحقاً لمثل هذا العقاب الذي أمر به عليه السلام .

وقد يكون موقف المتوكل تجاه الامام موقف التحدي صرفاً ،

---

١ – المؤمن ٨٤ – ٨٥ .

٢ – المناقب جـ ٣ ص ٥٠٩ .

لا لأجل الحاجة إلى تطبيق الفتوى ، ولا لأجل الحاجة إلى فهم الحق في المسألة ، ولا لأجل اثبات جدارة الامام عليه السلام توخياً للايمان به ؟ بل لمجرد التحدي . فمن ذلك ان المتوكل يقول لابن السكيت : أسأل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي ! فيسأله ابن السكيت عن بعض ما يراه صعباً ومشكلاً ، فيخرج الامام (ع) ظافراً من هذا التحدي ، ويجيب بما هو الحق الصريح. وإذ ينتهي الكلام مع ابن السكيت يبتدر يحيى بن اكثم ، فيقول : ما لابن السكيت ، ومناظرته ، وانما هو صاحب نحو وشعر ولغة ؛ ورفع قرطاساً فيه مسائل ، فأملى علي بن محمد عليه السلام ، على ابن السكيت جوابها [1] .

انظر إلى تعليق ابن اكثم حين قرأ جواب الامام ، تجده قد تخوف من عمق اجوبته ودقة علمه ، من أن يشارك في الدعاية له وتأكيد صدق قضيته ، وبالنهاية توسيع وتقوية قواعده الشعبية ؛ قال يحيى ابن اكثم للمتوكل : ما تحب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه . وانه لا يرد عليه بشيء بعدها إلا دونها . وفي ظهور علمه تقوية للرافضة [2] .

فهذه عدة نقاط من الموقف الأول للامام في العاصمة العباسية .

* * *

---

١ - المناقب ج ٣ ص ٥٠٧ .

٢ - المصدر ص ٥٠٩ .

الموقف الثاني :

موقفه مع أصحابه ومواليه .

وهو ما يرجع إلى المحافظة عليهم وحمايتهم من الانحراف ومن الارهاب العباسي . ومساعدتهم على قضاء حوائجهم بحسب الامكان . ويندرج في هذا الموقف عدة نقاط :

النقطة الأولى :

حماية أصحابه وذويه من الانحراف ، وبيع الضميرللحكام بارخص الاثمان .

ولعل اهم واوضح موقف وقفه الامام (ع) في هذا الصدد ، موقفه في ردع اخيه موسى بن محمد بن علي بن موسى على آبائه الصلاة والسلام ، عن الاجتماع مع المتوكل في المجلس الذي كان يريده المتوكل له ، وهو مجلس اللهو والشراب ، ليتوصل بذلك إلى هتك اخيه الامام الهادي عليه السلام ، والتشهير به . ولكن الله تعالى اتم نوره ، ولم يتوصل المتوكل إلى مقصوده .

فان المتوكل ، تحت سورة من الحقد والغضب ، قال لأصحابه في بعض مجالسه : ويحكم قد أعياني أمر ابن الرضا [1] وجهدت ان يشرب معي وان ينادمني ، فامتنع ، وجهدت ان اجد فرصة في هذا المعنى فلم اجدها. فقال له بعض من حضر المجلس : ان لم تجد من ابن الرضا ما تريده من هذا الحال ، فهذا اخوه موسى قصاف عزّاف ، ياكل

---

١ - يعني الامام الهادي عليه السلام .

ويشرب ويعشق ويتخالع ، فاحضره واشهد به . فان الخبر يشيع عن ابن الرضا بذلك . فلا يفرق الناس بينه وبين اخيه . ومن عرفه اتهم اخاه بمثل فعاله .

وجاء هذا الاقتراح مناسباً مع اتجاه المتوكل وبلسماً على جرح قلبه . فامر باستقدامه إلى سامراء مكرّماً ، وأمر له باستقبال فخم يحضر فيه جميع بني هاشم والقواد وجماهير الناس . وكان عازماً على أنه إذا قدم اقطعه ارضاً وبنى له فيها ، وحول اليها الخمارين والقيان ـ أي الجواري والمغنيات ـ وأمر بصلته وبره . وزاد على ذلك ـ لأجل تحقيق غرضه ـ ان افرد له منزلاً سرّياً يصلح ان يزوره فيه .

وإلى هنا ، حاول المتوكل ، بسلطته على شؤون الدولة، ان تكون مؤامرته على هتك الامام بواسطة التشهير باخيه ، تامة . إلا ان ذلك مما لا يمكن أن يفوت الامام خبره ، ولا يمكن ان يتغاضى عنه . لأنه هو المقصود بالذات ، في هذا التخطيط ،والعمل ضده عمل ضد الدين وضد سيد المرسلين ، باعتبار انه يعتقد انه الممثل الأساسي الاكمل لهذا المبدأ المقدس ، فوقف الامام (ع) ضد هذه المؤامرة موقفه الحاسم .

خرج عليه السلام مع المستقبلين ، فتلقى اخاه في قنطرة وصيف، وهو موضع يتلقى فيه القادمون . فسلم عليه ووفاه حقه . ثم جاء دور تحذيره من المؤامرة وتنبيهه على ما ينبغي ان يتصرف ، بالنحو الذي يقتضيه رضاء الله تعالى وتعاليم الاسلام . فقال له الامام : ان هذا

الرجل[1] قد احضرك ليهتكك ويضع منك ، فلا تقر له انك شربت نبيذاً قط . واتق الله يا اخي ان ترتكب محظوراً . فقال له متجاهلاً : وانما دعاني لهذا ، فما حيلتي . قال له الامام (ع) : فلا تضع من قدرك ولا تعص ربك ولا تغفل ما يشينك ، فما غرضه إلا هتكك .

وهنا بدأ الاعراض والتشكيك من موسى اخيه ، إذ لعله كان يحسن الظن بالمتوكل وينكر مؤامرته ، أو لعله يدركها وليس لديه منها مانع ، بالرغم مما فيها من الهتك له ولأخيه ولدينه. فكرر عليه أبو الحسن القول والوعظ ، وهو مقيم على خلافه . فلما رأى أنه لا يجيب، وجد الامام عليه السلام أن آخر الدواء الكي ، وانه لا بد ان يقول قوله الحاسم ، مستمداً من وراء الغيب ، فقال له : اما ان المجلس الذي تريد الاجتماع معه عليه لا تجتمع عليه انت وهو أبداً .

ثم انظر كيف يتم الله نوره، ويأخذ بيد الامام (ع) .. ان المتوكل لأسباب مجهولة ، تحول من ذلك الحماس العظيم للاجتماع مع موسى في دار منفردة في مجلس اللهو والطرب ، تحول إلى محاولة إبعاده وحجبه عنه وعدم الاجتماع به . حيث أقام موسى ثلاث سنين ، يبكر كل يوم إلى باب المتوكل ، فيقال له : قد تشاغل اليوم ، فيروح ، ويبكر ، فيقال له : قد سكر فيبكر ،فيقال له : قد شرب دواء. فما زال على هذا ثلاث سنين حتى قتل المتوكل[2] . ولم يجتمع معه على شراب[3] .

---

١ – يعني المتوكل العباسي .

٢ – نعرف من ذلك ان هذه الحادثة وقعت عام : ٢٤٤ .

٣ – الارشاد ص ٣١٢ وغيره .

النقطة الثانية :

حمايته لأصحابه من الارهاب العباسي . وذلك بمقدار امكانه ، ولا ينافي خطه السلبي العام .

ولعل أوضح موقف يروى من ذلك ، هو موقف الامام مع محمدبن الفرج الرخجي،إذ كتب اليه محذراً : يا محمد اجمع امرك وخذحذرك. فلم يفهم ماذا أراد الامام بكلامه هذا ، ولو كان قد فهم لدفع عن نفسه شراً مستطيراً . يقول هذا الراوي : فانا في جمع امري لست أدري ما الذي أراد بما كتب ، حتى ورد عليّ رسول حملني من وطني مصفداً بالحديد ، وضرب على كل ما أملك ، وكنت في السجن ثماني سنين .

ثم انظر إلى لطف الامام عليه السلام به مرة اخرى ، حيث كتب اليه وهو في السجن : يا محمد بن الفرج لا تنزل في ناحية الجانب الغربي قال الراوي : فقرأت الكتاب وقلت في نفسي : يكتب إلى أبو الحسن بهذا وانا في السجن ان هذا لعجب . فما لبثت إلا اياماً يسيرة حتى فرج عني وحلت قيودي وخلى سبيلي[1] .

ويندرج في ذلك مساعدته لهم بطريق الدعاء . وهو الطريق الغيبي المتوفر دائماً ، للانقاذ من المصاعب وحل المشاكل . فكان الامام عليه السلام يلجأ اليه حين يجد المصلحة في ارتفاع الصعوبة عن هذا الطريق .

---

١ - اعلام الورى ص ٣٤٢ .

فمن ذلك ما حدث به أحد المعاصرين لذلك العصر المتضررين من الحكم العباسي ، حيث يقول : قصدت الامام يوماً فقلت : ان المتوكل قطع رزقي . ومـــا أتهم في ذلك إلا علمه بملازمتي لك . فينبغي ان تتفضل عليّ بمسألته .. ولم يتفضل الامام بالوساطة إلى المتوكل ـ كما طلب ـ وانما تفضل عليه السلام بالوساطة مع الله تعالى ، وهو غاية المأمول ونهاية المسؤول ذو القوة المتين . فقال لهذا الرجل : تكفى ان شاء الله ،

يقول هذا الراوي : فلما كان في الليل طرقني رسل المتوكل رسول يتلو رسولاً . فجئت اليه فوجدته في فراشه . فقـــال : يا أبا موسى يشتغل شغلي عنك وتنسينا نفسك . أي شيء لك عندي به . فقلت : الصلة الفلانية ، وذكرت أشياء . فأمر لي بها وبضعفها .

وإلى هنا تأكد في ذهن هـــذا الرجل بان الامام قد نفذ وساطته المطلوبة .. فبدر إلى الوزير الفتح بن خاقان وقال له مستفهماً : وافى علي بن محمد إلى ههنا ، أو كتب رقعة ! فأجاب الوزير بالنفي .

قال : فدخلت على الامام . فقال لي : يا أبا موسى هذا وجـــه الرضا . فقلت ببركتك يا سيدي ، ولكن قالوا : انك ما مضيت ولا سألت . فاجابه الامام عليه السلام .. انظر إلى جوابه إذ يسند النتيجة إلى الارادة الالهية والعون الالهي حيث لا يوجـد المعين . فان أهل البيت عليهم السلام قد اجابوه إلى كل ما يريد فاجابهم عز وجـل إلى كل ما يريدون . وكل من كان كذلك حصل على هـذه النتيجة الكبرى

لا محالة . قال الامام عليه السلام : ان الله تعالى علم منا انا لا نلجأ في المهمات إلا اليه . ولا نتوكل في الملمات إلا عليه . وعودنا ـ إذا سألناه ـ الاجابة . ونخاف ان نعدل فيعدل بنا [1] .

ويشبه هذا الموقف ، موقفه عليه السلام مع ايوب بن نوح ـ وهو من ثقات أصحابه [2] ـ حين تعرض له بالاذى قاضي الكوفة السائر في خط الجهاز الحاكم ، المدعو بجعفر بن عبد الواحد القاضي . فكتب إلى الامام يشكو اليه ما ناله من الأذى . قال الراوي : فكتب إلي : تكفي امره إلى شهرين . فعزل عن الكوفة في شهرين . واسترحت منه [3]

ولعلنا في غنى عن التعليق على هذا الموقف من الامام بامرين :

احدهما : ان الامام عليه السلام اطلع بطريق سري غيبي أو طبيعي على قرار عزل هذا القاضي قبل شهرين من صدوره .

ثانيهما : ان الامام عليه السلام استعمل في الجواب عبارة غامضة ، يمكن ان تخفى على الرقيب) . فانه لم يكن يمكن ان يفهم أحد ان المقصود هو قاضي الكوفة غير ايوب بن نوح .

النقطة الثالثة :

قضاء الامام لحوائج أصحابه بحسب الامكان . لعلنا قد تم لدينا ـ إلى حد الآن ـ التعرف على ما كان يعانيه أصحابه وقواعده الشعبية

---

١ ـ المناقب ج ٣ ص ٥١٤ .
٢ ـ فهرست الشيخ الطوسي ص ٤٠ .
٣ ـ كشف الغمة ج ٢ ص ١٧٦ .

من ضيق في الحالة الاجتماعية والإقتصادية معاً ، نتيجة لابعادهم عن المسرح العام سياسياً واجتماعياً . وقد كان الامام عليه السلام يتوخى من وراء مساعدتهم عدة فوائد :

اولاً : قضاء حوائجهم الخاصة .

ثانياً : تركيز ثقتهم به ، بصفته قائدهم الأعلى ومأملهم الأسمى عند الظروف القاسية ، والمعين عند عدم وجود المعين .

ثالثاً : تجديد نشاطهم الاجتماعي ، بحسب ما يراه لهم عليه السلام وتقتضيه سياسته في ذلك العصر . وهي ـ على ما عرفنا ـ : العمل في سبيل الله والعدل الاسلامي بشكل لا يثير الحقد والخطر عليهم .

وأهم ما يندرج في هذا الموقف : انه دخل على الامام جماعة من أفضل أصحابه واوجههم عنده وعند قواعده الشعبية ، وهم : أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري وأحمد بن اسحاق الأشعري وعلي بن جعفر الهمداني . فشكا اليه احمد بن اسحاق ديناً عليه . فقال عليه السلام لعثمان بن سعيد ، وكان وكيله : يا أبا عمرو ، ادفع اليه ثلاثين الف دينار وإلى علي بن جعفر ثلاثين الف دينار وخذ أنت ثلاثين الف دينار ويعلق على ذلك علماؤنا : بان هذه معجزة لا يقدر عليها إلا الملوك ، وما سمعنا بمثل هذا العطاء [1] .

وأما نحن فيمكننا أن نستشف من وراء ذلك .. الموقف القيادي

١ - المناقب جـ ٣ ص ٥١٢ .

المركزي الذي كان يقوم به الامام بين قواعده الشعبية ومواليه . ذلك الموقف الذي كانت تحاول الدولة العباسية الحيلولة دونه .. ولم تكن موفقة في ذلك إلى حد كبير . فالامام يستلم الأموال الطائلة ـ بالطرق السرية أو العلنية الممكنة ـ مما يكون لدى مواليه من الضرائب الاسلامية كالخراج والزكاة والخمس . وهذا ما يتضح أيضاً لمن راجع تاريخ آبائه عليهم السلام ، وسيأتي في تاريخ ولده الامام الحسن العسكري عليه السلام ما يشبه ذلك .

وانما يتم تسليم هـــذه الأموال لكي تصرف في المصالح الاسلامية الاجتماعية العامـة ـ بعيداً عن العاصمة العباسية ـ في تلك المهام التي تقتضي صرف عشرات الآلاف من الدنانير . ونحن مهما بلغ بنا الخيال ، لايمكن ان نتصور وصول الدين ، في قضاء الحوائج الشخصية ، إلى ثلاثين الفاً . الا أن يكون ديناً في عمل اجتماعي واسع أكبر من المصالح الشخصية والمسؤولية العائلية . وخاصة في أمثـال هؤلاء من الفقهاء والورعين،مضافاً إلى اننا رأينا الامام عليه السلام يعطي الاثنين بدون طلب أو شكوى في دين .

وعلى أي حال فهذه هي الخطوط العامة لسياسة الامام (ع) ، فيما تمثله من موقفيه الرئيسين تجاه مواليه وتجاه الآخرين .

موقف الخلافة العباسية من الامام :

اشرنا فيما سبق ان موقف الخلفاء العباسيين ، يتجلى – فيما وصل الينا من النقل التاريخي – في خصوص المتوكل ، ولا يبدو لغيره أثر يذكر . وقد ذكرنا ما يمكن أن يكون سبباً لذلك . فمن هنا ينحصر عنواننا في المقام في موقف المتوكل من الامام عليه السلام . ونستطيع ان نلخص موقفه في عدة نقاط :

النقطة الأولى : تحديه من الناحية العلمية ، كما سبق . وقد رأينا كيف يخرج الامام ظافراً من هذا التحدي .

النقطة الثانية : تقريبه من البلاط ودمجه في حاشية الخلافة بمقدار الامكان ، ليكون الامام على طول الخط بين سمعهم وابصارهم فلا تفوتهم منه شاردة ولا واردة . وقد رأينا مقدار نجاحهم الضئيل في ذلك .

وقد سبق ان لاحظنا أن هذا كان هو الهدف الاساسي من استقدام الامام إلى العاصمة العباسية . وكان الامام يعطي من نفسه بازاء ذلك وكانه يوافق الدولة العباسية على سياستها تجاهه . فكان يحضر موائدهم ويخرج في مواكبهم كما سمعنا . ونستطيع ان نفهم موقف الامام (ع) هذا ، لا على أساس التنازل أو التسامح مع الدولة ، فان هذا مما لا يمكن

أن يكون من شخصية كشخصية الامام المبدأية الاسلامية القائدة لجماهير قواعده الشعبية من المسلمين . وكان أي تنازل منه يعني السعي ضد المصالح الاسلامية لهذه الجماهير ، وهو ما لا يخفى ما فيه من قبح وخيانة على الشخص الاعتيادي فضلاً عن القائد الامام . مضافاً إلى انه لو تنازل لشعرت الدولة بتنازله .. فكان في الامكان أن ينال عندها أقصى الحظوة والمنزلة والراحة .. ولارتفع ما كان محاطاً به من المراقبة والضغط .. مع انه كان يتزايد باستمرار ، حتى ان المتوكل في آخر ايامه انتهى به الامر إلى زج الامام في السجن على ما سنسمع .

اذن فلم يكن موقفه متضمناً لشيء من التنازل ، وانما كان ناشئاً من المصالح والمبررات الآتية :

اولها : الضغط والاكراه : فان السياسة العباسية حيث استقرت على دمج الامام بالبلاط ، كان مقتضى رفض هذه السياسة والانصراف عن اجابة دعواتهم والحضور في مجالسهم .. اعلاناً صريحاً للمعارضة .. أو على الأقل اثارة لشك الحكام بان الامام متصد للمعارضة وخارج على الدولة ، وكل ذلك مما لا يريده الامام (ع) بمقتضى سياسته السلبية تجاه الدولة . .

ثانيهما : ان الامام (ع) كان حذراً من براثن الدولة عليه وعلى مواليه . فكانه أراد التصريح بشكل عملي بعدم وجود ما تخشى منه الدولة عنده ، وهذا ما يؤثر نفسياً في تخفيف الشك ضده .. ومعه فقد ينفتح مجال جديد لنشاط جديد .

ثالثها : ان الإمام حين يعيش بين أكناف حكام الدولة مع من يحيطهم من القواد والبطانة والمنتفعين والخدم وغيرهم من مختلف الطبقات .. فانه عليه السلام يستطيع بلباقة تامة واحتراس شديد وبمقدار الفرصة السانحة .. ان يقول الحق بينهم ويدافع عن قضيته بين ظهرانيهم .. وهناك احتمال كبير ـ يؤيده احترامهم لشخص الامام واكبارهم لعلمه ونسبه ـ : ان يصل كلامه إلى قلوب بعضهم. فان السياسي مضافاً إلى كونه حاكماً مصلحياً ، هو في عين الوقت انسان ذو عقل وقلب . وقول الحق يجد طريقه في العقل والقلب من اضيق طريق . وبذلك يكتسب الامام العطف على قضيته في المستويات العليا من الدولة. وقد سبق ان حملنا فكرة عن مقدار نجاحه في ذلك ، ولعل فيما يأتي من البحث ما يضيف إلى ذلك شواهد اخرى .

رابعها : ان الكيان الحكومي يومئذ كان قائماً بالصراحة على المحسوبية والمنسوبية.. تؤثر فيه المصالح الشخصية وتجد فيها الوساطات طريقها المستقيم .

وهذا وان كان دالاً على انحدار الأمة إلى حضيض لا تغبط عليه على أي حال ، وغير ملائم مع اتجاهات الامام ومُثله .. الا انه هو الواقع .. ومن الممكن الاستفادة من هذا الواقع بما ينفع الناس ويكون مصلحة لهم . إذن فاتصال الامام بالحكام مثل هذا الاتصال الوثيق يفتح امامه فرصة أوسع للتوسط في تيسير حوائج أصحابه ومواليه وتخفيف ضررهم ودفع الاخطار عنهم .. بحسب ما يراه من المصلحة .

ولعلنا نستطيع ان نستوضح ملامح الموقف اللين الذي كان يقفه الامام (ع) تجاه المتوكل ، من المثال التالي : فان المتوكل ابتلى بقرحة وخراج أشرف به على الموت . وكان دواؤه عند اطباء عصره منحصراً بان يمس الجرح بحديده فلم يجسر أحد أن يقوم بذلك،لاحتمال ان المتوكل سوف يامر بقتل من يقوم بذلك لما سيجده من الألم .

ووجلت امه وجلاً شديداً .. وكانت تعتقد بالامام (ع) وقربه من الله تعالى .. فنذرت انه ان عوفي ابنها المتوكل فانها تحمل إلى ابي الحسن الهادي عليه السلام مالا جليلاً من مالها . ونبهها الفتح بن خاقان على ان تطلب من الامام ان يصف دواء للمتوكل .. فارسلت رسولا بهذا الشان إلى الامام ، فقال عليه السلام : خذوا كسب الغنم فديفوه بماء الورد وضعوه على الخراج فانه نافع باذن الله . أقول : ولا يخفى ما في ذلك من ترطيب للجرح خفى سره على الطب القديم الذي كان يداوى الدمل بامرار الحديد عليه !!

وعلى أي حال فقد هزأ من حضر مجلس المتوكل من هذا الدواء باعتباره لم يسمع من طبيب.فينبري الفتح بن خاقان مدافعاً عن اقتراحه قائلاً : وما يضر من تجربة ما قال .. فوالله اني لارجو الصلاح به . فاحضروا هذا العقار ووضع على الخراج فانفتح وخرج ما كان فيه . وبشرت أم المتوكل بعافية ولدها . فحملت إلى أبي الحسن عليه السلام عشرة آلاف دينار مختومة بختمها ، من دون علم ولدها المتوكل .

ويحافظ الامام (ع) على البدرة ـ وهي حزمة المال ـ غير مفضوضة

الخاتم ولا مستعملة .. اياماً .. حتى حصلت كبسة سعيد الحاجب على داره بامر المتوكل، على ما سنذكر في النقطة التالية . فيجد عنده البدرة المختومة ، فينقلها مع كيس آخر مختوم وسيف إلى المتوكل . فلما نظر المتوكل إلى خاتم امه على البدرة بعث اليها وسالها فذكرت له نذرها عند مرضه .. وقالت : وهذا خاتمي على الكيس ما حركه .. وفتح الكيس الآخر فاذا فيه اربعمائة دينار .. فأمر ان يضم إلى البدرة بدرة اخرى وقال لسعيد الحاجب : احمل ذلك إلى ابي الحسن .. واردد عليه السيف والكيس بما فيه . قال سعيد : فحملت ذلك اليه واستحييت منه. فقلت له : يا سيدي عزّ علي دخولي دارك بغير اذنك . ولكني مأمور ! فقال ليّ :وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون [1] .

انظر إلى الاحترام والتقديس الذي يتمتع به الامام (ع)في البلاط، وإلى المكاسب التي حصل عليها فيه . ولا ينبغي ان تفوتنا المبررات السابقة لسياسة الملاينة التي ينتهجها الإمام ، بالرغم من انه يتلو حين يدق ناقوس الخطر قوله تعالى : « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

النقطة الثالثة : اضطهاد المتوكل للامام الهادي عليه السلام حيث امر بكبس منزل الامام (ع) عدة مرات . فان السعايات والوشايات التي كانت ترتفع إلى المتوكل ضد الامام بين آونة واخرى .. كانت

---

١ - الارشاد ص ٣١٠ . والمناقب ص ٥١٧ .

توقظ شكوكه وتثير توجسه الكامن في نفسه ، تجاه الامـام . ولعلنا نستطيـع القول : بان شخصاً من الضالعين بركاب الحكم ، يطلع صدفـة على بعض آثار نشاط الامام (ع) في سبيل مصالح مواليه ، فيبالغ هـذا الشخص فيه ، تملقاً للدولة ، ويجعله خطراً يهدد كيانها القائم ، مع اننا عرفنا ان مثل هذا النشاط ـ بشكله المبالغ فيه ـ لم يكن موجوداً لدى الامام عليه السلام . وعلى أي حال يثير هـذا الساعي كوامن الخوف والتوجس في نفس المتوكل ؛ فيغريه ذلك بكبس دار الامام للتأكد من صدق الوشاية أو كذبها .

واللاحظ في هذه العمليات امران :

احدهما : ان الوشاية دائماً كانت تبوء بالفشل ويرجـع جواسيس الخليفة مؤكدين انهم لم يجدوا في دار الامام ما يثير التوجس . مما يوجب عود المتوكل إلى هدوئـــه واستمراره على اظهار احترام الامام وتقديره .

وقد سبق ان ارجعنا ذلك ، إلى ان الامام افلح ، بطريق غيبي أو طبيعي، في اخفـاء مكامن الشك عن الدولة ، بالرغم مما كان يرده مـن الأموال والكتب وما كان يقوم به من اتصالات . وقد اطلعنا على صور موجزة للأساليب الرمزية التي كان يستعملها الامام حين يريد التعبير عن أمر محظور في نظر الدولة .

ثانيهما : ان الامام وان كان يظهر ـ عند الكبس على داره ـ سخطه

بتلاوة آية من القرآن كالذي سمعناه من قوله تعالى : وسيعلم الذين ظلموا .. الآية . إلا انه كان يعين الشرطي المتجسس على مهمته .. فيسرج له الضياء ويدله على غرف الدار .. توخياً في الايضاح العملي للدولة بانه لا يملك أي نشاط غريب . على انه لو اظهر أي مناوءه لمثل هذه المحاولة لكان مثيراً جديداً للشك .. هو في غنى عنه ، ومنافياً لسياسة الامام السلبية تجاه الدولة .

وقد حدثت عدة حوادث كبس على داره عليه السلام . فمن ذلك ما سبق ان نقلناه عن ابن خلكان وجمهور من المؤرخين العامةوالخاصة. من كبس داره في نصف الليل وحمله إلى المتوكل وهو على مجلس الشراب ، واستنشاده الشعر ، فانشد الأبيات التي أولها :

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

ومن دلك كبسه لدار الامام نتيجة لسعاية البطحاني به إلى المتوكل وزعمه : ان عنده أموالاً وسلاحاً . فأمر المتوكل سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً ويأخذ ما عنده من الأموال والسلاح ويحمله اليه . فأخذ سعيد معه سلماً وذهب إلى دار الامام وصعد عليها من الشارع إلى السطح ونزل خلال الظلام فلم يدر كيف يصل إلى الدار . قال سعيد: فناداني أبو الحسن عليه السلام من الدار : يا سعيد مكانك حتى ياتوك بشمعة . اقول : انظر إلى مساعدته عليه السلام لهذا المتجسس .. وإلى علمه بشخصه قبل رؤيته .. وانما ناداه بذلك لاثبات الحجة عليه ، اثناء تلبسه بالجرم .

يقول : فلم البث ان اتوني بشمعة ، فنزلت ، فوجدت عليه جبة صوف وقلنسوة منها وسجادته على حصير بين يديه وهو مقبل على القبلة . فقال لي : دونك البيوت ـ يعني الغرف ـ فدخلتها وفتشتها،فلم اجد فيها شيئاً . ووجدت البدرة مختومة بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً معها . فقال لي أبو الحسن عليه السلام : دونك المصلى فارفعه.فوجدت سيفاً في جفن ملبوس . فاخذت ذلك .. إلى آخر الرواية كما سمعناها .

ويضطر هذا المتجسس، في نهاية الشوط إلى الاعتذار من الامام(ع) بكونه مأموراً . فيتلو الامام قوله تعالى : « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »[1] .

وفي حادثة اخرى : يصل إلى المتوكل خبر مال يصل من قم ،وهي احدى مراكز الولاء للامام(ع)..اليه عليه السلام . فيامر وزيره الفتح بن خاقان ان يراقب الوضع ويأتي بالخبر . فيرسل الوزير بعض مأموريه يدعى أبو موسى إلى الامام ، فيجلس في مجلسه ساكتاً ، فيطالبه الامام بتبليغ رسالة المتوكل قائلا : لا يكون الا خيراً .. يا أبا موسى ، لم لم تعد الرسالة الأولـــة . فيجب أبو موسى : اجللتك يا سيدي . فيدله الامام بكل وضوح على طريق الاطلاع على هذا المال وييسر له السبيل إلى ذلك بقوله . المال يجيء الليل وليس يصلون اليه. فبت عندي . وانما يجيء المال ليلاً تخفياً عن عيون الدولة ، ولكن ما الحيلة بعد

---

٢ -- انظر الارشاد ص ٣١١ وانظر الفصول المهمة لا بن الصباغ ص ٢٩٨ وما بعدها بتغيير قليل .

اطلاع الدولة عليه ، وتحديد سياسة الامام بالسلبية .

وعلى أي حال .. يبات أبو موسى عنده ، وحين يجيء الليل يشتغل الامام بالصـــلاة ، مدة من الزمن .. وبينا هو في الركوع في احدى صلواته ، إذ يقطعه بالسلام قبل اتمام ركعات الصلاة ، ويقول لأبي موسى : قد جاء الرجل ومعه مال وقد منعه الخادم الوصول إليّ ، فاخرج فخذ ما معه[1] .

النقطة الرابعة :

القاء القبض على الامام عليه السلام حين ضاق المتوكل ذرعاً بحقده على الامام وبنشاط الامام الذي لم يكن بمستطاعه التعرف عليه بسعة ووضوح ، وقد بذل كل مـا في وسعه ولا زال الجانب المهم من ذلك النشاط غامضاً عنه يظن به الظنون ولا يمكنه ان يحيط بمحتواه . وقد حمل المتوكل توجسه وحقده على أن يزج الامام في السجن ، وذلك في الأيام الأخيرة من خلافته .

ولا يخفى ما في ذلك من التحدي للقواعد الشعبية والجماهير الواسعة المؤمنة بالامام قائداً ورائداً وموجهاً واماماً . فان سجن القائد بمنزلة سجن كل قواعده الشعبية ، ويكون تحدياً لهـا وللمبدأ الذي يتخذه والهدف الذي يهدفه . وهذا ما لم يكن للمتوكل منه مانع ، وهو الذي خرب قبر الحسين عليه السلام ومنع الزوار عنه ، على ما سمعنا .

---

١ - المناقب ص ٥١٥ وما بعدها .

وقد وردت في سجن الامام روايتان تتفقان على وقوع ذلك في وقت واحد قبل ثلاثة ايام من موت المتوكل ، ولكنها تختلف في جملة من التفاصيل .

الرواية الأولى : انه حين قبض المتوكل على الامام (ع) سلمه إلى علي بن كركر ليزج به في السجن ويراقبه فيه . فصادف ان سمعه بغا أو وصيف ـ الشك من الراوي ـ ، وهما القائدان التركيان المتنفذان في الدولة يومئذ ، على ما عرفنا في التاريخ العام .. سمع الامام وهو في السجن يزمزم قائلاً : انا أكرم على الله من ناقة صالح « تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب » لا يفصح بالآية ولا بالكلام . ولم يفهم هذا القائد التركي مراد الامام . فسأل عنه ، وكان المسؤول هو راوي هذه الرواية . قال الراوي : فقلت : اعزك الله .. توعد . انظر ما يكون بعد ثلاثة آيام . فلما كان من الغد أطلقه واعتذر اليه .

فلما كان في اليوم الثالث ، ثار عليه الأتراك ، ومنهم باغر ويغلون واوتامش ، وقتلوه واقعدوا ولده المنتصر مكانه [1] .

ويطيب لي ان اعلق على هذه الرواية ، بأمرين :

احدهما : ان وعيد الامام كان رمزياً إلى حد كبير ، إلى حد لم يفهمه القائد التركي .. وكان من الأهمية في الدولة ، بحيث ان الراوي حين فسره خاف ان يصرح بما فهمه بوضوح وانما اختصر كلامه اختصاراً

---

٣ ـ انظر اعلام الورى ص ٣٤٦

خشية ان يناله ضرر ، ولا زال المتوكل في الحياة والحكم .

ثانيهما : اننانستطيع ان نعرف بالدقة تاريخ هذا التوعد الذي ذكره الامام حال سجنه ، وهو اليوم الثاني لعيد الفطر من شهر شوال عام ٢٤٧ للهجرة . وقد قتل المتوكل والفتح بن خاقان بيد باغر ويغلون وجماعة من الأتراك في مجلس شرابه ليلة الرابع من شوال في نفس العام[1] . ولم يكن بغا ولا وصيف ممن شارك في قتله . وسلموا على ابنه المنتصر بالخلافة .

الرواية الثانية : ان المتوكل دفع الامام أبا الحسن الهادي عليه السلام إلى سعيد الحاجب ـ الذي عرفناه ـ ليقتله . فوضعه سعيد في السجن حتى يتم قتله . وحين قدم الراوي إلى سامراء في ذلك الحين دخل على سعيد . وكان سعيد يعلم بكونه موالياً للامام (ع) . فقال له : اتحب ان تنظر إلى الهك . يقصد بذلك الامام استهزاء واستصغاراً . ولكن الراوي كان غافلاً فلم يفهم وأجاب : سبحان الله الهي لا تدركه الأبصار. فاوضح سعيد مراده قائلاً : هذا الذي تزعمون انه امامكم. فصادف ذلك رغبة في نفس الراوي. إلا انه اجاب بحذر قائلاً : ما اكره ذلك. فافهمه سعيد القصد من سجن الامام (ع) وقال : قد امرني المتوكل بقتله وأنا فاعله غداً . وعنده صاحب البريد فقال : اذا خرج فادخل اليه .

وحين يخرج صاحب البريد من الامام (ع) يدخل الراوي في الدار

---

١ ـ الكامل جـ ٥ ص ٣٠٣ .

ـ يعني الغرفة ـ التي حبس فيها الامـام ، فيرى قبراً يحفر . قال : فدخلت وسلمت، وبكيت بكاء شديداً . فقال : ما يبكيك ؟ قلت : لما أرى ! قال : لا تبك فانه لا يتم لهم في ذلك. فسكن ما بي . فقال : انه لا يلبث من يومين حتى يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته . قال: والله ما مضى يومان حتى قتل [1] .

وهذه الرواية لا تنافي الرواية الاولى ، في التوقيت . فان المراد من قتله من يومين : قتله بعد يومين ويكون سفك دمه في اليوم الثالث ، وهو نفس الموعد في الرواية الاولى .كما لا تنافي بينهما في تعيين من دفع المتوكل الامام اليه . إذ من الممكن ان نفترض ان المسؤول عن قتله هو سعيد الحاجب والمشرف عليه في سجنة هو علي بن كرر الذي تذكره الرواية الأولى ، كما ان خلو الأول من ذكر كون الغرض هو قتل الامام ليس تنافياً صريحاً ، إذ من الممكن أن نفترض ان الغرض هو ذلك . ولكنه لم يرد في تلك الرواية لنسيان الراوي لتفاصيل الحادثـة ، أو خوفه من بعض سامعيه في ذكر محاولة المتوكل لقتل الامام أو غير ذلك من الأسباب .

الا ان الرواية الأولى ارجح من الثانية على أي حال . فان الثانيـة تتضمن مضعفاً لاحتمال صحتها غير موجود في الاولى وذلك لانها نسبت للامام (ع) قوله : انه لا يلبث من يومين حتى يسفك الله دمـه ودم صاحبه الذي رأيته . فيقع السؤال عن صاحبه الذي قصـده . وظاهر

---

١ - انظر الخرايج والجرايح ص ٥٩ .

الكلام ان المراد به سعيد الحاجب ، لأنه هو الذي كان الراوي قد رآه. مع ان سعيد لم يقتل مع المتوكل، بل بقي حياً حتى سنة ٢٥٧ حين أرسله المعتمد لحرب الزنج [١] وانما قتل معه الفتح بن خاقان . فلا بد ان نفترض فرضاً مخالفاً لظاهر الكلام : ان الراوي كان قد رأى الفتح بن خاقان أيضاً وانه فهم من كلام الأمام ذلك . والله العالم .

كما ان الرواية الأولى تتضمن مرجحاً لاحتمال صحتها ، وهو تسمية من باشر قتل المتوكل من الأتراك ، وهو مطابق للتاريخ العام بشكل عام ، وقد ذكرنا في المقدمة ان هذا يصلح قرينة على صحة الرواية ، كما يصلح مرجحاً للأخذ بها عند التعارض.ولكننا بعد اسقاط الاضعف في مقدار التعارض يمكن أن نأخذ بها في مداليلها وتواريخها الاخرى .

خاتمة المطاف :

لا بد لنا في نهاية الحديث عن تاريخ امامنا الهادي عليه السلام ، ان نشير إلى موقفين له مهمين ، يشار اليهما في التاريخ بشكل موجز يكاد يكون عابراً .

الموقف الأول : موقفه عليه السلام من الموالي عامة والاتراك خاصة ، وهم من كانت العاصمة العباسية الجديدة : سامراء ، تزخر بهم. وقد عرفنا مما سبق مدى تأثيرهم على السلطة وسيطرتهم على الخلفاء ، تنصيباً وعزلاً واختياراً وقتلاً . وكان الخليفة يضطر إلى أن يأخذهم بنظر الاعتبار كل الاعتبار .

---

١ - الكامل جـ ٥ ص ٣٦١ .

ولا يخفانا قبل كل شيء ، ان هؤلاء الموالي لم يكونوا من الموالين للامام ولا من قواعده الشعبية . بل كان أكثرهم الغالب ضده ومختلفين معه في المبدأ والمنهج ، ومن المسايرين لمبدأ الدولة ومناهجها، والمنتفعين من الخلافة العباسية . وكان جملة منهم قواداً متنفذين بيدهم أعلان الحرب والسلم مع أي شخص في أطراف الدولة . وكانوا يخوضون الحروب في الغالب في الجيش الممثل للدولة وهو المنتصر في الحرب غالباً ، وبذلك يغنم الاتراك ومن اليهم أموالاً طائلة ، من الثراء على حساب المظلومين المقهورين تحت الحروب .

ولم يكن الامام (ع) ليوافق على تصرفاتهم التي لم تكن قائمة على شيء من تعاليم الدين والعدل الاسلامي الصحيح . وبخاصة انه يعلم موقفهم ضده وضد مواليه، حتى كان الخليفة يستخدمهم في الكبس على دار الامام وحبسه وازعاجه كما عرفنا .

ومن هنا ينبثق موقف الامام (ع) حيث كان يحاول ، بحسب الامكان ، وببطء ، وحذر ، اقامة الحجة عليهم وإفهامهم صدق مبدئه وعدالة قضيته . ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة المباشرة للإمام وأصحابه ومواليه ، فانه بنشاطه هذا يخفف من غلواء المندفع منهم ضده ويقرب المعتدل منهم اليه ، أو يجعل الفرد منهم يشك في حال نفسه ويعيد النظر في سلوكه وشأنه .

ونستطيع ان نقسم موقف الامام (ع) منهم إلى نقطتين ، باعتبار موقفه من عامتهم تارة وموقفه من كبرائهم وقوادهم اخرى .

النقطة الأولى : في موقف الإمـام عليه السلام من جمهور الموالي وعامتهم في العاصمة العباسية .

ومن المستطاع القول بان جهوده المستمرة اثمرت بعض الشيء في تقريب بعضهم اليه وايمانهم بفضله وربما بامامته .. وكانت جهود الامام عليه السلام متواصلة في ذلك .

فمن ذلك : انه مربه تركي : فكلمه بالتركية . فنزل عـن فرسه فقبل حافر دابته . قال الراوي : فحلفت التركي انه مـا قال لك الرجل ؟ قال : هذا كناني باسم سميت به في صغري ببلاد الترك ، مـا علمه أحد إلا الساعة [1] . ولعلك لاحظت معي هذا التأثير الكبير الذي استطاع الامام ان يصهر به التركي ، باقامته هذه المعجزة البسيطة له .

ومن ذلك : ما عن علي بن مهزيار ـ وهو من ثقات الأئمـة عليهم السلام ومعتمديهم ـ قال : ارسلت إلى ابي الحسن الثالث ـ يعني الامام الهادي (ع) ـ غلامي وكان صقلبياً . فرجع الغلام إليّ متعجباً . فقلت له : مالك يا بني ؟ فقال : وكيف لا اتعجب ؟ ما زال يكلمني بالصقلبية كانه واحد منا ، وانما أراد بهذا الكتمان عن القوم [2] .

ولعلك لاحظت معي ، ان الامام استطاع بتكلمه بتلك اللغة أن يحصل على فائدتين : احداهما : التأثير على الغلام واكتساب اعجابـه وتعجبه من اطلاع الامام ومعرفته ، ان لم يعتبرها معجزة من معاجزه.

---

١ ـ المناقب جـ ٣ ص ٥١٢ .

٢ ـ المصدر والصفحة .

ثانيهما : انه بهذا الاسلوب اخفى مضمون الكلام عمن لا يريد إطلاعه عليه من عيون الدولة . فتراه يتكلم مع الغلام بلغته مع كونه عالماً بكونه يحسن اللغة العربية .

النقطة الثانية : موقفه عليه السلام من كبرائهم وقوادهم. ولا يخفى ما في الموقف الايجابي منهم من الدقة والحرج ، فانهم بصفتهم ممثلين للجهاز الحاكم ، يكون الحذر منه حذراً منهم أيضاً ، وبخاصة ان اكثرهم ينهج نهج عدائه والطعن في شانه .

ومن ثم لا نجد موقفاً منقولاً في التاريخ للامام عليه السلام تجاههم، ما عدا موقفه من بغا الكبير ، الذي كان يعتبر واحداً من اثنين أو ثلاثة من أهم القواد الاتراك ومتنفذيهم . فانه كان يملك تجاه الامام موقفاً معتدلاً ويشفق على قضيته بعض الشيء ، وربما انتج ذلك احياناً، استعمال مركزه في رفع بعض الظلامات عنه وعن اصحابه .

يقول المسعودي [1] : وكان بغا كثير التعطف والبر على الطالبيين. ثم ينقل له تعطفا على بعض الطالبيين ، حيث كان قد حاول قتل عامل المعتصم على الكوفة،فامر المعتصم بغا هذا بالقائه إلى السباع.. فلم يلقه. إلا انه امره بان يجهد الا يظهر في أيام المعتصم .. فوعده بذلك .

وكان هذا النشاط البناء لهذا القائد التركي ، في قضاء حوائج المؤمنين ، يرد مورد الرضا في نظر النبي (ص) . ومن هنا نسمع بغا

---

١ - المروج ج ٤ ص ٧٦ .

يقول : رأيت في نومي النبي (ص) ومعه جماعة من أصحابه . فقال لي : يا بغا احسنت إلى رجل من امتي ، فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك . قال : فقلت : يارسول الله ومن ذلك الرجل ؟ قال : الذي خلصته من السباع . فقلت : يا رسول الله . سل ربك ان يطيل عمري. فرفع يديه نحو السماء وقال : اللهم اطل عمره واتم اجله . فقلت : يارسول الله ، خمس وتسعون سنة . فقال رجل كان بين يديه : ويوقى من الآفات . فقلت للرجل من أنت . قال : انا علي ابن ابي طالب . فاستيقظت من نومي ، وأنا أقول : علي بن ابي طالب [1] .

ومهما كان رأيك في صدق الأحلام وكذبها ، فاننا وجدنا بغا يعيش نيفاً وتسعين سنة حتى توفي عام ٢٤٨ [2] وفي نقل آخر انه كان حياً عام ٢٥٣ حين قتل وصيف التركي [3] .. وعلى أي حال فهذا لا يعدو ان يكون مرجحاً لطول عمره

وينقل التاريخ للامام الهادي عليه السلام موقفاً واحداً تجاه بغا الكبير يدل على التأييد الضمني له . وذلك اثناء وجود الامام في المدينة المنورة قبل انتقاله إلى سامراء ، فانه في عام ٢٣٠ اغار الاعراب من بني سليم على المدينة ونهبوا الأسواق وقتلوا النفوس ، ولم يفلح حاكم المدينة في دفعهم رغم القتال الشديد . بل انتصروا عليه فازداد شرهم واستفحل

---

١ - المصدر والصفحة .

٢ - المصدر ج ٤ ص ٧٥ .

٣ - الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٣٥ .

أمرهم . فوجه اليهم الواثق العباسي بغا الكبير ففرقهم وقتل منهم واسر آخرين وانهزم الباقون [1] .

وبالطبع فان مثل هذه الحوادث المؤسفة تؤلم قلوب الناس وبخاصة قلب المؤمن الذي يشعر بتعاليم الاسلام والمسؤولية الدينية . فكيف بحال الامام عليه السلام .. ومن ثم نرى الامام حين ورود بغا بجيشه إلى المدينة .. نراه يقول لأصحابه : اخرجوا بنا حتى ننظر إلى تعبئة هذا التركي . يقول الراوي : فخرجنا فوقفنا [2] .

وكان الا مام (ع) بصفته الرئيس والموجه لاصحابه ومواليه يريد أن يشجع بغا ويؤيده ضد هـذا العمل التخريبي المؤسف . وان كان التاريخ قد اهمـل تماماً ، ما إذا كان قد وقع بين الامام وبغا شيء من الكلام أو بين أصحابهما شيء من المداولات .

الموقف الثاني: للامام عليه السلام تمهيده لغيبة حفيده محمدبن الحسن بن علي الحجة المنتظر ، وذلك بتحضير الذهنية العامة لدى قواعده الشعبية ، لتقبل فكرة الغيبة .

وتبليغ الامام عن ذلك كان منصباً على مواليه ومقتصراً على أصحابه الخاصين ، ولم يكن يعم الآخرين ، لانهم لم يكونوا يؤمنون بتسلسل خط الأئمة الاثنى عشر ، اذن فيكون تبليغهم بذلك تبليغاً بلا موضوع .

---

١ - الكامل جـ ٥ ص ٢٧٠ .

٢ - انظر اعلام الورى ص ٢٤٣ وكشف الغمة ص ١٨٧ جـ ٣ .

ويلاحظ في تبليغ الامام عليه السلام التخطيط لحماية الحجة المهدي عند غيبته . فكلام الامام حوله محاط بهالة من القدسية والغموض ، ومشفوع بالتأكيد المتزايد بانه لا يحل لأحد ذكر اسمه . وذلك توصلاً إلى عدم تسربه إلى الجهاز الحاكم .

وقد وردت عنه ـ بهذا الصدد ـ عدة احاديث نقتصر على بعضها : فمن ذلك قوله (ع) ـ في كلام له : ومن بعدي الحسن ابني.فكيف للناس بالخلف من بعده ، قال الراوي : فقلت : وكيف ذلك يا مولاي. قال : لأنه لا يرى شخصه ولا يحل ذكر اسمه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلا ، كما ملئت جوراً وظلماً .

ومن غامض قوله (ع) في ذلك : إذا رفع علمكم من بين اظهركم فتوقعوا الفرج من تحت أقدامكم . وقوله : فاني لكم بالخلف بعد الخلف [1] .

ولا يخفى ما في الغموض من مصلحة خفاء المهدي (ع) حتى من أصحابه ومواليه . فان المستوى العام الذي يجب أن يشتركوا فيه هو الايمان بوجوده ، وانه الثاني بعد الامام الهادي (ع) وهو معنى : الخلف بعد الخلف . إلا ان معرفتهم بالتفاصيل فهو مما لا سبيل اليه ، لأن أفراد أصحابه ومواليه يختلفون في مقدار ضبطهم وصمودهم امام الاغراء والتهديد ، فإذا عرفنا ان الدولة كانت مستعدة لبذل المستحيل ومختلف أساليب الاغراء والتهديد في سبيل القبض عليه ، لعلمنا انه يجب أن

---

١ ـ انظر الاكمال المخطوط وانظر الخبر الأول في الكافي المخطوط .

يبقى اسم المهدي (ع) ومكانه وسائر أموره غامضة ومختفية حتى عن كثير من الموالين ، لما يخشى من ضعفهم أمام الجهاز الحاكم .

ولذا سنرى الامام الحسن العسكري لا يعرض ابنه المهدي (ع) إلا على القليل من أصحابه ، بالمقدار الذي تقوم به الحجة على الناس مع الضمان الكامل لنجاته من براثن الجهاز الحاكم،فكان موقف الامام الهادي عليه السلام تمهيداً لموقف ابنه الامام العسكري عليه السلام من ذلك ، وتهيئة للذهنية العامة تجاهه .

الفصل الثالث

تاريخ الإمام الحسن بن علي العسكري (ع)

ولد عليه السلام بالمدينة عام ٢٣٢ [١] وانتقل مع ابيه إلى سامراء بامر المتوكل ـ على ما عرفنا ـ عام ٢٣٤ وعمره حوالي العامين . ومن ثم فقد قضى القسط الأهم من حياته في العاصمة العباسية ، وواكب في العقدين الاولين من حياته ، وهي فترة معاصرته لابيه ، جميع الظروف والملابسات والمواقف التي كان يواجهها ابوه عليه السلام أو يقوم بها . وكان يتلقى ذلك بصمت وضبط واتقان استعداداً لتولي الامانة بعد والده .

وإذ توفي والده الامام الهادي (ع) عام ٢٥٤ [٢] في أيام المعتز العباسي ، قبل خلعه بعام واحد سنة ٢٥٥ [٣] .. يكون عمره عليه السلام آنئذ ، حين تسلمه مركز الامامه الفعلية لمواليه والمؤمنين بقيادته .. اثنين وعشرين عاماً .

---

١ ـ انظر الارشاد ص ٣١٥ واعلام الورى ص ٣٤٩ والاتحاف ص ٦٨ وغيرها .

٢ انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٤٣٥ والطبري ج ١١ ص ١٥٧ والكامل ج ٥ ص ٣٣٩ وابن الوردي ج ١ ص ٣٣٤ والاتحاف ص ٦٨ والارشاد ص ٣٠٧ واعلام الورى ص ٣٣٩ والمناقب ص ٥٠٥ .

٣ ـ الكامل ج ٥ ص ٣٤١ .

وقد واكب في عصر امامته عليه السلام ، عاماً واحداً من أيام المعتز . ثم المهتدي حتى ثار عليه الأتراك وقتلوه عام ٢٥٦ [١] . ثم واكب من ايام المعتمد حوالي اربعة أعوام ، حيث توفى عليه السلام عام ٢٦٠ [٢] . على حين استمر المعتمد في الحكم إلى عام ٢٧٩ حيث خرج من سامراء وقتل ، وبذلك انتهت هذه البلدة عن كونها عاصمة للخلافة العباسية ، وعادت الخلافة إلى بغداد .. وقد سبق في الفصل الأول ان حملنا عن ذلك فكرة كافية .

موقفه (ع) تجاه الأحداث العامة :

وهنا نواجه نفس الفجوة التاريخية التي كنا نواجهها في تاريخ الامام الهادي عليه السلام . وهو عدم ورود تعليقات الامام العسكري (ع) على جملة من الحوادث العالمية في أيامه . وقد اعطينا فيما سبق المبررات الواقعية لذلك مفصلاً .

والمهم ان نعرف انه واكب عصر الامام العسكري (ع) العديد من الحوادث المهمة المختصة به . فالعام الأول من إمامته عليه السلام هو العام الأول لبدء دولة احمد بن طولون في مصر . حيث بدأت بتوليه الحكم على مصر والياً من قبل احد الاتراك هو بابكيال .. أولاً . ثم آخر منهم هو ياركوج [٣] حيث استعمله الأخير على ديار مضر كلها وسلطه عليها فقوى امره وعلا شانه ودامت ايامه .

---

١ – المصدر ص ٣٥٥ .

٢ – انظر ابن خلكان ج ١ ص ٣٧٢ والكامل ج ٥ ص ٣٧٣ و ابن الوردي ج ١ ص ٢٣٢ والاتحاف ص ٦٨ والارشاد ص ٣١٥ واعلام الورى ٣٤٩ والمناقب ص ٥٢٤ والفصول المهمة ص ٣٠٧ .

٣ – الكامل ج ٥ ص ٣٣٩ .

وفي ايامه عليه السلام ، كانت سيطرة الحسن بن زيد العلوي على طبرستان ، في ثورته الكبرى ضد السلطة التي دامت عدة سنوات ، وما قام به وما نفذ ضده من حروب .

ويتكلل كل ذلك ، من ناحية الاهمية بالنسبة إلى الكيان العباسي القائم بل لشعب المنطقة كله .. بظهور صاحب الزنج بثورته العارمة الصاخبة التي عرفناها فيما سبق وقد استمرت حوالي الخمسة عشر عاماً . وسنجد للامام (ع) تعليقاً بسيطاً على صاحب الزنج . أما الحوادث الاخرى فلم نسمع منه عليها تعليقاً . وانما كان كابيه يقتصر في نشاطه بصفته إماماً لمواليه وأصحابه ومشرفاً على مصالحهم العقائديةوالاجتماعية مضافاً إلى تمهيده المباشر لغيبة ولده الحجة بن الحسن المهدى عليه السلام.

ومن الغريب المؤسف ، ان ظروفاً صعبة نراها تمر على الخلافة العباسية في هذا العصر بالذات ، ضعفت فيها الخلافة ، وسيطر على الحكم الموالي والأتراك وجماعة آخرين كالموفق طلحة بن المتوكل . ونرى المهتدي يتحنث ويتشبه بعمر بن عبد العزيز في بني امية ، وينصب قبة للمظالم ويتقرب إلى الله بما يعتقده من خدمة الناس وقضاء حوائجهم[1] كل ذلك لم يوجب خفة الضغط الموجه ضد الامام وأصحابه ومواليه ، بل كان في ازدياد مستمر وتصاعد كبير ، على ما نرى من المعتمد عند وفاة الامام العسكري وتقسيم أمواله وبدأ الغيبة الصغرى ، على ماسنسمع ، بالرغم مما كان يتمتع به المعتمد من سلبية وانصراف عن شؤون الدولة.

والسبب في ذلك واضح وهو ان التوجس من الامام وأصحابه والخوف من تحركاته ، لو كان مقتصراً على شخص الخليفة أو بطانته ،

---

١ - انظر الكامل جـ ٥ ص ٣٥٧ والمروج جـ ٤ ص ١٠٣ .

لهان الأمر ، ولاستطاع الامام بكثير من الوسائل اخفاء نشاطه وبث تعاليمه بعيداً عن انظار الدولة . ولكن الأمر ليس كذلك ، بل كان هذا التوجس والانحراف متمثلا في خط اجتماعي عام لم يكن الخليفة إلا أحد افراده .. يضم كل من سيطر على الدولة وكسر شوكة الخلافة، كالموفق نفسه وجماعة الاتراك والموالي في أكثر قوادهم وعامتهم. كما يضم، إلى جانب ذلك ، عدداً كبيراً من المصلحيين والمتفعين و « أعضاء الشرف » في جهاز الدولة الكبير .

فكان هذا الخط الاجتماعي العام يتعاون ويتضامن ضد الخط العام الذي تمثله قيادة الامام عليه السلام . ويحاول بكل صراحة وجد أن يبعد الامام وأصحابه عن المسرح السياسي والاجتماعي ويعد عليهم أنفاسهم ويحاسبهم على القليل والكثير . فمن ثم لا ينبغي أن نتوقع خفة الضغط بتوالي الأعوام ؛ بل شدته وترسخه وعمق تأثيره .

وعلى أي حال، فينبغي أن نكون على ذكر من ذلك ، في مستقبل البحث فانه يمثل أحد الأسباب المهمة لحدوث الغيبة .

تفاصيل مواقفه :

إذا نظرنا إلى مواقفه وأعماله عليه السلام ، نجدها امتداداً طبيعياً لمواقف واعمال والده عليه السلام ،كما هو غير خفي لدى مقارنة بعضها من بعض ، ومعرفة انها تستقي من معين واحد وتتجه اتجاهاً متشابهاً . ونستطيع ان نقسم مواقفه عليه السلام إلى أربعة :

الموقف الأول : موقفه تجاه من لا يؤمن بامامته،حكاماً ومحكومين.

كاقامة الحجة عليهم أو تعليقه على بعض أعمالهم .

الموقف الثاني : جهاده العلمي في رد الشبهات وايضاح الحق .

الموقف الثالث : موقفه من أصحابه ، محذراً لهم من الوقوع في الشرك العباسي ،أو معيناً لهم على نوائب الدهر .

الموقف الرابع : تمهيده لغيبة ولده قائم آل محمد (ص) .

فلا بد من الدخول في تفاصيل هذه المواقف :

الموقف الأول : موقفه تجاه من لا يؤمن بامامته :

ومن خلال تفاصيل هذا الموقف يمكن أن نضع يدنا على عدة نقاط:

النقطة الأولى : موقفه من خلفاء عصره :

كانت السياسة العباسية تجاه الأئمة عليهم السلام،تلك السياسة التي سنها المأمون تجاه الامام الجواد وطبقها المتوكل تجاه الامام الهادي، وهي ربط الامام بالبلاط ودمجه بالحاشية توصلاً الى دوام مراقبته ودقة الاطلاع على امره وفصله عن قواعده الشعبية الموالية له .. كانت هذه السياسة سارية المفعول تجاه الامام العسكري ، فكان كوالده محجوزاً في سامراء مسؤولاً عن الذهاب إلى بلاط الخلافة كل اثنين وخميس[1] .

---

١ - المناقب ج ٣ ص ٥٣٣ .

الا ان علاقته بالخلفاء كانت باحتراس وحـذر مضاعفين ، وكانت خالية من الضجيج الذي كان يثار حول والده عليه السلام بـل كانت تقام بشكل روتيني رتيب ، تمسكاً بتلك السياسة العامة بدون ان ينقل خبر في التاريخ عن تفاصيل العلاقات بينه وبين كل واحد من خلفاء عصره .

وانما اقتصر التاريخ على نقل تنبؤات الأمام عليه السلام ، بموت من مات في عصره من الخلفاء ، وهم اثنان : المعتز والمهتدي .

اما بالنسبة إلى المعتز ، فنجد الامام عليه السلام يكتب إلى أحـد أصحابه قبل موت المعتز بنحو من عشرين يوماً: الزم بيتك حتى يحدث الحادث . فيتخيل الرجل ان المراد الاشارة إلى حادث آخر . فلما قتل بريحة كتب اليه : قد حدث الحادث فما تأمرني . فكتب الامـام اليه : ليس هذا الحادث . الحادث الآخر ، فكان من المعتز ما كان [٢] . وكلنا يعرف ما الذي كان ، من مقتل المعتز عام ٢٥٥ بيد الاتراك على أساس ضيق ذات يده عن دفع الرواتب والأرزاق ، وبخل امه عن امـداده بالمال ، على ما سمعنا من التاريخ العام في الفصل الأول .

لاحظ معي قول الراوي : فكان من المعتز ما كان ، بما فيه مـن تعمد الاغماض وبُعد الاشارة إلى مقتل المعتز . كما ان تعبير الامام عن ذلك أشد غموضاً . وقد عرفنا إلى الآن تفاصيل الظروف التي أوجبت إغماض العبارتين .

---

٢ – المناقب جـ ٣ ص ٥٣٦ .

ومثله في الغموض تنبؤه الآخر بقتل المعتز ، حيث يروى ان المعتز أمر سعيداً الحاجب بقتل الامام بعيداً عن عيون الناس . قائلاً له : اخرج أبا محمد إلى الكوفة ثم اضرب عنقه في الطريق . قال الراوي : فجاء توقيعه عليه السلام الينا – يعني إلى إصحابه – : الذي سمعتموه تكفونه . فخلع المعتز بعد ثلاث وقتل[1] .

ولا يخفى ما في هذه العبارة الغامضة تجاه الجهاز الحاكم ، من وضوح تجاه أصحابه عليه السلام ، ورفع لمعنوياتهم ، أن يعلموا ان امامهم وقائدهم المهدد سيبقى على قيد الحياة . وان الذي هدده هو الذي سيبوء بالفناء والدمار . مضافاً إلى انها ستكون دليلاً جديداً على ايمانهم وصدق مقاعدهم ، عند تحقق النبوءة فتزيدهم قوة في العمل وتحملاً للتضحية في سبيل الحق .

واما بالنسبة إلى المهتدي العباسي ، فما قد يلاحظه التاريخ من كونه متحنثاً متديناً ، يتشبه بعمر بن عبد العزيز ، وكان يواصل الصيام وكان يركع ويسجد إلى ان يدركه الصبح[2] وانه بنى قبة للمظالم جلس فيها للعام والخاص وامر بالمعروف ونهى عن المنكر وحرّم الشراب ونهى عن القيان وأظهر العدل[3] ... هذا وان كان تقدماً نحو الحق بالنسبة إلى أسلافه وتخلصاً عن كثير من العثرات والانحرافات التي وقعوا فيها . إلا انه على أي حال حق بمقدار فهمه وادراكه .. حق مبتور

---

١ – المناقب جـ ٣ ص ٤٣١ .

٢ – المروج جـ ٤ ص ١٠٣ .

٣ – المصدر ص ٩٦ .

ناقص .. لا يمكن أن يكون هو التطبيق الصحيح للاسلام . ومن ثم موقف الناس منه موقف الرافض المستنكر . وذلك انطلاقاً من احدى وجهتي نظر :

وجهة النظر الاولى :

وجهة من يجعل آلهه هواه، ويستصعب الحق والعدل ويستكين الى اللهو واللعب الذي عودهم عليه الخلفاء السابقون . فكان مسلك هذا الرجل ضيقاً عليه واحراجاً لموقفه . يمثل هذه الوجهة أكثر الشعب وأكثر القواد والوزراء والمنتفعين . يقول المسعودي : فثقلت وطأته على العامة والخاصة ، فاستطالوا خلافته وسئموا ايامه وعملوا الحيلة عليه حتى قتلوه [1] .

وجهة النظر الثانية :

وجهة الامام عليه السلام الواعية لحقيقة المشكلة الاجتماعية من ناحية وللعدل الاسلامي من ناحية اخرى . فليست المشكلة الاساسية في المجتمع، ما أدركه المهتدي من سوء القضاء أو انصراف الخليفة عن مصالح الناس أو كثرة البذخ في البلاط أو زيادة مكتسبات القواد ورواتبهم .. فان كل ذلك وان كان ظالماً خارجاً على حكم الاسلام .. إلا ان ذلك كله فرع الحقيقة الكبرى للمشكلة ، وهو انحراف المجتمع اساساً عن العدل الاسلامي وعدم وعيه له وعدم استعداده لتطبيقه والتضحية في سبيله . والحل لا بد ان ينطلق من محاولة ايجاد الوعي وتثقيف الناس ، حتى يخضعوا للحكم العادل ويكون طيباً على نفوسهم .

---

١ – المروج جـ ٤ ص ٩٦

كما ان العدل الاسلامي ليس هو ما يقضي به المهتدي ، فانه على أي حال ليس جامعاً لشرائط القاضي العادل في الاسلام . وبالنتيجة فان هذا الرجل هو ثمرة لخط طويل ، منحرف ـ في نظر الامام (ع) ـ وغاصب للحق الاولي الذي يؤمن به الامـام لنفسه ولآبائه . ومن ثم لم تكن سيرة المهتدي لتشفع تجاه الامام بحيث يخرج بها هذا الرجـل عن كونه ظالماً إلى كونه عادلاً .

زد على ذلك ، ان هذا الرجل الذي يدعي العدل ، قد مارس سجن الامام عليه السلام ، اذن فهو ـ على ما هو عليه ـ ممثل للحقد التقليدي للدولة العباسية تجاه الامام . وقد صرح الامام في سجنه لأحد أصحابـه المسجونين معه قائلاً : في هذه الليلة يبتر الله عمره . قال الراوي : فلما أصبحنا ، شغب الأتراك وقتل المهتدي وولى المعتمد مكانه [1] . واذا رجعنا إلى التاريخ العام نرى كيف ان الأتراك بقيادة بابكيال قاتلوه وحاججوه على سيرته وعزلوه وقتلوه .

ومن طريق ما قالوا له : ان الرسول (ص) كان مع قوم قد زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة كأبي بكر وعمر وعثمان وعـلي وغيرهم . وانت إنما رجالك ما بين تركي وخزرجي وفرغاني ومغربي وغير ذلك من أنواع الأعاجم .. لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم ، وانما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا ، فكيف تحملهم على مـا ذكرت من الواضحة [2] .

---

١ – المناقب جـ ٣ ص ٥٣٥ .

٢ – المروج جـ ٤ ص ٩٩ .

ومن طريف ما فعل يومئذ : انه بعـــد انهزام جيشه في قتال الأتراك ، دخل سامراء وحده مستغيثاً بالعامة مستنصراً للناس ، وهو ينادي : يا معشر المسلمين أنا أمير المؤمنين قاتلوا عن خليفتكم . فلم يجبه أحد من العامة إلى ذلك [1] .

ونسمع للامام تنبأ آخر عن موت المهتدي اسبق مـن ذلك التنبؤ بايام مقروناً بتعليق سياسي.وذلك : ان المهتدي بعد ان استفحل الأمر بينه وبين الموالي ، عزم على استئصالهم [2] وحلف قائلاً : لاجلينهم عن جديد الأرض . فخطر في ذهن بعض أصحاب الامام ان انشغال المهتدي بذلك يصرفه عن ملاحقة الامام وتهديده له . فكتب إلى الامام: يا سيدي ، الحمد لله الذي شغله عنك ، فقد بلغني انه يتهددك .

فانظر بماذا اجاب الامام .. انه إذ يعيش الجو السياسي آنئذ يرى بوضوح ان الموالي أقوى من المهتدي وأكثر عدة وعدداً . وإذا فهم الموالي قصده ضدهم .. فما أسهل من قتلهم أياه . ومن ثم يكون تهديده لهم جناية من نفسه على نفسه وقطعاً لعمره،من دون ان يترتب غرضه. فقد وقع الامام بخطه:ذاك أقصر لعمره . عد من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس ، بعد هوان واستخفاف يمر به [3] . يشير إلى القتال والمناقشات وعدم خروج الناس لنصرته .. فكان كما قال [4] .

١ – الكامل ج ٥ ص ٣٥٦ .

٢ – على ما تقول الرواية – في تاريخنا الخاص – وهو أمر غير معروف من التاريخ العام. وان كانت القرائن الاجتماعية قائمة على صحته .

٣ – اعلام الورى ص ٣٥٦ .

٤ – الارشاد ص ٣٢٤ .

موقف المعتمد تجاه الامام :

نرى للمعتمد موقفاً غريباً لم يسبق لأحد من أسلافه ان قام به ، وهو موقف التذلل للامام والتضرع اليه .

فانه كان يكفي لهذا الرجل ادنى تفكير .. ليتوصل إلى الشك في بقائه في الخلافة يوماً أو بعض يوم فضلاً عن العام والأعوام . اذ يكفي ان يستعرض آجال اسلافه من الخلفاء وكيف كتبها الموالي والأتراك بسيوفهم وآرائهم ، ليدرك ضعف موقف الخلافة بشكل عام لا في السيطرة على الحكم فقط ، بل في السيطرة على الخلافة نفسها . اذن فهو بصفته سائراً في هذا الخط ، فلن يكون أحسن حالاً من اسلافه ، بل قد يكون ـ في نظره ـ أسوأ حالاً باعتبار كونه مغلوباً على أمره مسلوباً عن التصرف بالكلية ، على حين كانوا أقوى منه وأكثر حرية وانفذ حكماً .

لذا فقد وجد أقرب طريق لدفع الشر المستطير عن نفسه وضمان طول عمره وامتداد حكمه ، ولا زال في أول أعوام خلافته ، هو أن يقصد الأمام عليه السلام في داره ويتضرع اليه ويساله أن يدعو له بالبقاء عشرين سنة في الخلافة ، فيجيبه الامام قائلاً : مد الله في عمرك [١] .

انظرْ إلى هذه المدة التي حددها لنفسه .. انها اقصى همة المعتمد وابعد أهدافه !! ومهما يكن رأيك في الدعاء .. فاننا نجد أن مدة

---

١ - المناقب ص ٥٣٠ ج ٣ .

خلافته زادت على العشرين بثلاث سنين من عام ٢٥٦ إلى عام ٢٧٩ . كما يطلعنا على ذلك التاريخ العام . على حين لم يبق المتوكل - وهو أقوى خلفاء تلك الفترة - في الحكم غير خمسة عشر عاماً ، من عام ٢٣٢ إلى إلى عام ٢٤٧ .

ولعل السر في زيادة الثلاث سنين على العشرين هو انه عاش بعد دعاء الامام عشرين سنه . ولذلك تشير الرواية قائلة : فاجيب - يعني الامام - وتوفى - المعتمد - بعد عشرين سنة [1] مع افتراض ان المعتمد طلب الدعاء من الامام بعد ثلاث سنين من خلافته ، يعنى عام ٢٥٩ . وهو أول عام لاحساسه بالضعف نتيجة لبدء سيطرة الموفق على دفة الحكم والادارة ، بعد ان عقد له المعتمد بنفسه وعينه قائداً لحرب صاحب الزنج قبل هذا التاريخ بعام أي سنة ٢٥٨ .

ولكننا نستطيع الآن أن نرى بوضوح ، السر الطبيعي لاستجابة دعاء الامام عليه السلام. فان المعتمد كان واهماً في كون ضعفه وانصرافه عن الحكم موجباً لقلة مدته وقصر عمره . فان القوم من الأتراك وغيرهم انما كانوا يقتلون اسلافه نتيجة لغضبهم من تصرفاتهم وأقوالهم . واما إذا كان الخليفة نكرة سلبياً لا قول له ولا فعل .. فهو الامل الأساسي لهم لكي تنثني لهم الوسادة وتنفتح أمامهم الفرصة في التصرف التام في شؤون البلاد . ولعل المعتمد قد فهم ذلك - لا شعورياً على الأقل ففضل بقاءه في الخلافة على السعي إلى تطبيق المصالح الاسلامية العليا .

---

١ - نفس المصدر والصفحة .

ومن ثم استكان للذل والانعزال . وبهذا امكن استجابة الدعاء وبقاء المعتمد في الخلافة هذه المدة المتطاولة التي تزيد على تاريخ وفاة الامام العسكري بحوالي تسعة أعوام .

ولعلك لاحظت معي أيضاً ، كيف ان المعتمد يعرف موطن الحق، ويؤمن في باطن نفسه بصحة موقف الامام (ع) وعدالة قضيته . وان كانت شؤون الملك العباسي قد أخذت بخناق المعتمد واوجبت غلظته على الامام (ع) وعلى أصحابه . واما لو لم يكن المعتمد مؤمناً بذلك لما وجد أي داع في نفسه لمثل هذا الطلب والتضرع ، ولاختار شخصاً آخر للقيام بمثل هذه المهمة .

فليكن هذا على ذكر منك ، فانه ينفعنا في تفسير جملة من تصرفات المعتمد عند وفاة الامام العسكري عليه السلام .

* * *

واما موقف الامام (ع) في استجابته لطلب المعتمد في الدعاء له . فقد كان واضحاً كل الوضوح ، فهو :

اولا : لم يرد اعلان التمرد والخلاف على الدولة ، للذي عرفناه من سياسته وسياسة ابيه عليهما السلام . وكان رفضه لطلب الخليفة بالدعاء له تجسيداً لموقف التمرد والخلاف على الدولة ، بشكل أو بآخر ، وهو ما لا يريده الامام عليه السلام .

ثانياً : كان يريد عليه السلام اثبات الحجة على هذا الرجل وعلى غيره ممن

يعرف هذه الواقعة . حين يرى الناس ، وبخاصة الخليفة نفسه ، في نهاية حياته ، أنه قد استجيب الدعاء وقد استمرت مدة حكمه بالفعل عشرين سنة . فيتأكد بذلك من عدالة قضية الامام وانحراف الخط الحاكم .

وقد يخطر في الذهن : ان هذا الدعاء من الامام (ع) يستوجب طول عمر شخص يعتقده الامام نفسه ظالماً منحرفاً . وجوابه : ان الامام كان يعلم ان المعتمد متى وافته المنية - سواء طال زمانه أو قصر - فلن يخلفه إلا شخص مثله من حيث الفكرة والاتجاه . ولم يكن الامام على ما عرفنا يخطط لنيل الحكم لكي يكون موت المعتمد موجباً لفوز الامة الاسلامية بالحكم الاسلامي بقيادة الامام عليه السلام. اذن فيتمحظ الموقف في الحصول على المصالح التي اشرنا اليها ، وهي اقامة الحجة ضد موقف المعتمد ، لاثبات عدالة قضية الامام (ع) وأصحابه .

خلط تاريخي :

والذي نود ان نشير اليه ، ونحن في صدد الكلام عن موقف الامام من الخلفاء . انه وقع في هذا الصدد بعض التخليط في الروايات ، حيث تذكر موقفاً للامام العسكري عليه السلام تجاه المستعين [1] . وهذا لا يمكن ان يكون صحيحاً .فان هذا الامام وان كان معاصراً لعهدالمستعين إلا ان ذلك كان في زمان حياة ابيه عليه السلام قبل توليه الامامة الفعلية . ونحن نعرف من العقائد الاسلامية ان كل امام يبقى في زمان ابيه صامتاً غير ذي نشاط ، وانما يبدأ علاقاته ونشاطه كله بعد موت

١ - انظر الارشاد ص ٣٢١ وكشف الغمة ٢٢٠ .

ابيه وتوليه الامامة الفعلية لمواليه .

فهذه الروايات اما ان تكون مكذوبة ، من قبل الرواة أو انهـا تحتوي على تحريف وتخليط بين اسماء الخلفاء ، فانه قد يحصل مثل هذا الاشتباه لمدى التشابه اللفظي بين القابهم . أو انه حصل الاشتباه في اسم الامام عليه السلام ، إذ قد يكون الموقف لابيه وقد نسب اليه . باعتبار ان كليهما عليهما السلام كان يسمى بالامام العسكري ، وان كان هـذا اللقب على الحسن بن علي عليه السلام أشهر .

ومثله مـا روى من علاقته عليه السلام بالمتوكل [1] فانـه لم يكن معاصراً لعصر إمامته عليه السلام .

وقد التفت الاربلي في كشف الغمة [2] إلى هـذا التخليط ، ونسبه إلى غلط الرواة والنساخ ثم قال : وللتحقيق حكم . أقول : وعلى أي حال تسقط هذه الروايات عن كونها صالحة للاثبات التاريخي .

النقطة الثانية : موقف الامام العسكري من وزراء عصره .

نجد للامام عليه السلام موقفاً حافلاً مع الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، الذي استوزره المعتمد في أول تسلمه الحكم عام ٢٥٦ [3] وله مجلس قصير معه يرويه أبنه احمـد . وكان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام . ومع ذلك نسمعه يقول : ما رأيت ولا

---

١ - انظر المناقب جـ ٣ ص ٢٢٠

٢ - انظر ، ٣ ص ٢٢٠ .

٣ - انظر الكامل جـ ٥ ص ٣٥٨ والمروج جـ ٤ ص ١١١ .

٤ - انظره في الأرشاد ص ٣١٨ واعلام الورى ص ٣٥٧ وغيرها

عرفت بسر من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا ، في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة وتقديمهم اياه على ذوي السن منهم والخطر . وكذلك كانت حاله عند القواد والوزراء وعامة الناس .

ونحن إذ نسمع هذا المدح والاكبار من أحمد بن عبيد الله ، نعرف اثر هذا المجلس الذي سيرويه بنفسه ، وتغير عقيدته من النصب إلى الحب ، ولكنه على أي حال لم يؤمن بالامامة .

واذ يفكر الامام العسكري عليه السلام ان يزور عبيد الله بن خاقان ابان وزارته ، فانه يتوخى عدة مصالح ومبررات كلها أو بعضها :

احدها : ان هذه الزيارة امتداد لتلك السياسة القديمة التي سار فيها المتوكل تجاه ابيه ، من التقريب إلى البلاط ، والدمج بالحاشية . ولم يكن الامام بسلبيته ، مريدا الخروج على هذه السياسة أو الاحتجاج ضدها

ثانيها : ان الامام كان يستهدف من وراء هذه الزيارة بعض مصالح أصحابه ، اما تأليفاً لقلب هذا الوزير تجاههم ، أو انه كان قاصداً اليه بحاجة مهمة معينة ، لم يذكرها له ، لانقطاع مجلسه معه بدخول ابي احمد الموفق زائراً للوزير على ما سنذكر .

ثالثها : ان هذا الوزير كان يحترم الامام ويعتقد بقدسيته وعظمته وجدارته ، كما يدل عليه كلامه الذي سنسمعه عنه . وكان الامام عليه

السلام يعلم منه ذلك . فذهب لزيارته تأييداً لهذه الجهة في نفسه وإذكاء لهذا النور في قلبه.وكانه يريد ان يفهم الدولة بشكل عملي انه عليهالسلام إلى جنب الوزير في انتقاده للظلم وانحراف الصادر من رجال الحكم، فانه عليه السلام يعطي التأييد لكل حق ، اينما وجد الحق . وليس له عداوة شخصية مع أحد ، فانها قضية أمة ودين ، وهي اعلا وأوسع من الأشخاص والارقام .

وقد اختار الامام عليه السلام ان تكون زيارتـــه في مجلسه العام لكي يحقق ذلك الهدف ، ولئلا تكون زيارة خاصة قد تثير الشكوك . وكان مجلس الوزير محتشماً مهيباً باحتشام الوزير وهيبته فــكان لا يكنى أحد بحضرتـه ولا يمشي مستقبلاً أو مودعاً أحداً ولا يجوز الدخول اليه إلا بعد اذنه الخاص .

وفي اثناء جلوسه في مجلسه ، وولده احمد يقف خلفه إذ يدخـل حجابه قائلين : أبو محـــمد بن الرضا بالباب . فيأخذ هذا الخبر اهتماماً في نفس الوزيرويقول بصوت عال محاولاً اسماع الزائر الكريم : أئذنوا له . قال ولده احمد : فتعجبت مما سمعت منهم ومن جسارتهم ان يكنوا بحضرة ابي ، ولم يكن يكنى عنده إلا خليفة أو ولي عهـد أو من أمر السلطان أن يكنى .

يقول : فدخل رجل حسن القامة جميل الوجه جيد البدن، حديث السن ، له جلالة وهيئة حسنة . أقول:كان عمره في أول وزارةعبيد الله بن خاقان أربعاً وعشرين سنة . وانما استجلب عمره انتباه احمد،باعتبار

كثرة ما رأى له من تبجيل واحترام ، مما لا يكون غالباً للفتى في مثل عمره عليه السلام ، بحسب فهم هذا الرجل وتصوره .

قال احمد : فلما نظر اليه ابي ، قام فمشى اليه خطا ، ولا أعلمه فعل هذا باحد من بني هاشم والقواد . فلما دنى منه عانقه وقبل وجهه وصدره ، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلمه ويفديه بنفسه. أقول : ولا يخفى أثر هذا الاحترام على مجموع الحاضرين ، في مثل هذا المجلس المحتشم . وبخاصة في نفس احمد بن عبيد الله ، الذي كان متعجباً مما يرى من ابيه .

وبعد برهة قصيرة ، اذ دخل الحاجب معلناً عن مجيء الموفق « طلحة بن المتوكل » الذي يكلفه المعتمد يومئذ بقتال صاحب الزنج . وكان الموفق إذا دخل على هذا الوزير تقدمه حجابه وخاصة قواده ، فوقفوا بين مجلس الوزير والدار على شكل صفين من حين دخول الموفق إلى حين خروجه .

وكان الوزير لا يزال مقبلاً على ابي محمد عليه السلام يحدثه حين سمع بمجيء الموفق . وهو يعلم كل العلم بما في عثور الموفق على الامام في هذا المجلس من الخطر عليه وعلى الامام معاً . فاراد أن يعرفه بكل أدب واحترام قبل دخول الموفق . فقال له : اذا شئت ، جعلني الله فداك يكني بذلك عن طلب القيام منه . ثم عانقه وأمر حجابه بالأخذ بيد الامام وراء أحد الصفين ، ليكون في امكانهم أن يخرجوه خلسة .

واما احمد بن عبيد الله فقد بقي قلقاً متفكراً في أمر ابيه وأمر

الامام ، حتى استغل فرصة سانحة لأبيه فاستأذنه بالسؤال وقال : يا ابه ! من الرجل الذي رأيتك بالغداة ، فعلت به ما فعلت من الاجلال والكرامة والتبجيل ، وفديته بنفسك وابويك . قال : فقال: يابني ذاك امام الرافضة الحسن بن علي المعروف بابن الرضا. ثم سكت وأنا ساكت، ثم قال : - وانظر إلى ما قال ! : - يا بني لو زالت الامامة عن خلفائنا بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره لفضله وعفافه وصيانته وزهده وعبادته وجميل اخلاقه وصلاحه . ولو رأيت اباه رأيت رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً .

وهذا يدل بكل وضوح ، على الذي عرفناه في تاريخ الامام الهادي عليه السلام ، من ان عظمة الامام وعدالة قضيته قد تمشت في قلوب الناس وافكارهم، نتيجة لجهود الامام المتظافرة ، فلم تدع حتى المنتفعين من الدولة والمنخرطين في سلكها ، فضلاً عن جمهور العامة وسائر الناس .

قال أحمد : فلم تكن لي همة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره . فما سالت أحداً من بني هاشم والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس ، إلا وجدته عندهم في غاية الاجلال والاعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه . فعظم قدره عندي . إذ لم أر له ولياً ولا عدواً الا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه .

النقطة الثالثة : موقف الامام من صاحب الزنج .

نستطيع ان نحلل موقف صاحب الزنج نفسه إلى ثلاث أمور :

الأول : خروجه على الدولة العباسية وخلافتها .

الثاني : زعمه الانتساب إلى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام . حيث زعم انه علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابي طالب [1] .

الثالث : خروجه على القانون الاجتماعي السائد بما فيه تعاليم الدين الاسلامي نفسه ، من قتله الرجال وسلبه الأموال واحراقه المدن وسبيه النساء ،كل ذلك بالجملة وبلا حساب وباعداد الآلاف لا الآحاد ولاالعشرات.

اما الأمر الثالث : فموقف الامام عليه السلام منه واضح كل الوضوح وهو الاستنكار والرفض التام القاطع لكل تلك الأعمال ، على أساس منافاتها الفاضحة لعدالة الدين وتعاليم سيد المرسلين ، تلك التعالم التي يمثل الامام قمتها العليا ، في نظره ــ على الأقل ــ .

ونحن في غنى في معرفة ذلك عن وروده في الروايات . وستأتي الاشارة إلى سبب سكوت الامام عنه ، مضافاً إلى وضوحه واخذه مسلماً ومفروض الصحة بينه وبين أصحابه .

واما الأمر الثاني : فهو الذي وردنا عن الامام عليه السلام نفيه فانه بصفته أعظم فرد في عصره من الذرية العلوية ، يكون هو المسؤول عن ايضاح صحة نسبة هذا المدعى وبطلانها . وبخاصة بعد أن توجه السؤال اليه في ذلك . فاجاب قائلاً : ــ ضمن كلام له ــ : وصاحب الزنج

---

١ ــ الكامل جـ ٥ ص ٣٤٦ وغيره.

ليس منا أهل البيت [1] .

ولا يخفى ما في تجريده عن هذه الصفة من سوق رائجة عندالناس، فان العقل والشرع وان حكما بانه « لا تزر وازرة وزر اخرى » وانه لا نقص في الاب إذا كان أحد ذريته منحرفاً ظالماً . كيف وان ابراهيم الخليل على نبينا وعليه السلام كان له ذرية ظالمون ، أخرجهم الله تعالى عن عهده بقوله عز من قائل « لا ينال عهدي الظالمين » . إلا ان الجمهور سوف يقول ما يشاء ويلوك العلويين بما هم منه براء . ومن ثم نستطيع ان نتصور أثر ادعاء صاحب الزنج الانتساب اليهم ، واثر تكذيب الامام (ع) اياه .

ولم يُسأل الامام عن التفاصيل السياسية لثورة الزنج لعدم تحمله مسؤولية بيانها باعتباره ليس حاكماً ولا في طريق الحكم . وكل من يكون كذلك لا يكون مسؤولاً عن بيان آرائه السياسية كما أسلفنا . مضافاً إلى ان نقد صاحب الزنج في تفاصيله يحتوي على تأييد ضمني للدولة . وبخاصة إذا عرفنا ان المنازل له في حومة القتال هو الموفق الذي خشي عبيد الله بن خاقان ان يجتمع بالامام في مجلسه ـ فاستنكار ثورة الزنج يجب ان يعطى من قبل الامام بحذر بالغ بشكل لا يستشعر منه ذلك التأييد . فان الامر الأول الذي ذكرناه لصاحب الزنج وهو خروجه على الدولة العباسية ووقوفه منها موقف المعارض ، أمر ينبغي المحافظة على معنويته ، من حيث كونه مؤدياً إلى اضعاف الحكم

---

١ - المناقب جـ ٣ ص ٥٢٩ .

وكسر شوكته . وهذا معنى الفكرة القائلة : بان المعارضين ـ مهما ختلفوا ـ يشتركون في مناوئة الوضع القائم .

على ان هناك فائدة اخرى قد ينالها الامام وأصحابه من وراء حركة الزنج . فهي في نظرهم وان كانت واقعاً مؤسفاً إلا انها حقيقة واقعة يمكن استغلالها . وذلك : لأن الدولة لم تكن من القوة بحيث يمكنها أن تحارب في جبهتين ، وان تعطي لكل جبهة ثقلها المطلوب . اذن فاتجاهها لحرب الزنج يعني ـ إلى حد ما ـ خفة الضغط على الامام وأصحابه . ولكننا يجب أن لا نبالغ في ذلك فان الدولة كانت تبذل المستحيل في سبيل صد نشاط الامام والوقوف ضده ، بل انها اتراه ـ في واقعه ـ أشد خطراً وابعد أثراً من الزنج . وهي ـ على أي حال ـ لا تتكلف تجاه الامام وأصحابه حرباً حقيقية وانما غاية ما تتكلفه هو البذل على التجسس والسجن والتشريد ، وهو أمر لا ينافي القيام بالحرب في جبهة اخرى .

النقطة الرابعة : موقف الامام من ساجنيه .

واقصد بهم من يتولى سجنه والاشراف عليه من قبل الدولة . فقد كان عليه السلام يقيم عليهم الحجة الواضحة التي يجعلهم بها يؤمنون به أعمق الايمان ، وبالتالي : بجريمة من أمر بسجنه ورضى به .

الا أنه كان يقيم الحجة بطريق غير مباشر، لا يستخدم فيه الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وانما يقيمها بافعاله .. بعبادته .. بزهده .. بالآيات التي يتعمد أقامتها أمامهم بكل بساطةوهدوء. ومن ثم

نرى ان السجان حين يؤمن به ، يختص إيمانه بشخص الامام من دون ثقافة تفصيلية ، تلك الثقافة التي لم تكن متوفرة عند أمثال هؤلاء إلا باقل القليل . ما لم يفترض ان الامام يستطيع أن يزرق اليه بالكناية ولباقة التعبير بعض التوجيهات ، وخاصة بعد أن أصبح السجان ـ وهو عين الدولة عليه ـ مواليا له لا يحتمل في شأنه أن يشي به .

فمن ذلك انه حبس أبو محمد عليه السلام عند علي بن اوتامش،وهو أحد أتراك العاصمة العباسية. وكان شديد العداوة لآل محمد عليهم السلام غليظاً على آل ابي طالب .. فما أقام إلا يوماً حتى وضع خديه له،وكان لا يرفع بصره اجلالاً واعظاماً. وخرج من عنده وهو احسن الناس بصيرة وأحسنهم قولاً فيه [1]

وهذه الرواية ، والتي نذكرها بعدها أيضاً ، تهملان ذكر الخليفة الذي أمر بسجن الامام. وهذا من فجوات التاريخ التي يصعب الوقوف فيها على أمر يقين .

ومن ذلك انه عندما حبس الامام عليه السلام ، دخل العباسيون على صالح بن وصيف فقالوا له : ضيق عليه . فلم يستنكر ابن وصيف ذلك ، إلا انه اراد ان يعلن اعتذاره عن عجزه عن التضييق عليه ، فقال : وكلت به رجلين من شر من قدرت عليه : على بن بارمش واقتامش .. فقد صارا من العبادة والصلاة إلى أمر عظيم يضعان خديهما له. ثم ان ابن وصيف أمر باحضارهما لاستجوابهما أمام النفر العباسيين عن

---

١ ـ كشف الغمة جـ ٣ ص ٢٠٢ .

هذا التغير الذي طرأ عليها . فقال لها : ويحكما ! ما شانكما في شان هذا الرجل؟ فانظر بماذا اجابا وكيف يكون قولهما دعاية تلقائية صافية للامام (ع) أمام هؤلاء المتعنتين . فقد قالا : ما تقول في رجل يقوم الليل كله ، ويصوم النهار لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة . فاذا نظرنا اليه ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من انفسنا [1] .

ولعلك لاحظت معي معنى عجز الدولة عن التضييق عليه في سجنه . فان أمرها تجاه الامام دائر بين شيئين : فأما ان تقتصر في الاشراف عليه على فرد أو افراد معينين يواكبون كل الأيام التي يقضيها الامام في السجن . فهولاء سيصبحون بعد قليل من الاندفاع تجاه الامام بحيث يعد من المستحيل اقناعهم بتعذيبه والتضييق عليه . فلربما قدموا نفوسهم دونه أو عذابهم على راحته ، أو اشتغلوا بالعبادة عن تنفيذ ما يوجه اليهم من أمر بهذا الخصوص . واما ان ترى الدولة ضرورة تجنب ذلك فتستعين بكثيرين يقوم كل يوم واحد أو أكثر في الاشراف على السجن . فهذا يكون انكى عليها ، لأن هؤلاء برمتهم سيؤمنون بالامام ، ويصبحون - بشكل أو بآخر - من قواعده الشعبية ومؤيديه .

ثم انه من المعتقد ان كلتا الراويتين تعربان عن حادثة واحدة لسجن الامام عليه السلام . إلا ان الثانية توسعت في النقل أكثر واقتصرت الاولى على بيان حال علي بن اوتامش مع الامام. فاذا تم

---

١ - المناقب ج ٣ ص ٥٣٠ .

احتمال : ان يكون المراد من علي بن بارمش في الرواية الثانية هو علي بن اوتامش نفسه..مع حصول التحريف في نقله . إذا تم ذلك لم يبقَ أي تهافت بين الروايتين ـ أما صالح بن وصيف فلم يكن هو السجان وانما كان بمنزلة مدير السجن، اما الاشراف المباشر فلعلي بن اوتامش وصاحبه .

النقطة الخامسة : موقفه عليه السلام من عامة من لا يؤمن بامامته . وبخاصة الموالي والأتراك، لاجل اقامة الحق أو دفع الشبهات. ونحن هنا في غنى عن الاشارة إلى ما سبق ان عرفناه في تاريخ ابيه عليه السلام ، من اهمية هذا الموقف في زيادة المخلصين له وتوسيع قواعده الشعبية .. وبالتالي : بذر الشك في نفوس الناس من الحكم العباسي السائد .

فمن ذلك ان ابا محمد عليه السلام كان كثيراً ما يكلم غلمانه بلغاتهم وفيهم ترك وروم وصقالبة . قال الراوي : فتعجبت من ذلك. وقلت: هذا ولد بالمدينة ولم يظهر لأحد حتى مضى أبو الحسن عليه السلام ، ولا رآه أحـد ، فكيف هذا ؟ وبينا يحدث نفسه بذلك اذ اقبل الامام (ع) عليه وقال له : ان الله عز وجل ابان حجته من سائر خلقه واعطاه معرفة كل شيء ، فهو يعرف اللغات والانساب والحوادث . ولولا ذلك لم يكن بين الحجة والمحجوج فرق [1]

فقد دلت هذه الرواية على أمور رئيسية ثلاثة :

الأمر الأول : ان الامام عليه السلام كان يمتلك غلمانا كثيرين . ولعلك تتوسع في الظن إلى الاعتقاد بانه كان يملك إلى جانب ذلك ما

١ - الارشاد ص ٣٢٢ وما بعدها

يوازيه ويقتضيه من الدار الواسعة والأموال والعلاقات .

وهذا ، لو فرضت صحته ، فهو ناشيء من أحد منشاين :

المنشا الأول : ما سبق ان عرفناه من السياسة التي اتبعها العباسيون تجاهه وتجاه والده وجده عليهم السلام . تلك السياسة التي كانت قائمة ـ بحسب التحليل ـ على ركائز ثلاثة : أولها : تقريت الامـــام من البلاط والدمج بالحاشية . ثانيها : مراقبته والفحص عن أموره صغيرها وكبيرها جملة وتفصيلاً . ثالثها: اكرامه واحترامه ظاهراً ، لأجل ذر الرماد في عيون الناس واسكات من يحاول الاحتجاج على مراقبتـــه ومضايقته .

ومن الطبيعي أن يحتاج تقريبه من البلاط إلى حياة مرفهة توازي كل من هو قريب من البلاط ومندمج في الحاشية . ولا يمكن ان تدرك الدولة العباسية غير ذلك. كما ان الدولة كلما شددت على المراقبة والمطاردة احتاجت إلى « رماد » أكثر لتذره في عيون الناس بطبيعة الحال .

ومن الطبيعي ان نتصور ان الامام قد حصل على عدد من هؤلاء الغلمان نتيجة لهذه السياسة . والامام يتقبلها لأمرين : الأول : تمشياً مع سياسته السلبية تجاه الدولة وتجنباً لاثارة الخلاف معها . الثاني : كون ذلك في مصلحة العبيد أنفسهم ، من حيث انقاذهم من براثن الباطـل والانحراف وانتقالهم إلى طريق معرفة الحق.. وسيرهم في طريق الانعتاق في نهاية الشوط .

المنشأ الثاني : ما عرفناه أيضاً من أن الامام عليه السلام بصفته الرئيس

الأعلى لمواليه والمؤمنين به، يستقطب ،بحسب الامكان،كميات الأموال التي كانت ترد اليه من الأطراف من الحقوق الشرعية وغيرها مما يرسله مواليه. وكان يصرف القسم الأكبر منها على المصالح الاجتماعية والاسلامية لأصحابه ومواليه . وقد يبقى عنده ـ بعد ذلك ـ كمية من الأموال التي يستطيع الحصول بها على عدد من العبيد ، لأجل مصالحه العامة والخاصة ومصالح العبيد أنفسهم أيضاً .

ولا يفوتنا في هذا المجال ان نحتمل ـ على الأقل ـ ان جملة الأموال قد ترداليه ـ حين ترد ـ على شكل عبيد لا على شكل نقود. فيكون ذلك موجباً لتكدسهم لديه .

على ان الرواية عبرت بالغلمان ، والغلام في اللغة : العبد والأجير.. فربما كان عدد منهم أجرارا ولم يكونوا عبيداً . كان يستاجرهم للقيام بامور معينة تعود إلى مصالحه الخاصة والعامة . والرواية لم تـدل على اجتماعهم دفعة واحدة ليقال : أي حاجة إلى هذا المقدار من الاجراء يومياً .

الامر الثاني مما يلاحظ دلالة الرواية عليه : ما قلناه من ان القاعدة العامةتقتضى كون الامام خلال حياة ابيه أن يكون منعزلاً عن المسؤولية فارغاً عن شؤون القيادة وأعمالها . وتطبيقاً لهذه القاعدة كان الامام الهادي عليه السلام يحجب ابنه عن المجتمع ويبعده عن العلاقات العامة. وكان التركيز على الامام العسكري (ع) من هذه الناحية أشد ، لأجل تهيئة الذهنية العامة لتقبل احتجابه تقديماً لتهيئتها لغيبة الامام المهدي عليه السلام ، على ما سوف نشير اليه .

الامر الثالث : ان الامام عليه السلام ، مضافاً إلى هدايته لغلمانه الموالى واقامة الحجة عليهم، فانه أقام الحجة على الراوي أيضاً، بعد ان تعجب من معرفة الامام بمختلف اللغات . وكان حاصل مراد الامام في جوابه : ان الامام الذي يجب ان يكون المثال الأعلى للشعب المسلم وخير أفراد الأمة الاسلامية، إذا فرض انه كان جاهلاً باللغات ـ مثلاً ـ فانه يكون مشتركاً مع سائر الأفراد في هذا الجهل وليس له عليهم مزيـه . وهو معنى قوله عليه السلام : لم يكن بين الحجة والمحجوج فرق . ومن ثم جعـل الله تعالى للامام هذه الخصوصية وهي العلم بكل شيء ، حتى يتحقق فعلاً انه أفضل سائر أفراد الامة الاسلامية .

ويندرج في هذه النقطة من مواقف الامام عليه السلام .

ما روى من ان رجلا بالأهواز ناظر رجلا من التنويّة ، بقصد افحامه واقامة الدليل الاسلامي الصحيـح ضده . ولكنه كان ضعيف الثقافة الاسلاميه ، فبدل ان يؤثر فيه تأثرمنه . وقويت حجة ذاك الثنوي في نفس هذا الرجل . ثم ان قدم سامرا .. يقول :

فحين رأيت ابامحمد أوما بسبابته: احد احد. فخررت مغشيا علي[1] .

اقول : انما تكون هذه الاشارة دليلا على المطلوب ، مع انها تكرار لنفس الدعوى بدون زيادة ... باعتبار ان الامام استطاع استعمال المعجزة لاثبات الحجة ، فيكون في مستطاع هذا الرجل ان يقول في نفسه: بان هذا الامام قطعي الصدق باعتبار معجزته ـ وهي علمه بما في

---

(١) انظر المناقب جـ ٣ ص ٥٣٠ وكشف الغمة جـ ٣ ص ٢١٥ .

نفسي بدون سابق معرفة - وهو يرشدني الى ان الرب الذي وهبه هذا العلم رب واحد احد لا اله الا هو اذن فيثبت المطلوب ، بالدليل الإني باصطلاح الفلسفة .

ويندرج في هذه النقطة ايضاً، ما روي من اقامته للحجة على رجل من وفد جاء الى سامراء من الاهواز من موالي الامام عليه السلام .

وقد صادف يوم وصول الوفد ، يوم خروج السلطان الى صاحب البصرة - على حد تعبير الرواية يعنى خروج الموفق لمنازلة صاحب الزنج الذي كان مسيطراً على منطقة البصرة والاهواز . وكان الامام العسكري (ع) خارجا من موكب السلطان . اقول : وهذا تطبيق جزئي لسياسة دمج الامام بحاشية البلاط .

واذ يرجع الامام يمر في طريقه على جماعة الوفد .. وحين يقرب منهم يقف ويمد يده الى قلنسوته فينتزعها عن رأسه ويمسكها بيده ويمر بيده الاخرى على رأسه . ثم يلتفت الى رجل من الحاضرين فيبتسم في وجهه .. ويكون لهذا الموقف بالغ التأثير في نفس الرجل ، فيبادر الى القول : اشهد انك حجة الله وخيرته - قال الراوي : فقلنا: يا هذا ما شأنك . قال : كنت شاكا فيه . فقلت في نفسي : ان رجع واخذ القلنسوة من رأسه قلت بامامته [1] .

ويطيب لي ان اعلق على هذه الرواية بما يلي :

اولاً : اننا نستطيع ان نحدد تاريخ مجيء هذا الوفد من الاهواز الى سامراء . بعد ان عرفنا انه وقع في اليوم الذي عقد فيه المعتمد الموفق قائداً لحرب الزنج . ونحن نعرف من التاريخ العام ان ذلك

(١) انظر الخرايج والجرايح ص ٦٤ وغيره .

قد وقع في ربيع الاول من عام ٢٥٨ .. وان المعتمد قد ركب معه يشيعه حين خروجه [١] ومن هنا نعرف ان الامام (ع) كان في موكب المعتمد .

ثانياً : ان القواعد الشعبية الموالية للامام عليه السلام ، قد اتسعت وشملت كثيراً من المناطق الاسلامية . وكانوا يرجعون في تحديد وضعهم الديني والاجتماعي والاقتصادي الى الامام . ويتم ذلك باحد طريقتين :

الطريق الاول : ارسال الوفود ، لنقل الاموال التي تحصل من الحقوق والضرائب الاسلامية وتسليمها الى الامام . ولنقل الاستفتاءات والاسئلة حول مختلف الاحوال الشخصية والاجتماعية والعقائدية من اهل البلاد ، ومعرفة جوابها من الامام . وقد ورد هذا الوفد من الاهواز ليقوم بمثل هذه المهمة .

الطريق الثاني : الاتصال بوكلاء الأئمة عليهم السلام : فانه كان لهم وكلاء في مختلف انحاء البلاد الاسلامية ، وفي كل منطقة تخضع للامام بالولاء . يكون الوكيل مشرفاً عاماً على مصالحهم في حدود تعاليم الامام وقواعد الشريعة الاسلامية . وسياتي من الأخبار الكثيرة الدالةعلىذلك.

ثالثاً : لعلك لاحظت معي كيفية اقامة الحجة على هذا الرجل على شكل سرى لا يطلع عليه غيره ، ولا يمكن أن يدخل تحت رقابة أو ضبط . ولو لم ينبس الرجل ببنت شفة لبقيت الحجة مكتومة من غيره إلى الأبد . وبهذا قد حصل الامام موالياً متيقناً بامامته ، من دون دخوله تحت طائل رقابة الدولة .

---

(١) الكامل ج ٥ ص ٣٦٥ – ٢٣١ .

الموقف الثاني : جهاده العلمي : من حيث قيامه بمسؤوليته الاسلامية في رد الشبهات واقامة الحق،بطريق المناقشة العلمية والجدل الموضوعي. أو اصدار البيانات العلمية أو تأليف الكتب ونحو ذلك .

فمن ذلك موقف الامام عليه السلام من الكندي « ابي يوسف يعقوب بن اسحاق » فيلسوف العراق في زمانه ، حين أخذ في التأليف في تناقض القرآن ، وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله . فسلط الامام عليه أحد طلابه بكلام قاله له ، جعله يتوب ويحرق أوراقه . وملخص الفكرة التي بذرها الامام في ذهن هذا الفيلسوف ، بعد ان وصفه لتلميذه : انه رجل (يفهم إذا سمع) .. هو احتمال ان يكون المراد بالآيات القرآنية غير المعاني التي فهمها وذهب اليها .

وحين ذكر له تلميذه هذا الاحتمال فكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر . فقال : اقسمت عليك إلا اخبرتني من أين لك . فقال : انه شيء عرض بقلبي فاوردته عليك . فقال : كلا . ما مثلك من اهتدى إلى هذا ، ولا من بلغ هذه المنزلة ، فاخبرني من أين لك هذا . فقال : اخبرني به أبو محمد فقال : الآن جئت به . وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت . ثم انه دعا بالنار واحرق جميع ما كان الفه [1] .

وهذه الرواية تدل على ان الكندي مر بمرحلة فكرية لم يكن يعترف فيها بالاسلام . وهو وان كان أمراً محتملاً، إلا اننا لا نستطيع التشبث

---

١ - المناقب جـ ٣ ص ٥٢٦ .

بهذه الرواية ضد الكندي . فانها من المراسيل التي لا تصلح للاثبات التاريخي [1] ، ولم نجدها في المصادر الاخرى لتاريخنا الخاص ، كما لم نجد ما يوازيها في تاريخ الكندي نفسه، في حدود ما اطلعنا عليه من مصادر.

ومن بياناته العلميه ايضاحه لأبي هاشم الجعفري ، وهو من خاصة أصحابه ، مسالة خلق القرآن [2] وله عليه السلام بيانات تفصيلية في تفسير القرآن وفي عصمة الملائكة وفي الاخلاق الفاضلة [3] .

ويذكر له ابن شهر اشوب [4] ، مرسلاً ، بياناً ضافياً ، أرسله عليه السلام إلى علي بن الحسين بن بابويه القمي ، وهو من اجلة علمائنا المتقدمين فقهاً ووثاقة . يخاطبه فيه : يا شيخي يا أبا الحسن . ونحن نعرف ان ابن بابويه توفى عام ٣٢٩ [5] فتكون وفاته بعد وفاة الامام العسكري عليه السلام المتوفي عام ٢٦٠ ، بتسع وستين عاماً ، فمن المحتمل انه عليه الرحمة عاصر الامام شاباً في نحو العشرين من العمر ، وكان وهو في مقتبل العمر شيخاً جليلاً له المرتبة الفضلى التي تؤهله لأن يخاطبه الامام بهذا الاسلوب والله العالم بحقائق الأمور .

وعلى أي حال ، فالامام ـ حسب الرواية ـ يؤكد في بيانه هذا على غيبة ولده الامام المنتظر عليه السلام ، وعلى الخلق الذي ينبغي أن

---

١ ـ فاله يرويها ابن شهر اشوب في المناقب عن ابي القاسم الكوفي في كتاب « التبديل » . مرسلة .. بدون سند .

٢ ـ المناقب ج ٣ ص ٥٣٥ .

٣ ـ الاحتجاج ج ٢ ص ٢٥٠ وما بعدها .

٤ ـ المناقب ج ٣ ص ٥٢٧ .

٥ ـ الكنى والألقاب ج ١ ص ٢١٨ .

يتحلى بــه الفرد المسلم في أيام الغيبة ، وهو الصبر وانتظار الفرج . فيكون هذا البيان أحدى تمهيداته عليه السلام للغيبة . وسوف نعرض لها في مستقبل البحث .

ونسب اليه أيضاً ، بشكل غير موثوق ، التفسير المشهور : بتفسير الامــام العسكري . وهو يحتوي على تفسير سورتي الحمد والبقرة باستطرادات كثيرة حول مناقشات دينية أو مذهبية أو روايات تاريخية وغير ذلك . وهو ـ على أي حال ـ ليس بقلم الامام عليه السلام بل بتقرير بعض طلابه عن تدريسه اياه. فكان عليه السلام يدرس الطالب بحسب ما يراه مناسباً مع فهمه ، وكان الطالب يتلقى عنه ويكتب ما يفهمه منه . ومن هنا جاء مستوى التفسير منخفضاً عن مستوى الامام بكثير . على أن روايته ضعيفة ، لا تصلح للاثبات التاريخي .

ونسب اليه أيضاً كتاب ترجمة في حهة رسالة المقنعة . يشتمل على أكثر علم الحلال والحرام . الفه سنة خمس وخمسين ومائتين . وأوله : اخبرني علي بن محمد بن موسى [1] يعنى والده عليه السلام . اذن فهو كتاب في « الفقه » بنحو الرواية .

واذا نظرنا نجد ان المقنعه كتاب في الفقه للشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، أحد مشايخ الطائفة الاجلاء وعلمائها القدماء. المتولد عام ٣٣٦ والمتوفي عام ٤١٣ . وقــد كتب عليه الشيخ محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه شرحه المشهور الموسوم بتهذيب الأحكام،

---

١ ـ المناقب جـ ٣ ص ٥٢٥ .

فخرج فتاواه كلها من الأخبار . أقول : وهذا الكتاب لا يناسب أن يكون هو المقصود لوجود البعد الزمني بينهما ، إذ كانت ولادة الشيخ المفيد متاخرة عن وفاة الامام العسكري عليه السلام بست وسبعين سنة . ولا نعلم بوجود كتاب آخر بهذا الاسم في عصره عليه السلام .

على أنه لم يعرف معنى قوله : كتاب ترجمة في جهة رسالة المقنعة . فهل هو نقل لهذا الكتاب من لغة اخرى أو هو استدراك عليها أو رد عليها أو تخريج لفتاواها أو انه مكتوب على غرارها .. كل ذلك وغيره محتمل .. والله العالم . على ان الرواية في المناقب مرسلة غير قابلة للاثبات التاريخي . وهذا الكتاب غير موجود في اليد فعلاً . ومعه فلا يمكن نسبته إلى الامام عليه السلام .

الموقف الثالث : موقفه عليه السلام تجاه أصحابه . محذراً لهم من الوقوع في الشرك العباسي أو معيناً لهم على نوائب الدهر من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية وغيرها .

والامام عليه السلام في هذا الموقف يمارس نشاطه ، بصفته أماماً لمواليه ، والمسؤول الأعلى عن مصالحهم واغراضهم الاسلامية .

وينقسم هذا الموقف إلى قسمين :

القسم الأول : قضاء الامام للحاجات الشخصية الخاصة باصحابه . كارشادهم إلى حقيقة عقائدية أو الدعاء لهم بمجيء ولد أو الاقتراح عليهم بتسميته أو الدعاء بالشفاء من المرض أو أعطائهم كميات محدودة من المال ، ونحو ذلك . وهو ما يخرج بنا استقصاؤه عن الغرض المقصود.

القسم الثاني : وقوف الامام لمصالح أصحابه وشدازرهم من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية . وهذا ما نحاول استعراضه فيما يلي وتحديده في عدة نقاط :

النقطة الأولى : تحذيره عليه السلام لأصحابه من الوقوع في الشرك العباسي أو تبشيره لهم من النجاه منه ، فهنا ـ باعتبارذلك ـ جانبان :

الجانب الأول : تحذيره عليه السلام اياهم من الوقوع في الشرك العباسي أو تهيئته الوسائل للنجاة منه .

فمن ذلك : ما سبق في موقفه عليه السلام مع الخلفاء انه كتب إلى أحد اصحابه قبل موت المعتز بنحو عشرين يوماً : الزم بيتك حتى يحدث الحادث [1] يعنى بذلك موت المعتز . وكانه عليه السلام كان يرى عليه خطراً يحيط به لو ان الرجل خرج من منزلة في حياة المعتز.

ومن ذلك : انه كتب بنفس المناسبة ، وهو موت المعتز ، إلى محمد بن علي السمري ، وهو من خاصة أصحابه ورابع نواب ولده الحجة المهدي في غيبته الصغرى . كتب اليه مخاطباً أصحابه : فتنة تضلكم . فكونوا على أهبة . قال السمرى : فلما كان بعد ثلاثه أيام وقع بين بني هاشم وكانت لهم هنه لها شان . فكتبت اليه : أهي هذه ؟ قال : لا . ولكن غير هذه فاحترسوا ، فلما كان بعد أيام كان من أمر المعتز ما كان [2] .

ويلاحظ في هذه الرواية عدة أمور :

الأمر الأول : احتجاب الامام عليه السلام ، ومخاطبة أصحابه عن

---

١ ـ المناقب ج٣ ص٥٣٦

٢ ـ كشف الغمة ج٣ ص٢٠٧

طريق الخطابات المكتوبة وعدم المواجهة والمشافهة. ويندرج هذا ضمن التخطيط الذي كان يتبعه عليه السلام للتمهيد إلى الغيبة ، على ما أشرنا وسيأتي تفصيله .

الأمر الثاني : انه ما الذي وقع بين بني هاشم ، حين كانت لهم هنة ذات شأن ؟ .. لم يشأ الراوي الافصاح عن ذلك ولم يشأ التاريخ بيانه أيضاً . ولعل نزاعاً أو شغبا وقع بينهم نتيجة لمصالح خاصةأو انحراف لدى بعضهم .. فكان لهم نتيجة لوقوع هذا الحادث منه .. يعني قد اتضحت أمام الآخرين احدى نقاط الضعف التي كان ينبغي ان تختفي عنهم وأن يرتفع الهاشميون عن مستواها فيا بينهم .

الأمر الثالث : اننا نستطيع أن نفهم من قوله : فكان من المعتز ما كان .. موت المعتز بصفته ابرز الحوادث التاريخية التي طرأت على المعتز بعد امامة الامام العسكري عليه السلام .

ولكننا ينبغي أن نلوذ بالصمت تجاه السؤال عن المصلحة التي يراها الامام في تحذيره لأصحابه من موت المعتز . وما الذي كان يحدث لأصحابه حين موت المعتز زيادة على حالهم الجارية آنئذ ، لو لم يأخذوا حذرهم ؟ .. هذا مما لا يستطاع الجواب عنه تاريخياً وانما هو موكول إلى الظروف والملابسات التي يقدرها الامام عليه السلام في العصر الذي يعيشه .

ولعلنا نستطيع أن نقدم لذلك اطروحتين محتملتين :

الاطروحة الأولى : ان الدولة حين انتهاء رئاسة شخص وابتداء

رئاسة خلفه ، تكون عادة في ضعف وهبوط . ويكون في هذه الفترة من الهبوط نشاط ملحوظ للحاشية والبطانة والوزراء ونحوهم لأجل صيانة أساس الحكم والكيان القائم عند تبدل الرئيس . وهذه الفترة كانت تعيشها الأمة الاسلامية بين كل خليفتين . وبالطبع .. يكون الجزء الأكبر من الحذر والمراقبة موجهاً ضد الامام وأصحابه ، بصفتهم أهم الجهات المعارضة للدولة .

وحيث كانت سياسة الامام عليه السلام قائمة على نوع من السلبية تجاه الدولة.. فقد امر أصحابه بالصمت والكف عن النشاط الاعتيادي، ما دامت الدولة في حالة تاهب وحذر ، ريثما يعود المياه إلى مجاريها ، ويستتب الأمر للخليفة الجديد .

الاطروحة الثانية : ان مراد الامام التحذير مما وقع عام ٢٥٤ حيث أوقع مفلح ـ وهو أحد القواد الموالين للحكومة ـ باهل قم فقتل منهم مقتلة عظيمة [١] . ونحن نعرف ما في قم من القواعد الشعبية المهمة للامام عليه السلام وبينهم الكبراء والعلماء والأعيان . وهذا العام هو أول اعوام تولي الامام العسكري للامامة بعد ابيه .

ومن هنا نستطيع ان نفترض ان تحذير الامام كان مرسلاً إلى قم قبيل وقوع هذا الحادث ، لأجل ان يأخذ أصحابه اهبتهم تجاهه . وهذا الحادث وان نسب في الرواية ـ على فرض ارادته ـ إلى المعتز ، حين قال الراوي : فكان من أمر المعتز ما كان . إلا انه لا ينافي قيام(مفلح)

---

١ ـ الكامل جـ ٥ ص ٣٣٩ .

به ، فان القائد انما يقوم باعماله انطلاقاً من اوامر الخليفة ، فصح نسبته اليه .

الجانب الثاني : تبشيره عليه السلام لأصحابه بالنجاة من بعض ما كان يقع عليهم من الحيف والسجن ونحوه .

ولا يخفى ما في ذلك من رفع لمعنوياتهم ، وتجديد لاستعداهم إلى العمل الجديد .. وتركيز ايمانهم بسبب تحقيق النبوءة بالبشارة

فمن ذلك : ان الامام حين يكون هو وبعض اصحابه في سجن المهتدي العباسي يقول لأحدهم : في هذه الليلة يبتر الله عمره . قال الراوي : فلما أصبحنا شغب الأتراك وقتل المهتدي وولي المعتمد مكانه. وقد سبق الحديث في ذلك .

ومن ذلك : موقفه عليه السلام تجاه جماعة من أصحابه كانوا رهن الاعتقال تحت اشراف صالح بن وصيف . وهم : ابو هاشم الجعفري وداود بن القاسم والحسن بن محمد العقيقي ومحمد بن ابراهيم العمري وغيرهم . فبينما هم فيه إذ يدخل عليهم الامام ومعه اخوه جعفر . فيخف الجماعة لاستقباله والترحيب به . فيقول لهم - فيما يقول - : لولا ان فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم . ويومي إلى جمحي كان معهم في الحبس يدعي انه علوي، ويامره بالخروج فيخرج . قال الراوي : فقال أبو محمد : هذا ليس منكم فاحذروه ، فان في ثيابه قصة قد كتبها إلى السلطان يخبره فيها بما تقولون فيه . فقام بعضهم

ففتش ثيابه فوجد القصة يذكرنا فيها بكل عظيمة [1] .

ولعلك تلاحظ مقدار صرامة الدولة فى ملاحقة أصحاب الامام عليه السلام وملاحقتهم ، حتى في اثناء الاعتقـال ، حيث وضعت عليهم عيناً يرفع عنهم التقارير إلى الدولة من دون أن يعلموا بهويته . وقـد كان بارعاً في أداء عمله بادعاء كونه علويـاً ، لئلا يكون لهم حرج في التكلم أمامه .

ومن هنا نرى ان الامام يكشفه أولاً لأصحابه أمام هذا الرجـل نفسه ، ثم يحذرهم منه ، ثم يخبرهم بالتقرير الذي يحمله . أمـا تفتيش ثياب الرجل فهو (خطوة ثورية) لم تكن بامر الامام لمنافاتهـا لمنهج السلبية .. وانما كان ارتجالاً من أحد اصحابه حيث حمله الغضب مـن هذا الرجل على ذلك . ولم يردعه الامام لأجل الاظهار العملي لصدق قوله عند استخراج التقرير منه .

وسيكون هذا درساً عملياً لهذه الجماعة الصالحة لم يكونوا يعرفوه قبل ذلك ، وهو امكان ملاحقة الدولة لهم بالرقابـة السرّية حتى في السجن ، واحتمال أن يكون احد المسجونين عيناً عليهم . ومن هنـا يكون لزاماً عليهم تطبيق سياسة السلبية حتى في مثل هذه المواطن .

وهناك امثلة اخرى لمواقف الامام هذه ، يطول بنا المقام عنـد استيعابها ، على اننا لسنا في مقام التفصيل والاستيعاب .

---

١ - انظر كشف الغمة جـ ٣ ص ٢٢٢ . والمناقب جـ ٣ ص ٥٣٦ . وأعلام الورى ص ٣٥٤ ونور الأبصار ص ١٦٦ وما بعدها

النقطة الثانية : من موقف الامام تجاه أصحابــه : مساعدته لهم بالامداد المالي لأجل مصالحهم الشخصية والعامة .

ونحن عرفنا فيما سبق الموارد المالية للامام عليه السلام ، حينما تكلمنا عنها في الامام الهادي (ع) . وقلنا انها تتكون من الأموال التي تجلب طبقاً للأحكام الاسلامية من مختلف بقاع بلاد الاسلام التي تحتوي على قواعده الشعبية ، بواسطة الوكلاء المنتشرين فيها .

وبالرغم من محاولة اخفاء هذه الناحية اخفاءً تاماً ، من قبل جانب الامام من جهة وجانب السلطات من جهة اخرى ، والسرية التامة التي كانت تكتنف كثيراً منها . إلا انه وردنا ـ بالرغم من ذلك ـ المقدار الكافي لتكوين فكرة واضحة .

فالامام عليه السلام يقبض من بعض الرسل اربعة آلاف دينار [1] ومن آخرين مائة وستون صرة من الذهب والفضة [2] ويدفع رسول آخر ما معه من المال إلى المبارك خادم الامام بامر منه عليه السلام ، وكان قد حمله من الموالين في جرجان [3] وستبقى هذه الأموال ترد إلى حين وفاة الامام وبعده . فمنها مال جليل جمعه محمد بن ابراهيم بن مهزيار [4] ومنها سبعمأة دينار ياتي بها أحد الموالين [5] وثمانية عشر قيراطاً من

---

١ – كشف الغمة ج ٣ ص ٢١٦ .
٢ – الاحتجاج ج ٢ ص ٢٦٩ .
٣ – كشف الغمة ج ٣ ص ٢١٧ .
٤ – الارشاد ص ٣٣١ .
٥ – اعلام الورى ص ٤٢٠ .

الذهب وحبة ياتي بها شخص آخر [1]. فكن على ذكر من ذلك ، فانه يشكل احدى النقاط الرئيسية لنشاط نواب الحجة المهدي عليه السلام بعد الامام العسكري عليه السلام .

واذ يتشكل من هذه الواردات المال الضخم الذي يمكنه أن يسد حاجات الآلاف من المحتاجين ويعول العشرات من المشاريع الاجتماعية الضخمة .. نرى الامام الهادي عليه السلام فيما سبق يبذل في احدى اعطياته تسعين الفاً من الدنانير لثلاثة من أصحابه . وترى الامام العسكري الآن يبذل ما يفوق هذا الرقم باكثر من ضعفه ، حيث وصل الرقم إلى ماتي الف دينار ، اعطاه لاثنين من مواليه .

فقد حج أبو طاهر بن بلبل،فنظر إلى على بن جعفر الهمداني وهو ينفق النفقات العظيمة . فلما انصرف كتب بذلك إلى ابي محمد (ع) فأمر لهما بهذا المال [2] .

ويفهم من ذلك بوضوح ان على بن جعفر الهمداني ، كان ينفق النفقات في الحجاز ، والرواية وان لم تصرح بالوجوه التي كان ينفق فيها هذه الأموال ، حفاظاً على منهج الكتمان . إلا ان ضخامة الارقام تدلنا على كونه مشروعاً اجتماعياً ضخماً أو عدة مشاريع ، واقرار الامام اياه وامداده له يدل على اخلاصه وتوفر المصلحة الاسلامية فيه .

وتستطيع ان تلاحظ بوضوح ، كيف استطاع الامام ، وهو

---

١ - الخرايج والجرايح ص ١١٣ .

٢ - انظر المناقب جـ ٣ ص ٥٢٦ .

المضطهد الممتحن مع كل مواليه،ان يقبض هذهالأموالمن مواردها وان يعطيها في مصادرها طبقاً للمصالح التي يراها ، بشكل تقف الدولـة العباسية تجاهه عاجزة مكتوفة الأيدي عن منعه، بالرغم من بذل اقصى وسعها في ذلك . ولا زال في الذهن ما سمعناه في تاريخ الامـام الهادي كيف انها تحاول السيطرة على كل مال يرد اليه ، حتى ولو وصل في جوف الليل . مع ذلك استطاع الامام العسكري (ع) ان يسيطر وان يكون له زمام المبادرة إلى ذلك، باعتبار مسلك السرية والرمزيه الذي يلتزمه. وما انكشاف بعض هذه الأموال للدولة ، إلا نتيجة لتقصير بعض الأطراف في الأخذ بهذا المسلك .

وعلى أي حال ، فهذا مثال لعطائه الضخم ومساعداته الاجتماعية . الكبرى . وأما اعطياته على المستوى الخاصة ، فاكثر من أن تحصى :

فمنها : سبيكة من الذهب تقدر بنحو خمسمأة دينار اعطاها الامام عليه السلام لأبي هاشم الجعفري ، إذ شكا اليه الحاجـة . وقال : خذها يا أبا هاشم واعذرنا .

ومنها : المئة دينار التي أرسلها اليه أيضاً مرفقة بكتاب يقول عليه السلام فيه : إذا كانت لك حاجة فلا تستح ولا تحتشم وأطلبها تاتيك على ما تحب أن شاء الله [1] .

ومنها : أيضاً الخمسماة درهم التي أعطاها لعلي بن ابراهيم والثلثمأة التي أعطاها لأبنه محمد .. اعطاهما دون أن يقابلهما .. أوصلهـا اليهما

---

١ - انظرهما في الارشاد ص ٣٢٢ .

خادمه [1] . وهذا جزء من مخطط الاحتجاب الذي كان يسير عليه الامام العسكري عليه السلام تمهيداً لغيبة ولده المهدي (ع) وقد سبق ان عرفنا صوراً منه أيضاً .

النقطة الثالثة: موقفه (ع) في نصح أصحابه وتوجيههم ورفع معنوياتهم .

اذ هم في معمعة التضحية الاجتماعية الكبرى .. تلك التوجيهات التي تشكل حجر الزاوية في تأجيج نار الايمان ونور الاخلاص وعاطفة العقيدة عند أصحابه ومواليه ، وزرع روح التضحية والجهاد فيهم .. وهم أحوج ما يكونون إلى التضحية والجهاد .

وهذا التعليم والتوجيه كان مستمراً من كل أمام من آبائه عليهم السلام تجاه مواليه وأصحابه في عصره ، بالشكل الذي يتلائم وحوادث ومتطلبات ذلك العصر . ومن هنا نجد ان الامام العسكري يشارك آباءه في هذا التعليم الايماني والتوجيه الجهادي، حفاظاً على الخط العريض، وسيرا على المخطط الكبير الذي التزموه عليهم السلام . فنجد ان شخصاً من أصحابه يكتب اليه يشكو اليه الفقر . وقد سبق ان سمعنا شكايات عديدة مماثلة ، ونحن نعرف منشأها بوضوح .. ان الفرد من أصحاب الامام عليه السلام لو ذاب في الدولة وساير الحكام وباعهم ضميره ونشاطه، لنال عندهم المال الوفير والعيش الرغيد والجاه العريض ؛ وانما عانت هذه الزمرة المضطهدة الفقر ، باعتبار ما تحاوله الدولة العباسية على

---

١ — انظر المناقب جـ ٣ ص ٥٣٧ .

استمرار من إبعادهم عن المسرح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وتواجه أمامها لديهم صموداً ونبلاً وإراده . فكانوا ينزلون همومهم وآلامهم بقائدهم الأعلى وموجههم الأكبر .. امامهم العسكري (ع) .

فكان تارة يتبرع بالمال،كما سمعنا ، واخرى يقوم بالتوجيه الفكري العقائدي ، لأجل تصعيد روح التضحية والجهاد والصبر على المصاعب في سبيل الحق الكبير والهدف العظيم ، تحت قيادته الرشيدة ،فيقول : الفقر معنا خير من الغنى مع غيرنا . والقتل معنا خير من الحياة مع عدونا .. ونحن كهف لمن التجأ الينا ، ونور لمن استبصر بنا ، وعصمة لمن اعتصم بنا . من احبنا كان معنا في السنام الأعلى ومن انحرف عنا فإلى النار [1] .

ومن ذلك ان ابا هاشم ، وقد عرفناه من خاصة أصحاب الامام عليه السلام ، حين يرى معالم الانحراف في المجتمع واتباع المصالح والشهوات ، وهو يعلم أن حزب الله هم المفلحون وان حزب الشيطان من أصحاب السعير .. يقول : اللهم اجعلني في حزبك وفي زمرتك . فيجيبه الامام (ع) : انت في حزبه وفي زمرته ان كنت بالله مؤمناً ولرسوله مصدقاً وباوليائه عارفاً ولهم تابعاً .. ثم ابشر [2] .. فهذا هو الانسان الذي يكون في حزب الله .. عادلاً واعياً .. يمثل في عقيدته وسلوكه المستوى العالي للتطبيق الاسلامي العادل .. ومن ثم يستحق

---

١ – كشف الغمة جـ ٣ ص ٢١١ .

٢ – اعلام الورى ص ٣٥٥ .

البشارة ببلوغ قصده ونيل الرضا به، والخلود في الجنة في منتهى شوطه.

ولا يخفى ان هذه التعاليم الاسلامية الواعية، لم يكن يبلغها الامام إلا للخاصة من أصحابه، الذين يتحلون بالصمود تجاه الضغط الحكومي والحفاظ على هذه التعاليم وعدم بثها في متاهات الانزلاق والشبهات.

اما سائر القواعد الشعبية الموالية، فكانت محرومة بشكل عام، من هذا التوجيه العالي الواعي. وذلك لعدة أسباب اهمها امران: اولهما: ما خطته الدولة للامام من الانفصال عن قواعده الشعبية بتقريبه إلى البلاط ودمجه في الحاشية وقد كان رفض ذلك من قبله عليه السلام منافياً لسياسة السلبية تجاه الدولة التي اختطها وآباؤه من قبله. وثانيهما: ان الفرد العادي لهذه القواعد يعيش المعترك بكل ثقله، ويتصف عادة بضعف الارادة تجاه التيار الحكومي. فمن المحتمل ان يتسرب منه هذا التوجيه الواعي المضاد للدولة و(الخارج على القانون!!) إلى الجهات الحاكمة. وهو ما لا يريده الامام عليه السلام.

* * *

الموقف الرابع: تمهيده عليه السلام لغيبة ولده المهدي (ع).

ان الامام الحسن العسكري عليه السلام حين يعلم بكل وضوح تعلق الارادة الالهية الازلية بغيبة ولده لأجل أن يكون مذخوراً لاقامة دولة الحق وتطبيق العدل الاسلامي على الانسانية. والأخذ بيد المستضعفين في الأرض الموتورين من دول الظلم والانحراف ... ليتبؤا فيها حيث يشاؤون .. يبدل خوفهم أمناً .. يعبدون الله لا يشركون به شيئاً ..

فيؤسسوا بذلك دولة المؤمنين المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

حين يعلم عليه السلام بذلك .. يعرف ان عليه جهداً مضاعفاً ونشاطاً متزايداً في التمهيد لغيبة ولده • والسبب في ذلك : ان البشر ـ بشكل عام ـ مربوطون في مدركاتهم بالحس والعادة التي يعيشونها وفي حدود الزمان والمكان .. ومن الصعب على الشخص الاعتيادي ان ينظر نظراً معمقاً تجريدياً أسمى من هذه الحدود ، ما لم يطلع الفرد على البرهان الصحيح المدعم بالايمان الراسخ القائل : بان الكون أوسع من العالم المنظور ومن حدود الزمان والمكان .. وان في عالم الوجود قوى كبرى وارادات واسعة ، تستقي تدبيرها وادارة شؤونها من الارادة الازلية والحكمة اللانهائية .. من الله تعالى .

والانسان كلما سما روحياً وتعمق فكرياً ، استطاع استجلاء هذه الحقيقة الكبرى أكثر ، كما انه كلما تسافل روحياً وأخلد إلى الأرض واتبع هواه وتغافل عن صوت عقله .. كلما كان ابعد من ذلك، وأكثر انشداداً إلى حسه وعادته .

ولم يكن المجتمع الذي يعيشه الامام عليه السلام..لم يكن ـ بشكل عام ـ إلا متكونا من الانسان المتسافل روحياً المشدود إلى مصالحه وخدمة ذاته وانحرافه بعيداً عن عمق الايمان وعن سمو الروح ودقة الفكر . لا يختلف في ذلك الحاكم عن المحكوم والمولى عن العبد . ولعل فيما استعرضناه في الفصل الأول من التاريخ العام لهذا العصر ما يعطي فكرة واضحة عن ذلك .

نعم .. يستثنى من ذلك ـ بشكل وآخر ـ رجال الفكر في ذلك العصر وقادة النهضة العلمية فيه .. بما فيهم أصحاب الأئمة عليهم السلام الذين تربوا على توجيهات الامام العسكري وآبائه عليهم السلام . إلا ان ذلك لا يكفي في تحقيق الغرض المنشود ، فان فكرة الغيبة يجب ان تكون عامة بين سائر الناس وليست خاصة برجال العلم والفكر والنظر.

والغيبة ، التي يجد الامام نفسه مسؤولاً من التخطيط لها ، حادث قليل النظير في تاريخ البشرية ويحتوي إلى حد كبير على عنصر غيبي ، خارج عن حدود المحسوس والمعتاد من الحياة فان عنصر اختفاء المهدي (ع) وان امكن تفسيره تفسيراً طبيعياً[1] إلا ان طول عمره متمحض بالارادة الالهية الخاصة وبالعامل الروحي النازل من فوق الكون المنظور .. لأجل حفظ مصلحة الاسلام العليا ، وانجاز يوم الله الموعود .

اذن فستكون الغيبة التي يمهد لها الامام العسكري (ع) أمراً غريباً على الاذهان بعيداً عن الطباع، يحتاج إلى تكرار وتفهيم وجهد مضاعف كبير .

وكانت الارهاصات المسبقة والتبليغات المتوالية عن المهدي.. متتابعة متواترة عن النبي (ص) .. رواها مؤلفوا الصحاح وهم معاصرون أو متقدمون على هذه الفترة بما فيهم البخاري ومسلم واحمد بن حنبل . ومتتابعة متواتره عن الأئمة عليهم السلام يرثها أصحابهم جيلاً بعد جيل حتى اصبحت من ضروريات المذهب بل من قطعيات الاسلام .. وكان

---

١ ـ على ما سوف يأتي في الكتاب الثاني من هذه الموسوعة .

كل امام يقوم بدوره الكافي في التبليغ والارشاد إلى هذه الفكرة الكبرى .

وقد كان لكل هذه التبليغات أثرها الكبير في ترسيخ فكرة المهدي في نفوس المسلمين بشكل عام .. يأخذ كل فرد منهم ما يناسبه منها بحسب عمق ايمانه وسعة تفكيره واتجاه مذهبه في الاسلام. وستعرف انها استطاعت أن تثير اهتمام السلطة الحاكمة بشكل حاد ومركز، لا بالايمان بها ، بل بالوقوف ضدها ومحاولة القضاء عليها .

فالامام العسكري عليه السلام ، وهو يواجه المسلمين بهذه الفكرة، يجد بالرغم من اخلادهم إلى مصالحهم وانحرافهم وحدود حسهم .. يجد عندهم مسبقات ذهنية وقاعدة فكرية مشحونة بالايمان بفكرة المهدي والاعتقاد بإمكان وقوعها ، مما يجعل له ارضية ممهدة للسير من قبله بهذا الشوط إلى نهايته .

وانما الأمر الكبير الذي يتحمل الامام العسكري عليه السلام مسؤوليته، بصفته والداً مباشراً للمهدي (ع) .. هو فكرة التطبيق وانهم قد اظلهم زمان الغيبة وأوشكت على الوجود والتنفيذ . وهو أمر صعب بالنسبة إلى الفرد العادي استطيع ان أسميه بـ (الصدمة الايمانية) . فان هناك فرقاً كبيراً في منطق ايمان الفرد العادي بين ايمانه بالغيب بشكل مؤجل لا يعلم امده إلا الله تعالى ولا يكاد يحس الفرد باثره في الحياة .. وبين الايمان بالغيب مع اعتقاد تنفيذه وتنفيذه في زمان معاصر ويكفيك ان تتصور نفسك وحالتك الايمانية الوجدانية إذا اخبرك شخص لا تشك بصدقه بقرب حدوث يوم القيامة مثلاً أو قرب موتك مثلاً .فان

مثل هذا الخبر يعتبر صدمة للايمان لأنه يحتاج إلى مؤونة زائدة وقوة مضاعفة من الايمان والارادة والتفكير .. ويحتاج الفرد فيه إلى حشد كل ما في نفسه من قوى الايمان ومقدمات البرهان .. بالشكل الذي يسعفه بالقناعة بامر غيبي كهذا .

ومن ثم كان على الامام ان يبذل جهداً اجتماعياً مضاعفاً لتخفيف هذه الصدمة وتذليلها ، وتهيئة الذهنية العامة لتقبل الفكرة الجديدة ، وتعويد أصحابه على الالتزام بما تتطلبه الغيبة من انحاء من العقيدة والسلوك . وخاصة وهو يريد تربية جيل واعٍ متحمل للمسؤولية تجاه ذلك ليكون هو البذرة الاساسية لتربية الاجيال الآتية ، التي ستبنى بجهدها - الغث والسمين - تاريخ الغيبتين : الصغرى والكبرى .

فاذا عطفنا على ذلك ، ما عرفناه من ظروف الامام وأصحابه ، والمعاناة الصعبة التي كانوا يعيشونها من قبل الدولة . واخذنا بنظر الاعتبار ان فكرة المهدي - وهي الفكرة الاصلاحية الثورية الكبرى - تعتبر في منطق الحكام ، امراً مخوفاً يهدد كيانهم ويقض مضاجعهم ، ويعتبر التصريح بها والدعوة اليها خروجاً على قانونهم وتمرداً على أساس دولتهم.. على حين كان الامام قد اتخذ سياسة السلبية والمسالمة مع الدولة ، وعدم مصارحتها بالخلاف .

من كل ذلك نستطيع ان نتميز بكل وضوح دقة مهمة الامام عليه السلام وصعوبة موقفه ، في التوفيق بين سلبيته تجاه الدولة ، وبين ايضاح فكرة المهدي للاجيال .

ومن ثم سار الامام على مخطط معين ، توصل به إلى كلا الغرضين وحقق كلا الهدفين كما سنرى وتستطيع ان نقسم نشاط الامام عليه السلام حول ذلك إلى قسمين : احدهما : نشاطه بلحاظ ولادة المهدي (ع) وتربيته وصيانته وحجبه عن أعين الناس مع اظهاره لبعض خاصته ونحو ذلك. ثانيهما : بيانه لفكرة الغيبة وافهام الناس تكليفهم ومسؤوليتهم الاسلامية تجاهها . وتعويدهم على متطلباتها .

أما القسم الأول فمن المستحسن ارجاء الحديث عنه إلى الفصل الرابع الآتي حين نتعرض لتاريخ المهدي عليه السلام خلال حياة أبيه ، وسنرى حينئذ المواقف التفصيلية التي اتخذها الامام العسكري عليه السلام تجاه ولده .

وأما القسم الثاني فهو الذي يحسن التعرض له في المقام ، وهو ما يعود إلى موقفه عليه السلام تجاه الآخرين في مخططه للتمهيد للغيبة ، باعتبار المهام الكبرى التي أشرنا اليها .

ويمكن تحديد نشاطه عليه السلام في هذا السبيل ضمن نقاط ثلاث:

النقطة الاولى : تعاليمه وبياناته عن المهدي ، كحلقة من تبليغات آبائه واجداده عنه عليه السلام. مع زيادة جديدة تخص الامام العسكري (ع) بصفته الوالد المباشر للمهدي والمخطط الأخير لغيبته .

وتتخذ هذه البيانات على لسان الامام أشكالاً ثلاثة .

الشكل الأول : بيان عام كبيانات آبائه عليهم السلام ، في صفات المهدي بعد ظهوره وقيامه في دولة الحق .

فمن ذلك قول الامام العسكري عليه السلام في جوابه لبعض أصحابه حين ساله عن القائم إذا قام بم يقضي واين مجلسه الذي يقضي فيه . فكتب عليه السلام : سالت عن القائم . فاذا قام قضى بين الناس بعلمه كقضاء داود ، لا يسال البينة [1] .

وأود ان اشير في هذه الرواية إلى جهتين :

الجهة الاولى : ان السؤال والجواب بين السائل والامام (ع) كان بطريق المكاتبة لا المشافهة . وهذا تطبيق لسياسة الامام في الاحتجاب تمهيداً لفكرة الغيبة على ما سنعرف .

الجهة الثانية : ان المزيه الرئيسية لقضاء داود عليه السلام هو عدم المطالبة بالبينة ، حيث نراه قال للمدعي : لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه [2] . من دون ان يلتفت إلى صاحبه فيساله عن رأيه ولا ان يطالب المدعى بالبينة المثبتة لدعواه .

وعلى أي حال ، فتطبيق ذلك من قبل المهدي عليه السلام يتوقف الجزم به على صحة هذه الروايات التي اعربت عنه . وفي بعضها ما يدل على انه عليه السلام يقوم بذلك بعد ظهوره مرة واحدة امتحاناً لأصحابه واستيثاقاً منهم ؛ كما كانت نفس الحادثة بالنسبة إلى النبي داود عليه السلام امتحاناً له (وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب) . ولعلنا نعرض إلى تفصيل ذلك في بعض بحوثنا الآتية [3] .

---

١ - انظر الارشاد ص ٣٢٣ .

٢ - السورة ٣٨ / ٢٤ .

٣ - انظر الكتاب الثالث من هذه الموسوعة .

الشكل الثاني ان يتخذ بيان الامام (ع) عن المهدي شكل النقد السياسي لبعض الأوضاع القائمة آنئذ ، مقترنة بفكرة ان المهدي (ع) حينما يظهر فانه يأمر بتغييرها . وكل ما يأمر المهدي بتغيره فهو باطل للتسالم على كون حكمه قائماً على العدل الاسلامي ، كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله .

فمن ذلك قوله عليه السلام : اذا خرج القائم يأمر بهدم المنابر والمقاصير التي في المساجد .. والمقاصير غرف معينة بناها الخلفاء في المساجد حتى يصلوا فيها بامامة الجماعة منفصلين عن جماعتهم ، لأجل حفظ غرضين من اغراضهم هما الأمن اثناء الصلاة من الاعتداء وزرع الهيبة في نفوس الآخرين . وهذا العمل مما يعتقد الامام بطلانه ، ولا زال من واضحات الفقه الامامي فساد الجماعة إذا صليت بانفصال الامام عن المأمومين . ومن ثم يكون من الحق ان يأمر المهدي بازالة ذلك عن الوجود .

غير اننا نجد الراوي لم يفهم الوجه في ذلك ، وتساءل في نفسه مستغرباً : لأي معنى هذا ، فيقبل عليه الامام ويقول : معنى هذا انها محدثة مبتدعة لم يبنها نبي ولا حجة [1] .

الشكل الثالث : ان يتخذ بيان الامام شكل الوصية العامة والنصيحة التوجيهية الكبيرة ، لقواعده الشعبية . واعطائهم الفكرة الصحيحة الحقة ، فيما هو تكليفهم الاسلامي في سلوكهم النفسي والاجتماعي ، تجاه

---

١ - المناقب جـ ٣ ص ٥٣٦ .

ما سيعانونه ، من غيبة امامهم وانقطاعهم عن القيادة المعصومة ردحا مـن الدهر .

فنراه عليه السلام يكتب إلى أحد علمائنا الأبرار ابي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، رسالة بهذا الشأن يقول فيها : عليك بالصبر وانتظار الفرج . قال النبي (ص) أفضل أعمال امتي انتظار الفرج .. ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي (ص) يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي ، وأمر جميع شيعتي بالصبر . فان الأرض لله يورثها مـن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين[1] .

فهذا هو أعلى مستوى اسلامي واعي ، للسلوك الصحيح للفرد المسلم في اثناء الغيبة ، ومن هنا نرى الامام عليه السلام يؤكد في عبارته هذه على عدة مفاهيم :

المفهوم الاول : الصبر بمعنى تحمل المشاق والعقبات والارتفاع فوق مستوى الآلام التي تنجم عن فعل الظالمين خلال عصر الغيبة ، وعـن انعدام القيادة الرشيدة الموحدة . فانه يجب ان لا تكون المصاعب مثبطات للعزم وموهنة لقوة الارادة التي يحملها المؤمن بين جنبيه، تجاه مسالمة الباطل والتعاون مع المبطلين .

المفهوم الثاني : انتظار الفرج .. وتوقع اليوم الذي ينفذ الله تعالى به وعده الكبير الذي قطعه على نفسه في كتابه الكريم بقوله تعـالى :

---

١ - الصدر السابق ص ٦٢٧

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً »[1] ... الوعد باعطاء القيادة العالمية والتوجيه البشري العام بيد الزمرة المؤمنة الصالحة، التي كانت في عصور الظلم والفساد مضطهدة خائفة .. الوعد الذي تظهر به نتائج جهود كل الانبياء والاوصياء والشهداء والصالحين وتتكلل كل متاعبهم بالنجاح. الوعد الذي يتم بتخطيط من الله عز وجل وتنفيذ من قبل القائد الأكبر الحجة المهدي عليه السلام .

ولا يخفى ما في الانتظار المنسجم مع المبادىء الاسلامية العليا ، من الأثر الايجابي على نفس المؤمن وسلوكه. اذا تصورنا ما في اليأس والقنوط من أثر سلبي عليه ، في اضعاف معنوياته وكبح جماحه والكفكفة من نشاطه .. إذا لم يكن لنشاطه أمل يرجى أو نتيجة تقصد . على حين ان هذا الانتظار أو الأمل يعطيه الدفع الثوري ، الكافي ايماناً وسلوكاً لكي ينخرط الفرد في سلك الأنبياء والشهداء والصالحين .. ويشارك بمقدار جهده بتمهيد المقدمات ليوم الله الموعود .

المفهوم الثالث : اعطاء القيادة العامة في زمن الغيبة إلى العلماء بالله ، الذين يمثلون خط الامام عليه السلام .. ذلك المفهوم الذي اعطاه الامام الصادق عليه السلام صيغته التشريعية بقوله : ينظر ان من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا ، فليرضوا به حكماً فاني قد جعلته عليكم حاكماً . فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه ،

---

١ - النور ٢٤ / ٥٥ .

فانما استخف بحكم الله وعلينا رد ، والراد علينا راد على الله وهو على حد الشرك بالله [1] .

اوضحه واعطاه صيغته الاجتماعية الكاملة الامام الهادي عليه السلام حين قال : لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين اليه والدالين عليه ؛ والذابين عن دينه بحجج الله ، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك ابليس ومردته ، ومن فخاخ النواصب ، لما بقى أحد إلا ارتد عن دين الله .. ولكنهم الذين يمسكون ازمة قلوب ضعفاء شيعتنا كما يمسك صاحب السفينة سكانها . اولئك هم الافضلون عند الله عز وجل [2] .

والاساس العام الذي تقوم عليه هذه البيانات ، هو : ان المسلمين الممثلين لخط الأئمة عليهم السلام وقواعدهم الشعبية الكبرى يجب ان لا تبقى – في زمن الغيبة وانقطاع القيادة المعصومة ومصدر التشريع – خالية عن المرشد والموجه والفكر المدبر .. يعطيهم تعاليم دينهم ويرتفع بمستوى ايمانهم وعقيدتهم ، ويشرح لهم اسلامهم ، ويوجههم في سلوكهم إلى العدل والصلاح ورضاء الله عز وجل . فان من هذه الجماهير – ان لم يكن الأكثر – من يكون ضعيف الايمان والارادة ، يحتاج في تصعيد مستواه الروحي وعمله الايماني إلى مرشد وموجه ، وإلا كان لقمة سائغة لمردة ابليس وشباكه من اعداء الدين والمنحرفين وذوي الأغراض الشخصية والمصالح الظالمة .

---

١ – الوسائل ، كتاب القضاء ج ٣ ص ٤٢٤ .
٢ – الاحتجاج ج ٢ ص ٢٦٠ .

ومن هنا نرى الامام العسكري عليه السلام أيضاً يؤكد على ذلك ، فان ابن بابويه حلقة من سلسلة العلماء الصالحين ، فهو يريد ان يشجعه أكبر تشجيع ويجعل له بين قواعده الشعبية عنواناً كبيراً وأمراً نافذاً فيقول له تارة : يا شيخي يا أبا الحسن . ويقول له تارة اخرى : وأمر شيعتي بالصبر . فكأن مراسلته مراسلة للجميع وتبليغه بالتعاليم تبليغ الكل ، لأنه هو المشرف على مصالح هذه الجماهير الموالية للأئمة عليهم ، في عصره الخاص الذي سيكون من عصور الغيبة في أول وجودها .

المفهوم الرابع : ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده .. والعاقبة للمتقين . فليست الأرض لأي حاكم من البشر ، وانما هي بارادة الله وادارته .. انها لله وإذا كانت لله فهو الذي يعطيها لمن يشاء من عباده..وقد شاء الله تعالى أن يكون ميراث الأرض والحكم النهائي فيها للمتقين ليكونوا خير خلف لشر سلف ، فتملأ الأرض بهم عدلاً بعد ان ملئت جوراً . وإذا كانت هذه هي ارادة الله ، فالمؤمن لا بد له ان يخضع لها ويقوم بمتطلباتها .

اذن فليست عصور الظلم والانحراف، التي نعيشها في عصور الغيبة ـ بالرغم من وضوحها في الاذهان ورسوخها في النفوس ـ ليست إلا نتيجة للامهال الالهي الذي قدره لعمر أي حضارة من الحضارات قال الله تعالى : وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله .. فإذاقها الله لباس الجوع والخوف

بما كانوا يصنعون "[1] . وقال عز وجل : ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيراً لأنفسهم .. انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين "[2] .

فليس هذا الكفر والانحراف قدراً اضطرارياً أو وضعاً جبرياً ، يجب الاعتراف به والخضوع لتياره .. بل هو مهلة لهم وفسحة في حياة حضارتهم ، حتى يستكملوا انحرافهم ويتمرسوا في ظلمهم وتتم الحجة الدامغة عليهم .. فإذ اراد الله تعالى تنفيذ وعده العظيم، اخذهم بذنوبهم والبسهم نفس اللباس الذي كانوا يضطهدون به المؤمنين : لباس الجوع والخوف ، وأورث الأرض لعباده الصالحين يتبؤون فيها حيث يشاء، تحت راية المهدي عليه السلام ، ولنعم عقبى المتقين .

اقول : ومثل هذا الشكل من البيان بجميع مفاهيمه ، مما يختص به الامام العسكري عليه السلام ، ولم يكن ليصدر عن أحد من آبائه عليهم السلام لمدى البعد الزمني بين عصورهم وعصر الغيبة ، وانما يصدره الامام العسكري بصفته الامام الاخير فيما قبل عصر الغيبة ، والمخطط المباشر لها والمسؤول الأكبر عن تطبيق مستلزماتها . مما يستدعي التفصيل والتأكيد أكثر من ذي قبل بطبيعة الحال .

النقطة الثانية : من موقفه عليه السلام تجاه الغيبة :

احتجابه عن الناس ، إلا عن خاصة أصحابه ، وايكال تبليغ الأحكام والتعليمات إلى اسلوب المكاتبات والتوقيعات بينه وبين أصحابه، وأزجاء حاجاتهم بواسطة عدد من خاصته .

---

١ - السورة ١٦ - ١١٢ .

٢ - السورة ٢ - ١٧٨ .

لأنه عليه السلام كان يعلم ان المنهج العام لابنه المهدي (ع) في غيبته الصغرى سيسير على هذا النسق ، وهو أحتجاب شخص الامام مع ايصال التعليمات بواسطة الخاصة . وهو أمر ـ كما قلنا ـ قد يبدو غريباً على الأذهان إذا بدأه المهدي عليه السلام بدون سابقة ، ولعل مضاعفات غير محمودة تنتج من استغراب الناس من ذلك . اذن فلا بد من اتخاذ منهج خاص لتهيئة الذهنية العامة لاستساغة هذا الأسلوب وحسن تقبله .

أما جعل الوكلاء وإيصاء الناس بالرجوع اليهم في مسائلهم ومشاكلهم فهو مما اعتاد عليه الناس ردحاً من الزمن، تحت ظل آبائه عليهم السلام. فانه لم يكن يمكن الارتباط بالبلاد البعيدة ذات القواعد الشعبية الموالية إلا عن هذا الطريق . وانما تنحصر المشكلة في الاحتجاب ومخاطبة الناس ـ على طول الخط ـ عن طريق المكاتبات وقبض الأموال ـ على الدوام ـ عن طريق الوكلاء وهو الأمر الذي ينبغي تهيئة الذهنية العامة له وزرعه في المجتمع من جديد .

وكان قد بدأ بالتخطيط لذلك ـ بعض الشيء ـ الامام الهادي عليه السلام ، ليكون تعودهم على هذا المسلك تدريجياً بطيئاً موافقاً للفهم العام لدى الناس . روى المسعودي [1] ان الامام الهادي عليه السلام كان يحتجب عن كثير من مواليه إلا عن عدد قليل من خواصه . وحين افضى الأمر إلى الامام الحسن العسكري عليه السلام ، كان يتكلم من

---

١ ـ اثبات الوصية ص ٢٦٢ وانظر منتهى الامال جـ ٢ ص ٥٦٥ .

وراء الستار مع الخواص وغيرهم ، إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان .

ونحن في حدود التاريخ الذي استعرضناه ، قد نجد في عبارة المسعودي شيئاً من المبالغة ، بعد ان وجدنا الامام العسكري ، يذهب إلى دار السلطان (البلاط) كل اثنين وخميس ويزور الوزير عبيد الله بن خاقان ويزور أصحابه في السجن .. ونحو ذلك . إلا اننا إلى جانب ذلك ، حملنا من تاريخه عليه السلام فكرة واضحة ، عن سيره على هذا المخطط واتصاله باصحابه عن طريق الكتب والمراسلات . حتى اعتاد أصحابه على ذلك وأصبح المفروض عند مواليه ان الأتصال به والسؤال منه لا يكون إلا عن طريق المراسلة . وقد مرت بنا كثير من الشواهد على ذلك .

فهذا تختلج في صدره مسألتان يريد الكتاب ـ الكتابة ـ بهما اليه عليه السلام [1] وأبو هاشم الجعفري يكتب اليه شاكياً ضيق الحبس وكلب الحديد [2] . والامام يكتب إلى أصحابه مبشراً لهم ومحذراً بموت المعتز [3] أكثر من مرة وبموت المهتدي [4] أيضاً ومخبراً لهم عن موت الزبيري [5] ويكتب لهم عن رأيه في صاحب الزنج وعن وصفه لقضاء المهدي القائم في دولته ويعطي لمحمد بن ابراهيم خمساة درهم ولابيه

---

١ - الارشاد ص ٣٢٣ .
٢ - المصدر ص ٣٢٢ .
٣ - انظر مثلا - كشف الغمة جـ ٣ ص ٢٠٧
٤ - المصدر جـ ٣ ص ٢٠٤
٥ - كشف الغمة جـ٣ ص٢٠٧

ثلثماة من وراء الباب بواسطةغلامه [1] . وقد سبق ان سمعنا كل ذلك. وشواهده أكثر من أن تحصى .

ولاجل ذلك يدخل عليه أحمد بن اسحاق ، وهو من خاصته ، فيطلب اليه ان يكتب لينظر إلى خطه فيعرفه عند وروده ليكون آمناً من التدليس والتزوير . فيكتب له الامام (ع) في ورقة . ثم يلفت نظره إلى احتمال تغير القلم في كتاباته عليه السلام ، قائلا : يا أحمد أن الخط سيختلف عليك ما بين القلم الغليظ والقلم الدقيق. فلا تشكن [2] .

وكان غاية أمل جمهور مواليه في رؤيته عليه السلام .. هو الجلوس في الطريق ، في وقت مروره ذاهباً إلى البلاط وراجعاً منه . فمن ذلك مما سمعناه من مجيء الوفد من الأهواز ومقابلته في الطريق حين رجوع موكب المعتمد من توديع الموفق حين خروجه لحرب الزنج .

وسمعنا عن ذلك الشخص الذي اثرت فيه شبهة الثنويه ، فلقيه الامام في طريق رجوعه من زيارة البلاط وأشار اليه بسبابته : أحد أحد .

ويجلس شخص من الموالين للامام عليه السلام ، في أحد الشوارع فيرى الإمام ماراً حين خروجه من منزله قاصداً مجلس الخليفة . فيفكر في نفسه انه لو صاح الآن باعلى صوته معلناً بالحق الذي يعتقده مصرحاً بامامة هذا الامام على البشر اجمعين ، فماذا سوف يحدث ؟!

---

١ – المناقب جـ ٣ ص ٥٣٧ .

٢ – المناقب جـ ٣ ص ٥٣٣ .

قال الراوي : فقلت في نفسي : ترى ان صحت : ايها الناس هذا حجة الله عليكم ، فاعرفوه . يقتلوني ؟ .. فلما دنا مني أومأ باصبعه السبابه على فيه أن اسكت . ثم يراه هذا الرجل فيما يرى النائم محذراً له من القتل وموجباً عليه الكتمان قائلاً : انما هو الكتمان أو القتل ، فاتق الله على نفسك [1] .

ومما يندرج في هذا الصدد إفهامه عليه السلام لأحد أصحابه وهو راكب في الطريق .. بالاشارة انه يرزق ولداً و لكنه ليس بذكر .. فولدت زوجته ابنة [2] . وذلك العباسي الذي يجلس للامام على قارعة الطريق ويشكو له الحاجة ويحلف له : انه ليس عنده درهم فما فوقه ولا غداء ولا عشاء .قال : فقال : تحلف بالله كاذباً وقد دفنت ماتى دينار .وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطية . يا غلام اعطه ما معك .. فاعطاني ماة دينار [3] .

اذن فالامام عليه السلام كان سائراً على طبق مخطط الاحتجاب، تعويداً لأصحابه وقواعده الشعبية على فكرة الغيبة واسلوبها ، ورفعاً لاستغرابهم الذي كان سيحدث لو لم يكن هذا المخطط .

ولعلنا نستطيع ـ بهذا الصدد ـ ان نحمل فكرة واضحة من ان فكرة غيبة الامام المهدي عليه السلام هي بذاتها فكرة احتجاب ابيه ، وان اسلوبهما في قيادتهما واحد من الناحية الكيفية لا يختلف .

---

١ ـ انظر الخرايج والجرايح ص ٥٩ .

٢ ـ انظر كشف الغمة جـ ٣ ص ٢١٦ .

٣ ـ الارشاد ص ٣٢٣ والاعلام ص ٣٥٢ و كشف الغمة جـ ٣ ص ٢٠٣

نعم ، غيبة المهدي ، من الناحيــة الكمية أشد من احتجاب ابيه وأكثر حذراً وابعد عن الناس . فالامام العسكري عليه السلام كان يراه جملة من الناس من أصحابه وغيرهم عند زيارته للبلاط ، على حين ان المهدي عليه السلام لا يراه إلا اقل القليل على طول التاريخ . كما ان الامام العسكري توفى ودفن بمشهد ومرأى من الجميع ، على حين ضمن المخطط الالهي طول العمر لابنه المهدي عليه السلام. وكان الامام العسكري (ع) معروف الشكل والهيئة لدى الناس. وأما الحجة المهدي فقد انتهى الجيل الذي رآه في صغره ، وتتابعت الأجيال في غيبته الصغرى وغيبته الكبرى ، من دون ان تحمل أي فكرة عن شكل المهدي وسحنته وهيئته وجسمه .. إلى غير ذلك من الفروق .

النقطة الثالثة : اتخاذه نظام الوكلاء :

ليس الامام العسكري (ع) أول من سن هذا النظام وانما كان موجوداً في زمان ابيه الامام الهادي (ع) وما قبله ، وكان ذلك أحد الطرق الرئيسية لاتصالهم عليهم السلام بقواعدهم الشعبية وقضائهم لحواجهم ، واتصال القواعد الشعبية بهم . وارسال الأموال ، والحقوق الاسلامية اليهم .

وحيث اتخذ الامام العسكري (ع) مسلك الاحتجاب الذي عرفناه كان إلى نظام الوكالة أقرب وله الزم، واتخذه بشكل يشمل أكثر الأمور أو جميعها ، مما يتصل بامور المجتمع حتى في داخل المدينة التي يسكنها الامام (ع) نفسها . فكانت عامة اتصالاته وتوقيعاته والأموال التي تصل

اليه ، ما عدا القليل .. يتم عن طريق الوكلاء .

واعلى واهم من يندرج في هذه القائمة لمدى وثاقته وعظم شأنه :عثمان بن سعيد العمري الزيات أو السمان ، الذي سيصبح الوكيل الأول لولده المهدي (ع) . وانما يقال له السمان لأنـه كان يتجر السمن تغطية على هذا الأمر ، يعني على نشاطه في مصلحة الامام عليه السلام . وكان الشيعة إذا حملوا الى ابي محمد(ع) ما يجب عليهم في الاسلام من الاموال، نفذوا إلى ابي عمرو ، فيجعله في جراب السمن وزقاقـه ، ويحمله إلى ابي محمد (ع) تقية وخوفاً ، وحماية للمال عـن انظار الحاكمين ، لأنهم إذا عرفوه ، صادروه ، كما سمعنا ما فعله المتوكل في الأموال التي علـم وصولها إلى الامام الهادي (ع) .

وقد اثنى الامام الهادي والامام العسكري عليهما السلام على السمان ثناءً عاطراً ، كقول الامام الهادي فيه : هذا أبو عمر والثقة الأمـين . ما قاله لكم فعني يقوله ومـا أداه فعنى يؤديه [1] وقوله : العمري ثقتي فما أدى اليك فعني يؤدي وما قال لك فعني يقول ، فاسمع له واطع . فانه الثقة المأمون [2] .

وقول الامام العسكري (ع) فيه : هذا أبو عمر والثقة الأمـين ، ثقة الماضي ، وثقتي في المحيا والممات . فما قاله فعني يقوله ومـا أدى اليكم فعني يؤديه [3] . وقوله في العمري وابنه محمد بن عثمان : العمري

---

١ – غيبة الشيخ الطوسي ٢١٥ .

٢ – المصدر ص ٢١٩ .

٣ – المصدر ص ٢١٥ .

وابنه ثقتان ، فما آديا اليك فعني يؤديان ، وما قالا فعني يقولان . فاسمع لهما واطعهما ، فانهما الثقتان المأمونان . قال أبو العباس الحميري : فكنا كثيراً ما نتذاكر هذا القول ، ونتواصف جلالة محل ابي عمرو[1] .

وهذا الرجل الجليل وابنه ، سوف يكونان وكيلين عن الامام المهدي (ع) في غيبته الصغرى . ولن يكون ذلك نشازاً على الاذهان ، بعد ان كانا بهذه المنزلة والرفعة عند ابيه وجده عليهما السلام وعند الجماهير الموالية لهما .

وقد عرفنا ما لابي هاشم داود بن القاسم الجعفري واحمد بن اسحاق الأشعري ، من عظم قدرهم لدى الامام العسكري (ع)ووثاقتهم عنده . وكانا يمارسان أعمال الوكالة عنده أيضاً كما تدل عليه بعض الروايات .

ومن وكلائه أيضاً محمد بن أحمد بن جعفر ، وجعفر بن سهيل الصيقل[2] .

وسنجد ان نظام الاحتجاب والوكلاء هو الذي سيكون ساري المفعول في الغيبة الصغرى، بعد ان اعتاد الناس عليه، فيمسلك الامامين العسكريين عليهما السلام ، وخاصة الحسن الاخير عليه السلام .

---

١ - المصدر ص ٢١٩ و ٢١٥

٢ - مناقب آل ابي طالب ص ٥٢٥ جـ ٢ .

هل مات الامام مقتولاً ؟

لم يبق لدينا الآن مما يدخل ضمن غرضنا من تاريخ الامـام الحسن العسكري ، إلا التعرض لوفاته . وهذا ما نرجئه إلى الفصل القادم ، فانه الصق به كما سيأتي .

وانما الذي نود الاشارة اليه ، هو انه هـل من المستطاع القول أن الأئمـة عليهم السلام جميعاً ماتوا مستشهدين على أيدي خلفاء زمانهم وبتسبيب من قبلهم .. بحيث ان الامام الهـادي عليه السلام قتله المعتز والامام العسكري عليه السلام قتله المعتمد ... أو لا يمكن ذلك . وقد يمكن القول – لو انكرناه – : ان الامام مات حتف انفه .

وما يمكن به اثبات استشهاد الامام أحد وجوه ثلاثة محتملة :

الوجه الأول : الاستناد إلى ما روي عن الامام الصادق عليه السلام: ما منا إلا مقتول أو شهيد[1] فجميع الأئمة عليهم السلام انما يخرجون من الدنيا بالقتل أو الشهادة ، وليس فيهم من يموت حتف انفه .

والقاتل لهم على طول الخط .. هو الحكام الذين كانوا دائماً على حذر من الأئمة عليهم السلام ومن نشاطهم الاسلامي . لأنهم عليهم السلام كانوا يمثلون دائماً جبهة المعارضة الصامدة ضد الانحراف الاساسي عـن تعاليم الاسلام الذي تمثله الخلافة الاموية والعباسية ، ومن ثم تنسب وفاة كل امام – مع عدم وجود اثبات تاريخي آخر – إلى الخليفة الذي توفى في

---

١ – اعلام الورى ص ٣٤٩ .

عصره . فالامــام الهادي عليه السلام الذي توفي في عصر المعتز ، قد قتله المعتز أو تسبب إلى موتـه بالسم بشكل من الاشكال . والامام العسكري الذي توفى في عصر المعتمد ، قد قتـله المعتمد وتسبب إلى ذلك بالسم من طرف خفي .

وعلى هذا الوجه اعتمد جملة من علمائنا قدس الله ارواحهم . قـال الطبرسي [1] : وذهب كثيرمنأصحابنا إلى انه ـ يعني الامام العسكري عليه السلام ـ مضى مسموماً ، وكذلك أبوه وجده وجميع الأئمة عليهم السلام ، خرجوا من الدنيـا بالشهادة . ثم ذكر الطبرسي استشهادهم بالحديث المنقول عن الامـام الصادق (ع) . ثم قال : والله أعلم بحقيقة ذلك .

أقول : وهذا يتوقف على صحة هذا الحديث وثبوته . ولعـل في اعتماد علمائنا عليه ما يرجح ثبوته .. والله العالم .

الوجه الثاني : الانطلاق من الفكرة القائلة : بان الامـام المعصوم عليه السلام ، خلقه الله تعالى كامـلاً في بنيته الجسمية وتركيبه البدني معتدلاً من جميع الجهات . ولا يمكن ان يصيبه الموت أو التلف إلا بعارض خارجي من قتل ونحوه . وأما لو لم يحدث عليه حادث فانـه قابل للبقاء أبد الدهر من دون هرم ولا موت .

واستنتجوا من هذه الفكرة ثلاث نتائج .

النتيجة الأولى : ان رسول الله صلى‌الله‌عليه وآله وسلم ، لا بد وان

---

١ ـ اعلام الورى ص ٣٤٩ .

تكون وفاته مسببة عن القتل ، فانه لم يكن قابـــلاً للموت التلقائي وخاصة في مثل العمر الذي مات فيه . واختلفوا في سبب قتله ، فقال جمهور اخواننا أهل السنة ان السم الذي اكله في الذراع الذي قدمته له اليهودية ، اثر فيه بعد عدة سنوات . وقال بعض الخاصة انـه (ص) مات نتيجة لعمـــل تخريبي مباشر من قبل بعض المنافقين .

النتيجة الثانية : ان الأئمة عليهم السلام جميعاً ، ماتوا بسبب القتل ، ضرباً بالسيف أو تناولاً للسم . فما كان من تلك الأسباب معروفاً وثابتاً تاريخياً ، كان مؤيداً لهذه الفكرة التي انطلقنا منها ، وما لم يكن لـــه اثبات تاريخي ، صارت هذه الفكرة اثباتاً له .

النتيجة الثالثة : ان الحجة المهدي المنتظر عليه السلام ، حيث انه لم يصب بحادث تخريبي يودي بحياته ، فهو باق في الحيـاة . وسوف تستمر حياته ما دام لم يصب بسوء . واما موته بعد ظهوره وقيامـه بدولة الحق ، فيكون بالقتل أيضاً ، على ما ورد في رواياتنا ، على مـا سنذكره في محله من بحوثنا الآتية [1] .

بل ان بقاء الحجة المهدي ، طوال هذه المئات من السنين ، يكفي اثباتاً لهذه الفكرة ، عند من يريد ان يأخذ بمدلولها . فانه عليه السلام إمام معصوم ، وكل إمام معصوم غير قابل للموت والفناء إلا بعارض خارجي كالقتل ، ومن هنا لا يكون عليه السلام قابلاً للموت مهمـا طال الزمن ، بعد احراز عدم طرو شيء من الحوادث عليه .

---

١ — في الكتاب الثالث من هذه الموسوعة .

والذي أود ان أشير اليه : ان هذه الفكرة ، لا تنافي قوله تعالى : كل نفس ذائقة الموت . ولا تكون هذه الآية دليلاً على بطلانها . لأن الآية تعرب عن موت كل حي ، وهو ما يتحقق في الخارج حتى للمعصومين عليهم السلام قبل يوم القيامة على أي حال . وليس المدعى فيهم الخلود أو ضرورة الحياة ، وانما المدعى هو وجود قابلية الحياة لدى المعصوم ما لم يحدث حادث يوجب الموت . ومعه يكون تطبيق هذه الآية بالنسبة إلى المعصومين هو طرو الحوادث التي توجب الوفاة .

وعلى أي حال ، فان هذه الفكرة تحتاج إلى اثبات ، ولم أجد في حدود تتبعي ، نصاً في الكتاب أو السنة يدل عليها . لكن قد يستدل لها بالرواية التي ذكرناها في الوجه الأول : ما منا إلا مقتول أو شهيد . إذا كان المستفاد منها عدم امكان موتهم إلا بطريق الشهادة والقتل .

كما قد يستشهد لهذه الفكرة بما روى عن الامام العسكري عليه السلام من قوله : ولسنا كالناس فنتعب كما يتعبون [1] باعتبار ان ذلك انما هو لأجل توفر القوة البدنية بشكل غير متوفر في سائر الناس . ولازم ذلك ان الناس بقواهم العادية يكونون قابلين للموت ، واما إذا كانت هذه القوه العليا موجودة فيكون فيها مقتضي الحياة ، ولا تكون قابلة للموت إلا بمؤثر خارجي وحادث طارىء .

الوجه الثالث : لاستشهاد الأئمة عليهم السلام . وهو وجه خاص بالمتأخرين منهم عليه السلام .

---

١ - المناقب جـ ٢ ص ٥٣٤ ورجال الكشي ص ٤٨١

وذلك: نظراً إلى ان الامام الجواد والامام الهادي والامامالعسكري عليهم السلام ، لم يكتب لهم أن يعمروا ، بل وافتهم المنية وهم في آبان شبابهم على اختلاف اعمارهم . فالامام الجواد كان له يوم قبض خمس وعشرون سنة واشهر [1] والامـام الهادي له احدى واربعون سنة [2] والامام العسكري له ثمان وعشرون سنة [3] على مـا عرفنا من تاريخ ولادته ووفاته . والغالب حتى في الفرد العادي ، هو ان يعمر أكثر من ذلك ، خاصة في الامامين : الجواد والعسكري عليهما السلام . بـل أن في عصرنا الحاضر من الشباب في هذا العمر من يعتبر نفسه غير خارج من دور الطفولة بعد !! وله بالزواج أمل قريب !! ولو سألته عما بقي لديه من العمر لم يشك في كونه خمسون أو ستون سنة على أقل تقدير .

اذن فلماذا توفى هؤلاء الأئمة بهـذا العمر القصير ؟ ليس لذلك إلا احد سببين : احدهما : المرض . والآخر : القتل من قبل السلطات .

أما المرض فهو غير محتمل لأحد أمور ثلاثة :

الأمر الأول : انه غير منقول عن الامام الجواد والامام الهادي عليهما السلام ، وانما نقل في الامام العسكري (ع) انه كان معتلاً قبل وفاتـه على ما سوف نقول في حينه . ولكننا لم نحرز أن هذه العلة مستقلة عن الفعل التخريبي من قبل السلطات . اذ لعلها ناشئة مـن السم المدفوع اليه ، وهذا الاحتمال لا دافع له ، وهو المقصود .

---

١ - الارشاد ص ٣٠٧ .

٢ - المصدر ص ٣١٤ .

٣ - المصدر ص ٣٢٥ .

الأمر الثاني : انه إذا كان المرض القاتل في أبان الشباب محتملاً في واحد بعينه ، فهو غير محتمل في ثلاثة ، كلهم يموتون صدفة بسبب مرض يصيبهم في زهرة العمر ، من دون سبب مشترك أو علة وراثية ونحو ذلك .

الأمر الثالث : القاعدة التي اعطيت في الوجه الثاني : القائلة بان جسم الامام غير قابل للتلف إلا بعارض خارجي . ولا أقل من احتمالها. فإذا بطل احتمال المرض ، غير المستند إلى التخريب ، بأحد هذه الوجوه أو جميعها ، تعين السبب الآخر للموت وهو وفاته شهيداً بيد السلطات الحاكمة يومئذ ، اذ ليس هناك سبب آخر محتمل كسقوط شيء عليه أو وقوعه من شاهق أو قتله بيد لص مثلاً ، فإن كل ذلك مما لم يقل به أحد .

وكلنا يعرف شأن السلطات الحاكمة يومئذ . فاننا بعد ان نحمل فكرة مفصلة عن ذلك ، من وقوف الأئمة عليهم السلام موقف المعارضة ضد انحرافات الحكام . ومن الحقد الوراثي عند الحكام ضد الخط الذي يمثله الأئمة عليهم السلام . وكانت كل مصادر القوة والسلاح ونفوذ الحكم بيد الخلفاء ولم يكن بيد الأئمة ولا أصحابهم شيء . وانما كانوا يمثلون دور المعارضة بشكل أعزل لا يراد به إلا العدل الاسلامي ورضاء الله عز وجل .

أقول : ولعل هذا الوجه الثالث على استشهاد الأئمة هو أقرب هذه الوجوه إلى الوجدان ، فانه يورث القطع بنتيجته وهي استشهاد الأئمة

عليهم السلام بيد السلطات الحاكمة ، سواء كان السبب المباشر لذلك هو الخليفة نفسه ، باعتبار كونه المسؤول الرئيسي في المحافظة على كيان الخلافة العباسية ، أو غيره من صنائعه أو المسيطرين عليه ، كبعض الموالى والأتراك أو القواد أو القضاة .

* * *

وأما إذا لم تتم عند أحد هذه الوجوه ، وتوخينا الاثبات الخاص على كل أمام بمفرده انه مقتول أو شهيد . فسوف لن يسعفنا التاريخ بطائل . حتى ان الشيخ المفيد في الارشاد يقول عن الامام الجواد عليه السلام : وقيل انه مضى مسموماً ولم يثبت بذلك عندي خبر [١] .

واما الامام الهادي عليه السلام ، فنجد بعض من تعرض لوفاته يذكر انه : قيل انه مات مسموماً ، كابن الجوزي في تذكرته [٢] والمسعودي في المروج [٣] وقال عنه الطبرسي : انه استشهد [٤] . وقال ابن شهر اشوب : انه استشهد مسموماً . واضاف : وقال ابن بابويه : وسمه المعتمد [٥] . أقول : وهذا غير محتمل لما عرفنامن أن الامام الهادي عليه السلام توفى في أيام المعتز قبل خلافة المعتمد بسنتين وذلك في عام ٢٥٤ واستخلف المعتمد عام ٢٥٦ . وعرفنا ان الامام الذي توفى في

---

١ - انظر ص ٣٠٧ .
٢ - ص ٣٧٥ .
٣ - ص ٨٦ جـ ٥ .
٤ - اعلام الورى ص ٣٣٩ .
٥ - المناقب ص ٥٠٦ جـ ٣ .

أيام خلافة المعتمد هو الامام العسكري عليه السلام . اذن فهذا النقل سهو أما من ابن بابويه أو من ابن شهر أشوب رضى الله تعالى عنهما .

واما المفيد في الارشاد والاربلي في كشف الغمة وابن خلكان في تاريخه وسائر مؤلفي التاريخ العام ممن تعرض لوفاة الامام الهادي كابن الأثير وابي الفداء وابن الوردي وابن العماد ، فلم يذكروا لوفاته سبباً .

ونفس هذا الموقف يقفه هؤلاء جميعاً بالنسبة إلى الامام الحسن العسكري عليه السلام . يضاف اليهم ابن الجوزي فانه أيضاً لم يصرح هنا بشيء . وقال ابن شهر أشوب : ويقال انه استشهد[1] . وأما الطبرسي فقد عرفنا موقفه من ذهاب كثير من الأصحاب إلى انه عليه السلام ذهب مسموماً للحديث الوارد عن الامام الصادق (ع) . وكان تعليق الطبرسي على ذلك قوله : والله أعلم بحقيقة الحال . مما يدل على عدم تأكده منه ، على أقل تقدير .

وعلى أي حال ، فانه ان اعوزنا التاريخ ، كفانا ما اثبتناه من القرائن العامة على ذلك . والله من وراء القصد .

---

١ - المناقب ج ٣ ص ٥٢٣ .

الفصل الرابع

في تاريخ الإمام المهدي (ع) خلال حياة أبيه

* وهذا الفصل في حقيقته مكمل للقسم الأول من الكتاب ولتاريخ الامام العسكري (ع) بالذات ، حيث يعرض إلى موقفه عليه السلام من ولده مفصلاً، ثم إلى وفاته عليه السلام وإلى النتائج التي ترتبت على ذلك حيث يبدأ تاريخ الغيبة الصغرى الذي نعقد له القسم الثاني الآتي أن شاء الله تعالى .

عرض عام :

تميزنا بوضوح خلال سيرنا التاريخي ، الظروف التي عاشها الامامين العسكريين عليهما السلام وولد فيها الامام المهدي (ع) .

فالبلد سامراء عاصمة الدولة العباسية يومذاك . وابوه وجده عليهما السلام ، قد قهرا من قبل السلطات على الاقامة في سامراء تطبيقاً لسياسة التقريب إلى البلاط .. التي عرفناها .

وهما عليهما السلام يتكفلان الاصلاح الاسلامي مهما وسعهما الأمر . ويمثلان جانب المعارضة الصامدة أمام انحراف الحكام عن الخط الرسالي

الذي جاء به نبي الاسلام (ص) .. بالشكل الذي لا يتنافى مع سياسة الملاينة التي اتخذاها تجاه الدولة . وهما يقومان في عين الوقت بالرعاية العامة لمصالح أصحابها ومواليهما في شؤونهم العامة دائماً والخاصة في كثير من الاحيان . ويكون النشاط في الغالب سرياً محاطاً بالكتمان والرمزية قولاً وعملاً . ويختص الصريح منه بالخاص من الأصحاب الذين تعرف منهم قوة الارادة والصمود أمام ضغط الحكام .

والامامين عليهما السلام يقبضان الاموال ويوزعانها بحسب الامكان عن طريق الوكلاء المنتشرين لهم في مختلف بقاع البلاد الاسلامية . والوفود ترد بين حين وآخر من الموالين لهم في الأطراف حاملة المال والمسائل من بلادهم لأجل تسليمها وتبليغها للامام عليه السلام .

واما السلطات ، بما فيهم الخليفة نفسه ، على اختلاف شخصه، وبما فيهم الأتراك والموالى ، وخاصة القواد منهم . وكذلك العباسيون بشكل عام وعلى رأسهم الموفق طلحة بن المتوكل . وكذلك الوزراء والقضاة كابن ابي دؤاد وابن أكثم وابن ابي الشوارب وغيرهم... كل هؤلاء يمثل خطاً واحداً من الناحية السياسية والاجتماعية ، اساسه الانتفاع المصلحي من الدولة القائمة المتمثلة بالخلافة العباسية . والحرص عليها أشد الحرص ، حفاظاً على مصالحهم ومنافعهم . فكان ذلك موجباً لحذر السلطات الدائم والتوجس المستمر من كل قول أو فعل يصدر من الامام عليه السلام أو من احد اصحابه .. فكان السجن والأغلال هو النهاية الطبيعية لكل من يفكر في ولاء الامام أو التعامل

الاجتماعي معه .

بل ان الأمر ليشتد ويتازم أحياناً ، فينتهي الامر إلى القاء القبض على الامام نفسه . ومن المعلوم ان القاء القبض على القائد ، هو سجن لكل مبادئه ومثله وقواعده الشعبية وتحد لها . ويبقى الامام مسجوناً مدة ، ثم يخرج ليسجن مرة ثانية .

وكانت السلطات تحاول جاهدة عزل القواعد الشعبية ، للامام عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فكان الفرد منهم يعاني الخوف والفقر والمرض ، من دون ان يجد ناصراً أو معيناً سوى ادعية امامه عليه السلام وقلوب اخوانه .

على اننا عرفنا ان الامام لم يكن مريداً الاستيلاء على السلطة في ذلك المجتمع المنحرف .. وانما كان غاية همه رعاية مصالح أصحابه وادارة شؤونهم .. وكان هذا النشاط هوالذي يثير السلطات وينفرها، منظماً إلى وهمها الخاطىءباحتمال أخذ الامامبحقه الذي يعتقده مشروعاً في الاستيلاء على السلطة .. فكانت تبذل الجهود الجبارة ضد ذلك .

وقد استطاع الامامان عليهما السلام ، بالرغم من كل ذلك ومن سياسة المراقبة والتقريب إلى البلاط .. ان يخفيا نشاطهما ويسترا الاموال والواردة اليهما والصادرة عنهما والتعاليم التي تبلغ من قبلهما . وبذلك استطاعا أن يامنا قسطاً كبيراً من العذاب الذي كان يصيبهما وأصحابهما لولا ذلك ، وأن يحققا كثيراً من المصالح التي كانت مما يحال دونهما بغير ذلك .

على ان السلطات بمختلف طبقات حكامها وموظفيها وأهل الأمر النافذ فيها ، وعلى تفاوتهم في التعصب أو حسن التفكير .. كانوا يعرفون في قرار قلوبهم وداخل نفوسهم ، حق الامام ويحترمونه بالغ الاحترام ويعتبرونه خير خلق الله في عصره بما له من العبادة والعلم والاخلاق والنسب .. لا يختلف في ذلك الموالون عن غيرهم ، ولاالخلفاء عمن سواهم . وبخاصة المعتمد الذي رأيناه - في ابان احساسه بالضعف - يأتي إلى الامام العسكري عليه السلام بنفسه ويتوسل اليه ان يدعو له بالبقاء في الخلافة مدة عشرين عام .. فيجيبه الامام إلى طلبه ويدعو له .

وهذا الخليفة العباسي ، هو الذي عاصر ايام الامام المهدي عليه السلام من أولها ، وتوفى الامام العسكري عليه السلام في أيامه . وهو الذي تصدى للفحص عن تركه الامام وورثته ومراقبة الحوامل من نسائه على ما سنذكر .. وكل ذلك يدل على انه يعرف الحق ويخاف منه .. ويفرق من فكرة المهدي ووجوده .. لعلمه انه الامام القائم بالحق الساحق للانحراف والمنحرفين من الحكام والمحكومين .

وقد كانت أفكار المسلمين وبخاصة الموالين للأئمة عليهم السلام ، مليئة بالاعتقاد بوجود المهدي (ع) للتبليغ المستمر المتواتر منذ زمان النبي (ص) . إلى زمان الامام الحسن العسكري (ع) . يتعاضد في ذلك سائر المذاهب الاسلامية . ففي عين الوقت الذي يبلغ الاماما ن العسكريان عليهما السلام عن غيبة ولدهما المهدي (ع) .. يكتب البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه في صحاحهم اخباره

وكلهم يعيشون في تلك الفترة من الزمن أو متقدمون عليها قليلاً [1] .. يروون هذه الأخبار عن النبي (ص) جيلاً بعد جيل :

ولم يكن ليفوت الامامين العسكريين (ع) التمهيد المباشر لغيبة الامام المهدي (ع) وتعويد أصحابهم فكراً وسلوكاً عليها ، وذلك باتخاذ نظام الوكلاء أولاً وتخطيط الاحتجاب عن الناس ثانياً .. وكلا الامرين سوف يكون مطبقاً في الغيبة الصغرى للمهدي (ع) على ما سنعرف . وقد كان هذا التمهيد بالنسبة إلى الامام الهادي عليه السلام قليلاً مجملاً لبعده النسبي عن عهد المهدي عليه السلام . وقد تكفل القسط الأكبر من ذلك أبوه الامام العسكري عليه السلام .

فهذه هي الظروف العامة والخاصة التي ولد فيها الامام المهدي، وقد عرفنا لكل فقرة منها شواهد ودلائل استعرضناها بالتفصيل .

ام المهدي (ع) :

يحسن بنا ، وقد عرفنا تفاصيل ابيه وجده عليهما السلام . ان نحمل فكرة كافية عن امه الراضية المرضية المجاهدة ، كما وردت في التاريخ بشكل عام وفي مصادر الخاصة بشكل خاص .

كانت رضي الله عنها قبيل حملها بولدها المهدي (ع) امه مملوكة

---

١ – فمن المتقدمين عليها البخاري صاحب الصحيح المتوفي عام ٢٥٦ . ومسلم صاحب الصحيح المتوفي عام ٢٦١ . ومن المعاصرين لهذه الفترة ابن ماجة القزويني المتوفي عام ٢٧٣ وأبو داود السجستاني المتوفي عام ٢٧٥ وأبو عيسى الترمذي المتوفى عام ٢٧٩ (انظر وفيات الأعيان وغيره) .

جلبت بواسطة الفتح الاسلامي الذي كان جارياً على قدم وساق في تلك العصور من بعض مدن الكفر إلى سامراء ، ودخلت في ملكية بعض أفراد اسرة الامام العسكري عليه السلام .

وكانت تسمى في ذلك المجتمع باسماء مختلفة،فهي : ريحانه ونرجس وسوسن وصقيل . وان كان الغالب عليها بين أفراد العائلة : نرجس . ويعود تعدد اسمائها إلى احد أسباب :

السبب الاول: صلة الحب والرحمة بالجارية من قبل مالكها . فهو يناديها بافضل الأسماء لديه واجملها في ذوقه . ولذا كان جملة منها من أسماء الأزهار . لكن لا على أن يكون كل ذلك اسمها الحقيقي .. بل على أساس ان يحتفظ بالاسم الحقيقي في نفسه ويناديها بأي اسم شاء .. توددا واستلطافا .. وهي تعتاد أن تجيب مالكها عن أي اسم وقع اختياره عليه . واذ تسامع الناس باختلاف النداء زعموا ان لها أسماء كثيرة ، ووردنا في التاريخ ذلك .

كذلك كان حال الجواري المحضيات عند مواليهن... ولعله يكون منطبقاً على أم المهدي عليه السلام .

السبب الثاني : ان المجتمع في ذلك الحين ، إذ كان يجلب العبد أو الأمة بطريق السبي من البلاد البعيدة التي لا يحمل عنها وعن لغتها أي فكرة محددة ... ويكون للمالك حق التصرف فيه ، يستخدمه ويبيعه ويشتريه .. ولا يشعر بوجود شخصية هذا العبد أو ارادته ، أو أن يكون في مستقبل الدهر علماً من الاعلام .. لكي يجب أن يحدد أسمه

ويرسم معالم شخصيته لكي تبقى واضحة المعالم في اذهان مؤرخيه . بل ان العبد حين يجلب، يعجز العربي عن نطق اسمه الأصلي غالباً ، لقيامه على لغة اجنبية لا يقوى على تلفظ كلماتها .. وهو لا يهتم بان يصنع لعبده أو امته أسماً معيناً ، وانما حسبه ان يدعوه باللغة العربية باي لفظ جرى على لسانه .

ومن هنا تكونت عادة في ذلك المجتمع ، باسباغ عدة اسماء على العبيد .. فكان ان اخذت اسرة الامام العسكري (ع) بهذه العادة ، واسبغت على هذه الجارية عدة اسماء.حتى اننا رأينا الاسرة اذ وجدت ان اثر الحمل لا يظهر عليها ، على ما سنسمع ، لم تتحاش عن إسباغ اسم جديد عليها ، هو صقيل .

السبب الثالث : انها رضوان الله عليها عاشت تخطيطاً خاصاً ، في تبديل اسمها بين آونة واخرى ، و **دعائها** بعدة اسماء في وقت واحدأو في اوقات مختلفة .. عاشت ذلك منذ دخلت هذه العائلة الكريمة ، لأنها ستصبح أماً للمهدي (ع) وسترى المطاردة والاضطهادمن قبل السلطات وستعيش في السجن مدة من الزمن... اذن فيجب القيام بهذا المخطط تجاهها إمعاناً في الحذر وزيادة في التوقي عليها وعلى ابنها ، ولاجل أن يختلط في ذهن السلطات ان صاحبة أي من هذه الاسماء هي المسجونة وأي منها هي الحامل وأي منها هي الوالدة وهكذا ... حيث يكون المفهوم لدى السلطات كون الأسماء لنساء كثيرات ، ويغفلون عن احتمال تعددها في شخص امرأة واحدة .

وهذا الاحتمال الثالث ، هو ـ بلا شك ـ الاحتمال الراجح في ام المهدي (ع) .

وإذ نريد ان نعرف أول مالك لهذه الجارية من اسرة الامام عليه السلام .. تواجهنا فرضيتان ، باعتبار اختلاف الأخبار الواردة عن ذلك ، احداهما : انها كانت ملكاً للامام الهادي عليه السلام . وثانيتهما : انها كانت ملكاً لحكيمة اخت الهادي رضى الله عنها . ولكل من الفرضيتين خبر وقصة ..

الفرضية الاولى : انها دخلت أولاً في ملكية الامام على الهادي (ع) . وهو الذي قام بتزويجها لابنه العسكري عليه السلام .

وذلك : ان الامام عليه السلام حين يريد ان يحصل على زوجة ابنه : ام المهدي (ع) . يدعو نخاساً من بائعي العبيد موالياً له قد علمه أحكام الرقيق وفقهه في تجارته ، يدعى بشر بن سليمان النخاس ... يدعوه فيأمره بالسفر من سامراء إلى بغداد ويحدد له الزمان والمكان والبائع . ويصف له الجارية وبعض سلوكها . فمن ذلك : انها تمتنع من السفور ولمس من يحاول لمسها . وإذ يضر بها النخاس ، تصرخ بالرومية صرخه . قال الامام : فاعلم انها تقول : واهتك ستراه !.. ومن ذلك : انها تنطق العربية بطلاقة ويعطيه الامام عليه السلام صرة من النقود وكتاباً ملصقاً بخط رومي ولغة رومية ومختوم بخاتمه الخاص .

ويذهب بشر النخاس إلى بغداد ويشاهد كل ما حدده له الامام ، ورآها تدفع عن نفسها المشترين بضراوة ، قائلة لأحدهم : لو برزت في

زي سليمان وعلى مثل سرير ملكه ما بدت لي فيك رغبة .. فاشفق على مالك . فيقول بائعها النخاس : فما الحيلة ولا بد من بيعك . فتقول الجارية : وما العجلة ، ولا بد من اختيار مبتاع يسكن قلبي إلى أمانته . وهنا يقوم بشر إلى بائعها ويقدم له الكتاب ويامره بدفعه إلى الجارية قائلاً : انه لبعض الاشراف كتبه بلغة رومية وخط رومي ، ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه . فناولها لتتامل منه اخلاق صاحبه فان مالت اليه ورضيت به فانا وكيله في ابتياعها منك . وقد جرى كل ذلك بحسب وصف الامام وامره وتخطيطه .

وإذ تقرأ الكتاب ، ينقلب منها الحال انقلاباً عجيباً ، فتبكي بكاء شديداً ، وتقول لبائعها : بعني من صاحب هذا الكتاب ، فان امتنعت قتلت نفسي ، وتحلف بالايمان المحرجة المغلظة على ذلك . واذ يرى بائعها ذلك يطلب من بشر النخاس ثمناً كبيراً ، فتطول المعاملة بينهما حتى يستقر الثمن على مقدار ما في الصرة التي حملها من الامام ،فيعطيه للبائع ويستلم الجارية . ويذهب بها إلى الحجرة التي كان يأوي اليها في بغداد .

وإلى هنا رأينا في هذه الجارية أربعة أوصاف يندر وجود واحد منها فضلاً عن المجموع في جارية مسبية حديثة العهد بهذا المجتمع . وكل منها جار على خلاف السلوك الاعتيادي للعبيد ، فهي : أولاً : تنطق العربية بطلاقة . وثانياً : تمتنع من السفور وتتحاشى يد اللامس . وثالثاً : ترفض أي مشتر يتقدم لشرائها ، وتقترح على بائعها أن تعين

هي مشتريها لأجل أن يسكن قلبها إلى أمانته . ورابعا : انها رغبت رغبةً شديدة بالامام عليه السلام،وبكيت وهددت بالانتحار إذا لم يبعها منه . فماذا قرأت في الكتاب وكيف حصل لها معه هذه الرابطة القوية والرغبة الأكيدة ؟!.

كل ذلك يراقبه بشر النخاس ويعجب منه.وتتولد في ذهنه علامات استفهام كبيرة ! وتتأكد هذه العلامات وضوحاً حين رآها انها بمجرد إن استقر بها المقام في غرفته في بغداد .. اخرجت كتاب الامام (ع) من جيبها وصارت تلثمه وتضعه على خدها وتطبقه على جفونها وتمسحه على بدنها .فيقول لها متعجباً منها : اتلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه؟!.

وإذ تجيبه عن سؤاله .. نراها تعطيه بياناً ضافياً ، عن تاريخها وأحوالها ، يفسر كل تصرفاتها الحالية .. نلخص منه المهم فيما يلي :

انها مليكة بنت يشوعاء بن قيصر ملك الروم . وامها من ولد أحد الحواريين المنتسب إلى وصي المسيح شمعون .

ويحدث في يوم من الأيام ان يحاول جدها القيصر تزويجها من ابن اخيه ، فيعقد لذلك أعظم مجالسه ابهة وجلالة واكثرها من حيث عدد الحاضرين وأسخاها من حيث الذهب والجواهر الموزعة على أطراف المكان وعلى العرش الموضوع هناك المهيء للعريس الجديد .. فبينما يصعد ابن اخيه على هذا العرش تتساقط الصلبان وتنهار الاعمدة ويخر الصاعد على العرش مغشياً عليه . ويتشائم القيصر والاساقفة ، ويبادره كبيرهم قائلاً: ايها الملك اعفنا من ملاقات هذه النحوس الدالة على زوال

هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني .

وعلى أي حال .. فهي ترى في تلك الليلة فيما يرى النائم انه انعقد في قصر جدها القيصر مجلس متكون من المسيح وشمعون وعدة من الحواريين . ويدخل محمد صلى الله عليه وآله وجماعة معه وعدد من بنيه فيخف المسيح لاستقباله معتنقاً له فيقول له نبي الاسلام (ص) : يا روح الله اني جئتك خاطباً من وصيك شمعون فتاته مليكه لابني هذا . تقول : وأومى بيده إلى ابي محمد صاحب هذا الكتاب . فنظر المسيح إلى شمعون فقال : قد اتاك الشرف ، تصل رحمك برحم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال : قد فعلت . فصعدوا ذلك المنبر وخطب محمد (ص) وزوجني من ابنه .. وشهد المسيح عليه السلام وشهد بنو محمد (ص) والحواريون .

وعلى اثر هذا الحلم يعلق في نفسها حب الامام العسكري ابي محمد عليه السلام،بالرغم من انها تخاف ان تقص هذه الرؤيا على ابيها وجدها مخافة القتل . ثم انها تصاب على اثر حرمانها من حبيبها بمرض شديد ، ويحضر لها جدها كل الأطباء فلا يفهمون من دائها شيئاً . ويطول بها الداء .. فيقترح عليها جدها ان تقترح عليه شيئاً ترغبه لكي ينفذ لها رغبتها عسى أن تحس بالسعادة في مرضها . فتقول له : يا جدي أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة، فلو كشفت العذاب عمن في سجنك من اسارى المسلمين وفككت عنهم الاغلال وتصدقت عليهم ومنيتهم بالخلاص .. رجوت أن يهب المسيح وامه في عافية وشفاء . فينفذ لها جدها القيصر رغبتها .. فتتجلد في إظهار الصحة وتتناول يسيراً من

الطعام.فيسرجدها بتحسن حالتها ويزيد في اكرام الاسارى واعزازهم .

ثم انه يزورها في المنام بعد أربع ليال : مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد عليهما السلام . فتقوم العذراء بتعريف الزهراء لمليكه قائلة : هذه سيدة النساء أم زوجك ابي محمد عليه السلام . وإذ تعرفها مليكة تتعلق بها وتبكي وتشكو اليها امتناع ابي محمد (ع) من زيارتها فتجيبها الزهراء عليها السلام: ان ابني ابي محمد لا يزورك وانت مشركة بالله على دين مذهب النصارى . ثم تأمرها بأن تشهد الشهادتين ، فيدفعها الحب والشوق إلى امتثال هذا الأمر. وتدخل في الاسلام في عالم الرؤيا . واذ تسمع منها الزهراء (ع) ذلك ، تضمها إلى صدرها وتعدها بزيارة ابي محمد لها .

وبعد ذلك يبدأ أبو محمد بزيارتها كل ليلة ، بدون استثناء . قائلاً لها : ما كان تأخيري عنك إلا لشركك ، وإذ قد اسلمت فاني زائرك كل ليلة .. إلى ان يجمع الله شملنا في العيان .

ثم ان أبا محمد عليه السلام يخبرها في بعض زياراته ، بان جدها سيجرد جيشاً لقتال المسلمين في موعد حدده لها . وأمرها أبو محمد (ع) – وهو يريد ان يخطط لها طريق الاجتماع به في العيان – أمرها ان تتنكر في زي الخدم وتخرج من طريق معين لتلحق بطلائع الجيش الأسلامي، لياسروها وينقلوها إلى بلادهم . ففعلت ذلك حتى وصلت إلى بشر النخاس . وانكرت في غضون ذلك شخصيتها، ولم تخبر أحداً بانتسابها إلى قيصر الروم، وإذ يسأ لها مالكها عن اسمها تدعي ان اسمها: نرجس. اذن فهي التي

اختارت لنفسها هذا الاسم .

وإذ تنتهي الجارية في قصتها إلىهذا الحد .. يستطيع بشر النخاس ان يفسر كل تصرفاتها ، ما عدا معرفتها للغة العربية . فيسألها عن ذلك فتخبره بانه بلغ من ولوع جدها وحمله اياها على تعلم الآدب ان عين لها امرأة ترجمان تزورها صباحاً ومساء وتفيدها اللغة العربية ، حتى استمر عليها لسانها واستقام .

ويذهب بها بشر النخاس إلى سامراء ويدخلها على الامام الهادي عليه السلام . فيقول لها : كيف أراك الله عز الاسلام وذل النصرانية وشرف أهل بيت محمد (ص) . قالت : كيف اصف يا ابن رسول الله ما أنت أعلم به مني .

ثم يتصدى الامام عليه السلام لامتحانها وسبر اغوار ايمانها ومعرفة درجة اخلاصها . فانظر كيف يخيرّها بين العاجل والآجل .. بين الدنيا والدين .. إذ يقول لها : فاني اريد أن اكرمك : فأيُّما احب اليك عشرة آلاف درهم أم بُشرى لك بها شرف الابد . قالت : بل الشرف . واذ وجدها الامام واعية لموقفها مضحيةفي سبيله بكل عال. ورخيص. قال لها : فابشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . قالت:ممن ؟ . قال عليه السلاممتسائلاً: ممن خطبك رسول الله صلى عليه وآله ؟ ـ وعين لها الوقت ـ قالت : من المسيح ووصيه . قال : فممن زوّجك المسيح وصيّه ؟ قالت : من ابنك ابي محمد . قال : فهل تعرفينه . قالت : فهل خلوت ليلة من

زيارته اياي منذ الليلة التي اسلمت فيها على يد سيدة نساء العالمين، امه.

وعندئذ يستدعي الامام الهادي عليه السلام، اخته حكيمة ويامرها بان تأخذ نرجس إلى منزلها وتعلمها أحكام الاسلام. ويقول: فاني قد زوجت ابي محمد الحسن عليه السلام وأم القائم عليه السلام [١].

وأود ان اعلق على هذا الخبر بعدة تعليقات:

التعليق الأول: اننا نستطيع أن نعين تاريخ شراء الجارية وزواج الامام العسكري (ع) بها. فانه كان في زمان الامام الهادي عليه السلام، وقد أراد ان يزوج ابنه الحسن عليه السلام قبل ان يتوفى عام ٢٥٤ ليولد من هذه المرأة الجليلة مهدي هذه الامة القائم بدولة الحق. وسياتي ان ولادة المهدي (ع) كانت بعد وفاة جده الهادي (ع). فإذا استطعنا ان نعرف انه لم يمر زمان طويل بين زواجها وولادتها، أكثر من المقدار الضروري للحمل والولادة، عرفنا ان زواجها كان في نفس هذا العام: ٢٥٤.

التعليق الثاني: انه قد يورد على هذا الحديث بعض الاعتراضات التي يمكن الجواب عنها على أصولنا الأعتقادية، ويبقى الجواب عنها عند من لا يؤمن بهذه الأصول معلقاً على التسليم بها. على اننا سنقول اننا غير ملزمين باعتبار هذا الخبر إثباتاً تاريخياً كافياً.

الاعتراض الأول: انه متضمن لعلم الامام الهادي عليه السلام بامور

---

١ - انظر اكمال الدين للشيخ الصدوق (نسخة مخطوطة). وانظر الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٢٤ وما بعدها المناقب ج٣ ص ٣٨ د وما بعدها

غائبة غير منظورة . في حين ان الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى .

والجواب على ذلك : انه بعد فرض ثبوت امامتـه ، يكون ذلك ممكناً في حقه . ونحن لا ندعي علمه بالغيب مباشرة كعلم الله عز وجل. وانما ندعي ان الامام إذا أراد أن يعلم شيئاً اعلمه الله تعالى اياه،كمانطقت بذلك بعض الأخبار .

والمصلحة الرئيسية من الناحية الاجتماعيـــة ، في ذلك هي ان الامام قائداً لأمة ورئيس لدولة وموكول اليه تطبيق العدل الاسلامي الالهي على البشرية . فاحسن طريق لنجاح عمله وقيادته ، من الناحيتين النظرية والعملية معاً ، هو ان يكون ملهماً مسدداً موفقاً من قبل الله تعالى . وكيف لا ، وهو منصوب لتطبيق أعلى أهداف الاسلام وممثـل لأحد أيام الله الكبرى التي اخذها الله تعالى بنظر الاعتبار في كونه .

الاعتراض الثاني : ان الايمان بمضمون هـذا الحديث ، متوقف على الايمان بالاحلام . وهو خرافة من الخرافات .

والجواب عن ذلك : يكون باحد أمور ثلاثة :

اولاً : ان ما هو الخرافة،هو الايمان المطلق بصدق جميع الاحلام ، وهذا لم يقل به مفكر ، ولا هو الذي ندعيه ولا يتوقف عليه صحةهذا الحديث . وانما الشيء الذي لا شك فيه هو صحة بعض الاحلام وتحققها في الواقع . وهذا أمر ضروري لمن راجع حوادث الحيـــاة ونظر في الكتب المؤلفة فيذلك كدارالسلام للحاج ميرزا حسين النوري والاحلام للدكتور علي الوردي . وغيرها .

اذن فمن الممكن أن يكون هذا المذكور في الحديث أحد الاحلام المطابقة للواقع ، وخاصة بعد ان اتصف بحوادث ومميزات لا تعدو عالم الحياة والعيان . فلو صلحت هذه الرواية للاثبات التاريخي لم تكن هذه الجهة موجبة لضعفها أو الطعن فيها .

ثانياً : ان هناك فكرة تقول : بان رؤية النبي (ص) والأئمة المعصومين (ع) في المنام لا يمكن أن تكون كاذبة . لأن المنام الكاذب من الشيطان والشيطان لا يمكن أن يتصور بصورة النبي أو الامام . ويستشهد لذلك بما نسب إلى النبي (ص) من قوله : من رآنا فقد رآنا. ويقول الامام العسكري عليه السلام لأحد أصحابه في المنام أيضاً: وأعلم ان كلامنا في النوم مثل كلامنا في اليقظة [1] .

فإذا تمت هذه القاعدة ـ والله العالم بحقيقتها ـ لم يكن بالامكان ان يقال : بان ذلك الحلم الذي وجد فيه رسول الله (ص) والأئمة عليهم السلام بما فيهم الامام العسكري (ع) ، أو هو مستقلاً حين كان يأتيها كل ليلة ... حلم كاذب .

ثالثاً : اننا غير مضطرين لأن نلتزم من هذا الحديث بجر فيه الرؤيا. بل يمكننا ان نحمله على نحو من الرمزية ونقول : ان أم المهدي عليه وعليها السلام ، كانت وهي في بلادها الأولى كانت ملهمة بشكل غامض بعض خطوط مستقبلها والحنين اليه ، بمقدار بحيث انها حين واجهت هذا المستقبل احبته واخلصت له .

---

١ ـ المناقب ج ٣ ص ٥٣٤ .

وهذه مصلحة الهية عظيمة ، باعتبار ما يعلمه الله تعالى من كونها اما االمهدي عايه السلام ، وما سوف ترى في سبيل ذلك من الضغط والمطاردة والعذاب . اذن فهي تحتاج إلى الهام خاص ـ ولو بشكل لا شعوري غامض ـ يوجب تربيتها وتوجيه عواطفها بالشكل المخلص المؤمن . فانها ، لو كانت مجردةعن هذا الالهام وكانت مشتراة منالسوق من دون اخلاص سابق وتربية داخلية،لأمكن لها ان تجزع منالتعذيب فتبوح بأمر ولدها ، ويؤدي الحال إلى القاء القبض عليه وقتله . وهو ما لا يريده الله تعالى أن يكون .. كيف ؟ . وقد ذخره الله عز وجل بقدرته الكبرى لمستقبل الاسلام وارساء قواعد الحق .

أما انكار وجود الالهام كحقيقة كونية الهية ، تتحقق بارادة الله تعالى عند وجود المصلحة .. فهذا تكذيب للقرآن إذ ينسب الالهام إلى النحل قائلاً : واوحى ربك إلى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات ، فاسلكي سبل ربك ذللا [1] . وينسب عز وجل هذا الالهام ببعض مراتبه إلى الانسان إذ يقول عز من قائل : فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام،ومن يُرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كانما يصعد في السماء [2] .

اذن فلتكن الظاهرة التي احست بها وعاشتها ام المهدي ، شكلاً من اشكال الالهام .

---

١ - السورة ١٦ / ٦٨ - ٦٩ .
٢ - السورة ٦ / ١٢٥ .

الاعتراض الثالث : ان هذا الحديث دال على ان اسلامها وزواجها كان في عالم الرؤيا . وهو مما لا يمكن ان يعترف بشرعيته وقانونيته .

والجواب عليه : ان هذا الحديث وان كان دالاً على ذلك ، إلا اننا لا ندعي الاكتفاء به بطبيعة الحال . وانما اصبحت مسلمة في عالم اليقظة والعيان ... أما حال وجودها في بلادها الاولى بعد ان اعتقدت بصحة الطيف ومطابقته للواقع، فاستيقظت معتقدة للاسلام . أو انها اسلمت حين قالت للامام الهادي عليه السلام : يا ابن رسول الله .. فان هذا الوصف متضمن للاعتراف بالاسلام بكل وضوح ، أو انها اصبحت مسلمة حين علمتها حكيمة تعاليم الاسلام امتثالاً لامر اخيها عليه السلام، وعلى أي حال فقد تم اسلامها قبل زواجها من الامام العسكري (ع) .

واما ما قد يخطر على البال من انها إذا كانت قد بقيت غير مسلمة في عالم اليقظة والعيان حتى حين وصولها إلى سامراء ، فكيف زارها الامام أبو محمد (ع) في المنام .. فجوابه : ان هذا كلام من يؤمن بالاحلام .. وأما من لا يؤمن بها لا يعتبر الزيارة في عالم الرؤيا شيئاً يؤخذ بنظر الاعتبار. ومعه فنقول للمؤمن بالاحلام المتكلم بهذا الكلام: ان زيارة الامام في المنام يكفي فيها الاسلام في المنام ! وأما لقاء العيان واليقظة فيحتاج إلى اسلام حقيقي في عالم اليقظة .

وأما زواجها ، فلم يكن ما وقع منه في المنام كافياً أيضاً ، وانما تم بانشاء الامام الهادي (ع) لعقد الزواج حين قال : ـ كما نطق الحديث ـ : فإني قد زوجت ابا محمد الحسن عليه السلام وأم القائم عليه السلام .

بعد ان احرز رضاها ورضاه . وهو وليها وولي المؤمنين .

الاعتراض الرابع : ان هذا الحديث دال على تساقط الصلبان وانهيار الاعمدة ، من دون سبب ظاهر . فكيف كان ذلك ؟

والجواب عن ذلك : انه مما لا شك فيه ، من الناحية الاسلامية ، ان ما يعتقده المسيحيون أصبح بعد بعثة نبي الاسلام (ص) ، باطلاً والمقيم عليه ضالاً مضلاً . وان مقتضي الهداية إلى الصراط المستقيم هو الاهتداء بنور الاسلام والاعتقاد بعقائده والالتزام بعدله .

فمن الممكن القول : ان هذا الذي حدث ، هو معجزة الهية حدثت للتوصل إلى غرضين : احدهما : استنكار بقاء هؤلاء على المسيحية مع امكانهم الدخول في الاسلام ومعرفتهم بوجوده ، فان الأولى بمصالحهم ان ان يعتنقوه لا ان يحاربوه ؛ ثانيهما : استنكار زواج هذه الامرأة من ابن عمها، فانها مقدرة في علم الله الأزلي لأن تكون زوجة للامام العسكري واما للمهدي . لا ان تكون كما يشاء جدها زوجة لأبن اخيه . بحدوث هذه المعجزة يحصل في قلوبهم تشاؤم من حصول هذا الزواج ، فلا يقومون به . كما قد اعرضوا عنه فعلاً .

الاعتراض الخامس ان هذه الرواية تدل على شيئين متنافيين . فبينما ننص في أولها على ان الامام الهادي (ع) هو الذي كتب الكتاب الذي حمله بشر النخاس إلى الجارية ... نراها تدل بعد ذلك على ان كاتبه هو الامام العسكري (ع) . كقولها : وأومأ بيده إلى أبي محمد صاحب هذا الكتاب . وقولها : بعنى على صاحب هذا الكتاب .

والجواب عن ذلك : ان الرواية دلت على ان كاتب الكتاب هو الامام الهادي (ع) . إلا انها دلت في عين الوقت ان هذه الجارية كانت تتوهم ان كاتبه هو فتى احلامها وزوج مستقبلها الامام العسكري عليه السلام . وليس بين الامرين أي تنافي . ولا نعلم ان ما في الكتاب يدل على تحديد شخصية كاتبه حتى تعرفه بذلك .

اذن فليس شيء من هذه الاعتراضات وارد على هذا الحديث ومضعف لدلالته وما يعرب عنه من حديث وتاريخ . وانما الاعتراض الوحيد الذي يمكن صدقه، هو ان هذا الحديث ضعيف من ناحية اثباته التاريخي، باعتبار كونه مجهول الرواة ضعيف السند .

التعليق الثالث : الذي نعلقه على هذه الرواية :

ان هذه الرواية مهملة من حيث التاريخ . ونحن وان استطعنا ان نعرف وقت شراء الجارية إلا انه لا يمكن تحديد وقت هذا القتال الذي وقع بين الروم والمسلمين . ذلك القتال الذي أصبحت مليكة نتيجة له اسيرة للمسلمين. كما انه لا يمكن تحديد مكانه على وجه التعيين، فان سائر أطراف الدولة الاسلامية كانت مسرحاً لحروب ومناوشات وفتوحات في ذلك العصر . وأغلبها كان بين الروم والمسلمين .

فان لفظ الروم كان يستعمله العرب في ذلك الحين بشكل محمل واسع المعنى . فانهم كانوا يصطلحون بهذا اللفظ على كل بلاد مسيحيه خارج حدود بلاد الاسلام . وهذا معنى شامل لكثير من مناطق الأرض . فهو يشمل سوريا ولبنان وتركيا قبل فتحها الاسلامي ، ثم

يستمر إلى ما وراءها شمالاً مما هو الآن تحت حكم الاتحاد السوفييتي. وقد دخل قسم منه في الاسلام وبقى الكثير منه مسيحياً إلى حد الآن . كما يمتد هذا اللفظ غرباً ليشمل اوروبا كلها بما فيها اليونان وايطاليا وفرنسا واسبانيا وصقلية وغيرها مما كان معروفاً يومذاك . وكانوا إذا أرادوا التدقيق في التعبير عن اوروبا ، قالوا : الفرنجة أو الافرنج ، تمييزاً لها عن سائر بلاد الروم . وهو أيضاً لفظ مجمل يشمل كل أقطار اوروبا تقريباً .

لا يستثنى من لفظ الروم ، بحسب اصطلاحهم .. من وجه العالم المعروف يومئذ ، إلا ما كان في شرق بلاد الاسلام : كالهند والصين وما كان في جنوبها كافريقيا .

والصحيح تاريخياً ان الروم هم شعب دولة روما ، التي هي الآن عاصمة ايطاليا ، وكان الاسم الرسمي للملك عندهم هو القيصر . وهي دولة استطاعت ان تسيطر على رقعة ضخمة من العالم ... من حوض البحر الأبيض المتوسط . كالشمال الافريقي واليونان وتركيا وسوريا ولبنان وفلسطين ، حتى كانت تسمى كل هذه المناطق بدولة الروم ، ومن هنا وقع الاجمال والاختلاط في معناه لدى الناس في تلك العصور ... وحتى كانت العاصمة لهذه الدولة الجبارة هي القسطنطينية ، وهي ليست في ايطاليا ، وغير قريبة من روما ! وانما تقع في الجزء الاوروبي من تركيا فعلاً . وتسمى اليوم باستانبول . وكان لسقوطها بايدي الجيش الاسلامي من الاهمية و (الاستراتيجية) الشيء الكثير . اذ يعني

انحسار الحكم الرومي عن بلاد الشرق وانكماشه في داخل اوروبا المسيحية .

وعلى أي حال ، فانه يمكن ان يفهم من هذه الرواية ان الملك نفسه كان خارجاً مع جيشه للحرب ، وهو ما كان يحدث فعلاً في الحروب المهمة الواسعة . فبذلك يمكن أن نلتفت إلى الحادثة التي ينقلها التاريخ العام في سنة ٢٤٩ ، حيث نزل ملك الروم بنفسه إلى الحرب مع خمسين الفاً ، وحصل بينه وبين المسلمين قتال شديد ، قتل فيها من الفريقين خلق كثير [١] . فالمظنون ان هذه هي الحادثة المشار اليها في الحديث .

وكان الامام العسكري عليه السلام في هذا العام ، عمره سبعة عشر عاماً ، يعيش تحت ظل ابيه عليه السلام ثم أن ام المهدي عليه السلام بعد ان سبيت في الحرب بقيت عند مالكها حتى عام ٢٥٤ حين أراد بيعها ، فاشتراها الامام عليه السلام ليزوجها من ابنه عليه السلام . والرواية على أي حال ، لا تدل على سرعة بيعها بعد الاسر ، وان كان المفهوم منها بشكل عام ، هو ذلك . والله العالم .

* * *

الفرضية الثانية : ان المالك لهذه الجارية من اسرة الامام عليه السلام ، هو حكيمة اخت الامام الهادي (ع) .

وهذه فرضية بسيطة ومختصرة ، تكفينا في الاثبات التاريخي ان لم تكفنا الفرضية الأولى ، ولم نقتنع بمدلول ذلك الخبر . والخبر الوارد في هذه الفرضية يهمل بالكلية التعرض لأصل هذه الجارية أو ترجمة

---

١ — الكامل جـ ٥ ص ٣١٢ .

حياتها أو تاريخ ورودها إلى بلاد الاسلام أو تاريخ شرائها .

وانما يبدأ الحديث انه في يوم من الايام يزور الامام العسكري عليه السلام عمته حكيمة رضى الله عنها ، فيرى جاريتها فيحد النظر اليها. فتقول له : يا سيدي لعلك هويتها أفارسلها اليك . فينفى الامام عليه السلام الهوى الجنسي عن نفسه ، فانه مناف لمقام الامام وعصمته ، ويعطي السبب المنطقي الصحيح لعمله . وذلك انه اجاب عمته قائلاً : لا يا عمة ، ولكني اتعجب منها . فقالت له : وما اعجبك ؟ . فقال عليه السلام :سيخرج منها ولدكريم على الله عز وجل الذي يملأ الله به الأرض وعدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً . فقالت له : فارسلها اليك يا سيدي . فيوقف الامام العسكري (ع) ذلك على اذن ابيه ، قائلاً : استاذني في ذلك ابي .

قالت : فلبست ثيابي واتيت منزل ابي الحسن عليه السلام. فسلمت عليه وجلست . فبدأني وقال : يا حكيمة ابعثي نرجس إلى ابني ابي محمد . قالت : فقلت : يا سيدي على هذا قصدتك .. ان نستأذنك في ذلك . فقال لي : يا مباركة ، ان الله تبارك وتعالى أراد ان يشركك في الاجر ويجعل لك في الخير نصيباً .

وتبادر العمة إلى الرجوع إلى منزلها ، وتقوم بتزيين نرجس وتهيها لأبي محمد عليه السلام . وتجمع بينه وبينها في منزلها . فيقيم الامام عندها اياما ، حتى يتوفى والده عليه السلام بعد ايام ، فينتقل الامام العسكري (ع) مع زوجته إلى دار ابيه [1] .

---

١ - انظر اكمال الدين .. نسخة مخطوطة .

وهذه الرواية تتفق مع سابقتها على عدة خصائص ، منها : ان ام المهدي عليه السلام كانت جارية مملوكة ، وان اسمها نرجس وان زواج الامام العسكري كان في حياة ابيه واذنه . ولذا نستطيع ان نعتبر اتفاقها على ذلك اثباتاً تاريخياً كافياً له . إلا ان هذه الرواية تعين وقوع الزواج في الأيام الاخيرة من حياة الامام الهادي (ع) . ولم يكن هذا واضحاً من الرواية السابقة .

وليس على هذه الرواية من اعتراض من الناحية الشكلية ، إلا اعتراض واحد ، وهو ان الامام العسكري (ع) حين زار عمته كيف جاز له ان يحد النظر إلى جاريتها مع انها ليست زوجته ولا مملوكته في ذلك الحين . ويأتي الجواب واضحاً بسيطاً ، وهو انه نظر اليها باذن مالكتها . والمالك إذا اذن لشخص في النظر إلى مملوكته جاز للمأذون له النظر شرعاً في حدود اذن المالك .

وهذا وان لم يذكر في الرواية إلا انه أخذ مفروض التحقق في الرواية ، للتسالم الواضح في المجتمع المسلم على عدم جواز النظر إلى مملوكة الغير إلا باذنه . لذا كان من الواضح في ذهن الراوي ان السامع المسلم سوف يفهم تلقائياً وجود الاذن في النظر ... ومن هنا اهمله من سرده من لفظ الرواية .

ولادة الامام المهدي (ع):

ولد عليه السلام عند الفجر من يوم النصف من شهر شعبان[1] وحيث يقع الفجر ما بين الليل والنهار، فقد عبر بعضهم ان ولادته كانت في الليل وبعضهم عبر باليوم حيث قال: في يوم الجمعة كالصدوق في اكمال الدين وابن خلكان في الوفيات.

أما عام ولادته فالمشهور انه عام ٢٥٥[2] وليس على ذلك اعتراض إلا ما يذكره الكليني في الكافي والصدوق في اكمال الدين. فانهما يرويانها على وجهين، فتارة قالا: انه ولد عام ٢٥٥ وتارة اخرى قالا: انه ولد عام ٢٥٦[3]، وتنافيهما في الرواية يوجب الأخذ بالمشهور كما هو واضح.

وعلى ذلك يكون قد ولد عليه السلام بعد وفاة جده الامام الهادي عليه السلام بحوالي عام، وبعد مجيء المهتدي العباسي إلى الحكم باقل من شهر. حيث استخلف المهتدي لليلة بقيت من رجب وولد الامام المهدي في النصف من شعبان في نفس العام. وبقى المهتدي في الحكم حوالي عام واحد حيث ازاله الأتراك وبايعوا المعتمد عام ٢٥٦. وبقي

---

١ - انظر الكافي (مخطوط) واكمال الدين (مخطوط) ووفيات الاعيان جـ ٣ ص ٣١٦ والارشاد ص ٣٢٦ واعلام الورى ص ٣٩٣. ونور الابصار ص ١٧٠.

٢ - انظر الارشاد ص ٣٢٦ واعلام الورى ص ٢٩٣ وابن خلكان جـ ٣ ص ٣١٦ وابن الوردي جـ ١ ص ٢٣٢ وأبو الفداء جـ ١ ص ٤٧ والاتحاف ص ٦٩ واليواقيت والجواهر ص ٢٨٨ والفصول المهمة ص ٣١٠ ونور الأبصار ص ١٧٠.

٣ - انظر المصدرين المخطوطين.

المعتمد في الحكم ثلاثاً وعشرين سنة ، حتى عام ٢٧٩ على ما سمعنا فيما سبق .

ويعاصر الامام المهدي عليه السلام من حياة ابيه خمس سنوات ، حيث يصعد أبوه إلى الرفيق الأعلى عام ٢٦٠ على ما سبق ان عرفنا . وقد انصب النشاط الرئيسي خلال ذلك على امرين رئيسيين : احدهما : الحذر التام من السلطة الحاكمة . ثانيهما : تعرّف خواص ابيه (ع) .

ومهما يكن من أمر ، فالمهم الآن ان نحمل فكرة عما تدلنا عليه الروايات من حوادث ولادة الامام المهدي عليه السلام :

ان الامام العسكري عليه السلام تزوره عمته حكيمة في يوم من الأيام ، وتبقى عنده إلى المساء . وحين تريد ان تنصرف يرجوها الامام عليه السلام ان تبيت في داره هذه الليلة ، فانه سيولد فيها المولود الكريم على الله عز وجل ، حجة الله في أرضه . فتسأله العمة : ومن أمه ؟. فيقول الامام عليه السلام : نرجس ! فتنفي العمة أن يكون بنرجس اثر للحمل . فيؤكد لها الامام (ع) ذلك قائلاً : هو ما أقول لك فتفحصها العمة جيداً وتقلبها ظهراً لبطن فلا تجد أثر الحمل . فتعود فتخبره تارة اخرى.فيبتسم الامام عليه السلام ويعطيها الحجة الواضحة والمبرر الالهي الصحيح في ذلك ، قائلاً : إذا كان وقت الفجر يظهر لك الحبل .. لأن مثلها كمثل أم موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها ، لأن فرعون كان يشق بطون الحبالى في طلب موسى عليه السلام . وهذا نظير موسى عليه السلام .

وحاصل البرهان الذي يتضمنه كلام الامام عليه السلام بعد ايضاح مقدماته هو : أن الله تبارك وتعالى اقتضت حكمته الازلية ان يستهدف في خلق البشرية هدايتها وارشادها واخراجها من الظلمات إلى النور . قال تعالى : وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون[1] . ولاجل هذا الهدف الأعلى كانت بعثات الانبياء والرسل مبشرين ومنذرين . ومن هنا كان وعد الله القاطع باقامة دولة الحق على الأرض . فان الأرض لله يرثها عباده المتقون .

والهدف الالهي إذا كان لزوميا ومهما ، توصل الله تعالى اليه بقدرته، بما شاء من الوسائل والطرق . فانه القادر على كل شيء الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون . فان كان في الامكان تحقق الهدف بالطريق الطبيعي ، فهو .. والا توصل الله تعالى إلى ايجاده عن طريق خرق النظام الكوني الطبيعي بالمعجزات . كما تحدثنا عنه وفصلنا القول فيه في رسالتنا عن المعجزة في المفهوم الاسلامي وأهون بالجهد البشري أن يكون حائلاً أو مانعاً بين ارادة الله تعالى وبين تنفيذ ما يريده من الأهداف في خلقه .

وإذ يكون ضغط السلطات الحاكمة عالياً ، ويكون لوجود الفرد المطارد أثراً مهم في تحقق الهدف الالهي،ولم يمكن حفظه من السلطات بطريق طبيعي ، اذن يتعين حفظه بطريق اعجازي .. توصلا إلى الهدف الكبير وهو هداية البشرية في مستقبل الدهر .

---

١ - الذاريات ٥١ - ٥٦ .

وبين يدينا الآن **مثالان** لذلك : احدهما : النبي موسى بن عمران على نبينا وعليه السلام . فان الله تعالى حين تعلق غرضه المهم الملزم بهداية البشرية به في زمان مستقبل .. وكان ذلك متوقفاً على ولادته صحيحاً سالماولم يكن ذلك ممكناً للضغط العالي المتوجه من قبل سلطات فرعون يومئذ . اذن يتعين حفظه بطريق اعجازي تحفظاً على الغرض الالهي الكبير الذيسيكون موسى عليه السلام المسؤول الرئيسيلتنفيذه وتطبيقه في حينه .

المثال الثاني : الامام المهدي عليه السلام الذي تعلق الغرض الالهي المهم الملزم بهداية البشرية به في الزمان المستقبل وتنفيذ وعد الله تعالى بدولة الحق على يده . وذلك يتوقف على ولادته وبقائه سالماً . ومن هنا افاض الله تعالى عنايته الخاصة وارادته اللانهائية ، تحفظاً علىغرضه الكبير وتحدياً للجهد البشري المتواضع الذي تبذله السلطات .. باقامة المعجزة في اخفاء الحمل من ناحية وفي بقائه أمداً طويلاً من الدهر من ناحية ثانية

وحيث كان المثال الأول واضحاً في اذهان المسلمين ، اذن فلا بعد في قدرة الله تعالى أن يقوم بذلك بالنسبة إلى المهدي (ع) أيضاً .

والمعجزةفي اخفاءالحمل يكون ـ في الأرجح ـ علىهذا الترتيب: وهو ان النطفة خلال مدة الحمل تنمو ببطء شديد أو لا تنمو على الاطلاق . ثم انها قبل الولادة بوقت قصير قد لا يزيد على دقائق،تنمو بسرعة حتى يكتمل الجنين ، ويكون قابلاً للميلاد ، في الجو السري

الخاص البعيد عن أعين السلطات .

وبذلك لا يتمكن أحد من الفاحصين حتى القوابل ، خلال المدة الاعتيادية للحمل .. من التعرف على وجوده . فضلاً عن مجرد النظر . وذلك : لأن الطب إلى يومنا الحاضر عاجز عن التعرف إلى الحمل في شهره الأول ، فكيف بالعصور السابقة .. عصور الخلافة العباسية. فلو بقي الجنين ، بارادة الله تعالى ، على شكله في الشهر الأول طيلة مدة الحمل ، لم يتمكن أحد ان يخمن وجود الحمل على الاطلاق ، في تلك العصور .

ولا يخفانا أيضاً ، ما في التوقيت في الفجر ، من اهمية خاصة في زيادة الحذر والخفاء ، فان هذه العائلة كانت في ذلك الوقت في يقظة . وكل من يتولى السلطة والتجسس يغط في نوم عميق .

ثم ان حكيمة إذ تسمع تاكيد الامام عليه السلام ، تعود إلى نرجس فتخبرها بما قال وتسألها عن حالها . فتقول نرجس : يا مولاتي ما أرى بي شيئاً من هذا . ثم ان نرجس نامت واشتغلت حكيمة بالصلاة ، لكي تؤدي صلاة الليل ، وجلست للدعاء عقيب الصلاة ، وهي في كل ذلك ترقب نرجس. فلا تجد عليها إلا النوم الهادي لا تقلب جنباً عن جنب. وهناك من الأخبار ما يدل على أن نرجس نفسها قامت من نومتها فأدت صلاة الليل ثم نامت مرة اخرى . وهي لا تحس بشيء .

حتى إذا كان وقت طلوع الفجر ، وثبت نرجس من نومها فزعة، فضمتها حكيمة إلى صدرها . وقالت لها : اسم الله عليك ، هل تحسين

بشيء . قالت : نعم يا عمه. أقول : نعرف من ذلك ان جنينها قدكبر واكتمل . وتم هـــذا في دقائق أو أقل . وهذا يفسر لنا وثوبها من نومها فزعة .

وهنا يامر الامام عليه السلام حكيمة بأن تقرأ عليها سورةالدخان التي تبدأ بقوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم . حم . والكتاب المبين. انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم امراً من عندنا أنا كنا مرسلين . ولا يخفى ما في قراءة هذه الآيات من المناسبة لمقتضى الحال .

وحينما يحين وقت الولادة ، يحدث نوع من الغموض بين الأمرأتين بحيث لا تطلع حكيمة على نرجس ، وقد عبر عـــن ذلك في بعض الروايات بالفترة .. وهي نوع من الغفلة أو النعاس .. أصابتهما معاً . وعبر عنه في رواية اخرى ، بقول حكيمة : حتى غيبت عني نرجس فلم أرها، كانه ضرب بيني وبينها حجاب . والمعنى المفهوم منهاواحد، والغرض منه هو عدم الاطلاع على نرجس حين خروج الامـــام عليه السلام .

وتنتبه حكيمة،فتجد الامام المهدي عليه السلام ساجداً على الأرض يقول شيئاً من الكلام ، يعطي به المفهوم الواعي الكبير الذي خلقه الله من اجله والغرض الذي أوكله اليه والوعد العظيم الذي اناطه به . لكن الروايات تختلف في اللفظ الذي قاله . ففي احداها انه قال : اشهد ان لا اله إلا الله وان جدي محمد رسول الله وأن ابي امير المؤمنين . ثم

عد اماماً اماماً إلى ان بلغ إلى نفسه . ثم قال : اللهم انجز لي ما وعدتني واتمم لي امري وثبت وطاتي ، واملأ الأرض بي عدلاً . وفي رواية اخرى انه قال : الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين . زعمت الظلمة ان حجة الله داحضة . ولو اذن لنا في الكلام لزال الشك . وفي رواية ثالثة : انه عليه السلام تلا قوله تعالى شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم .. إلى آخر الآية . وفي رواية رابعة : انه تلا قوله تعالى : ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين .. الى آخر الآية .

ونحن كمسلمين ، لا ينبغي ان نستغرب ذلك أو نستنكره ، فانه ليس بدعاً في الدهر ، وليس شاذاً في افعال الله تعالى وقدرته الكبرى . وهذا القرآن يصرح بكل وضوح بنطق عيسى بن مريم في المهد : قال انى عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبياً .. اذن فهو نبي في صغره أيضاً ، والمهدي عليه السلام له الشبه به من كلتا الناحيتين . أما النطق فباعتبار هذا الذي سمعناه . وأما الامامة في الصغر فلانه تولاها وعمره خمس سنوات بعد وفاة ابيه عام ٢٦٠ للهجرة .

وينزل الحجة المهدي عليه السلام إلى الأرض بدون دماء نظيفاً مفروغاً منه . فيستدعي به أبوه عليه السلام ، فتحمله حكيمة اليه ، فيأخذه ويضع لسانه في فيه ويمر يده على عينيه وسمعه ومفاصله . ثم يقول له : تكلم يا ابني . فقال : اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم صلى على

أمير المؤمنين وعلى الأئمة إلى ان وقف على ابيه .. ثم احجم .

أقول : والروايات تنسب اليه عليه السلام بعد ميلاده كلاماً واحداً ، ولكنها تختلف في زمانه . فالأكثر انه تكلم عند أول ولادته. وواحدة منها تقول انه تكلم بعد حمله إلى ابيه ـ وهو ما نقلناه اخيراً ـ ويكون مقتضى الجمع بين الروايات انه قد تكلم مرتين ، باعتبار ان كل رواية اثبتت شيئاً لم تنفه الرواية الاخرى . إلا ان النتيجة ، وهي تكلمه مرتين ، يكون منافياً مع فحوى سائر الروايات فالأرجح هو الأخذ بالروايات الاكثر وهو انه تكلم بكلام واحد بعد ولادته مباشرة . فانها بتعددها تكفي للاثبات التاريخي ، وان كان القطع بمثل هذه المسالة مما لا حاجة اليه من الناحية الدينية أو الاجتماعية .

والمفهوم من سياق أكثر الروايات انه لم يكن حال ولادة المهدي إلا امه وحكيمة . وكان والده يشتغل بالصلاة والدعاء في طرف آخر من الدار ، مراقباً للوضع عن كثب ، إلا ان هناك رواية تصرح باستقدام عجوز قابلة من جيرانهم بشكل غامض شديد الكتمان ، للقيام بالتوليد [1] وفي هذا منافات لأكثر الروايات ، ومعه فالارجح الأخذ بالأكثر دون هذه الرواية .

---

١ ـ انظر الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٤٠ . واعلم ان ما ذكرناه من قصة الميلاد مستقى من روايات عديدة ، موجودة ـ في الأغلب ـ في اكمال الدين للشيخ الصدوق . الا ان مما يساعد على سعة الاطلاع في هذا الصدد مراجعة كتاب الغيبة للشيخ الطوسي والخرائج والجرائح للقطب الراوندي والبحار ج ١٣ للعلامة المجلسي ومنتخب الأثر للصافي وغيرها .

ما بعد المولد :

يولد الامام المهدي عليه السلام ، شأنه في ذلك شان آبائه عليهم السلام ، مختوناً ، ولكن والده يقرر امرار الموسى عليه لاصابة السنة [1] . فانه لا ينبغي ان تتخلف السنة الاسلامية عن أحد .

ويامر الامام العسكري عليه السلام ، ابا عمر وعثمان بن سعيد، وهو من اخص أصحابه لديه .. بان يعق عن المولود الجديد عدداً من الشياه وان يشتري عشرة آلاف رطل من الخبز وعشرة آلاف رطل لحماً ويوزعه على الفقراء [2] . وما أكثرهم في ذلك المجتمع المنحرف، وخاصة في القواعد الشعبية للامام المعزولين اجتماعياً واقتصادياً .

وقد وصلت شاة مذبوحة إلى محمد بن ابراهيم الكوفي ، باعتبارها عقيقة عن المولود الجديد [3] .

ويتباشر الأصحاب الخاصون بميلاد الامام المهدي عليه السلام . فيزور أحدهم الامام العسكري (ع) فيهنؤه بولادة ابنه القائم [4] ويجتمع اثنان من الأصحاب فيبادر أحدهما الآخر قائلاً: البشاره . ولد البارحة في الدار مولود لأبي محمد عليه السلام ، وأمر بكتمانه . فيساله الآخر السؤال المعتاد ... يساله عن أسم المولود الجديد ، فيقول له : سمى محمد وكني بجعفر [5] .

---

١ – انظر اكمال الدين المخطوط .
٢ – انظر المصدر .
٣ – انظر المصدر .
٤ – انظر المصدر .
٥ – انظر المصدر .

ويبقى على الامام العسكري عليه السلام ، وظيفة مزدوجة تجاه ولده الجديد ، تحتاج كل منهما إلى تخطيط خاص ، ويحتاج الجمع بينهما إلى غاية في الحذر واللباقة الاجتماعية .

الوظيفة الأولى : اثبات وجود الامام المهدي عليه السلام تجاه التاريخ وتجاه الامة الاسلامية ، وتجاه مواليه الذين يعتبرون المولود الجديد أمامهم الثاني عشر بحسب نص النبي (ص) حين قال : يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش . فليس من الممكن ولا المنطقي أن يبلغ الحذر والتوقي إلى اخفائه الكامل بحيث يؤدي انطماس اسمه وانكار وجوده. مع كونه عليه السلام الامام الثاني عشر لمواليه والقائد المذخور لدولة الحق .

على انه لا بد من اقامة الحجة في وجوده على الموالين خاصة وعلى المسلمين عامة ، بحيث يكون هناك تواتر في الأخبار عن وجوده ورؤيته ، يدحض به قول من يزعم عدم وجوده أو انه ليس للامام العسكري عليه السلام من ولد .

الوظيفة الثانية : حماية الامام المهدي عليه السلام من السيف العباسي والمطاردة الحكومية ، التي عرفنا مناشئها وتخطيط السلطات لها، وتجنيد كل قواها وعيونها من اجلها .

اضف إلى ذلك ما اشرنا اليه من ان الجهاز الحاكم ، كان يعرف في دخيلة نفسه حق الامام وعدالة قضيته وصدق قوله . وانما كان يمنعهم عن اتباع الحق : الملك العقيم والمصالح العريضة المتعلقة بالخلافة العباسية

مضافاً إلى تعصب وراثي قديم.ومن هنا كانوا يشعرون ان ولادة المهدي عليه السلام ، وهو الشخص الذي ملأ رسول الله (ص) اسماعهم بانه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ... ان ولادته يعني الحكم على نظامهم بالموت المحتم وفضح مخططاتهم المنحرفة وأساليب عصيانهم لأوامر الاسلام واهمال طاعة الله تعالى وعدم الاهتمام بالأمة الاسلامية . وبعبارة اقرب : انهم كانوا يدركون ان مجتمعهم الذي يحكمونه قد امتلأ .. بفعل انحرافهم وسوء تصرفهم .. ظلماً وجوراً . اذن ،من المنطقي أن يتصدى الامام المهدي عليه السلام لكي يملأه قسطاً وعدلاً .. وهذا ما يخافونه ويرهبونه .

وهم وإن لم يحددوا بالضبط تاريخ ميلاد الامام المهدي عليه السلام ، لمدى السرية التامة المحاطة فيها تجاههم .. إلا انهم يعلمون ، على الاجمال ان زمانه قد اظلهم وانه على وشك الوجود . فانه يكفيهم ان يعرفوا ان الامام العسكري عليه السلام يكون في السلسلة التي وعد بها رسول الله (ص) الامام الحادي عشر ... لكي يكون ولده هو الثاني عشر .. وهو المهدي . ويدل على ذلك أيضاً وعلى جهلهم بتحديد التاريخ ما تعرض له من مراقبتهم للحوامل عند وفاة الامام العسكري (ع) ظناً منهم بوجود الامام المهدي (ع) جنيناً في رحم احدى النساء . مع انه كان مولوداً قبل خمس سنوات ، كما أطلع على ذلك الخاصة من مواليه .

وإذا كان نشاط الامامين العسكريين عليهما السلام ، وهو مقتصر على حفظ مصالح قواعدهم الشعبية ، ومشفوعاً بسياسة السلبية والمسالمة

مع الجهاز الحاكم على ما قلنا .. إذا كان هـــذا النشاط مثيراً ومغضباً للسلطات .. فكيف بالنشاط الموعود للمهدي المنتظر الذي يكون غليظاً في الحق لا يتسامح ولا يسالم ولا يعفو عن الانحراف .

ومن هنا كان عمل السلطات في تلك الظروف اقرب شبهاً بالحركات العصبية التي يقوم بها المخنوق عند خنقه أو الغريق قبل انقاذه .. فانها تعلم بوجود شيء خطر مشرف عليها ، شديد الاهمية بالنسبة اليها .. ولكنها تشعر بالعجز تجاهه ، وضيق الباع في الوصول اليه والوقوف عليه . بالرغم من وجود القوة والمال والضمائر الاجيرة في جانبها ، وليس في الجانب الآخر إلا العزّل والفقراء والمضطهدون... ولعلها تحس تجاه ذلك بالتحدي لقوتها وعزتها فتزيد من نشاطها وتبذل المستحيل في سبيل الحصول على الامام المهدي (ع) والقبض عليه .

فكانت هاتان الوظيفتان المزدوجتان للامام العسكري عليه السلام، توقفه في موقف غاية من الدقة والحرج .. وبخاصة وان كلتا الوظيفتين ضرورية بالنسبة اليه لا يمكنه ان يتخلى عنها .

ويزيد الموقف دقة ، ان الامام العسكري يعيش في هـــذا المجتمع الصاخب ، تحت الأضواء المسلطة عليه من كل الجهات والرقابة الاجتماعية التي تلاحقه، لعدة أسباب : منها : انه الرجل المثالي الاسلامي في عبادته واخلاقه وعلمه ونسبه في نظر الجميع . ومنها : انه القائد والموجـــه لقواعد شعبية واسعة من المسلمين . ومنها : انه يمثل جبهة المعارضة ضد السلطات الحاكمة . ومنها : ان الحكومـــة تستمر في تقريبه من

البلاط ودمجه في الحاشية . ومن المعلوم ان الشخص الذي تكون له بعض هذه الخصائص ، فضلاً عن جميعها يكون لولده اهمية كبيرة وخبراً منتشراً واسعاً ، وخاصة إذا كان للمولود اهمية خاصة .. كان مهدي هذه الامة . اذن فمن طبيعة المجتمع ان تتوجه الانظار من كل حدب وصوب إلى ميلاد الامام المهدي عليه السلام ، وبخاصة من قبل السلطات الذين يعيش في بلاطهم ويزوره في الاسبوع مرتين .

ومن ثم كان أقرب تخطيط للخروج من هذا المأزق ، ترك الاعلان الاجتماعي عـن ولادة المولود الجديد بالكلية ، وكأن شيئاً لم يحدث على الاطلاق ، بالنسبة إلى الفهم العام ، وترك الأحداث تسير في مجراها الاعتيادي من دون اثارة أي انتباه أو فضول أو شك من أحد في شيء من النشاط أو القول أو العمل . حتى ان خادم الباب في بيت الامام العسكري لم ينتبه إلى شيء ولم يفهم شيئاً [1] واذا لم يحصل الشك والانتباه لم يحصل الفحص والسؤال .

ومما ساعد الامام العسكري (ع) على الاخفاء مساعدة كبرى ، تطبيقه سياسة الاحتجاب على نفسه ، وانقطاعه عن أصحابه ومواليه إلا بواسطة المراسلات . كما عرفنا ، حيث استطاع عليه السلام بذلك تحقيق نتيجتين اساسيتين : احداهما : تعويد قواعده الشعبية على فكرة الاحتجاب والقيادة غير المباشرة ، كما سبق ان أوضحنا . وثانيتهما : استقطاب المهام التي كان يقوم بها ، والحوادث التي كان يعيشها .. بشكل

---

١ - انظر اكمال الدين . (مخطوط) .

منفرد بعيد عن الانتباه وتسليط الأضواء والضوضاء .. لا يكاد يعرف بكل مهمة أحد إلا أهل الصلاة بها . وحيث كان اخفاء ولده من مهامه الرئيسية ، فلم يكن ذلك بممتنع عليه بعد تخطيط الاحتجاب .

وقد ساعد على الاخفاء أيضاً مساعدة كبيرة ، تحول انتباه الدولة والمجتمع إلى حرب صاحب الزنج الذي بدأ أعماله التخريبية في جنوب العراق والأهواز في عام ميلاد المهدي عليه السلام .. عام ٢٥٥ على المشهور في ميلاده.والمتتبع للتاريخ العام يعرف ما أوجده هذا المخرب من الفزع والقلق في اذهان الشعب عامة والجهاز الحاكم خاصة . ومن المعلوم ان المجتمع الذي يسوده القلق الذهني يكون فكره مركزاً على ما يخاف منه ومن الصعب أن يلتفت إلى شيء آخر . كالفرد الواحد إذا خاف وحشاً تركز نظره وفكره وقوته عليه . فكذلك المجتمع بشكل أو بآخر . فكان وجود صاحب الزنج خير صارف ذهني للفهم العام عن الالتفات إلى ميلاد الامام المهدي عليه السلام .

الا ان هذه الفكرة سوف تبقى تجيش بشكل غامض في ذهن السلطات المتمثلة في الخليفة المعتمد نفسه .. وتتجلى باوضح صورها على ما سوف يقوم به عند وفاة الامام العسكري عليه السلام . اذ يكون المعتمد في ذلك الحين مرتاحاً بعض الراحة من الناحيتين السياسية والعسكرية .. بعد ان أوكل قتال صاحب الزنج إلى اخيه ابي أحمد الموفق ، قبل عامين .. سنة ٢٥٨ كما عرفنا ، وقد استقل الموفق تدريجاً بالحرب وغير الحرب من شؤون الدولة وعزل الخليفة عن الأمر والنهي

وعن النشاط السياسي بالكلية . فمن هنـا توفر للمعتمد بعض الوقت للتفكير في أمر آخر ... هو البحث عـن الوريث الشرعي للامام عليه السلام .

وعلى أي حال ، لم يكن إلى حد التاريخ الذي نتكلم عنه ، قـد ثار حول ولادة المهدي (ع) أي احساس أو التفات أو شك من قبل المجتمع أو السلطات .. نتيجة لمجموع هذه الخصائص والملابسات ... فكانـه حادث غير موجود !! .

وإلى هنا استطاع الامام الحسن العسكري عليه السلام أن يضمـن بكل بساطة .. حماية ولده المهدي عليه السلام من الجهاز الحاكم ومن كل من يدور في فلكه .. وبذلك قام بالوظيفة الثانية خير قيام .

واما الوظيفة الأولى له عليه السلام ، وهي اثبات وجوده للتاريخ وللامة الاسلامية عامة ولمواليه خاصة ... فكان يجب ـ تحت الظروف التي عاشها الامام ـ ان تتقلص وان تضمر ، وان يختص التبليغ بوجوده ورؤيته ، بكل شخص يعلم من قوة ايمانه واخلاصه في عقيدته ان له من صلابة الارادة ما لا يمكن أن تلين أمام أي ضغط من السلطات بحيث يكون على استعداد ان يقـدم نفسه فداء في سبيل امتثال أمر امامه (ع) بالكتمان . كما انه لا بد ان يعلم من رجاحة عقـله واتزانه ولباقته ، انه يكتم ذلك في المجتمع كتماناً تاماً ، ولا يتهور باذاعة السر إلى من لا ينبغي ان يذيعه له ، وله الخبره الكافية بالخاصة الذين يمكن ان يتبادل واياهم هذا الخبر ... وهكذا كان .. وبمقدار هـذا التبليغ

خطط الامام العسكري عليه السلام .

وكان هذا سبباً لحجب المولود الجديد ، حجباً تاماً مطلقاً عن الجمهور غير الموالي له . بل حتى عن جمهور الموالين ممن لم يحرز فيه قوة الارادة وعمق الاخلاص .

وكان كل من يطلعه الامام على المولود الجديد ، فيرويه اياه أو يخبره عنه ، مكلفاً تكليفاً الزامياً بامرين لا مناص له منهما ، وهو يطبقهما باعتبار اخلاصه وقوة ارادته وايمانه . وهما :

أولا : وجوب الكتمان . وقد سمعنا فيما سبق ان أحد الأصحاب يقول للآخر : ولد البارحة في الدار مولود لأبي محمد (ع) وأمر بكتمانه ويكتب الامام العسكري عليه السلام لأحمد بن اسحاق : ولد لنا مولود، فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً . فانا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والمولى لولايته . احببنا اعلامك ليسرك الله به ، مثل ما سرنا به . والسلام [1] .

وقد عرفنا ، بكل وضوح وجه المصلحة في هذا الكتمان .

ثانيا : حرمة إطلاع أحد على اسمه عليه السلام . وهو أسلوب في الكتمان ورد التاكيد عليه بشكل خاص .

ولا يخفى ان اسم المهدي المنتظر أساساً ، معلوم لدى الأمة، بإخبار نبيها (ص) حين قال : اسمه اسمي . وهذا يعني بكل وضوح ان اسمه محمد . وهذه المعرفة لا يختلف فيها الناس من موالين وغيرهم .

---

١ – انظر اكمال الدين المخطوط .

ولكن السلطة القائمة ، إذ تريد أن تطارد المهدي المنتظر في شخص المولود الجديد ، لا بد لها من امرين : أولاً : ان تعرف ولادته · اذ مع الغفلة عنها ، لا يمكنها بطبيعة الحال ان تجرد المطاردة الفعالية الحقيقية ضد المولود · وثانياً : أن تعرف شخصه باسمه · إذ بدونه لا يمكن ان تحارب فيه المهدي المنتظر · لاحتمال أن يكون المهدي هو ولد آخر للامام العسكري (ع) لعله ولد ولعله لم يولد بعد - فيما تحتمله السلطة - وهي ليس لها غرض معين إلا ضد المهدي المنتظر على وجه التعيين .

مضافاً إلى وضوح ان الاسم يكسب الفرد شخصيته القانونية والاجتماعية التي يمكن أن تعين ويشار اليها به . وأما مع الجهل به إلى جانب الجهل بشكله أيضاً ، فيكتسب بذلك نحواً من الغموض وعدم التعيين ، في ذهن السلطات ، فتحار عند البحث عنه ، انها تبحث عن أي شخص على وجه التحديد. وهذا الغموض - على أي حال - يعطى المهدي المبحوث عنه رهبة في صدورهم وهالة قدسيه في احساسهم وشعوراً بالعجز تجاهه . وفي هذا ما فيه من التسبب إلى ضعف معنويات السلطة وخاصة الجنود الفاحصين المطاردين من قبل الدولة .

وطبقاً لهذا التكليف الثاني.. سمعنا الامام الهادي عليه السلام حين يبشر بحفيده المهدي (ع) يقول : لانكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه . قال الراوي فقلت : فكيف نذكره ؟ قال : قولوا : الحجة من آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ونسمع عثمان بن سعيد العمري ، وهو الوكيل الأول للحجة (ع) يقول لمن يسأل عن اسمه :

اياك ان تبحث عن هذا [1] . ويقول لآخر : نهيتم عن هذا [2] . وفي حادثة مشابهة يقول : ابته الوكيل الثاني محرم عليكم أن تسالوا عن ذلك . ويضيف : ولا أقول هذامن عندي وليس لي ان احلل واحرم ، ولكن عنه عليه السلام يعني الحجة المهدي (ع) . ولكننا لا نجد نهياً عن التسمية وارداً عن الامام العسكرى عليه السلام ، وهذا له سبب نقوله في مستقبل البحث ان شاء الله تعالى .

والذي أود ايضاحه في هذا الصدد ، أن هناك احتمالاً راجحاً تؤكده الحوادث،هو ان المراد من كتم الاسم كتم الشخص نفسه واخفاء ولادته عمن لا ينبغي أن يصل اليه الخبر . وعليه فهناك تكليف واحد بالكتمان متعلق بالولادة والأسم معاً ، باعتبارهما يعبران عن معنى أصيل واحد . وليس المراد بكتمان الاسم حرمة التصريح به مع غض النظر عن حرمة التصريح بولادته . بل المراد بالاسم هو شخص المسمى ووجوب الكتمان راجع إلى اصل ولادته المحافظة عليه بشكل عام .

ومن ثم نرى أن من يضطلع ببيان ذلك هو عثمان بن سعيد دون الامام العسكري عليه السلام . وذلك: لما سنسمعه من ان السلطات بعد ان أيست من العثور على الوريث الشرعي للامام العسكري ، قررت الجزم بعدم وجوده اساساً، وتقسيم ميراث الامام بين الورثة الآخرين.

---

١ - انظر الاكمال المخطوط .

٢ - الغيبة ص ٢١٥ .

٣ - المصدر ص ٢١٩ .

وبذلك اسقطت السلطة وجود الحجة المهدي عليه السلام من حساب قانونها وغضت النظر عنه بالكلية . وان كانت المخاوف تبقى تعتمل في نفسها على ما سنسمع . ومن المعلوم والحال هذه ان أي تصريح جديد باسم المهدي (ع) أو تلويح بشخصه أو تأكيد على ولادته ، سوف يثير من جديد التفات السلطات وتجديدها للمطاردة والبحث . وهذا هو الخطر الذي كان قد ابتعد عن الامام إلى حد كبير بعد ياس الدولة من العثور عليه .

ومن هنا تاتي التاكيدات من قبل عثمان بن سعيد في هذا الزمن المتاخر نسبياً بالنهي عن التسمية .. فهو تارة يقول : اياك ان تبحث عن هذا . فان عند القوم ان هذا النسل قد انقطع [1] والمراد بالقوم الحكام وبهذا النسل الأئمة عليهم السلام . ويعلله في رواية اخرى قائلاً: فان الأمر عند السلطان ان ابا محمد (ع) مضى ولم يخلف ولداً وقسم ميراثه ، واخذه من لاحق له . وصبر على ذلك [2] . إلى غير ذلك من التاكيدات التي سنبينها في فترتها التاريخية الخاصة .

ومن الواضح ان اثارة السلطات من جديد لا يفرق فيه بين ذكر اسمه أو ذكر مولده ، أو التعرض لأي شان من شؤونه .

وأما الامام الهادي عليه السلام ، فالمظنون أنه يشير إلى خصوص هذه الفترة التاريخية ، أو اليها وإلى ما بعدها إلى انتهاء زمان الغيبة

---

١ - انظر الاكمال المخطوط .

٢ - غيبة الشيخ الطوسي ص ١٤٧ .

الصغرى ، فان التصريح باسمه والأخبار عن ولادته ووجوده ، كان خطراً عليه في مثل تلك الأزمنة .

ومعه نعرف ان هـــذا الحكم غير ساري المفعول إلى ايامنا هذه ؛ إذ من المعلوم عدم وجود أي خطر عليه من التصريح باسمه هذا اليوم .. ان لم يكن ـ بالعكس ـ متضمناً للدعوة اليه ونشر فكرته العادلة واهدافه الكبرى .

واما الامام الحسن العسكري عليه السلام ، فكان الموقف في ايامه مختلفاً عن الموقف في عصر الغيبة الصغرى الذي يبدأ بوفاته ، ويفتتحه عثمان بن سعيد بسفارته عن المهدي (ع) . فان السلطات في ذلك العصر المتأخر كانت قد ايست من القاء القبض على المهدي عليه السلام ، حتى قررت الغاء وجوده القانوني كوريث شرعي لأبيه فكان في التصريح باسمه اعادة للشك إلى ذهن السلطة . وأما في زمان ابيه عليهماالسلام.. فلم تكن السلطة قدالتفتت إلى ولادته أو احست بشيء يدل عليه. ومن المعلوم اختلاف الحالة النفسية عند السلطة بين كونها غافلة أساساً عن الشيء وبين كونها ملتفتة عاجزة آيسة . فانها في هـــذه الحالة الثانية تكون أقرب ذهناً وأكثر توجهاً إلى تصيد الخبر الشارد واللفظ الوارد عن الامام المهدي عليه السلام .

إلا اننا سنلاحظ من الامام العسكري عليه السلام ، انه وان لم ينه عن التسمية .. إلا انه يأخذ الحيطة من هذه الجهة .. فلا يصرح باسمه لأحد من خاصته ممن يريهم ولده المهدي ، بل يكتفي بقوله لهم : هـذا

صاحبكم .. يعني انه الامام بعده عليه السلام . ويقتصر في التصريح باسمه على اقل القليل .

وفي الحقيقة ان التكليف الشرعي الاسلامي ، المتعلق بالامام العسكري عليه السلام بالتبليغ واقامة الحجة على وجود ولده والتكليف المتعلق باصحابه بالايمان بامامهم الثاني عشر .. يكفي فيه هذا المقدار من الاطلاع وان كان الاسم مجهولاً . إذ يكفيهم بينهم وبين الله أن يؤمنوا بوجود امام يرجعون اليه في الأحكام والمشاكل . ولا يتوقف ذلك على معرفة اسمه بعد معرفة شخصه وامكان الاتصال به عن طريق سفرائه .

* * *

وإذ يريد الامام العسكري عليه السلام ان يثبت وجود ولده المهدي (ع) ، يختار من مواليه وأصحابه من كان له صلابة في الايمان وعمق في الاخلاص ، وبخاصة اولئك الذين يربطون بينه وبين قواعده الشعبية وينقلون منه واليه المراسلات والتوقيعات . فانهم خير من يستطيع ان يبلغ خبر ولادة الحجة المهدي إلى الجماهير الموالية للامام (ع) فان هذه الجماهير تعرف سلفاً وثاقة هؤلاء الأشخاص وايمانهم واخلاصهم واعتماد الامام عليهم في الربط بينهم وبينه .

ومن ثم لن يفرق شيئاً على الفرد من القواعد الشعبية الموالية بين أن يرى الامام المهدي بنفسه أو يسمع عنه من ابيه .. وبين ان يبلغه وجوده محفوفاً بقرائن الأثبات من قبل هؤلاء الأصحاب الموثوقين ..

يستلم الفرد منهم الخبر كما يستلم الفتوى من الامام عليه السلام .

على اننا سنعرف ان الكثيرين من الأصحاب ، قد تيسرت لهم رؤيته . كان جملة من حاول الوصول إلى الامام المهدي عليه السلام في الغيبة الصغرى ، تيسر له ذلك . اذن فيكفي الفرد الموالي أن يكثر السؤال من كثيرين ممن يعرف فيه القدم والرسوخ في علاقته مع الامام العسكري عليه السلام ، وممن شاهد ولده المهدي (ع) من غيرهم .. ليحصل عنده التواتر الموجب للعلم بوجود امامه الثاني عشر . ولئن كان التواتر قد وصلنا من الطرق الخاصة والعامة إلى هذا العصر .. فكيف في ذلك الزمن الذي كانت كل القرائن تدل عليه وكل الأيدي تشير اليه، وكان هم ابيه ووكلائه وأصحابه .. هو التأكيد على وجوده والتبليغ عنه إلى كل صالح للتبليغ .

ولعل أوسع اعلان يقوم به الامام العسكري بين أصحابه عن ولادة ابنه وامامته من بعده ، ووجوب طاعته عليهم ، هو انه عليه السلام قبل وفاته بايام ، وقد كان مجلسه غاصاً باربعين من أصحابه ومخلصيه ، منهم محمد بن عثمان العمري ومعاوية بن حكيم ومحمد بن ايوب بن نوح .. يعرض عليهم ابنه عليه السلام ويقول : هذا امامكم من بعدي وخليفتي عليكم . اطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في اديانكم . ويضيف – منبهاً لهم إلى أن هذه هي فرصتهم الوحيدة في المهدي (ع) – قائلاً: أما انكم لا ترونه بعد يومكم هذا [1] .

---

١ – انظر اكمال الدين – نسخة مخطوطة .

ونجد انه عليه السلام عرض ولده على أصحابه في اليوم الثالث من ولادته ، وأعطاهم المفهوم الصحيح الاساسي الذي أوكله الله تعالى اليه ، وعين لهم تكليفهم تجاهه بصفته الامام بعد ابيه . وقال لهم : هـــذا صاحبكم بعدي وخليفتي عليكم .. وهو القائم الذي تمد اليه الأعنـاق بالانتظار . فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلمـــاً ، خرج ، فملأها قسطاً وعدلاً[1] .

فهذاوذاك هو الاعلان الرسمي الكبيرالذي قام به الامام العسكري عليه السلام ، على طرفي المدة .. بعد الميلاد وقبل الوفاة .. لكي يكون هو الاساس الضخم لاقامة الحجة تجاه القواعد الشعبية الموالية . وكان خلال هذه المدة يعرضه على أشخاص بمفردهم حين يزورونه . فمنهم : عمرو الأهوازي حيث أراه أبو محمد (ع) ولده المهدي (ع) وقـال : هذا صاحبكم[2] .

ومنهم : شخص آخر يزور الامام عليه السلام ويريد ان يتأكـد من وجود الامام بعده قائلاً : يا سيدي من صاحب هذا الأمر . يعنى الإمامة . فيأمره الامام العسكري (ع) برفـع ستر كان مسبلاً على باب غرفة إلى جنبه . فيرفعه الرجل فيخرج اليهم غلام يقدره الراوي بعشر أو ثمان سنين، واضح الجبين أبيض دري المقلتين شثن الكفين معطوف الركبتين ، في خده الأيمن خال ، وفي رأسه ذؤابة . فيجلس على فخـذ

---

١ - انظر الاكمال المخطوط .

٢ - انظر الارشاد ص ٣٢٩ و ص ٣٣٠ مكرراً .

ابي محمد عليه السلام . فيقول الامام للرجل هذا هو صاحبكم. ثم وثب الغلام فقال له أبوه : يا بني ادخـــل إلى الوقت المعلوم [1] يعني وقت ظهوره عجل الله فرجه .

ولا يخفى أن تقدير الراوي لعمر المهدي عليه السلام ، لا ينافي ما عرفناه من أن عمره حين وفاه ابيه خمس سنين . فان هذا بحسب عدد السنين هو الصحيح . وأمـــا بحسب النظر إلى نمو المهدي عليه السلام ونشاطه البدني ، فلا يمكن أن نستبعد ان يبدو في ظرف خمس سنين أو أقل كابن ثمان سنين أو أكثر . وذلك انطلاقاً من أحد اسا... :

الاساس الأول : الميزان الطبي الطبيعي . فانه من المشاهد وجداناً أن كثيراً من الناس لا يمكن تقدير أعمارهم بشكل دقيق ، اذ يبدو للناظر انهم أكبر من عمرهم الحقيقي بعدة سنوات أو أصغر بعدة سنوات . فاذا اضفنا إلى ذلك نشاطاً متزايداً وصحة موفورة لم نستبعد ان يبدو الصبي على ضعف عمره الحقيقي .. حتى على الموازين الطبية الطبيعية .

الأساس الثاني : ما ورد في بعض رواياتنا من ان نمو الامام المعصوم يكون عادة أسرع من غيره . فمن ذلك ما ورد عن الامـام العسكري (ع) نفسه يقول : ان اولاد الانبياء والأوصياء اذا كانوا أئمـة ينشأون بخلاف ما ينشأ غيرهم . وان الصبي منا إذا كان اتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة [2] .

---

١ – انظر اكمال الدين المخطوط .

٢ – انظر اكمال الدين المخطوط .

ولعل بالامكان ان نفسر هذا الاساس الثاني بالاساس الأول أيضاً ، والله العالم .

وممن عرضه عليه الامام العسكري عليه السلام ، رجل من أهل فارس قصد الامام عليه السلام ليتشرف بخدمته . فاذن له الامام بذلك، فكان مع الخدم يشتري لهم الحوائج من السوق . وبقي على هذه الحال حتى أصبح خاصاً وارتفعت الكلفة بينه وبين الامام .. فكان يدخل الدار من دون استئذان إذا لم يكن فيها إلا الرجال .

وبينما هو داخل عليه في يوم من الايام ، والرجال عنده ، إذ سمع حركة في البيت ـ يعني الغرفة ـ . وناداه الامام : مكانك لا تبرح . يقول : فلم اجسر اخرج ولا أدخل . فخرجت عليّ جارية معها شيء مغطّى . ثم ان الامام ناداه وأمره بالدخول فدخل الغرفة . فنادى الجارية فرجعت ، فأمرها الامام ان تكشف ما معها . فكشفت عن غلام أبيض حسن الوجه ، قدره الراوي بسنتين . وقال الامام : هذا صاحبكم . ثم أمر الجارية فحملته فلم يره بعد ذلك حتى توفى الامام العسكري أبو محمد صلوات الله عليه [1] .

فنرى ان هذا البواب بالرغم من ملازمته للداروخولهمن دون استئذان أحياناً .. لم يفهم بولادة الامام المهدي عليه السلام ولم يحس بتجدد أي أمر جديد في الدار . واكتفى الامام العسكري (ع) بعرضه عليه مرة واحدة كما هو الشأن مع جملة من أصحابه وخاصته . بل حتى لو

---

١ انظر الاكمال المخطوط . واصول الكافي (مخطوط) .

فرضنا أن هذا البواب قد ورد إلى خدمة الامام (ع) بعد ميلاد ولده عليه السلام ، فانه أيضاً لم يفهم به إلا في اليوم الني شاء له الامام ذلك.

وهذه الرواية وان كان المفهوم السطحي منها يدل على اختصاص الرؤية بهذا البواب ، لكننا لو دققنا النظر نجد ان الرجال الذين كانوا عند الامام والجارية التي جاءت بالمهدي (ع) ، كلهم قد شاهدوه بطبيعة الحال . وان كان الراوي ناقلاً للقصة من زاويته الخاصة .

وممن عرضه الامام العسكري عليه رجل من أصحابه .. يقول : رأيت صاحب الزمان عليه السلام ووجهه يضيء كأنه القمر ليلة البدر ، ورأيت على سرته شعر يجري كالخط . وكشفت الثوب عنه . فوجدته مختوناً . فسألت أبا محمد (ع) عن ذلك فقال ، هكذا ولد وهكذا ولدنا ، ولكنا سنمر الموسى عليه لاصابة السنة [1] . يشير بذلك إلى ان القانون العام في الأئمة عليهم السلام أن يولدوا مختونين.. ولكن السنة الاسلامية في الختان لا ينبغي أن تتخلف عن أحد . فلا بد من امرار الموسى عليه تحفظاً على شكل الختان ، وعلى التعليم الاسلامي العام .

ومن هنا نعرف ان هذه الرؤية كانت قبل أمرار الموسى ، وهو ما يستحب عمله في الاسلام في اليوم الثالث أو السابع من حياة الطفل .

وممن عرضه الامام العسكري (ع) من أصحابه : أحمد بن اسحاق بن سعد الأشعري ، وهو من خاصة الامام وثقاته . واعطاه الفكرة الواعية الصحيحه عن غيبة الامام المهدي ، وافهمه عدة براهين عن

---

١ - انظر الاكمال المخطوط .

امكان الغيبة وصحتها . ومجال البحث والتدقيق في هذه البراهين ليس هو هذا الكتاب ، بعد ان كان مقتصراً على الجهة التاريخية للامام المهدي عليه السلام . ولعلنا نستقصي الكلام فيها في بحث مقبل .

وعلى أي حال فان احمد بن اسحاق يقصد زيارة الامام عليه السلام يريد أن يسأله عن الخلف من بعده .. ومن يتولى الامامة بعد وفاته ويضطلع بشؤون الأمة عند ذهابه إلى ربه . فيدخل على الامام، فيقول له الامام مبتدئاً : يا أحمدبن اسحاق ان الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة ، من حجة على خلقه ، به يدفع البلاء عن أهل الأرض وبه ينزل الغيث وبه تخرج بركات الأرض .

قال : فقلت له : يا ابن رسول الله . فمن الامام والخليفة بعدك ؟ فينهض الامام عليه السلام مسرعاً ويدخل احدى الغرف ، ثم يخرج وعلى عاتقه غلام كان وجهه القمر ليلة البدر . من ابناء ثلاث سنين . ثم يقول : يا أحمدبناسحاق لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا . انه سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيه [1] الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

يا أحمد بن اسحاق ، مثله في هذه الأمة مثل الخضر عليه السلام ، ومثله مثل ذي القرنين . والله ليغيبن غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبته الله عز وجل على القول بامامته ووفقه الله للدعاء بتعجيل فرجه.

---

١ – أي انه متحد معه (ص) في الاسم والكنية .

قال احمد بن اسحاق : فقلت : يا مولاي فهل من علامة يطمئن بها قلبي . فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربي فصيح : انا بقيـة الله في أرضه والمنتقم من أعدائه . ولا تطلب اثراً بعد عين ، يا أحمـــد بن اسحاق .

قال : احمد بن اسحاق : فخرجت مسروراً . فلما كان الغد عـدت اليه ، فقلت له : يا ابن رسول الله ، لقد عظم سروري بما مننت عـلي- فما السنة الجارية من الخضر وذي القرنين ، قال : طول الغيبة يا أحمد قلت : يا ابن رسول الله ، وان غيبته لتطول . قال : أي وربي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ، فلا يبقى إلا من أخـذ الله عز وجل عهده بولايتنا وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه . يا أحمـد بن اسحاق هذا أمر من أمر الله وسر من سر الله وغيب من غيب الله، فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين ، تكن معنا في عليين .

وفاة الامـام العسكري (ع) :

واذ يؤدي هذا الامام الممتحن الصابر مسؤوليته التامة تجاه دينـه ومجتمعه وولده ، يريد الله تعالى أن يلحقه بالرفيق الأعلى .. وذلك عام ٢٦٠ للهجرة .. حيث اعتل عليه السلام في أول يوم مـن شهر ربيـع الأول من ذلك العام [١] ولا زالت العلة تزيد فيه والمرض يثقل عليه حتى توفى في الثامن من الشهر .

١ - انظر الارشاد ص ٣٢٥ والمناقب ص ٥٢٤ ج ٣ .

ويتوفى سلام الله عليه ، عن تسع وعشرين سنة من العمر . وقد سبق ان ذكرنا ان الغالب في البشر ان يكون الفرد في مثل هذا العمر في أوج الصحة،والقوة، فما الذي أودى بهذا الامام الممتحن الصابر في زهرة شبابه ، غير العمل التخريبي من قبل الجهاز الحاكم . ولم يكن ينقل عنه ضعف في المزاج أو اعتلال سابق في الصحة أو مرض وراثي ، ولا أي شيء غيره .

وبمجرد ان يعتلّ الامام عليه السلام يصل الخبر إلى الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، الذي رأينا الامام (ع) يزوره في بعض الايام فيحتفي به حفاوة بالغة . ويقول لولده أحمد حين ساله عنه : يا بني لو زالت الامامة عن خلفائنا بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره .

وهنا تنتصب امامنا همزة استفهام كبيرة .. في سبب الوصول السريع لهذا الخبر إلى الوزير . ربما كان ذلك لا نتشار الخبر في المجتمع باعتبار شعور المجتمع بالاسف تجاه مرض الامام عليه السلام . وربما كان عن طريق ما لديهم من العيون والمخبرّين المنتشرين بين أفراد الشعب المطاردين للامام ومواليه . وربما كان لاطلاع الوزير على سبب مرضه باعتباره ناشئاً من الجهاز الحاكم نفسه ، وهو القاء السم اليه من قبل بعض المجرمين من محسوبي الدولة . والذي يبعد الاحتمالين الأولين ما عرفناه من انعزال الامام واحتجابه حتى من مواليه وجمله من أصحابه فضلاً عن عيون الدولة ومخبريها .. فكيف يصل الخبر بمثل هذه السرعة إلى

الوزير ، ما لم يتحقق الاحتمال الثالث .. وهو علم الوزير بالسبب . ومن هنا نراه يعرف ويجزم ان الامام مشرف على الموت ، ولا يبدي احتمالاً في شفائه ، وانما يعيّن له الجماعة التي تلازمه وترقب ساعة موته . فلو لم يكن يعرف السبب لفكر باحتمال شفائه ولو باعتباره شاباً قوي البنية لا تؤثر في مثله الأمراض عادة .

وعلى أي حال،فهو يركب من ساعته إلى البلاط .. دار الخلافة .. لكي يخبر الخليفة بمرض الامام (ع) ويستصدر منه الأمر بتعيين جماعة من خدمه الثقاة لديه للاشراف على حال الامام ومراقبته في صورة القيام بخدمته وتنفيذ حاجاته . وهكذا كانت السياسة العباسية تجاه الامامين العسكريين،كان الاكرام والاعظام يستبطن دائماً قصد المراقبة والمطاردة والتنكيل . وقد رأينا ذلك من المتوكل تجاه الامام الهادي عليه السلام ، بكل وضوح ، ونراه الآن بوضوح أيضاً .

ثم يرجع الوزير مستعجلاً ، ومعه خمسة من خدم المعتمد ، كلهم من ثقاته وخاصته ، منهم نحرير الخادم . ومن نحرير هذا ؟! انه الذي تولى سجن الامـــام عليه السلام في يوم من الأيام .. وكان يضيق عليه ويؤذيه ، وحلف : والله لارمينه إلى السباع [1] .

ويأمرهم الوزير بلزوم دار الحسن عليه السلام وتعرف خبره وحاله، فإن الامام في مثل هذه الحال يحتاج إلى الرعاية الدائمة والدولة تحتاج إلى الاتصال الدائم باخباره ، ومعرفة ساعة وفاته . وتحتاج إلى معرفة أمر آخر .. اعمق من ذلك واعقد .. وهو السر العميق الذي لا زال الامام

---

١ - انظر اعلام الورى ص ٣٦٠ والارشاد ص ٣٢٤ .

(ع) يحافظ على كتمانه خمسة أعوام متطاولة .. وهو وجود ولـــده المهدي (ع) . فلعل بقاء الخدم الخمسة في الدار ومرابطتهم الدائمة فيها .. تنتج ـ ولو صدفة ـ اطلاع أحدهم على أي تصرف مريب أو على أي همزة للاستفهام تدل الطريق على الامام المهدي عليه السلام .

والدولة كما عرفنا ، لم تكن مطلعة إلى ذلك الحين على ولادته .. ولكننا قلنا انها كانت تعرف الحق ، وتعترف في دخيلة ضميرها بصدق الامام .. فهي تتوقع ـ بكل وضوح ـ انجاب الامام العسكري (ع) للمهدي . وها قد أوشكت حياته على الانتهاء، ولم يبلغها وجود ولده.. اذن فهي تحاول جاهـــدة ، أن تعرف .. وان تتنسم الهواء .. وان تتشمم الانباء عن ذلك بكل طريق .

وبعث الوزير إلى نفر من المتطببين ، فأمرهم بزيارتـــه وتعهده صباحاً ومساءً . إلا ان طبهم لم يكن مجدياً ورأيهم لم يكن حصيفاً .. ولعلهم لم يباشروا العلاج بشكل حقيقي يتوقع معه الشفاء .. فأنه لم يمر إلا يومين أو ثلاثة حتى أوصلوا الخبر إلى الوزير بأن الامام قد ضعف وان حاله قد ثقل .. فأمر هؤلاء الاطباء بملازمة داره وعدم مغادرته .

وبعث إلى قاضي القضاة ، وهو في ذلك الحين : الحسين بن ابي الشوارب، الذي تولى هذا المنصب منذ عام ٢٥٢ [1] فاحضره إلى مجلسه فجاءه ابن ابي الشوارب ، فأمره الوزير ان يختار عشرة ممن يوثق بدينه وورعه وامانته .. فاختارهم له وأحضرهم . فأرسلهم الوزير إلى دار

---

١ ـ الكامل جـ ٥ ص ٣٣٤ .

ابي محمد الحسن عليه السلام .. حيث الامام المريض (ع) . وأمرهم بملازمته ليلاً ونهاراً . اذن فقد أصبح عدد الملازمين له ـ سوى الاطباء ـ خمسة عشر نفراً من قبل الدولة . وكلهم في حالة مراقبة وانصات وتاهب ، ويبقون ملازمين له حتى يتوفى عليه السلام [1] .

ولكن وجود هؤلاء القوم في الدار ، لم يمنع الامام من ان يتفرغ في ليلة وفاته في إحدى غرف الدار ، لأجل كتابه عدد كبير من الكتب إلى المدينة .. وان يرسل رسولاً إلى المدائن بكتبه .. كل ذلك لأجل حفظ عدد من المصالح الاجتماعية والتخطيط لها إلى ما بعد وفاته عليه السلام .

وإذ يطلع الفجر من اليوم الثامن من ربيع الأول ، لا يكون ساعتئذ معه في الغرفة إلا صقيل الجارية ، وهي نرجس أم المهدي عليه السلام ، وعقيد الخادم ، وهو من خدم الامام عليه السلام ـ تقول الرواية ـ : ومن علم الله عز وجل غيرهما . تشير إلى وجود ولده المهدي عليه السلام أيضاً معهم .

فيامر الامام عليه السلام ان يؤتي له بماءمغلي بالمسطكي ، فجاؤا به في قدح . فيقرر الامام (ع) البدء بأداء صلاة الصبح أولاً .. ويامرهم بان يساعدوه . فجاءوا له بمنديل وبسطوه في حجره ، لأجل الوضوء . فياخذ عليه السلام من صقيل الماء ويتوضأ ويصلي صلاة الصبح على فراشه .. وإذ ينتهي من الصلاة ، ياخذ القدح لكي يشرب ، فيستولي

---

١ ـ انظر الارشاد ص ٣١٩ .

عليه ضعف المرض ، فترتجف يده ، ويضرب القدح ثناياه مع حركة اليد الرتيبة .. ولم يستطع ان يستمر بالشرب . فتأخذ صقيل القدح من يده . فيستلقي ويسلم الروح من ساعته صلوات الله عليه [١] .

وبذلك نفهم ان الامام استطاع بطريقته في الاخفاء والرمزية ، وبلباقته الاجتماعيه .. ان يقصي الرجال الخمسة عشر ، عن مجاورته ويحجبهم عن أموره الخاصة . فيكمل ما ينبغي ان يقوم به من أعمال قبل أن تدركه المنية ، ثم يتوفى بمعزل عنهم .

وإذا كان هذا النشاط الذي قام به ، قد خفي عليهم ، فمن الأولى والأوضح أن يخفقوا في مهمتهم الاساسية..ويبقى ما هو أهم في الاخفاء واعمق في عور الابهام عليهم .. وهو وجود المهدي عليه السلام .. يبقى في حجابه وخفائه .. لم يستطيعوا ان يجدوا له أي أثر أو يقعوا على ما يؤدي اليه أو يدل عليه .

* * *

وبمجرد أن يذاع خبر وفاته عليه السلام في سامراء ، وهي البلدة التي يؤمن كل من فيها بان الامام خير من فيها علماً وزهداً وعبادة ونسباً ، لا يختلفون في ذلك باختلاف مناصبهم وأعمالهم وباختلاف ولائهم وعدائهم . فمن الطبيعي لهذه البلدة وهي تفقد هذا الرجل العظيم أن تضج ضجة واحدة ، وان تعطل أسواقها ، وان يجتمع الناس للشهادة والسير في جنازة الامام عليه السلام . حتى كان ذلك اليوم شبيهاً

---

١ انظر الاكمال (المخطوط) .

بيوم القيامة.وركب بنو هاشم والكتاب والقضاة والمعدلون إلى جنازته وتجهيزه .

وإذ يفرغون من تهيئته وتجهيزه ، يبعث الخليفة المعتمد إلى اخيه ابي عيسى بن المتوكل ، فيأمر بالصلاة عليه . فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه . دنى أبو عيسى منه ، فكشف عن وجهه ، فعرضه على الحاضرين من بني هاشم من العلويين والعباسيين والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين وقال ـ وما اطرف ما قال !! ـ : هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا عليهم السلام . مات حتف انفه على فراشه . وحضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ، ومن القضاة فلان وفلان ومن المتطببين فلان وفلان . ثم غطى وجهه وصلى عليه وأمر بحمله[1] .

ان ذهن الجهاز الحاكم ، المتمثل الآن بابي عيسى بن المتوكل ، مشحون بالتوجس والحذر،مما يرونه مرتسماً في اذهان الناس بوضوح ، وان لم تصرح به الأفواه ، وهو التهمة للجهاز الحاكم بانه هو الذي سبب موت الامام عليه السلام بشكل أو آخر ، لأنه كان يمثل دور المعارضة الصامدة الصامتة ضده . ولعلنا نستطيع الآن أن نلمس اللاعج الكبير الذي يختلج في ذهن الجهاز الحاكم بعد أن اجهز على الامام فعلاً وتسبب إلى موته حقيقة .. انه يريد ـ باي طريق ـ ان يبقى هذا الأمر في غاية الخفاء ، وان يبقى ثوبه ، على المستوى العام .. ابيض نقياً من دم

---

١ - انظر الارشاد ص ٣٢٠ .

الامام عليه السلام حتى لا يبوء بلعنة التاريخ وانتقام الامة ، والمثل يقول : يكاد المجرم أن يقول خذوني ! .

انظر إلى الاسلوب الطريف الذي نفيت به هذه التهمة ! ان الدولة تستخدم شخصيتها وقوتها في (الفتوى !) بنزاهتها ، أمام هذا الجمع الغفير ، وتتخذ من سكوت الجمع دليلاً على الموافقة . متغاضية عن أن شخصاً من هؤلاء لا يمكنه ، بأي حال ، ان يفتح فاه بأي اعتراض أو استنكار ، وإلا فسيكون مصيره معروفاً لدى الجميع .

والاطرف من ذلك ، ان جميع الحاضرين، وكل المجتمع متسالمون على ذلك في نفوسهم ، ويعلمون شأن هذه (الفتوى !) . إلا انها الاسلوب الغريب الذي تلجأ اليه السلطات رغم كل ذلك .

* * *

وكانت هناك صلاة اخرى .. خاصة .. قد صليت على الامام قبل ذلك في داره .. بعيداً عن المستوى الرسمي العام الذي سمعناه .. بين أصحابه ومواليه .

وهنا تبرز شخصية جديدة لم تكن قد برزت في التاريخ لحد الآن ، هي شخصية (جعفر بن علي) اخو الامام العسكري وعم الامام المهدي عليهما السلام .. وهو الذي سيكون له الأثر السيء في اثارة السلطة على عائلة الامام عليه السلام على ما سوف نسمع في مستقبل الحديث .

يرى جعفر ان الامام العسكري (ع) سوف لن يكون له خلف ظاهر ووريث واضح . اذن فهناك فرصة موسعة للاصطياد بالماء

العكر . ولا بد - في نظره - من استغلال هذه الفرصة للوصول إلى التزعم على القواعد الشعبية الموالية لأخيه ، واستقطاب الأموال التي كانت ولا تزال تحمل اليه من سائر أطراف البلاد الاسلامية، والحصول على أرث اخيه العسكري عليه السلام . ويتم كل ذلك بادعاء الامامة بعد أخيه .. وأول مستلزمات ذلك وأقربها هو أن يباشر الآن الصلاة عليه .

ومن ثم نجد الامام العسكري (ع) بعد وفاته ، وقبل اخراجه للجمهور ، مسجى في داره.وجعفر بن علي واقف على باب الدار يتلقى من موالي اخيه التعزية بالوفاة والتهنئة بالامامة ، وهو مرتاح له كانه هو الوضع الطبيعي . ولا يخفى ان اجمال الفكرة في اذهان هؤلاء من حيث وجود ولد عند الامام وعدم وجوده .. ساعد على هذا الابهام إلى حد كبير . وقد عرفنا ان الظروف القاسية التي عاشها الامام عليه‌السلام لم تكن مساعدة بأي حال على ايضاح الفكرة وابلاغ المفهوم إلى سائر القواعد الشعبية في العاصمة وغير العاصمة .

ولكننا سنسمع بعد قليل ان مخطط جعفر بن علي قد مات في مهده ولم يكتب له النجاح . واستطاع الامام المهدي ان يستقطب عواطف وقيادة مواليه .. أما مباشرة أو عن طريق نوابه وسفرائه على ما سنعرف .

وبعد قليل يخرج عقيد الخادم ، الذي سمعنا اسمه في حادثة الوفاه . ويقول له : يا سيدي قد كفن أخوك ، فقم للصلاة عليه . فيدخل

جعفر ويدخل جماعة من الشيعة يقدمهم عثمان بن سعيد العمري المعروف بالسمان ، الذي سيصبح النائب الأول للامـام الغائب . فيرون الامام العسكري صلوات الله عليه على نعشه مكفناً . فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه .

وإذا صلى جعفر ، فقد اكتسب في نظر المجتمع بعض الحق، ووضع لبنه أساسية في مخططه، وحصل على (سابقة قانونية) يمكنه ان ينطلق منها للتغرير بجماهير الموالين . وهو ما لا يمكن ان يحدث مـع وجود الامام المهدي (ع) وقدرته على الأخذ بزمام المبادرة لدفع هذه الشبهة ، ورفع البدعة ، وانقاذ مواليه من التورط بغير الحق من حيث لا يعلمون .

اذن فلا بد أن يبادر الامام المهدي (ع) إلى منع عمـه عن الصلاة على الامام (ع) ويحرمه من هذه (السابقة القانونية) ، ويحوز هـذه السابقة لنفسه ، وهو احق بذلك .. لكونه الامام بعد ابيـه والوريث الشرعي له . ومن ثم يشاهد الواقفون صبياً يخرج بوجهه سمرة بشعرة قطط باسنانه تفليج ، فيجذب رداء جعفر بن علي ويقول له : تاخر يا عم ، فانا أحق بالصلاة على أبي . فيتاخر جعفر ، من دون مناقشة ، وقد أربد وجهه وعلته صفرة . ويتقدم الصبي عليه السلام ويصلي على ابيه [1]

لاحظ معي .. انه كان في امكان المهدي (ع) ان يصلي على جثمان

---

[1] اكمال الدين (المخطوط) .

ابيه في الخفاء قبل ان يدعى جعفر للصلاة عليه ... لكي تبقى صلاة جعفر بن علي هي الصلاة الرسمية على المستوى الخاص .. إلا ان هـذا هو الذي لا يريده المهدي ، ويحاول التأكيد على نفيه و (إقامـــة الحجة) ضده .

انظر الآن .. ان من جملة الواقفين ان لم يكن أكثرهم ، هو ممـن هنى جعفر بالامامة قبل لحظات .. يرى الآن بام عينه فشل جعفر ، وتتضح أمامه بدعته ومغالطته . وسوف يكون كل فرد لساناً في نقل ما رأى من الحق إلى الآخرين .. فقد كان ذلك بمنزلة الاعلان التام من قبل الامام المهدي (ع) في فضح مخطط عمه واحباط مقصوده .

وكان جعفر ليناً في تأخره عن الصـــلاة .. بالرغم من اصفرار وجهه ، أسفاً على فشل مخططه ، وخجلاً من هؤلاء الحاضرين الذين تقبل منهم التهنئة بالامامة ، من دون أن ينفيها عن نفسه ... انه على أي حـــال ، لا يستطيع مكافحة الحق الراسخ في ضمير الامة ، بسنة رسول الله (ص) وجهود الامام العسكري (ع) .. فانه سيفتضح ان فعل ذلك .. أكثر مما هوعليه..وسوفلن يرى إلا الاشمئزاز والازورار من القواعد الشعبية التي يتوقع منها التأييد .

وعلى أي حال ، فبعد أن تنتهي هذه الصلاة الخاصة ، يحمل جثمان الامام عليه السلام للجمهور لكي تُصلّى عليه صلاة اخرى (رسمية !) ويتم تشييعه وحمله إلى مثواه الاخير . وقد دفن إلى جنب ابيه الهادي عليهما السلام .

جعفر بن علي :

يحسن بنا الآن ان نستعرض بايجاز سوابق جعفر بن علي وماضيه حتى يتضح لنا التحديد التام لموقفه ، وما سيقوم به من نشاط .

وأول ما يواجهنا من ذلك ، موقف ابيه الامام الهادي عليه السلام منه ، في أول ولادته ، حيث نرى ان العائلة كلها سرت بولادته سوى ابيه (ع) فسألته امرأة في ذلك . فقال : هوني عليك وسيضل به خلق كثير [1] .

ولما ترعرع وشب انحرف عن تعاليم الاسلام وعن توجيه والده وأمامه عليه السلام، واتخذ طريق اللهو وشرب الخمر والمجون تأثراً بهذا الخط المنحرف الذي كان يعيش على موائده الكثيرون في تلك العصور. ومن ثم نرى والده عليه السلام يأمر أصحابه بالابتعاد عن جعفر وعدم مخالطته ، معلماً اياهم بانه خارج عن تعاليمه عاص لأمره ونهيه . وكان يقول لهم : تجنبوا ابني جعفراً ، فانه مني بمنزلة نمرود من نوح الذي قال الله عز وجل فيه : قال نوح : ان ابني من أهلي . قال الله : يا نوح أنه ليس من أهلك انه عمل غير صالح [2] فان المنطق القرآني ، قائم على ان الولد إذا كان مقتفياً خطى والده في اتباع الحق فهو ولده على الحقيقة . وأما إذا كان زائغاً عن الحق منحرفاً عن طريق العدل.. فهو وان كان مولوداً منه ، إلا انه ليس من أهله، لأنه عمل غير صالح.

---

١ - كشف الغمة ج ٣ ص ١٧٥ .

٢ - انظر تاريخ سامراء ج ٢ ص ٢٥١ . نقلا عن مدينة المعاجز .

وهذا بعينه هو حال الامام الهادي عليه السلام مع ابنه جعفر .

وأصبح هذا المسلك معروفاً عنه مشهوراً فيه. حتى لنرى ان احمد بن عبيد الله بن خاقان ، الذي يروى اجتماع والده بالامام العسكري عليه السلام .. نراه إذ سالوه عن جعفر يقول : ومن جعفر فيسأل عن خبره أو يقرن بالحسن (ع). جعفر معلن بالفسق فاجر شريب للخمور. أقل من رأيته من الرجال ، واهتكهم لنفسه ، خفيف ، قليل في نفسه[1] . ونرى أبا الأديان حين رأى جعفر يهنى بالامامة - كما سمعنا - يقول في نفسه : ان يكن هذا الامام فقد بطلت الامامة . ويضيف : لأني كنت أعرفه بشرب النبيذ ويقامر في الجوسق - : القصر - ويلعب بالطنبور[2] .

ولكنه بالرغم من ذلك ، كان يحاول أخوه الامام العسكري عليه السلام جهد الامكان ، الستر عليه والتخفيف من انحرافه . وذلك : باستصحابه معه تارة، وبالتوسط له لدى السلطات تارة اخرى . وهكذا. إلا ان ذلك لم يكن مفيداً في كفكفة جماح جعفر أو التخفيف من انحرافه .

فقد سمعنا في فصل تاريخ الامام العسكري عليه السلام انه يدخل على أصحابه في السجن لأجل أن يبشرهم بموعد خروجهم ، ويدلهم على رجل كان عيناً للسلطات ضدهم . وكان معه أخوه جعفر[3] .

---

١ - الارشاد ص ٣١٩ .

٢ - انظر اكمال الدين (المخطوط) .

٣ - اعلام الورى ص ٣٥٤ .

وقد كانا معاً مسجونين في عهد المعتمد ، فيرسل المعتمد رسولا إلى السجن لأجل ابلاغ الامام العسكري سلامه واطلاق سراحه . وحين يصل الرسول يجد على الباب حماراً ملجماً والأمام قد لبس خفه وطيلسانه، فادى له الرسالة . يقول الراوي : فلما استوى على الحمار ، وقف . فقلت له : ما وقوفك يا سيدي . فقال لي حتى يجيء جعفر . فقلت : انما امرني باطلاقك دونه . فقال له : ترجع اليه فتقول له : خرجنا من دار واحدة جميعاً ، فإذا رجعت وليس هو معي ، كان في ذلك ما لا خفاء به عليك .

فمضى الرسول وعاد يقول المعتمد : قد أطلقت جعفراً لك ، لأني حبسته بجنايته على نفسه وعليك ، وما يتكلم به . فخلى سبيله فصار معه إلى داره [1] .

ولكن كل ذلك لم يكن مما يؤثر في جعفر ، في شدة انحرافه وقوة اندفاعه . ونراه انه بمجرد ان يرى اخاه قد أسلم الروح ، يتصدى للاصطياد بالماء العكر ، واستغلال الموقف بالشكل الذي يحرز به الزعامة وجباية الأموال .. لولا ان الله تعالى اتم نوره ولو كره المنحرفون .

ويستفاد من الاخبار ، ان لهذا الرجل ، بصورة رئيسية ، ثلاث نشاطات منحرفة مضادة للحق وللامام المهدي عليه السلام .

أولاً : ادعاؤه الامامة بعد اخيه الحسن بن علي العسكري عليهما السلام . وقد توسل إلى ذلك بوسائل ، منها : ما سمعناه من محاولته

---

١ – تاريخ سامراء جـ ٢ ص ٢٥٦ .

الصلاة على اخيه . ومنها : ما سنسمعه من توسطه عند الدولة في أن تجعل له مرتبه اخيه في الزعامة على القواعد الشعبية الموالية . وقد باء في كلتا المحاولتين بالفشل الذريع .

ثانياً : انكاره وجود الوريث الشرعي للامام العسكري (ع) ، ومن ثم ادعاؤه استحقاق التركة ، واستيلاؤه عليها باذن من السلطات الحاكمة . وسنجد ان الامام المهدي عليه السلام يقف بنفسه ضد هذا النشاط ، بشكل لا ينافي مع غيبته الصغرى .

ثالثاً : انه حين يسمع الاحتجاج عليه ، يوعز إلى الدولة باحتمال وجود المهدي (ع) ، فتتجدد في قلبها الشجون ، وتبدأ سلسلة من المطاردات والاعتقالات على ما سوف ياتي . وتنتهي الحملة باضطهاد الموجودين من عائلة الامام العسكري عليه السلام ، وعدم العثور على الامام المهدي عليه السلام .

وهذا هو الذي عبر عنه في الأخبار بكشف ما أوجب الله عليه كتمانه وستره .

ونحن لا بد أن نسير مع كل واحدمن هذه النشاطات،لنرى مخطط جعفر بن علي ونتائجه ، وأسلوب وقوف المهدي (ع) ضده .

ادعاؤه الإمامة بعد أخيه :

وقد ساعدت عدة أمور على تخطيط هذا الادعاء ، أو تخيلها جعفر مساعدة له :

الأمر الأول : ما قلناه من خلو الجو على الصعيد الاجتماعي من منافس

ظاهر مطالب بحقه بين الناس ، وإذا خلا الجو للقبرة كان لها ان تبيض وتصفر ، وللمنحرف ان يصطاد بالماء العكر .

الأمر الثاني : ما قلناه أيضاً من اجمال فكرة وجود المهدي (ع) وولادته فعلاً ، في اذهان الناس . الأمر الذي ساعد عليه ما عرفناه من عدم تمكن الامام العسكري عليه السلام من الاعلان الاجتماعي العام عن وجود ولده .. وكان يوصى كل من يعرضه عليه بالكتمان ووجوب الستر والسكوت .

الأمر الثالث : ما حاوله جعفر من الصلاة على اخيه ، باعتبار انها تعطيه (سابقة قانونية) يستفيد منها اجتماعياً في ادعائه للامامة . لأن المفروض انه لا يصلى على الامام إلا وريثه الشرعي أو الامام الذي بعده ، على ما نطقت به بعض الأخبار .

الأمر الرابع : توسطه إلى الدولة ، لكي تجعل له مثل مقام اخيه في شيعته، بازاء مال سنوي يدفعه اليها مقداره عشرين الف دينار[1] . انظر إلى مقدار الربح الذي يتوقعه جعفر حين وصوله إلى هدفه وتوليه الامامة المزعومة .. بحيث يستطيع ان يتحمل بها مثل هذه الغرامة السنوية الكبيرة .

وهذا يفسر لنا اطلاعه على مقادير الأموال التي كانت تصل من أطراف العالم الاسلامي إلى ابيه واخيه ، وتقديره للموقف من هذه الناحية تقديراً حسناً .

---

١ – انظر الارشاد ص ٣٢٠ وغيره .

انه يشعر بذلك ويريد ان يستفيد منه لمصالحه الخاصة ، من دون ان ينظر بعينه الاخرى المصادر التي كان أبوه وأخوه عليهما السلام يصرفان فيها هذه الأموال ، والمشاريع والمساعدات الاجتماعية التي كانا يقومان بها ، مما سمعنا طرفا منه فيما سبق .

وقد باءت كل هذه الأمور الأربعة بالفشل ، بسبب عدة عوامل استطاعت ان تحول ضد نجاحها واستشراء نتائجها :

العامل الأول : كونه مشهوراً بالفسق واللهو والمجون .. وقد سمعنا تعليق أحدهم وهو يرى جعفراً يهنأ بالامامة ، بقوله : ان يكن هذا هو الامام ، فقد بطلت الامامة .

ومن المعلوم ان جميع أفراد المجتمع ، وخاصة القواعد الشعبية الامامية ، يدركون ان من أوليات وواضحات سلوك الامام هوالسلوك الصالح والخلق المثالي الرفيع .. كذلك اعتادوا من الامامين العسكريين عليهما السلام وآبائهما عليهم السلام . وأما مع خلاف ذلك ، فمن غير المحتمل تقلد الفرد للامامة بأي حال من الأحوال . وهو ما أشار اليه القرآن الكريم في قوله تعالى لابراهيم الخليل عليه السلام : قال : اني جاعلك للناس أماماً . قال : ومن ذريتي . قال : لا ينال عهدي الظالمين [1] . والانحراف الذي كان عليه جعفر هو الظلم بعينه ، اذن فهو لا ينال عهد الله بالامامة .

العامل الثاني : ان الموقف أصبح مختلفاً اختلافاً كبيراً في الزمان

---

١ - سورة البقرة ٢ - ١٢٤ .

المتأخر عن وفاة الامام العسكري عليه السلام، عما كان عليه ساعةوفاته حين تمكن جعفر ان يتلقى التهاني بالامامة .

فالموقف في تلك الساعة ، وان كان صعباً ومعقداً ، حتى ان السمان وهو عثمان بن سعيد الذي سيصبح الوكيل الأول للحجة ، وعقيد الخادم الذي رأيناه يحضر وفاة الامام العسكري عليه السلام .. لم يكن لهما رأي أو مناقشة في صلاة جعفر على اخيه ، بالرغم مما يعلمان به من وجود الامام المهدي عليه السلام .

ومهما تكن وجهة نظرهما آنئذ ، فان الموقف أصبح يتكشف والطريق يتعبد ، كلما تقدم الزمان ، بفضل جهود العاملين في سبيل اعلاء راية الحق ، وعلى رأسهم الوكيل الأول عثمان بن سعيد نفسه.فاننا وان فهمنا ان الفكرة كانت مجملة في اذهان الجمهور العام .. إلا ان الصفوة المختارة التي عرض عليها الامام العسكري عليه السلام ولده ، وهم أكثر من خمسين ، كانت لا تزال في الوجود ، متحمسة للدفاع عن قضيتها ضد أي انحراف . يضاف اليهم من يشاهد الحجة المهدي (ع) في غضون هذا الزمان ومن يصل اليه توقيعاته في قضاء حاجاته الشخصية والاجتماعية .. وهم عدد ضخم لا يستهان به .

وأول من فتح الباب لاتضاح هذا الطريق هو الحجة المهدي (ع) حين بادر إلى منع عمه من الصلاة على الامام عليه السلام ، أمام جماعة من مواليه ، كان جملة منهم قد هنأ جعفراً بالامامة وقد رأينا جعفراً ي يمانع في تأخره عن الصلاة .

وان نفس وقوع الجدل بين الموالين .. في امامة جعفر، والمحاولات الجاهدة لاحباط خططه من قبل المخلصين ، ليتمخض شيئاً فشيئاً عن وضوح الفكرة وانجلاء الغمامة الذهنية عن العموم .

العامل الثالث البيان الذي أصدره الامام المهدي عليه السلام بنفسه، في نفي امامة عمه ، والتاكيد على بطلانها والبرهنة على كذبها :

وذلك : ان جعفر كتب إلى بعض الموالين كتاباً يدعوه إلى نفسه ، ويعلمه انه القيم بعد اخيه ، ويدعي ان عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج اليه ، وغير ذلك من العلوم كلها . وحين يصل الكتاب اليه يستنكر مضمونه ويشك بما فيه،فيذهب إلى أحمد بن اسحاق الأشعري ، الذي يعرفه وعرفناه انه اخص أصحاب الامام العسكري عليه السلام وأقربهم لديه ، فيخبره بأمر هذا الكتاب ويعرضه عليه . فيبادر ابن اسحاق للكتابة إلى الحجة المهدي (ع) بواسطة سفيره ويجعل كتاب جعفر في ضمن كتابه ليطلع عليه المهدي عليه السلام .

فيرد الجواب إلى احمد بن اسحاق ، شديد اللهجة ، مستنكراً أشد الاستنكار ، متحدياً لجعفر في اثبات الامامة أقوى التحدي . ويؤسفنا أن يكون ذكر نص الكتاب خروج عما نتوخاه من الاختصار [1] ولكننا نذكر بايجاز النقاط التي أكد عليها الحجة المهدي(ع)في كتابه :

أولاً : وجود الخطأ الاملائي في كتاب جعفر .

ثانياً : ان الله تعالى ميز آباءه الأئمة عليهم السلام عن اخوتهم وبني

---

١ - انظر الاحتجاج جـ ٢ ص ٢٧٩ وما بعدها .

عمهم بميزات ، وجعل بينهم فرقاً واضحاً « بان عصمهم من الذنوب وبرأهم من العيوب وطهرهم من الدنس ونزههم من اللبس ، وجعلهم خزان علمه ومستودع حكمته وموضع سره ، وايدهم بالدلائل . ولولا ذلك لكان الناس على سواء ولا دعى أمر الله عز وجل ـ : الامامة ـ كل أحد ، ولما عرف الحق من الباطل ولا العلم من الجهل » .

ثالثاً : نفيه لكون جعفر عالماً بالحلال والحرام . وانه لا يعرف حتى حد الصلاة ووقتها . وانما يزعم ذلك طلباً للشعوذة .

رابعاً : تذكير الناس بفسقه . وان ظروف مسكره منصوبة ، وآثار عصيانه مشهورة قائمة .

خامساً : تحديه بمطالبته باقامة آية أو حجة أو دلالة . فان كان له فليذكرها ، وإلا بطلت دعواه .

سادساً : تحديه من الناحية العلمية . ومطالبة أحمد بن اسحاق ان يمتحنه في ذلك ، ويسأله عن آية من كتاب الله يفسرها أو صلاة يبين حدودها وما يجب فيها . فان لم يجب علم السائل حاله ومقداره من العلم .

سابعاً : نفي أن تكون الامامة في اخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام .

ويختم المهدي (ع) كتابه بالدعاء لله بحفظ الحق على أهله. ويقول: وإذا اذن الله لنا في القول ظهر الحق واضمحل الباطل وانحسر عنكم .

العامل الرابع : مما أدى إلى فشل مخطط جعفر بن علي : هو شعور

الدولة بالعجز عن تأييده واجابة طلبه .

فانه إذ يعرض الطلب الذي سمعناه على الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، ويقول له : اجعل لي مرتبة اخي .. وانا أوصل اليك كل سنة عشرين الف دينار .. يشعر الوزير بعجز الدولة تماماً عن اجابته . فانه لا يمكن بأي حال أن يفرض جعفر اماماً على الجماهير الموالية لأبيه عليه السلام . فان العقائد ليست مما يمكن فرضه، ولا مما يشترى بالمال ، ولا مما يحصل بقوة السلاح ولا بأي طريق آخر ، سوى صدق البرهان، والتوفيق الإلهي لشخص بالامامة. فانه حينئذ يستطيع ان يثبت امامته لأي أحد بالطريق الذي يراه ، كما تيسر لآبائه عليهم السلام . وأما مع فقدان ذلك فليس إلى فرض الامامة من سبيل .

وان التجربة المعاصرة ، لتعيش في ذهن الوزير بوضوح . وهي ان الجماهير الموالية للأئمة عليهم السلام ، بالرغم من اضطهاد الدولة لهم ومطاردتهم والتنكيل بهم ، ومعاناتهم الفقر والمرض والعزلة السياسية الاجتماعية .. كانوا لا يزدادون إلا ولاء وتقرباً من الأئمة عليهم السلام . فالدولة حين أرادت ان تتوصل إلى رفض أمامة الأئمة (ع) بكل ما تملك من سلاح ، لم تستطع . فكيف تستطيع الدولة أن تزرع إماماً جديداً في هذه القلوب المعارضة لها المنكرة لتصرفاتها المعانية من آلامها ونكباتها .

ولذا نرى الوزير يستهين بجعفر ويزجره ويسمعه ما يكره . ويقول له الحقيقة الواضحة : يا احمق . السلطان أطال الله بقاءه جرد

سيفه في الذين زعموا ان اباك وأخاك أئمة ليردهم عن ذلك ، فلم يتهيأ له ذلك . فان كنت عند شيعة ابيك واخيك اماماً ، فلا حاجة بك إلى سلطان يرتبك مراتبهم ، ولا غير سلطان . وان لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا [1] ثم ان الوزير استقله واستضعفه وأمر ان يحجب عنه فلم يأذن له في الدخول عليه حتى مات .

وإذ تضيق بجعفر هذه الوجوه ، يصعد إلى الخليفة ، آملاً أن يجد في البلاط مالم يجده عند الوزير . فان جعفر يعلم ان من مصلحة الدولة ايقاع الخلاف والاغتشاش بين الجماهير الموالية لآبائه (ع) ، وإيقاع الشك فيهم في اتجاه خط الامامة وانه يعرض خدماته على الدولة للقيام بمثل هذا العمل ، لا بازاء مال يقبضه منها ، بل بازاء مال يدفعه اليها !!

ولكنه يواجه عند الخليفة المعتمد ما واجه عند الوزير ،من الموقف النفسي والازدراء الاجتماعي .

قال له المعتمد : اعلم ان منزلة أخيك لم تكن بنا . انما كانت بالله عز وجل . ونحن كنا نجتهد في حط منزلته والوضع منه . وكان الله عز وجل يأبى إلا أن يزيده كل يوم رفعة،لما كان له من الصيانة وحسن السمت والعلم وكثرة العبادة . فان كنت عند شيعة اخيك بمنزلته ، فلا حاجة بك الينا . وان لم تكن عندهم بمنزلته ، ولم يكن فيك ما كان في أخيك ، لم نغن عنك في ذلك شيئاً [2] .

١ - الارشاد ص ٣٢٠ .

٢ - انظر الاكمال المخطوط . وانظر الخرايج والجرايح ص ١٨٦ .

انه نفس الاساوب الذي اتخذه الوزير وعين الاتجاه . وهو يؤكد ما سبق ان أكدنا عليه ، من معرفة الخليفة بالحق وايمانه بصدق الامام العسكري وعدالة قضيته . وانما كان يمنعه من اتباعه التمسك بالسلطان وبالمصالح الشخصية والنظر إلى الهدف القصير .

وانما يصرح المعتمد بمثل هذا التصريح الخطير ، بالنسبة اليه وإلى كيانه .. باعتباره يواجه جعفراً ، وهو ابن الامام واخو الامام . وهو من أعرف الناس بهما ، بالرغم من انحرافه عنهما . فليس هذا التصريح بالنسبة اليه سراً يكتشف امرًا خفياً يذاع . وليس جعفر من القواد الأتراك أو من متعصبي بني العباس ليخشى المعتمد من سطوتهم عليه . كما انه ليس من الجماهير غير الموالية للامام ـ بشكل عام ـ ، ليخاف تحولهم إلى الولاء نتيجة لهذا التصريح . وانما جاء هذا التصريح عفو الخاطر ، باعتباره العذر الوحيد في رفض طلب جعفر وبيان العجز عن تنفيذه .

ادعاؤه انه الوريث الشرعي لتركة الامام العسكري (ع) :

وقد انطلق جعفر بن علي في ادعائه هذا من فكرتين ادعائيتين أيضاً :

احداهما : عدم وجود ولد للامام العسكري (ع) ، ليكون هو الوريث الشرعي. ومن هنا كان هو الوريث ، باعتباره أخاً للموروث .

ثانيتهما : كونه الامام بعد اخيه . اذن فهو ـ على أقل تقدير ـ المشرف الأساسي والولي الأعلى على هذه الأموال الموروثة .

وكلا هذين الأمرين ، قد علمنا زيفهما بكل وضوح ، بعـد وجود الحجة المهدي (ع) ولداً للامام العسكري (ع) وكونه هو الامام بعده ، دون عمه .

ولكن جعفر انطلق من هذه المدعيات إلى الحجز على ميراث الامام (ع) كله ، والاستيلاء عليه ومنع سائر الورثة منه. وساعدته السلطات على ذلك ، فانها بعد ان بحثت وبذلت جهدها في الفحص والمطـاردة ، ولم تقع للمهدي على أثر ، لم تجد وريثاً غير جعفر . ولم تجد في دعوى جعفر للوراثة الشرعية كذباً واضحاً ـ في مرتبة الاثبات القانوني على الأقل ـ فسمحت له بالاستيلاء على مجموع التركة .

ولئن كانت عاجزة عن تنفيذ مطلبه الأول ، حتى لقد انصرفت عنه وهي آسفة .. فمطلبه هذا على أي حال ممكن التنفيذ ، وتمكينـه من التصرف في الأموال أمر ميسور .

وهذا هو الذي يشير اليه عثمان بن سعيد في بعض مجالسه مع أصحابه ـ على ما سمعنا ـ قائلاً : فان الأمر عند السلطان ان ابا محمد عليه السلام مضى ولم يخلف ولداً وقسم ميراثه ، واخذه من لا حق له . وصبر على ذلك. وهو ذا عياله يجولون وليس أحـد يجسر أن يتعرف عليهم أو ينيلهم شيئاً [1]

انظر إلى الأثر الاجتماعي التخريبي الذي انتجـه مخطط جعفر ، فانه وان فشل في الامامة ، إلا انه لم يفشل في الاستيلاء على الميراث .

---

١ ـ الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٤٧ص ٢١٩

ولم يكتف بحصته من الأرث ، بحسب ما هو المشروع في الاسلام ، لو كان وارثاً .. بل استولى على المجموع . فنتج عن ذلك بطبيعة الحال ، ان أفراد العائلة الآخرين لم يبق لهم مأوى ولا ملبس ولا مطعم . فبقوا يجولون في الطرقات .. لا يستطيع أحد أن يلتمت اليهم أو يدعى معرفته بهم أو يمدهم بشيء من الخير ، لأنه بذلك يعرض نفسه للتنكيل من قبل الدولة .

* * *

يبقى اعتراض واحد قد يخطر على الذهن ، وهو : ان المهدي (ع) نفسه كان يتمكن من أن يظهر ويسيطر على العالم ، ويمد عائلته بما تحتاج اليه من أسباب المعاش . فلماذا لم يفعل ؟ .

وجواب ذلك واضح كل الوضوح ، وهو : انه لو كان يظهر في ذلك الحين ، لكان يقتل لا محالة، بعدما عرفنا وسنعرف الجهود المضنية التي تبذلها الدولة في البحث عنه، ولفشل مخططه في هداية العالم والسيطرة عليه ، إذ لا يطيعه يومئذ ولا يسير في امرته إلا أقل القليل من أصحابه ممن لا يغني لفتح شبر من الأرض ، فضلاً عن البسيطة كلها . وأما المجتمع المنحرف فلن يستمع إلى ندائه ، وسيكون عوناً للدولة عليه .

وانما أعد الله تعالى ظهوره عند وجود عدد مهم من ذوي النفوس القوية والقلوب المؤمنة والعقول الواعية ، بحيث يستطيع أن يفتح بهم العالم ، كما سوف يأتي برهانه في الكتاب الثاني من هذه الموسوعة .وحيث لا يكون الوقت ملائماً للظهور ، وكانت هداية العالم لا تتحقق إلا

بالتاخير ، اذن فمن المنطقي جـــداً بل الضروري حقيقة ، التضحية بمصالح عائلته الخاصة في سبيل ذلك الهدف الالهي الأعلى .

وربما يعترض هنا فيقال : انه وان لم يمكنه الظهور ، إلا انه يمكنه مساعدة أهله حال غيبته. فانه يمكن ارسال الأموال اليهم بالطريق الذي كانت تخرج به التوقيعات والمراسلات عنه عليه السلام .

وجوابه أيضاً واضح ، بعد العلم ان التوقيعات والمراسلات . انما كانت تصدر عن المهدي(ع) في النطاق السري الخاص الذي لا يتجاوز مواليه ، إلى أي شخص يشك بارتباطه بالسلطة أو ضعفه تجاهها ، إذ من الواضح ان السلطة لو كانت تطلع على هذه المراسلات ، لكانت المستمسك الرئيسي الذي تأخذ به ضده عليه السلام .

إذا عرفنا ذلك نعلم ان دفع المهدي (ع) للأموال إلى عائلته بشكل يغنيهم وييسر حالهم ، يكون ملفتـــاً للنظر ومثيراً للتساؤل في ذهن السلطة ، وخاصة وان هذه العائلة لا زالت تحت المراقبة والتركيز .. فيكون له من المضاعفات ما لا يخفى. وأما مواصلتهم سراً بالمال اليسير عن طريق سفرائه .. فهو أمر محتمل ، لا يمكن نفيه .

* * *

وقبل ان ننطلق إلى النشاط الثالث لجعفر بن علي ، يحسن بنا أن نتميز بوضوح موقف الامام المهدي عليه السلام من عمه تجاه ذلك، بحسب ما هو المروي في تاريخنا الخاص .

حيث نجد الامام عليه السلام ، يقف أمام عمه وجهاً لوجـــه ،

ويصارحه بالحق ، توخياً إلى كفكفة اندفاعه والتخفيف من النتائج المؤسفة التي ترتبت على أعماله .. لو كان جعفر . ممن يمكن أن يؤثر فيه النصح والتوجيه .

فنراه عليه السلام، حينما ينازع جعفر أهله في الميراث، ويحاول الاستيلاء عليه ، يخرج عليه السلام على عمه من موضع لم يعلم به ويجابهه بالقول : يا جعفر مالك تعرّض في حقوقي . ثم يغيب عنه ، ويذهب (ع) إلى حيث لا يعلم به عمه . فيتحير جعفر ويبهت ، ويطلبه بعد ذلك في الناس ويحاول ان يقع له على أثر فلم يستطع .

وفي حادثة اخرى بعد ذلك ، نجد المهدي عليه السلام يقف من عمه مثل هذا الموقف الحاسم . وذلك : ان الجدة ام الامام العسكري عليه السلام ، توفيت، وكانت قد أوصت ان تدفن في الدار ..إلى جنب زوجها وولدها الامامين العسكريين عليهما السلام . ونازع جعفر ، محتجاً بمزاعمه القديمة وقال : هي داري لا تدفن فيها .

وهنا .. تكتسب القضية شأناً أكبر من الميراث .. انه ضرورة احترام هذه الجدة المقدسة ، وتنفيذ وصيتها ، طبقاً لتعاليم القرآن الكريم . والدار وان كانت لجعفر ، بحسب قانون السلطات الحاكمة ، ولكنها في الواقع ، ملك للوريث الشرعي الحقيقي ، وهو الولد ، وليس للاخ أي حصة من المال مع وجود الولد ، في قانون الاسلام . ومن لا يملك ليس له حق في أن يأذن وان يتصرف .

ومن هنا بادر الامام المهدي عليه السلام ، إلى مجابهة عمه بالقول

ـ بنحو الاستفهام الاستنكاري ـ : يا جعفر ، دارك هي ؟ . ثم لم يستطع جعفر أن يراه بعد ذلك [1] .

وسنبقى جاهلين ـ باعتبار غموض النقل التاريخي ـ بما إذا كان لهذا القول أثره في نفس جعفر وضميره، فسمح بدفن الجدة في الدار .. أو لم يسمح .. وكان سبيل هذا القول هو سبيل القول الأول ، وهو التسامح به والعصيان له .

وعلى أي حال،يكون المهدي (ع) قد أدى ما يشعر به من المسؤولية تجاه اعمال جعفر ، من ضرورة افحامه في دعاواه الباطلة والتوصل ـ جهد الامكان ـ إلى التخفيف من نتائجها السيئة .

كشفه ما أوجب الله تعالى عليه ستره :

وهو الافصاح عن وجود المهدي عليه السلام ، بنحو أو بآخر ، أمام السلطة ، مما أوجب شدتها في المراقبة والمطاردة .

ونحن في هذا الصدد ، لا بد أن نعود بالكلام عن تاريخ الامام عليه السلام ، من حيث تركناه،لنعرف ـ بالتفصيل ـ الترابط بين الحوادث التاريخية التي انتجت أن يقوم جعفر بمثل هذا العمل .

تركنا جثمان الامام العسكري مسجى في الدار وقد انتهى ولده المهدي (ع) من الصلاة عليه .. بعد أن سحب عمه عنها فتاخر وقد علا وجهه الاصفرار . ولكننا نجده مع ذلك ، لا يترك موقفه ، بل يبقى مستمراً في مخططه ممثلاً دور الامام بعد اخيه .

---

١ ـ انظر كلا الحادثتين في اكمال الدين (المخطوط) .

وإذ ينتهي الامام المهدي عليه السلام من الصـلاة ، ويذهب ، وقد اتضح لجميـع الحاضرين وجه الحق .. يتوجه أحدهم إلى جعفر بالسؤال عن هذا الصبي الذي أقام الصلاة ، لكي يقيم الحجة على جعفر ويفهم ما إذا بقي مستمراً على مخططه بعد اتضاح الحق أولاً . فيقول لــــه : يا سيدي من الصبي ؟. فيجيب جعفر : والله ما رأيته قط ولا أعرفه .

ولعله صادق في انه لم يره، فانه ـ بفسقه ـ لم يكن أهلاً لأن يريـه الامام العسكري (ع) أياه . ولكنه كاذب في نفي معرفته ، بعـد ان سمع هذا الصبي يقول : تاخر باعم فانا أحق بالصلاة على أبي . وهلا لو كان قد بقي جاهلاً بمعرفته ، ان يصمد على موقفه ويكذب الصبي في دعواه .. أو يعيد الصلاة مرة ثانية .. مع ان شيئاً من هذا لم يحدث. مما يدل على اتضاح الحق لكل الحاضرين ، وتسالمهم على انه هو الامـام المهدي (ع) .

وبعد فترة من الوقت ، يرد وفد من الوفود التي كانت تتواتر على الامام العسكري (ع) من أطراف العالم الاسلامي ، فتصل إليه وتسلمه ما تحمـــله من الأموال من مختلف من دفعوا الحقوق الاسلامية في تلك البلاد . وتساله ما تشاء من المسائل الشخصية والاجتماعية ، فتنهل منـه مختلف التعاليم والتوجيهات .

ويكون هذا الوفد من قم ، يدخل سامراء وهو لا يعلم بوفاة الامام العسكري (ع) .. فيسأل عنه الناس فيقول لهم الناس : انه قد فقد . قالوا : فمن وارثه ؟.. فيشير الناس إلى أخيه جعفر بن علي . فيسأل

الوفد عنه،فيقال لهم : أنه خرج متنزهاً وركب زورقاً في دجله يشرب ومعه المغنون . فيتشاور الوفد فيما بينهم ويقولون : هـذه ليست من صفة الامام .. وقال بعضهم : امضوا بنا حتى نردّ هـذه الأموال على أصحابها . ثم يقررون مقابلته واختباره .

فانتظروا رجوعه من نزهته ، ودخلوا عليه وحيوه وعزوه وهنوه. وقالوا له : يا سيدنا نحن قوم من أهل قم ، ومعنا جماعـــة من الشيعة وغيرها . وكنا نحمل إلى سيدنا ابي محمد الحسن بن علي الأموال . فقال : اين هي ؟ .. قالوا : معنا !.. قال : احملوها إليّ !.. وإلى هنـا يرى جعفر ان احدى امنياته في استيلائه على الامامة قد تحقق ، وقد كسب الربح الأول في اليوم الأول .

ولكن يقف دون ذلك حجر عثرة وعائق صعب ، لم يستطع اقتحامه . وذلك انهم قالوا له : إلا ان لهذه الأموال خبراً طريفـــاً ، فقال : وما هو ؟.. قالوا : ان هذه الأموال لجمع ــ أي : لعدد مـن الناس ــ ويكون فيها من عامة الشيعة الدينار والديناران . ثم يجعلونها في كيس ويختمون عليه . وكنا إذا وردنا بالمال على سيدنا أبي محمد عليه السلام ، يقول : جملة المال كذا وكذا ديناراً ٠ من عند فلان كذا وكذا ومن عند فلان كذا وكذا . حتى يأتي على اسماء الناس كلهم ، ويقول ما على الخواتيم من نقش .

انظر إلى أسلوبهم الذي استطاعوا به (اصطياد) جعفر وافحامه.. انهم ولا شك ، لم يكونوا بحاجة لأن يسمعوا كل هذه التفاصيل مـن

الامام العسكري (ع) في كل مرة يغدون عليه . وانما كان هـــذا هو الأسلوب الأساسي الذي يعرفون به امامة الامام الجديد إذا تولى هـذا المنصب العظيم بعد ابيه . لاجل أن يتأكدوا ان الأموال قد دفعت إلى وليها الحقيقي والامام الصادق الذي استطاع اقامة الحجة .

فكان الوفد،يطلب اقامة الحجةمن الامام الجديد عن هذا الطريق.. وعلى هذا الاساس طلبوا من جعفر ذكر التفاصيل ، فان اجاب علموا انه هو الامام ، ودفعوا اليه عن طيب خاطر ورضاء ضمير . وان لم يجب .. فهو ليس بامام ، وليس له الصلاحية لقبض هـذه الأموال في الشريعة الاسلامية .

ولكن جعفر يحاول أن يجدفيكلامهم نقطة للمناقشة ليحاول النفوذ منها .. فيقول لهم : كذبتم . تقولون على أخي ما لا يفعله . هـذا علم الغيب .. متغافلاً عن قوله تعالى : « لا يطلع على غيبه أحـداً إلا من ارتضى من رسول ».وانه يمكن لكل شخص أن يعلم ما يعلمه الله تعالى أياه . فليس مستبعداً أن يكون الامـام ، وهو الوجود الثاني للقيادة الاسلامية بعد الرسول (ص) والامتداد الطبيعي لرسالته العالميـة .. ان يكون ملهما من قبل الله عز وجل بعض الحقائق ليستعملهافيشؤون قيادته واقامة الحجة بها على امامته ، عند اقتضاء المصلحة لذلك .

فلما سمع القوم كلام جعفر ، جعـل بعضهم ينظر إلى بعض .. ان هذا ليس هو الامام ، وليس في الامكان دفع المال اليه .. وقد فشل في نتيجة الاختبار . فقال لهم جعفر : أحملوا هـذا المال إليّ . قالوا : أنا

قوم مستأجرون ، وكلاء لأرباب المال . لا نسلم المال إلا بالعلامات التي نعرفها من سيدنا ابي محمد الحسن بن علي عليهما السلام. فان كنت الامام فبرهن لنا . وإلا رددنا الأموال على أصحابها يرون فيها رأيهم .

انه تحد صارخ لجعفر .. وهو تحد لا يستطيع إلا الامام الحق أن يخرج من مأزقه . أما صاحب المخطط التخريبي فلم يعلمه الله تعالى شيئاً ليقوله لأحد . وأحسّ جعفر بالانهيار والضعف مرة اخرى ، بعد تنحيته عن الصلاة على اخيه .. ان للامامة مسؤوليات لا يستطيع ظهره أن ينوء بها .. ولكنه لا يستطيع ان يتنازل أو يتخاذل .. لا بد ان يقف صامداً على مخططه إلى آخر الخط . فانه إذا فشل في المحاولة الأولى بالحصول على المال ، فسوف يفشل في المحاولات التالية.. امام الوفود الاخرى . ان أقرب طريق وأقوى ضمان للاستيلاء على هذه الأموال هو التوسط لدى السلطات ، لأجل الزام هؤلاء القوم بدفعها .

ومن هنا يبادر جعفر بالذهاب إلى المعتمد ، وهو يمثل أعلى سلطة في البلاد ــ من الناحية القانونية على الأقل ــ لكي يتملق له ويشكو عنده هذا الوفد ليساعده في ابتزاز ما عندهم من المال .

وإذ يسمع المعتمد الشكوى يأمر باحضار الوفد،فيحضرون وتدور بينهم وبينه ، المحاورة التالية :

قال الخليفة : احملوا هذا المال إلى جعفر .

قال الوفد : اصلح الله أمير المؤمنين . انا قوم مستأجرون ، وكلاء

لارباب هذه الأموال ، وهي وداعة جماعة . وأمرونا ان لا نسلمها إلا بعلامة ودلالة . وقــد جرت بهذا العادة مع ابي محمد الحسن بن علي عليه السلام .

فقال الخليفة : وما كانت العلامة ؟

قال الوفد : كان يصف الدنانير وأصحابها ، والأموال وكم هي. فاذا فعل ذلك سلمناها اليه . وقد وفدنا عليه مراراً ، فكانت هذه علامتنا معه ودلالتنا . وقد مات . فان يكن هذا الرجل صاحب هـذا الأمر ـ يعني الامامة ـ فليقم لنا بما كان يقيمه لنا اخوه ، وإلا رددناها على أصحابها .

وهنا بدر جعفر فقال : يا أمير المؤمنين ، ان هؤلاء قوم كذابون على أخي .. وهذا علم الغيب .

نفس الاستدلال من القوم ، ونفس الجواب من جعفر . يريد بـه افحام القوم أمام المعتمد ، لأجل أن يكسب مساعدته ضدهم . وهم وان لم يوافقوه على اعتراضه ، باعتبار اعتقادهم بالامامة ، واعتبروا ذلـك دليلاً على عدم امامته . إلا ان المفروض في المعتمد ، وهو يمثل خطاً لا لا يؤمن بالامامة ، أن يوافق على هذا الاعتراض ويلزم القوم بمــا لا يعتقدون . إلا انه يشاء الله تعــالى .. ويريد المعتمد ان ينصر الحق أمام جعفر ، على طول الخط .. ليبوء مخططـه بالفشل . ان المعتمد غير مطلع على نوايا جعفر واهدافه بالتفصيل .. إلى حد الآن ، ولكنه يعلم انه خائن لمسلك ابيه واخيه . والخائن يجب ترك نصرته والوقوف

إلى جانبه .. ان المعتمد لا ينطلق في جوابه من حيث انطلق جعفر في اعتراضه .. وانما ينطلق من منطلق الوفد نفسه .. من الحقيقة الواضحة بان الوكيل لا يستطيع التصرف إلا في حدود إذن موكله . وحيث ذكر هؤلاء انهم غير ماذونين بتسليم المال إلا بعد الدلالة وإقامة الحجة . اذن فلا باس بعدم تسليمهم للمال .

ومن هنا قال المعتمد : القوم رسل ، وما على الرسل إلا البلاغ المبين . فبهت جعفر ولم يرد جواباً . أنه يسمع من المعتمد لأول مرة ما لم يكن يتوقع .. أنه قول منصف ، إلا ان جعفر ليأسف أن يكون قول المنصف دائماً ، ضد مخططه .

ثم يطلب القوم من الخليفة أن يامر لهم شخصاً يدلهم على الطريق ، حتى يخرجون من البلدة . فأمر لهم بنقيب فاخرجهم منها .

وإذ يصبحون في خارج البلدة ، يحدث ما لم يكن بالحسبان .. انهم جاءوا إلى هذه البلدة يحملون الأموال إلى الامام عليه السلام .. ومن غير المنطقي ان يرجعوا إلى بلدهم آيسين ويعلنوا عدم وجود الامام ، فتبقى الامة في حيرة وضلال . مع ان الحجة المهدي موجود وقادر على الاتصال بهم وافهامهم ما هو الحق . ان ذلك لن يكون بادرة حسنة في منطق الدعوة الالهية . اذن فلا بد من الاتصال بهذا الوفد ، واقامة الحجة عليه وافهامه وجود إمامه .. على الطريقه المتبعة مع سائر الموالين .. ليكون هذا الوفد لساناً للحق في بلاده ونقطة انطلاق إلى القواعد الشعبية الموالية . وستكون مقابلة هذا الوفد للامام المهدي

(ع) ثاني اتصال له بالناس في يوم وفاة ابيه .. وكان الأول هو صلاته عليه سلام الله عليهما .

يرسل المهدي (ع) خادمه ، إلى خارج البلدة ، ويعطيه المفتاح الرئيسي لافهام هذا الوفد الحائر ، ما هو الحق . فيامره بان يتبعهم ويناديهم باسمائهم واسماء آبائهم .. ويلقنها اياه ويخرج الخادم خارج البلد، ويصيح بهم باسمائهم ، قائلاً لهم : اجيبوا مولاكم .

وهنا يجد القوم ان هذا الخادم قد علم الغيب !! فيخطر لهم احتمال انه هو الامام .. غافلين عن امكان التعلم لأي أحد إذا وجد الفرصة المناسبة . فيبدرونه قائلين : انت مولانا ؟. فقال الخادم : معاذ الله ، أنا عبد مولاكم ، فسيروا اليه . واستصحبهم معه حتى وصلوا إلى دار الامام العسكري عليه السلام ، فدخلوا . فوجدوا الامام المهدي عليه السلام قاعداً على سرير كأنه قمر ، عليه ثياب خضر . فسلموا عليه فرد عليهم السلام . ثم قال عليه السلام : جملة المال كذا وكذا ديناراً . حمل فلان كذا وحمل فلان كذا. ولم يزل يصف ، حتى وصف الجميع ثم وصف ثيابهم ورحالهم وما كان معهم من الدواب فخروا سجداً لله عز وجل شكراً لما عرفهم ، وقبلوا الأرض بين يديه ، وسألوه عما ارادوا . فاجابهم ، فحملوا اليه الأموال .

وهنا ، وأمام ذلك الوفد القمي ، يفتح الامام المهدي عليه السلام ، باب التاريخ الجديد، تاريخ الغيبة الصغرى .. تاريخ الوكالة والسفارة ، وهو تاريخ سوف يعيشه الناس سبعين عاماً من الدهر ،على ما سنسمع ..

فيأمر الوفد ان لا يحمل إلى سر من رأى بعدها شيئاً من المال · وانـه ينصب لهم ببغداد رجلاً تحمل اليه الأموال وتخرج منه التوقيعـات . ويخرج الوفد [1] .

* * *

وبقي جعفر يجتر حقده .. انه يعلم من هو المقصود بهذه الأموال، فما هو بالبعيد عن بيانات ابيه وأخيه ، وقد رأى المهدي (ع) في هذا اليوم وهو يدفعه عن الصلاة .. اذن فهو المقصود بالاموال ، وستصل اليه حين يشاء .

وما دام المعتمد ، معتمده من أول الأمر ، بعد ان باع ضميره للسلطات وتمرغ في أوحال الانحراف .. فمن المنطقي في نظره أن يشكو وفد القميين مره اخرى ، إلى الخليفة .. انـه سيقول له : انهم دفعوا المال إلى المهدي . وسوف لن تكون هذه الشكوى ضـد الوفد نفسه ، بعد ان وقف المعتمد إلى جانبهم،بل ستكون ضد المهدي نفسه، وتتضمن بكل صراحة تأليباً للسلطات عليه .

وتجد السلطات بغيتها القصوى وهدفها الأعلى الذي كانت ولا تزال تجد في طلبه فلا تقع عليه.انه الآن رهن يديها وقريب المتناول منها.. أليس عمه الآن يعرب عن وجوده ويدل على نشاطه .. انهـا ستقبض عليه ، وبذلك تستطيع ان تتخلص من الوجود الرهيب الذي يقض مضاجعها ويملؤها رعباً وفرقاً . لأنه سوف يبدل ظلمهـا عدلاً ويحول جورها قسطاً ·

---

١ ـ انظر اكمال الدين (المخطوط).

يفكر المعتمد بذلك بمنطق المصلحة العليا والمهمة التي يمليها عليه الملك والجانب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في دولته ، ويمليها عليه هذا العدد الضخم من القواد والوزراء والقضاة والعاملين في الدولة ، ويمليها عليه سائر المحسوبين والمنسوبين إلى الدولة ، والموالين لهـا ، والسائرين في خطها بشكل وآخر . فيأتي كل ذلك في ذهنه ضخماً مجللاً مهما لا يمكنه التخلي عنه بحالمن الأحوال .. وأي فشل ذريع وفضيحة كبرى سوف تناله وتنال دولته لو حصل ذلك .. ولا يمكن ان يحول احترامه للامام العسكري (ع) والايمان بعدالة قضيته ، دون ذلك ، ودون المبادرة اليه بكل حزم وشدة .

ومن هنا نرى المعتمد حين يستمع لكلام جعفر ، ووشايته بالمهدي (ع) ، يرسل الخيل والرجال إلى دار الامام الحسن العسكري (ع) . فيكبسونه ، ويفحصون في كل غرفه ودهاليزه ، فلا يجدون شيئاً ، وليتهم يكتفون بذلك ، وانما اشتغلوا بالنهب والسلب والغارة على ما رأوا من متاع الدار .

وبينا هم منشغلون بالنهب ، يتحين الامام المهدي (ع) فرصة غفلتهم ، ويخرج من الباب ، تقول الرواية : وهو يومئذ ابن ست سنين ـ وقد عرفنا انه ابن خمس سنين ـ فلم يره أحد منهم حتى غاب[1] انهم لا يعرفون بالتحديد عمن يبحثون وأي شخص سوف يجدون ، فالفكرة غامضة في اذهانهم بعيدة عن مخيلتهم .. فلم يكن من البعيد ،

---

١ ـ الخرايج والجرايح ص ١٦٤ .

ان لا يلتفتوا وهم في نشوة النهب والسلب ، إلى وجود صبي يخرج من بين ايديهم ، بكل بساطة وبلا ضوضاء .

ولا يجد هؤلاء الرجال في الدار ، بعد ان تبعثر أصحابها وتشتت شملها إلا الجارية صقيل أم المهدي عليه السلام،فيقبضون عليهاويرفعونها إلى الجهات الحاكمة .

ومن هنا تبدأ المحنة الاساسية لهذه الجارية الصابرة المجاهدة ، تلك المحنة التي واجهتها ، بكل صمود واخلاص وايمان . واستطاعت برغم الضغط الحكومي ان تخرج ظافرة في المعركة ، وان لا تبوح بالسر العزيز الذي باح به جعفر ، وقد أوجب الله تعالى عليه كتمانه..وابقت ولدها محجوباً مصوناً من الاعتداء .

انهم – أولاً – طالبوها بالصبي ، فانكرته . ومعناه انها أدعت انها لم تلد ، وانه لا وجود لهذا الصبي على وجه الأرض .. انها تخبر بما لا تعتقد .. ولكنه كذب جائز بل واجب في الشريعة الاسلامية . فاننا نعرف ان الكذب يكون جائزاً في ما إذا كان سبباً في اصلاح ذات البين ، ويكون واجباً فيما إذا توقف عليه انقاذ نفس محترمه من الموت أو ما دونه من أنواع التنكيل الشديد .. وهو الآن كذلك بالنسبة إلى ولدها المهدي (ع) . فكيف إذا توقف على هذا الكذب البسيط مستقبل الاسلام وسعادة البشرية وقيام المهدي بدولة الحق .

وتزيد الوالدة الصابرة الممتحنة في إخفاء ولدها ، وتاخذ الحيطة له .. فتدعي ان بها حملاً . ويقع كلامها في ذهن الحكام موقعاً محتملاً .

فاننا عرفنا ان الدولة كانت تنتظر ولادة المهدي عليه السلام من الامام العسكري عليه السلام . وها قد انتهت حياته ولم تر له ولداً . فهو اذن اما موجود في الخارج أو محمول في الارحام . وحيث لا تكون الدولة مسبوقة بوجوده في الخارج،وهي قد جردت حملة التفتيش ولم تجده .. اذن فهو حمل .. ومن المحتمل ان يكون هذا الحمل الذي تدعيه هو المهدي المطلوب . فحسبهم أن يراقبوا هذه الجارية إلى حين ولادتها ، ليحصلوا على الغاية المتوخاة ويقبضوا على المهدي حين ولادته .

ومن هنا وقعت هذه الجارية تحت المراقبة الشديدة المستمرة .. حيث جعلوها بين نساء المعتمد ونساء الموفق ونساء القاضي ابن ابي الشوارب .. وهن نساء أعلى رجال الدولة . ولا زالوا يتعاهدون أمرها في كل وقت ويراعونها وطالت المدة ولم يحصلوا على شيء .

وبقيت الجارية على هذه الحال حتى واجهت الدولة مشكلات أساسية في المجتمع ، واضطرت إلى خوض الحروب في عدة جبهات ، فاشتغلوا بذلك عن هذه الجارية ، فخرجت عن ايديهم ، والحمد لله رب العالمين .

وتعد الرواية أربع حوادث رئيسية شغلت الدولة [1] ، وكلها حقائق راهنة نسمعها في التاريخ العام :

احداها : اقتراب يعقوب بن الليث الصفار من العاصمة بعد ان

---

١ – قالت الرواية : إلى ان دهمهم أمر الصفار ، وموت عبيد الله بن يحيى بن خاقان بغتة ، وخروجهم من سرمن رأى ، وأمر صاحب الزنج بالبصرة ، وغير ذلك . انظر اكمال الدين ، (المخطوط) . مع سائر تفاصيل القبض على ام المهدي عليه السلام .

كان يمارس نشاطه في الأطراف . فانه بعد ان استولى على بلاد فارس ونازل الحسن بن زيد العلوي فيها في وقعات عديدة شعر المعتمد في سنة ٢٦٢ بالعجز عن يعقوب بن الليث ، فكتب اليه بولايـــة خراسان وجرجان . فابى يعقوب ذلك حتى يوافي باب الخليفة.فخاف المعتمد . فتحول من سامراء إلى بغداد . وجمع أطرافه وتهيأ للملتقى . وبذلك تحولت جبهة القتال من فارس إلى بغداد . وتحول معاندوا الصفار من الحسن بن زيد وغيره من حكام الاطراف ، إلى الخليفة نفسه .

وجاء يعقوب في سبعين الف فارس ، فنزل واسط ، فتقدم المعتمد وقصده يعقوب . فقدم المعتمد اخاه الموفق بجمهرة الجيش واستطاع الموفق ان يهزم الصفار . فاستبيح عسكره وكسب أصحاب الخليفة ما لا تحد ولا يوصف . وعاد الصفار بنفسه منهزماً إلى فارس[1] .

وبالرغم من ان المعتمد كان قد عقد للموفق لحرب صاحب الزنج منذ عام ٢٥٨ ، وخرج بنفسه لتشييعه ، كما سمعنا ، إلا اننا نرى الموفق إلى حين منازلته للصفار ، لم ينازل الزنج منازلة فعالة ، وانما كانت تلك المهمة ملقاة على عاتق قواد آخرين في الدولة ، ولم ينازله الموفق ، إلا بعد ان ظهر عجز الآخرين واندحارهم ، في زمن متأخر جداً .

ثانيهما : خروج هؤلاء الحكام : المعتمد والموفق ، من سامراء إلى بغداد .. كما سمعنا .

ثالثها : موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان، الوزير، الذي استوزه

---

١ — انظر الكامل ج ٦ ص ٧ — ٨ . والعبر في خبر من غبر ج ٢ ص ٢٤ .

المعتمد من حين تسلمه للحكم عام ٢٥٦ . وكان له مع الامام العسكري عليه السلام واخيه جعفر موقفاً محموداً . فقد حصل موته فجاة بسبب سقوطه عن دابته في الميدان ، فسال دماغه من منخريه واذنه ، فمات لوقته . وذلك عام ٢٦٣ [١] .

رابعها : مشاكل صاحب الزنج ، وقد حملنا عنه في الفصل الأول فكرة مفصلة وقد كان إلى ذلك الحين ، يحاول سبق الزمن في التخريب والقتل والاحراق ، وابادة الجيوش التي تنازله واستباحة الأموال والنساء ، على ما عرفنا .

ولعلنا نستطيع ان نضع يدنا على سبب آخر ، لانشغال الدولة عن أم المهدي عليه السلام ، هو موت ابن ابي الشوارب ، قاضي القضاة عام ٢٦١ [٢] . الذي عرفنا انها سلمت إلى نسائه .

وعلى أي حال ، فنفهم من ذلك ان ام المهدي (ع) ، بقيت تحت رقابة الدولة أكثر من عام ، بل أكثر من عامين . لأننا عرفنا ان القاء القبض عليها كان بعد وفاة الامام العسكري عليه السلام ، بمدة غير طويلة ، نتيجة لوشاية جعفر .. اذن فقد تم ذلك خلال شهر ربيع الأول من عام ٢٦٠ .

على حين أن هذه الحوادث التي دهمت الدولة ، وقع أولها وهو موت ابن ابي الشوارب عام ٢٦١ ، وكانت واقعة الصفار عام ٢٦٢

---

١ – انظر الكامل جـ ٦ ص ١٥ . وانظر الطبري أيضاً .

٢ – الكامل جـ ٦ ص ٢١ .

وموت الوزير عام ٢٦٣ . والمظنون ان حادثة الصفار بما اوجبته من خروج المعتمد والموفق من سامراء ، كانت هي السبب الرئيسي في خروجها من الاسر . وقد وقعت بالتحديد خلال شهر جمادى الثانية من عام ٢٦٢ [1] . فتكون ام المهدي عليه السلام ، قد بقيت في الاسر عامين وما يزيد على الشهرين .

ومن هنا تعرف ، ان المقصود الاساسي من حجزها ومراقبتها ليس هو البحث عن جنينها أو انتظار ولادتها ، وإلا كان يكفي للتأكد من ذلك ان تمضي عدة أشهر فقط . وانما المقصود هو اضطهادها وعزلها عن مجتمعها أولاً ، واحتمال اتصال ولدها بها خلال هذه المدة ، لو كان موجوداً .. ثانياً . إلا ان مخططهم باء بالفشل الذريع .

تعليق على الاحداث :

أود في ختام هذا الفصل ان أشير إلى عدة نقاط مهمة ، عسى أن تتجلى بعض جوانب الغموض فيما عرفنا من التاريخ .

النقطة الأولى : ان غيبة الامام المهدي عليه السلام ، ليس لها مبدأ معين نستطيع ان نشير اليه . وانما الأمر هو الذي عرفناه من وجود الامام عليه السلام من حين ولادته ، في جو من الكتمان والحذر والاحتجاب ، وحرص والده عليه السلام على المحافظة البالغة عليه وعدم وصول خبره إلى السلطة أو من يدور في فلكها أو من يلين أمامها ، ولم يكن يعرض ولده إلا على الخاصة من أصحابه كما عرفنا .

---

١ - على ما يظهر من ابن الاثير في الكامل ج ٦ ص ٨ .

وبقي نفس هذا المعنى ساري المفعول ، بعد وفاته عليه السلام ، متمثلاً في حرص الامام المهدي (ع) نفسه وحرص سفرائه وأصحابه في الكتمان والحذر . ومن الملاحظ في سيرة الامام المهدي (ع) انه كلما كان الزمان يمر كان يحجب نفسه عن أصحابه أكثر . فانهم كلما اعتادوا على مقدار من الاحتجاب زادهم عليه شيئاً قليلاً .. وهكذا . وهذا هو الملاحظ من حين ولادته في زمان ابيه إلى آخر غيبته الصغرى حين بدأت الغيبة الكبرى ، وبدأ الاحتجاب التام إلا باذن الله عز وجل .

وسوف نناقش في مستقبل البحث ، الخرافة القائلة بان بدأ الغيبة كان من حين نزول المهدي عليه السلام إلى السرداب ، تلك الخرافة التي نفخ فيها جملة من المفكرين وضخمها عدد من المؤرخين، واعتبروها من المآخذ على عقيده الامامية في المهدي . وسنرى ان رواية واحدة مجهولة السند واردة في ذلك . على اننا لو اعتبرناها اثباتاً تاريخياً ، فهي تنص على انه خرج من السرداب امام الجلاوزة الذين كبسوا على الدار .. على ما سنسمع .

مضافاً إلى ان الاعتقاد بذلك منضمن لمفهوم خاطىء كاذب .. وهو ان المهدي (ع) وقبل نزوله إلى السرداب لم يكن محتجباً وكان من المتيسر لكل الناس أن يروه . وكانت حادثة السرداب هي الحد الفاصل بين الظهور والاحتجاب . وقد عرفنا بكل وضوح وتفصيل بطلان ذلك وعدم قيامه على أساس ، وقد حملنا فكرة كافية عن حرص والده على حجبه واخفائه ، فلم يكن لحادثة السرداب أي أثر .

على اننا سنعرف ان هذه الحادثة لا تصلح ، من حيث وجودها التاريخي - لو صحت - أن تكون مبدأ للغيبة ، فاننا سنعرف انها وقعت بفعل المعتضد العباسي ، وقد استخلف عام ٢٧٩ أي بعد وفاة الامام العسكري (ع) وبدأ عصر الغيبة الصغرى .. عصر امامة المهدي (ع) وقيادته للمجتمع بواسطة السفراء .. بتسعة عشر عاماً . فاسمع واعجب !!

النقطة الثانية : ان الامام المهدي عليه السلام ، بدأ بنفسه عصر سفارته ووكالته ، المسمى بعصر الغيبة الصغرى .. حيث استطاع ان يتصل بالمجتمع ، متمثلا بوفد القميين ، ويصرح لهم شفوياً بتنصيبه للسفير . حتى يكون الناس على بينه من أمرهم في نشاطهم وتصرفاتهم وأموالهم ، وتكون الحجة قائمة ، في هذا النص القانوني ، على صدق السفارة والسفير .

ولم يكن أمر السفارة غريباً على اذهان الجماهير الموالية ، بعد أن كان نظام الامامين العسكريين عليهما السلام قائماً على ذلك ، وقد اعتاد الناس عليه وألفوه . وقد عرفنا المخطط الذي سار عليه هذان الامامان (ع) لتعويد الناس وتاليفهم على هذا النظام .

إلا انه من الملاحظ ان الامام المهدي عليه السلام ، إذ يوعز إلى الوفد بحمل المال إلى وكيله في بغداد .. لا يسمي لهم شخصاً معيناً يكون هو الوكيل . وذلك لعدم حاجتهم اليه . باعتبار إن هذا المال الذي كانوا يحملونه قد وصل إلى الامام نفسه ، وسوف لن يحملوا مالاً

آخر قبل مضي عام من الزمن تقريباً ، فان الوفد من كل بلد يكون عادة في كل عام مرة . فإذا جاءوا حينئذ فسوف يستطيعون التعرف عليه والسؤال عن اسمه ، وسوف يدلهم الكثيرون عليه .

إذن فغاية ما يستطيع هذا الوفد ان يبلغه الآن إلى جماهير الموالين في سامراء وقم وغيرها من المدن ، هو ان يعطيهم أصل فكرة الوكالة ، وضرورة الرجوع إلى الوكيل في بغداد، وعدم لزوم البحث عن مقابلة المهدي (ع) بنفسه .

وأما اسم الوكيل ، وتعيينه في عثمان بن سعيد العمري ، فهذا ما يحتاج إلى بيان آخر ، وفي الحق انه قد صدرت فيه عدة بيانات بعضها من الامام العسكري (ع) وبعضها من المهدي (ع) نفسه،على ما سنسمع في القسم الثاني من هذا التاريخ .

النقطة الثالثة : ان مركز الثقل والادارة الاساسية للقواعد الشعبية الموالية اجتماعياً واقتصادياً ، ستنتقل بايعاز من الامام المهدي عليه‌السلام من سامراء إلى بغداد . بالرغم من بقاء سامراء عاصمة للخلافة العباسية ما دام المعتمد في الحياة ، تسعة عشر عاماً اخرى ، وتنتهي بانتهاء حياته عام ٢٧٩ . ثم ينتقل مركز الثقل في الخلافة أيضاً إلى بغداد ، مع بدأ خلافة المعتضد بن الموفق بن المتوكل ، في ذلك العام .

ان الوكيل منذ الآن ، سيمارس نشاطه في بغداد،وستحمل الأموال اليه هناك ، وتخرج التوقيعات منه . وفي ذلك ما لا يخفى من البعد عن الرقابة المباشرة للسلطات وعن الاحتكاك الدائم بالطبقة الارستقراطية

في العاصمة ، من القواد الاتراك وغيرهم ممن يمثل خط الدولة على طوله .

ولئن كان الامامان العسكريان قد فرضت عليهما الاقامة الجبرية في سامراء وسياسة التقريب من البلاط والدمج في حاشية الخليفة .. وكان الامامان لا يريدان اعلان الاحتجاج واثارة النزاع .. لئن كان ذلك فهو أمر خاص بحياتهما .. واما بعد ان ذهبا إلى ربهما العظيم صامدين صابرين ، وآلت الامامة إلى المهدي عليه السلام ، وهو الثائر على الظلم والطغيان .. فقد آن لهذه السياسات المنحرفة ان تنتهي، ولهذا المخطط الحكومي أن يقف عند حده . ينبغي لوكلاء المهدي عليه السلام ان يواجهوا الجمهور متخلصين من هذا العبء متحررين من هذاالاضطهاد.. حتى يستطيعوا أن يمارسوا عملهم بشكل أفضل وبحرية أوسع .وبخاصه وان موقفهم ـ بصفتهم وكلاء عن المهدي الغائب (ع) ـ تجعل موقفهم دقيقاً وحرجاً تجاه السلطة ، ويزيد حراجة فيما إذا كانوا يمارسون عملهم في سامراء .

على اننا ينبغي أن لا نبالغ في الحرية التي سيكتسبوها عند البعد عن العاصمة ... انها حرية نسبية ، بمعنى ان حالهم في بغداد أحسن بقليل وإخفاء نشاطهم اسهل . ولكن الخط العام الذي كانت ولا زالت تمشي عليه الحكومة ، موجود أيضاً وهو مطاردة الجمهور الموالي ومراقبته وإبعاده عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية . فالحجز والضيق بمعناه العام ، لا تختلف فيه بغداد عن سامراء شيء .

وهذه الحرية النسبية التي سيكتسبها الوكلاء في بغداد ، ستبقى

سارية المفعول ما دامت بغداد بعيدة عن العاصمة .. ان تسعة عشر عاماً يمر على ذلك كفيل بترسخ الوكلاء اجتماعياً والتفاف الجماهير الموالية حولهم .. بحيث لن يكون لانتقال العاصمة إلى بغداد ، تارة اخرى ، أهمية ضد نشاطهم ، كالاهمية التي ستكون فيما لو انتقلت العاصمة مع بدأ عصر الوكالة ، أو وجدت الوكالة في قلب العاصمة .

وهذا كله يجري في النطاق الخاص ، وأما السلطات الحاكمة ، فسوف لن تكون مسبوقة بذلك ، لما يحيط كل نشاط يقوم به الوكلاء من السرية والرمزية ، بشكل يشبه من بعض الوجوه ما رأيناه من الامامين العسكريين عليهما السلام . على انه من المستطاع القول بان الوكلاء أضيق من الامامين (ع) نشاطاً وأقل منهما رمزية ، وإن كانوا أكثر منهما سرية وتستراً . وقد أوجبت هذه السرية تعذر تطبيق تلك السياسة القديمة على الوكلاء ، من قبل السلطات ، بطبيعة الحال .

وأما على المستوى الحكومي ،فالحملة ضد المهدي عايه السلام ومحاولة العثور عليه ، ستبقى سارية المفعول عشرين عاماً على أقل تقدير ، حتى بعد الانتقال إلى بغداد . ولا تسأم الحكومة ، من ذلك ولا تيأس .. وان اسقطت وجوده القانوني وميراثه عن نظر الاعتبار . وبالطبع ، فانه مما يجدد عزمها ويثيرها ، ما يبلغها ، بشكل غير مباشر عن نشاط الوكلاء وما ترى من اعتقاد الجمهور الموالي بوجود المهدي عليه السلام وغيبته ، ونيابه هؤلاء السفراء عنه عليه السلام .. ولكنها لن تستطيع النجاح .. وسيحالفها الفشل .. إلى آخر الخط .

النقطة الرابعة : اننا سبق ان عرفنا عدة حوادث ولم نعرف تاريخها المحدد . منها : توسل جعفر بن علي بالوزير عبيد الله بن خاقان ، على ان يجعل له مرتبة اخيه عليه السلام، ومنها توسله بالمعتمد لتنفيذ نفس الغرض. ومنها وقوف المهدي عليه السلام تجـــاه اطماع جعفر حين مطالبته بالارث ، ومنها : وقوفه عليه السلام مطالباً تنفيذ وصية جدته .

ومن المؤسف اننا لا نستطيع الوصول إلى التحديد المنضبط لهذه الأمور ، فانه من مناطق الفراغ في التاريخ على أي حال . وأنما غاية ما نتوخاه هو الإلتفات ، إلى ما تقتضيه طبيعة الأشياء في ترتيب هذه الحوادث .

المظنون ان أولى هذه الحوادث وقوعاً ، هو مطالبة جعفر بن علي بالارث ، فان مناقشات الارث تقع عادة في غضون الايام الأولى من وفاة المورث ، وخاصة إذا كان أحدهم حريصـــاً ومستعداً للمناقشة والجدل ، كجعفر نفسه .

وأما توسله إلى السلطات ، فقد كان بعد ان مضت مدة كافية ثبت فيها بالتجربة ، عند جعفر ، بان مخططه قد فشل وان امامته قـــد رفضت لدى كل من اتصل به من جماهير الموالين وشيوخهم . وهذا ما يحتاج إلى بعض الزمان ، حتى يتمخض الجدل الذي قام بين الموالين حول اثبات ذلك أو رفضه ، ونشر الموقف الذي اتخذه المهدي عليه السلام تجاه عمه ، بينهم .

وحيث كانت السلطات هي الركيزة الاساسية لجعفر في مخططه ،

فقد لجأ اليها ، مبتدئاً بالوزير ومنتهياً بالخليفة ، لعلها تستطيع أن يفرض جعفراً على الموالين فرضاً . وقد عرفنا ما واجهه من عجز السلطات ورفضها لطلبه .

وعلى أي حال فمن المستطاع القول ان هذه الحوادث الثلاث جميعاً ، قد حدثت خلال الأشهر الأولى المتعقبة لوفاة الامام العسكري عليه السلام في نفس عام ٢٦٠ .

وأما وفاة الجدة رضي الله عنها ، فهو متاخر عن مطالبته بالارث ، كما تدل عليه الرواية نفسها [١] . ولكنه على أي حال غير محدد الموعد فلعله كان في نفس السنة ولعله كان في العام الذي يليه . وعلى أي حال ، فقد حصلت وفاتها في غضون ممارسة جعفر لنشاطه واصراره على دعاواه ، قبل أن ييأس من تنفيذ مخططه ويرفع يده عنه ويتوب .

النقطة الخامسة : انه لا بد لنا من اجل حفظ الحقيقة والموضوعية في البحث ، أن نذكر ما أشرنا اليه قبل قليل ، وهو أن جعفر ، بعد ان مضى عليه زمان يمارس النشاط العدائي للامام المهدي وعائلته ، والممالىء للسلطات الحاكمة ، أيس من نجاحه وسيطر عليه الحق ، فكبح جماح نفسه و ترك عمله ورفع اليد عن سلوكه المنحرف ، وتاب إلى الله تعالى من ذنوبه .

وعندئذ يخرج التوقيع من الامام المهدي عليه السلام في العفو عنه والتجاوز عن تقصيره ، تطبيقاً لقوله تعالى : فمن تاب من بعد ظلمه

---

١ - انظر الاكمال الدين (المخطوط) .

واصلح فان الله يتوب عليه أن الله غفور رحيم [1] . وقوله تعالى : وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى [2] .

يخرج هذا التوقيع بواسطة السفير الثاني : محمد بن عثمان بن سعيد العمري ، جواباً على سؤال في ضمن عدة استفتاءات تقدم بها : اسحاق بن يعقوب إلى الامام المهدي عليه السلام بواسطة هذا السفير . وكتب الامام عليه السلام فيما يخص جعفر قائلاً : وأما سبيل عمي جعفر وولده ، فسبيل اخوة يوسف عليه السلام [3] . يشير بذلك إلى عفو الله تعالى عن أخوة يوسف عليه السلام ، بعد ان كانوا قد ناصبوه العداء وغرروا به ، على ما تحدث عنه القرآن . ثم عفا عنهم حين اعتذروا و « قالوا : تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين . قال : لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم . وهو أرحم الراحمين [4] .

وهذا البيان من الامام المهدي عليه السلام ، يدل على العفو عن جعفر ، لنفس السبب الذي عفي به عن اخوة يوسف ، وهو اعتذارهم ورجوعهم إلى الحق وتوبتهم عما فعلوه .

ومن المؤسف ان لا يكون تاريخ هذا البيان معروفاً بالتحديد وانما غاية ما نعرفه هو خروجه بواسطة الوكيل الثاني للامام المهدي عليه

---

١ - ٥ / ٣٩ .

٢ - ٢٠ / ٨٢ .

٣ - انظر الاكمال المخطوط . وتاريخ سامراء ج ٢ ص ٢٤٩ عن الاحتجاج . وفي الاحتجاج ص ٢٨٣ ج ٢ ط النجف عام ١٣٨٦ قال : وسبيل ابن عمي جعفر . وهو خطأ تورطت فيه المطبعة .

٤ - ١٢ / ٩١ - ٩٢ .

السلام : محمد بن عثمان العمري المتوفي عام ٣٠٥ [1] . وأما تاريخ توليه الوكالة بعد ابيه فمجهول لجهالة تاريخ وفاة ابيه عثمان بن سعيد على ما سنسمع . ومن هنا لا نستطيع ان نحدد مقدار الزمان الذي استمر جعفر يمارس فيه نشاطه ولا الزمان الذي تاب فيه وصدر عنه العفو . غير انه كان قبل سنه ٣٠٥ . وهو تاريخ مديد غير محدد . وهذا من فجوات التاريخ المؤسفة . وعلى الله قصد السبيل .

خاتمة هذا القسم:

استطعنا في هـــذا القسم الأول ، ان نحيط بالمهم من الظروف والملابسات التي اكتنفت حياة الامامين العسكريين عليهما السلام تلك الظروف التي انبثقت فيها الغيبة الصغرى . كما احطنا بالمهم من تاريخ الامام المهدي عليه السلام ، بحسب ما ورد في تاريخنا الخاص ، في ولادته ونشأته في زمان ابيه، وما نتج عن ذلك بشكل مباشر بعد وفاه أبيه .

وبذلك ينتهي القسم الأول من هذا التاريخ ، وهو في واقعه قسم تمهيدي ، لما كرس له هذا التاريخ من ذكر الغيبة الصغرى والاحاطة بخطوطها العامة وأساليب الامام عليه السلام في تدبير أمور مواليه وقيادتهم وهذا ما نتعرض له خلال القسم الثاني .

---

١ - انظر هامش الاحتجاج جـ ٢ ص ٢٨٢ عن خلاصة العلامة . وانظر الخلاصة : القسم الأول ص ١٤٩ .

القسم الثاني

تاريخ الغيبة الصغرى

من عام ٢٦٠ إلى عام ٣٢٩

تمهيد

في تحديد الغيبة الصغرى :

تبدأ الغيبة الصغرى من حين وفاة الامام العسكري عليه السلام وتولي الامام المهدي عليه السلام الامامة . وقد بدأها عليه السلام بالايعاز بنصب وكيله الأول ، حين قابله وفد القميين كما سمعنا .

ولذا نجد ان الأمر لا يخلو من المسامحة إذا قلنا ان الغيبة الصغرى بدأت باصدار هذا البيان ، لا بساعة وفاة ابيه عليه السلام. على ان الأمر ليس مهماً ، بعد اتحاد تاريخها ، في نفس اليوم الواحد ، بل الصباح الواحد ، حيث توفى الامام العسكري عليه السلام بعد الفجر من اليوم الثامن من شهر ربيع الأول عام ٢٦٠ ، وقابل وفد القميين الامام المهدي عليه السلام قبل الظهر في نفس اليوم .

ومن المستطاع القول بان المميزات الرئيسية لهذه الفترة ثلاثة :

الميزة الاولى : كونها مبدأ تولي الامام المهدي عليه السلام ، للمنصب الالهي الكبير في امامة المسلمين بعد ابيه الراحل عليه السلام . لكي

يتولى مسؤوليته الكبرى في قيادة قواعده الشعبية خاصة والبشرية كلها عامة ، إلى قواعد السعادة والسلام .

الميزة الثانية : عدم الاستتار الكلي للمهدي عليه السلام . وانما كان يتصل بعدد مهم من الخاصة ، لأجل مصالح كبرى سنعرفها فيما بعد. على حين بدأ الاستتار الكلي – إلا فيمن شاء الله عز وجل – بانتهاء هذه الفترة .

الميزة الثالثة : وجود السفراء الأربعة ، الموكلين بتبليغ تعاليم الامام المهدي (ع) إلى الناس من قواعده الشعبية بحسب الوكالة الخاصة المنصوص عليها من قبل المهدي (ع) نفسه أو من قبل آبائه عليهم السلام . وكان الأسلوب الرئيسي للمهدي (ع) في قيادة قواعده الشعبية واصدار التعليمات وقبض الأموال،هو ما يكون بتوسط هؤلاء السفراء وما يتسنى لهم القيام به من قول أو عمل .

وقد خسرت الامة الاسلامية هذه الوكالة الخاصة ، بوفاة السفير الرابع . وانتقل التكليف الاسلامي،بعده إلى الاتكال على الوكالة العامة، الثابتة في الكتاب والسنة ، كما هو المعروض في محله من كتب البحوث والاحكام الاسلامية .

ولم تخل هذه الفترة ، من تشاويش وصعوبات ، عاناها السفراء والمهدي عليه السلام – وهو في غيبته – من اجل ادعاء أفراد متعددين للوكالة الخاصة زوراً، ومعارضتهم للسفراء الحقيقيين ، واغرائهم للناس بالجهل . غير انه كانت تكتب لهم الخيبة والفشل ، نتيجة للجهود

الواسعة التي يبذلها السفراء في تكذيبهم وعزل الناس عنهم ، استشهادا باقوال الامام المهدي عليه السلام وبياناته فيهم .

واهم هؤلاء المدعين ، وأكبرهم تأثيراً في جماعات من الناس ، هو الشلمغاني ابن ابي العزاقر . وسيأتي التعرض إلى موقفه وموقف المهدي عليه السلام منه تفصيلاً .

كما ان هذه الفترة ، لم تخل من مصاعب بلحاظ المطاردة الحادة التي كانت السلطات توجهها إلى الامام المهدي عليه السلام بالخصوص ، وقواعده الشعبية على وجه العموم . وبلحاظ المناقشات وانحاء الكلام والطعن الذي كان يصدر من القواعد الشعبية غير الموالية للأئمة عليهم السلام ، وخاصة اولئك المتملقين للدولة ، والمستأكلين على مائدتها والمنتفعين بسياستها .

ولعل الثغرة التي كان يمكن لهؤلاء أن يصلوا اليها في مناقشاتهم كانت أوسع بعض الشيء مما كانت عليه مناقشات امثالهم في زمان ظهور الأئمة عليهم السلام . فان القواعد الشعبية الموالية، كانت في هذه الفترة فاقدة للاتصال المباشر بشخصية الامام عليه السلام ، تلك الشخصية الفذة النيرة التي تعطى من توجيهها وتدبيرها في نقض الشبهات وحل المشكلات ، الشيء الكثير ، مما يصعب على الوكلاء والسفراء القيام به إلا بشكل يكون أضيق دائرة واقل درجة .

على ان الامام المهدي (ع) في بياناته ومقابلاته للآخرين ، لم يكن يال جهداً في المناقشة والتوجيه والتدبير ، على ما سنذكر في مستقبل

البحث بتوفيق الله عز وجل .

مضافاً إلى ان فكرة غيبة المهدي (ع) وطول عمره وما يترتب على ذلك من فائدة، ونحوها من الاسئلة التي أصبحت تثار من قبل المناقشين، لم يكن لها أي موضوع أو مجال في زمان ظهور الأئمة عليهم السلام . وهذا بنفسه يكلف السفراء، ومن ثم الامام المهدي (ع) نفسه إلى مناقشة مثل هذه الشبهات وتذليل هذه المشكلات بنحو منطقي مقنع .

والآن يمكننا ان نستعرض تاريخ الغيبة الصغرى، معتمدين عدة فصول :

الفصل الأول

في التاريخ العام لهذه الفترة

تبدأ هذه الفترة التي نؤرخها : عصر الغيبة الصغرى ، بوفات الامام العسكري عليه السلام ، في الثامن من شهر ربيع الأول عام ٢٦٠ ، كما قلنا ، وتنتهي بوفاة السفير الرابع ابي الحسن على بن محمد السمري في النصف من شعبان ، عام ٣٢٩ [١] .

وهي سبعون عاماً حافلة بالاحداث الجسام والتقلبات العظام انتقل فيها عمر التاريخ الاسلامي من عقده الثالث إلى عقده الرابع . وانتقلت الوكالة الخاصة أو السفارة عن الامام المهدي عليه السلام بين أربعة من خيار خلق الله وخاصته ، هم عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد بن عثمان ،والحسين بن روح ،وعلي بن محمد السمري، رضي الله عنهم وانتقلت الخلافة بين ستة من خلفاء بني العباس ، بينهم المعتمد الذي عاصر وفاة الامام العسكري عليه السلام ، ومبدأ الغيبة الصغرى ..

١ - غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٢ .

حتى عام ٢٧٩،حيث آلت الخلافة إلى المعتضد إلى عام ٢٨٩، فاستخلف المكتفي إلى عام ٢٩٥، وبعده المقتدر إلى عام ٣٢٠، ثم القاهر بالله حتى سنة ٣٢٢،ثم الراضي بالله حتى عام ٣٢٩ وهو عام وفات النائب الرابع السمري عليه الرحمة . ونهاية العهد الذي نؤرخ له .

والخطوط العامة للمجتمع ، هي ذاتها التي عرفناها في التاريخ العام السابق الذي عرفناه .. فضعف الخلافة يتفاقم بمضي الاعوام ، ولئن كان سيطرة الموالي والأتراك على دفة الحكم ، وتأثيرهم في نصب الخليفة وعزله ، في الفترة السابقة ، ملفتاً للنظر ، باعتبار كونهم جديدوا عهد بمثل هذا العمل . فقد أصبح تأثيرهم في هذا التاريخ طبيعياً وأمراً حتمياً ، فهم القواد والمحاربون والمالكون للأطراف والمتصرفون بشؤون الدولة ، وخاصة الخلفاء حيناً واعداءهم أحياناً ، والمؤثرون في عزل الخليفة ونصبه بكل بساطة ووضوح . بل من المستطاع القول .. بانهم بالرغم من كونهم شجى في حلق الخلافة ، إلا انهم الساعد الايمن لهـا والمستفيد منها، والمتاجر باسمها في طول البلاد وعرضها.

وقلما يموت الخليفة حتف انفه . فالمعتمد يكثر من الأكل في عشاء على الشط ببغداد ، فيموت مبطوناً [١] . والمعتضد يموت مسموماً من قبل أحدى جواريه أو غيرها [٢] . والمقتدر يموت بشر قتلة من قبل قوم من المغاربة والبربر ، وكان منفرداً منقطعاً عن أصحابه ، فشهروا

---

١ – الكامل جـ ٦ ص ٧٣ .

٢ – المروج جـ ٤ ص ١٨٤ .

سيوفهم في وجهه ، فقال لهم : ويحكم انا الخليفة ! فقالوا : قد عرفناك يا سفلة .. انت خليفة ابليس .. وقتلوه واخذوا جميع ما عليه حتى سراويله ، وتركوه مكشوف العورة إلى ان مر به رجل من الاكرة فستره بحشيش ثم حفر له موضعه ودفن وعفي قبره [1] .

والقاهر ثار عليه جماعة من القواد الساجية والحجرية ، واقتحموا عليه قصره ، فلما سمع القاهر الأصوات والجلبة،استيقظ مخموراً وطلب باباً يهرب منه .. ولا زال يماطلهم منفرداً حتى أدركوه وقتلوه [2] .

وهذا القاهر ، هو الذي ذاق طعم الخلافة لمدة يومين في غضون أيام سلفه ، حيث خلع المقتدر وشهد جماعة على خلعه ، وذلك بايدي بعض القواد الموالي والوزراء . ولكن القاهر حين رأى المقتدر راجعاً إلى دست الخلافة قائلاً له : يا أخي قد علمت انه لا ذنب لك، وانك قهرت .. ولو لقبوك بالمقهور لكان أولى من القاهر .بكى القاهر وقال : يا أمير المؤمنين نفسي نفسي .. اذكر الرحم التي بيني وبينك [3]

وأما حال الوزارة والوزراء ، الذين يتناوبون على دست الحكم ، وسرعان ما يبدو فشلهم في معاملة الناس وفي توزيع الأموال وتدبير الشؤون السياسية، فيعزلون . وقد يذوقون بعد العزل صنوف العذاب والسجن ونهب الأموال .. فحدث عن هذه الحال ولا

---

١ - الكامل ج ٦ ص ٢٢١ .

٢ - المصدر ص ٢٣٧ .

٣ المصدر ص ٢٠٢ .

حرج .. بما يطول المقام في ذكر تفاصيله .

والصعوبات والحروب المتكررة التي تتكبدها الدولة من الخوارج كثيراً ، ومن الاكراد [1] والاعراب [2] أحياناً ، ومن الخارجين عليها الطامعين في الملك والغلبة على الأطراف دائماً .. قائمـــة باستمرار على قدم وساق .

والفتح الاسلامي ، لا زال تجارياً لا يتصد به إلا السلب والنهب والغارة . ويعتبر بالنسبة إلى الدولة مورداً ضخمـاً ، يصرف اكثره في الخلافات الداخلية والمصالح الشخصية . ولم يكن الفتح محل عناية الدولة أكثر من ذلك ، إلى حد أصبحنا نسمع انه ضعفت الثغور الجزرية في أيام المقتدر عن دفع الروم عنهم : كملطية وميافارقين وآمد وارزن وغيرها ، وعزموا على طاعة ملك الروم والتسليم اليه لعجز الخليفة عن نصرهم ، وأرسلوا إلى بغداد يستأذنون في التسليم ويـذكرون عجزهم ويستمدون العساكر لتمنع عنهم .. فلم يصغ اليهم أحـــد . فعادوا خائبين [3] . لأن العاصمة علمت ان هذا الموقف لن يكون تجارياً ، وانما هو لاجل انقاذ حقيقي لمنطقة اسلامية من براثن الاستعمار الكافر .

والحروب في أطراف الدولة الاسلامية ، بين الطامعين والمترأسين، قائمة على قدم وساق بنحو خارج عن اختيار العاصمة وأمرها ، عـــلى الأغلب ، وتكون هذه الحروب هي الحكم الفصل في ابراز أمير وفشل

---

١ - المصدر ج ٦ ص ١١٣ .
٢ - المصدر ج ٤ ص ١٧٥ .
٣ - الكامل ج ٦ ص ٢٠٦ .

أمير . يكفيك ما كان يقوم به يعقوب بن الليث الصفار في بلاد فارس والأهواز إلى ان مات عام ٢٦٥ فآلت قيادة الحروب إلى أخيه عمرو [١] وما يقوم به الجخستاني وخلفه رافع بن هرثمة في هراة حتى قتل عام ٢٧٩ [٢] . وما عمله الخلنجي بمصر [٣] عام ٢٩٢ وما بعده ، والحسين بن حمدان عام ٣٠٣ [٤] . والحروب الطاحنة التي عملها مرداويج في فارس ، حتى ملك طول البلاد وعرضها وهتك المحارم وطغى وعمل له سريراً من ذهب يجلس عليه ، وسريراً من فضة يجلس عليه أكابر قواده ، وخافه الناس خوفاً شديداً [٥] . حتى قتله خدمه في الحمام عام ٣٢٣ [٦] .

اذن فالخطوط العامة الرئيسية هي بذاتها موجودة ، والناس هم الناس ، وانما المهم ان نتعرض لبعض التفاصيل التاريخية التي يختص بها هذا العصر . وهي عدة أمور :

الأمر الأول : انتقال الخلافة إلى بغداد ، وإعراضها عن سامراء إعراضاً تاماً . حيث بويع للمعتضد ابي العباس بن الموفق في بغداد عام ٢٧٩ [٧] وبقيت سامراء لقمة سائغة للاضمحلال والفناء . وقد حول

---

١ - المصدر ص ٢١ .
٢ - المصدر ص ٧٤ .
٣ - المصدر ص ١١١ .
٤ - المصدر ص ١٥٠ .
٥ - الكامل ج ٦ ص ١٩٨ .
٦ - المصدر ص ٢٤٤ ومابعدها.
٧ - المصدر ص ٧٣ وما بعدها .

المكتفي عام ٢٩٠ الرجوع اليها،فصرفه وزيره عن ذلك لجسامة الأموال التي يجب أن تصرف فيها قبل انتقاله . فبقيت سامراء على الخواء والتخلف .

الأمر الثاني : شهد هذا العصر ، نهاية صاحب الزنج ، علي بن محمد بعد ان عاث في البلاد الفساد وقتل وأحرق واستعبد الشيء الكثير حيث قتل عام ٢٧٠ [١] . وقد خلف قتله الشعور بالسرور والبهجة في المجتمع ، وقيلت في ذلك الأشعار [٢] .

وكان أعظم من بلي في قتاله بلاء حسناً طلحة بن المتوكل الموفق وابنه المعتضد بالله ولؤلؤ غلام أحمد بن طولون الذي انشق على مولاه. وقد سبق ان ذكرنا ان الحروب التي قام بها المعتضد في هذا المضمار اهلته للخبرة والقوة والالتفات إلى السياسات العامة ، والادارة التي طبقها في اثناء خلافته .

ومن طريف ما ينقل عن المعتضد انه بالرغم من قسوته المظلمة واستهانته بالدماء، وآلام التعذيب خلال خلافته [٣] ، كان متسامحاً مع العلويين ، حتى انه ورد من محمد بن زيد من بلاد طبرستان مال ليفرق في آل ابي طالب سراً ، فغمز بذلك إلى المعتضد ، فاحضر الرجل الذي كان يحمل المال اليهم ، فانكر عليه اخفاء ذلك ، وامره باظهاره

---

١ - الكامل جـ ٦ ص ٥١ وما بعدها .

٢ - المصدر ص ٥٣ وما بعدها .

٣ - انظر المروج جـ ٤ ص ١٤٤ و ص ١٥٩ .

وقرب آل ابي طالب [١] .

وانما كان ذلك بسبب رؤيته في المنام أمير المؤمنين عليه السلام ، حيث بشره بمصير الخلافة اليه ، واوصاه بولده خيراً ،فقال له المعتضد : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين [٢] .

وهو الذي عزم على لعن معاوية بن ابي سفيان على المنابر ، وأمر بانشاء كتاب يقرأ على الناس [٣] يذكر فيه الشيء الكثير من مثالب بني امية ، والأحاديث النبوية ، والآيات القرآنية في الطعن فيهم ،ووجوب البراءة منهم . وبقي مصراً على كلامه ، حتى قال له القاضي يوسف بن يعقوب : فما نصنع بالطالبيين الذين يخرجون من كل ناحية ويميل اليهم خلق كثير من الناس لقرابتهم من رسول الله (ص) . فاذا سمع الناس ما في هذا الكتاب من إطرائهم كانوا اليهم اميل وكانوا هم أبسط ألسنة وأظهر حجة منهم اليوم . فامسك المعتضد ولم يأمر في الكتاب بعد ذلك بشيء [٤] .

ومن طريف ما ينقل عن المعتضد [٥] انه في عام ٢٨٤ ظهر له شخص في صور مختلفة في داره . فكان تارة يظهر في صورة راهب ذي لحية بيضاء وعليه لباس الرهبان ، وتارة يظهر شاباً حسن الوجه ذا لحية

---

١ - انظر المروج جـ ٤ ص ١٨١ .
٢ - نفس المصدر والصفحة .
٣ - انظره في هامش الكامل جـ ٦ ص ٨٥ . نقلاً عن الطبري .
٤ - الكامل جـ ٦ ص ٨٧ .
٥ - انظر المروج جـ ٤ ص ١٧١ .

سوداء بغير تلك البزة . وتارة يظهر شيخاً أبيض اللحية ببزة التجار . وتارة يظهر بيده سيف مسلول وضرب بعض الخدم فقتله !! فكانت الأبواب تؤخذ وتغلق ، فيظهر له أين كان في بيت أو صحن أو غيره. وكان يظهر له في أعلى الدار التي بناها . فاكثر الناس القول في ذلك واستفاض الأمر واشتهر في خواص الناس وعوامهم ، وسارت به الركبان ، وانتشرت به الأخبار ، والقول في ذلك على حسب ما كان يقع في ذهن واحد منهم .

والمظنون ان هذه الظاهرة ، ليست من الجن، ولا الشياطين ، ولا من اختلال في العقل ، وانما هو نتيجة للاحساس بوخز الضمير نتيجة للظلم والقسوة التي كان يستعملها تجاه الناس . بنحو كان يشعر انها من مقومات شخصيته وملكه ولا يمكنه التخلي عنه ، اذن فهو مضطر إلى عصيان صوت الضمير وتحمل وخزه في كل وقت . واذا تفاقم الشعور بالاثم فقد يصل إلى مثل هذا الخيال . إذ قد يتجسد له بعض الذين قتلهم بين يديه تحت التعذيب ، حتى ليحسبهم حقيقة واقعة .

ومن المعلوم ان هذا الوهم يتبع شخص المعتضد حيث وجد ولا تحول دونه الأبواب والأقفال والحراسة المشددة . ومن أجل ذلك كانت تختلف ازياء هذا الشبح وأحواله ، بحسب اختلاف اتجاه تفكير المعتضد في خلوته .

وأما أن هذا الشبح قد قتل أحد الخدم بسيفه ، فهذا مما لا يمكن تصديقه ، وانما هو من النسج الذي اضيف اليه من قبل الناس ، حينما

تداولوا هذه الحادثة وسارت بها الركبان .

الأمر الثالث : مما اختص به هذا العصر :

انه شهد نهاية الدولة الطولونية في مصر . فانها كانت قد بدأت عام ٢٥٤ في عهد المعتز بأحمد بن طولون التركي ، حيث ولاه عليها بايكبال التركي ، من قبل الخلافة العباسية ، على ما سبق . وبقي مالكاً لمصر وسوريا ، متحدياً للعاصمة أحياناً [١] حتى مات مبطوناً عام ٢٧٠ [٢] . فخلفه ابنه خمارويه [٣] الذي اصهر اليه المعتضد عام ٢٧٩ [٤] . وبقي مستمراً على ملك ابيه إلى أن قتله مخموراً بعض خدمه ، ومنهم من شرح لحمه من افخاذه وعجيزته ، وأكله السودان من مماليكه [٥] .

وبقيت الدولة الطولونية حتى عام ٢٩٢ حيث استولى الخليفة المكتفي على دولتهم وأموالهم ، وولى على مصر عيسى النوشري [٦] ، وانقرضت بذلك دولتهم وزال ملكهم بعد أن لعبت دوراً في التاريخ حوالي الأربعين عاماً .

الأمر الرابع : ظهور شخص في شمال افريقيا يدعي انه هو المهدي ، وانه من ذرية اسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق (ع) ، وهو جد الفاطميين في مصر ، وقد استولى على دولة واسعة الارجاء عام

---

١ - الكامل جـ ٦ ص ١٣ .
٢ - الكامل جـ ٦ ص ٥٥ .
٣ - الكامل جـ ٦ ص ٥٥ .
٤ - المروج جـ ٤ ص ١٤٥ .
٥ - مروج الذهب جـ ٤ ص ١٥٨ .
٦ - الكامل جـ ٦ ص ١١١ .

٢٩٦ [١] ، بعد ان مهد له أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي ، من أهل صنعاء وقضى على دولة آل الأغلب في تلك المنطقة ، وطرد آخر امرائها زيادة الله بن محمد [٢] وملك قسماً كبيراً من الشمال الافريقي بما يقابل ليبيا وتونس والجزائر من الدول الحاضرة .

وبعد ان استتبت له الأمور وخافته القبائل ، اخرج رجلاً يدعى بعبيد الله بن الحسن من سجنه في سجلماسة ، واعلنه مهدياً وتبرع له بكل ملكه ، فاستقامت له البلاد ودانت له العباد، وباشر الأمور بنفسه وكف يد ابي عبد الله الشيعي مما كان عليه ، ويد اخيه ابي العباس فسعى أبو العباس إلى التشكيك في مهدويته ، قائلا : ان هذا ليس الذي كنا نعتقد طاعته وندعو اليه ، لأن المهدي يختم بالحجة ويأتي بالآيات الباهرة ، فأخذ قوله بقلوب كثير من الناس ، منهم انسان من كتامة يقال له : شيخ المشايخ ، فواجه المهدي بذلك وقال : ان كنت المهدي فاظهر لنا آية فقد شككنا فيك . فلم يكن من هذا المهدي !! إلا ان قتله [٣] . وعلى أي حال فقد باشر الفتح الاسلامي مستقلاً عن سلطات بغداد ، وحاول احتلال مصر مرتين ، فلم يفلح ، نتيجة لما كانت تبذله الخلافة العباسية في دفعه . كانت اولاهما عام ٣٠١ [٤]، وثانيتهما عام

---

١ – المصدر ص ١٣٣ .
٢ – المصدر ص ١٣٠ .
٣ – الكامل ج ٦ ص ١٣٤ .
٤ – المصدر ص ٤٧ .

٣٠٧ [١] . واحتل قسماً من المغرب عام ٣١٥ [٢] . وبنى مدينة محصنة سماها المهدية ، وجعلها عاصمة لملكه ، وجعل لها سوراً محكماً وابواباً عظيمة ، وزن كل مصراع مئة قنطار . وكان ابتداء بنائها يوم السبت الخامس من ذي القعدة سنة ٣٠٣ [٣] . وبقي على ذلك إلى ان توفى عام ٣٢٢ [٤] . وخلفه ولده محمد الملقب بالقائم إلى ان توفى عام ٣٣٣ [٥] بعد أن قاتل أبا يزيد الخارجي قتالاً مريراً [٦] .

ومن الطريف ان تقع دولة هذا المهدي المدعي في غضون الغيبة الصغرى للمهدي المنتظر عليه السلام . وقد سبق ان أشرنا في بعض ابحاثنا إلى ان هذه الدعوى للمهدوية ، وامثالها مما كانت على مدى التاريخ ، انما هي استغلال منحرف لايمان الامة بالمهدي الذي بشر به النبي (ص) . ولسنا الآن ونحن في مقام العرض التاريخي ، بصدد مناقشة هذه الدعوى وانما نحيلها إلى ابحاثنا الأخرى .

وانما نقتصر في المقام على القول : اننا لا نعني بالمهدي إلا ذلك القائد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويحكم البشرية جمعاء بالعدل الاسلامي فكل مدعٍ للمهدوية إذا انقضت حياته ولم يتوفق لهذا الهدف ، فليس هو المهدي المقصود .

---

١ – المصدر ص ١٦١ .
٢ – المصدر ص ١٩٠ .
٣ – المصدر ص ١٥١ .
٤ – المصدر ص ٢٣٨ .
٥ – المصدر ص ٣٣٣ .
٦ المصدر ص ٣٠٥ وما بعدها .

الأمر الخامس : ظهور القرامطة،بما كبدوا الشعب المسلم من انحراف ودماء ، وما كبدوا الدولة العباسية من أموال ونفوس .

ويحسن الآن التكلم مجملاً في عقائدهم أولاً وفي أعمالهم ثانياً ، لنكون على خبرة كافية عنهم ، تنفعنا في مستقبل البحث .

أما عقائدهم : فالذي يظهر من كتب الفرق كالنوبختي ، وسعد بن عبد الله الأشعري ، انهم فرقة من الاسماعيلية يؤمنون بسبعة أئمة هم : علي بن ابي طالب، والحسن ، والحسين، وعلي بن الحسين،ومحمد بن علي وجعفر بن محمد،ومحمد بن اسماعيل بن جعفر . وهو الامام القائم المهدي وهو رسول . وهو حي لم يمت وانه في بلاد الروم ومعنى القائم عندهم انه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد (ص) . وان محمد بن اسماعيل من أولى العزم من الأنبياء . وهم – عندهم – نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ومحمد بن اسماعيل .

وزعموا ان محمد بن اسماعيل هو خاتم النبيين الذي حكاه الله عز وجل في كتابه ، وان الدنيا اثنا عشر جزيرة ، في كل جزيرة حجة وان الحجج اثنا عشر ولكل حجة داعية ولكل داعية (يد) . يعنون بذلك ان اليد رجل له دلائل وبراهين يقيمها . ويسمى الحجة الأب والداعية الأم،واليد الابن . يضاهون قول النصارى في ثالث ثلاث .

وهم من الباطنية القائلين بأن جميع الأشياء التي فرضها الله تعالى على عباده وسنها نبيه (ص) وأمر بها ، فلها ظاهر وباطن . وان

جميع ما استعبد الله به العباد في الظاهر فامثال مضروبة وتحتها معان هي بطونها ، وعليها العمل وفيها النجاة . وان ما ظهر منها ففي استعماله الهلاك والشقاء .

قالت المصادر : وهذا أيضاً مذهب عامة أصحاب ابي الخطاب واستحلوا اعراض الناس بالسيف وقتلهم .. واعتلوا في ذلك بقول الله عز وجل : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. ورأوا سبي النساء وقتل الأطفال ، واعتلوا في ذلك بقول الله تبارك وتعالى : لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . وزعموا انه يجب عليهم أن يبدأوا بقتل من قال بالامامة من ليس على قولهم ، وخاصة من قال بامامة موسى بن جعفر وولده من بعده . وتأولوا في ذلك قول الله تعالى : قاتلوا الذين يلونكم من الكفار [1] .

وذكر بروكلمان : انهم يؤمنون بالشركة بالأموال ، وبالتأويل الباطني للشريعة ، ويعدون المريد إعداداً لياخذ اخيراً بالطاعة العمياء للجماعة ولرؤسائه ، وحرر من جميع القيود العقائدية ، ومن جميع اغلال القانون في وقت واحد [2] .

وذكر لهم ابن الأثير صلاة خاصة تختلف عن صلاة سائر المسلمين، وآذاناً يختلف عن آذانهم، يذكرون فيه الانبياء من اولى العزم واحداً واحداً

---

١ - انظر النوبختي ص ٧٤ وما بعدها والأشعري ص ٢٦ وما بعدها ، بلفظ واحد في المصدرين تقريباً .

٢ - تاريخ الشعوب الاسلامية جـ ٢ ص ٧٣ وما بعدها .

وذكر ان قبلتهم بيت المقدس وعطلتهم يوم الاثنين [1] .

ولكنه ينقل في موضع آخر [2] عن رجل منهم أعرب عن عقيدته أمام السلطات ، فذكر انه لا بد لله من حجة في أرضه ، وان إمامهم هو المهدي المقيم ببلاد المغرب . وهو عبيد الله بن الحسن الذي أشرنا اليه فيما سبق . وقد كان معاصراً لهم في ذلك الحين . إلا ان حركة القرامطة أسبق من حركة هذا المهدي المدعي،فان حركته كانت عام٢٩٦ كما عرفنا.في حين ان ظهور القرامطةفي ابتداء أمرهم بسواد الكوفة، كان قبل ذلك بثمانية عشر سنة ، عام ٢٧٨ [3] .

ويدل على اعتقادهم أيضـاً بامامة عبيد الله بن الحسن،ما سنسمعه من تعنيفه للقرامطة على قلعهم للحجر الأسود من الكعبة ، بحيثأوجب ارجاعهم له على أثر ذلك . وقد ينافي في اعتقادهم هذا ما عرفناه من ايمانهم بكون محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد ، هو المهدي . مع العلم انه لا يحتمل وجود مهديين في العالم ، ويبعد جـداً اعتقادهم بذلك .. والله العالم بحقائق الامور .

واما اعمالهم : فانه لم يكد المجتمع المسلم يشعر بالراحة ، بعد القضاء على صاحب الزنج ، عام ٢٧٠ كما عرفنا ، حتى ابتلى من جديد بحركة القرامطة بعد ثمانية سنوات من هذا التاريخ .

---

١ – الكامل ج ٦ ص ٧٠ .

٢ – المصدر ص ١٨٨ .

٣ – انظر الكامل ج ٦ ص ٦٧ .

وكانوا يتصفون بالصرامة والشدة والاستهانة بالدماء ، إلى حد لم يكن ليقف أمامهم جيش مقاتل ، أو تصمد أمامهم مدينة محاربة . وكان مجرد احتمال مهاجمة القرامطة لبعض المناطق يوجب بث الرعب في الناس ، وانهيار معنوياتهم إلى حد كبير .

وقد كبدوا العراق وسوريا والبحرين ، تضحيات جليلة . إلى ان قتل قائدهم (صاحب الشامة) بعد القبض عليه وتعذيبه عام ٢٩١ [١] وشيخهم زكرويه بن مهرويه عام ٢٩٤ [٢] . وكبيرهم في البحرين أبو سعيد الجنابي عام ٣٠١ [٣] . ومعنى ذلك ان صاحب الشامة وزكرويه قتلا قبل حركة المهدي المغربي عام ٢٩٦ .

ولكن ذلك لم يفل من عزمهم ، إذ شهد عام ٣١١ مأساة البصرة التي أحدثوها بقيادة ابي طاهر سليمان بن ابي سعيد الهجري القرمطي فقد وضع السيف في أهل البصرة وقتل خلقاً كثيراً وطرح الناس انفسهم في الماء فغرق أكثرهم . وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل ما يقدر عليه من المال والامتعة والنساء والصبيان [٤] ثم هاجم الكوفة هجوماً مميتاً عام ٣١٥ [٥] .

وأما هجومهم على قوافل الحجاج وابادتهم لهم ، أعواماً متعددة

---

١ - الكامل ج ٦ ص ١٠٨ .
٢ - المصدر ص ١١٦ .
٣ - المصدر ص ١٤٧ .
٤ - الكامل ج ٦ ص ١٧٥ .
٥ - المصدر ص ١٨٦ .

فحدث عنه ولا حرج . بدأت عام ٢٩٤ بقيادة زكرويه ، حيث غدروا بقافلة خراسانية للحجاج وقتلوهم عن آخرهم . وبقي يقاتل القوافل حتى جمع القتلى كالتل . وأرسل خلف المنهزمين من يبذل لهم الامان فلما رجعوا قتلهم وغنموا مليوني دينار . وكان في جملة ما أخذوا فيها أموال الطولونية وانشابهم [١] . وتكرر عام ٣١٢ حين نهب أبو طاهر القرمطي قوافل الحجاج ، وأخذ جمال الحجاج جميعها وما أراد من الامتعة والأموال والنساء والصبيان ، وعاد إلى هجر . وترك الحجاج في مواضعهم ، فمات أكثرهم جوعاً وعطشاً من حر الشمس [٢] . فتسببوا في هذا العام إلى أن لا يحج من الناس أحد [٣] . وفي العام الذي يليه ٣١٣ ، جبى القرامطة ضريبة من الحجاج وكفوا عنهم فساروا إلى مكة [٤] .

وتكللت هذه الجرائم عام ٣١٧، بالهجوم المباشر على مكة المكرمة وقتل الحجاج ونهبهم ، وسفك الدماء في المسجد الحرام وطرح القتلى في بئر زمزم ، وأخذ أبو طاهر كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ونهب دور أهل مكة ، وقلع الحجر الأسود وانفذه إلى هجر [٥] حيث بقي ثلاثين سنة [٦]

---

١ - المصدر ص ١١٦ .
٢ - الكامل جـ ٦ ض ١٧٧ .
٣ - المصدر ص ١٨٠ .
٤ - المصدر ص١٨٢
٥ - المصدر ص ٢٠٤ .
٦ - تاريخ الشعوب الاسلامية جـ ٢ ص ٧٥ .

قالوا: فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيد الله العاوي بافريقية كتب اليه ينكر ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة !. ويقول : قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والالحاد بما فعلت وان لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم وترد الحجر الأسود إلى مكانه وترد كسوة الكعبة ، فانا بريء منك في الدنيا والآخرة .

فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود ، واستعاد ما أمكنه من الأموال من أهل مكة فرده . وقال : ان الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ولا أقدر على منعهم [1]

وفي هذا دلالة واضحة على تبعية القرامطة للمهدي الافريقي وكونهم القائمين بنشر دعوته وقتل مخالفيه في الشرق . ومن ثم صح له ان ينصب من نفسه قيماً على أعمالهم ومشرفاً على تصرفاتهم . وكأنه لم يجد من أعمالهم شيئاً منكراً إلا قلع الحجر الأسود . ولله في خلقه شؤون .

وعلى أي حال ، فمن المستطاع القول ، ان أكثر هذه الفترة التي نؤرخ لها ، كانت مسرحاً لعبث القرامطة بين مد وجزر .

الأمر السادس من خصائص هذا العصر ، انه شهد ميلاد الدولة البويهية ، عام ٣٢١ [2] ، حيث اتسعت قيادة وسيطرة عماد الدولة علي بن بويه في فارس ، وتوسع ملك الدولة البويهية نتيجة لذلك،في ظروف

---

١ - الكامل جـ ٦ ص ٢٠٤ ، وما بعدها .

٢ - المصدر ص ٢٣٠

لسنا الآن بصدد تفصيلها .

الأمر السابع : قلة عدد الثوار العلويين في هذه الفترة ، التاريخية فاننا قد لاحظنا في الفترة السابقة كثرة عدد الثوار منهم ، حيث قارب عدد القائمين بالسيف ، ممن وصلنا ذكره منهم : العشرون ثائراً في أقل من نصف قرن . بينما نرى ان السبعين سنة التالية ، وهي الفترة التي نؤرخ لها الآن ، تكاد تكون خالية من ذلك إلا في حدود الأفراد القلائل .

وأبو الفرج الاصبهاني ، وان ذكر في المقاتل لهذه الفترة عدداً من المقتولين ، إلا ان من باشر الحرب منهم لا يزيد على اثنين أو ثلاثة . والباقون كلهم بين ميت في السجن وبين مقتول بسيف القرامطة أو بسيف الدولة العباسية بدون حرب (١) .

ويعود السبب في ذلك إلى امرين :

الأمر الأول : استغراق أكثر هذه الفترة بحروب القرامطة وتحركاتهم ضد الدولة . ومن الواضح ان كل ثورة تحدث في معارضة الدولة في ذلك العصر ، فانها تنسب من قبل دعايات الدولة إلى تأييد القرامطة وممالاتهم والاشتراك معهم ضد الجهاز الحاكم . وهذا ما لا يريده الثوار لأنفسهم .. كيف لا ، وهم يعلمون ان القرامطة مختلفون معهم في العقيدة ، ويستحلون دماءهم ، بل يبدؤن بقتلهم قبل غيرهم ، لما عرفنا من تأولهم لقوله تعالى : قاتلوا الذين يلونكم من الكفار . وقد

---

١ - المقاتل ج ٣ ص ٤٩٥ وما بعدها .

قتلوا بعضاً منهم في طريق مكة [١] . فاتهامهم بتبعية القرامطة ، كما حدث لاثنين منهم [٢] أمر غير صحيح .

الأمر الثاني : وهو ـ بكل تأكيد ـ أهم من السبب الأول . وهو انتهاء زمن ظهور الأئمة المعصومين عليهم السلام وانقطاع اتصالهم بالناس ، بأول يوم من وفاة الامام العسكري عليه السلام وابتداء الغيبة الصغرى التي نعرض الآن لتاريخها .

وقد عرفنا في تاريخ الفترة السابقة ، مدى تأثير وجود الأئمة عليهم السلام وتوجيههم المباشر وغير المباشر للثورات الداعية إلى الرضا من آل محمد (ص) .. بنحو استطاع الأئمة (ع) ان يخفوه عن السلطات تماماً ، ومن المعلوم ما للأئمة عليهم السلام من مكانة في المجتمع الاسلامي وتأثير معنوي في النفوس .وتاريخ جليل حافل بجلائل الأعمال ، مما يوفر لكلامهم وتوجيههم وخاصة في نفوس الثائرين الغاضبين على الظلم والعصيان ، طريقاً مهيعا للاندفاع والتأثير .

وأما في هذه الفترة ، وبعد ان غاب آخر الأئمة المهدي عليه السلام وانقطع عن الاتصال بالناس والاحتكاك بقواعده الشعبية .. فقد تضاءل ذلك الدافع الثوري والتوجيه القوي إلى التمرد والقيام بالسيف .

وأما الوكلاء الأربعة، الذين امسكوا بازمة الأمور في هذه الفترة

---

١ - المصدر ص ٥٠٠ .

٢ - المصدر ص ٤٩٩ .

وكانوا همزة الوصل بين الامام وقواعده الشعبية ، فهم وان كانوا في غاية الورع والصلاح ، إلا انهم على أي حال لا يتمتعون بمثل مكانـــة الأئمة عليهم السلام في قلوب المجتمع المسلم . على انه لم يكن من المصلحة على الاطلاق ان يصدر منهم الأمر بالتمردوتوحيه الثورات ولو بشكل سري وغير مباشر . وذلك : لأجـــل المحافظة على المصالح التي كانوا يقومون بها بين قواعدهم الشعبية ، وهم يعلمون ـ في حدود الظروف المعاشة يومئذ ـ ان هذه الثورات لن تكون أحسن حالاً من سوابقهـا التي باءت بالفشل وأخمدت في مهدهـــا . اذن فالتعرض للثورة أو التحريض عليها ، لن ينتج إلا التغرير بحياة الوكلاء ، والتضحية بخيط الاتصال بالامام الغائب (ع)، والتغرير بمصالح القواعدالشعبية الموسعة التي أوكلت اليهم قيادتها ، وهي مهام جسام لا تعـادل التحريض على ثورة معلومة الفشل والخسران .

مضافاً إلى ان استقلال الوكلاء عـن المهدي (ع) بالتحريض امر غير صحيح بطبيعة الحال ، ومناف لوظيفتهم الاجتماعية الاسلاميـة . وأما تحريضهم على الثورة بامر من المهدي عليه السلام ، فهو ممـا لا يحدث ، فان المهدي (ع) لن يقوم إلا بثورته الكبرى حين يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلمـاً وجوراً . ولن تكون التمردات الصغرى مهمة في نظره ولا دخيلة في وظيفته الاسلامية .

وعلى أي حال ، فالذي أشعر به ملياً ، أن نوع الثورات الداعيـة إلى الرضا من آل محمد ، قد انقطع بانقطاع عهد الظهور ، عهد اتصال

الأئمة عليهم السلام بالناس . وكل الثورات اللاحقة لذلك في التاريخ الاسلامي إلى عصرنا الحاضر ، انما هو انعكاس صحيح أو منحرف أو تاثر بقليل أو بكثير بتلك الثورات الجليلة المخلصة ، التي بدأت بثورة الحسين عليه السلام ، وانتهت بانتهاء عصر الظهور .

الفصل الثاني

الاتجاهات العامة في هذه الفترة

ويتدرج في ذلك الاتجاه العام للامام المهدي عليه السلام نفسه، خلال هذه الفترة التي تمثل غيبته الصغرى . كما يندرج فيه الاتجاهات العامة لمواليه المعتقدين بامامته ولسفرائه الذين يمارسون قيادة المجتمع بالوكالة عنه وللدولة بما فيها من حكام وسلطات

ونتكلم في ذلك ضمن عدة أقسام :

القسم الأول : الاتجاه العام للامام المهدي (ع) .

كان الاتجاه العام لسياسة الامام المهدي عليه السلام ، في اتصاله بقواعده الشعبية ، وقيادته لهم ، على ما يدلنا عليه تاريخنا الخاص .. مندرجاً في عدة نقاط ·

النقطة الأولى : اقامة الحجة على وجوده بشكل حسي واضح ، لكي يكون مستمسكاً واضحاً أكيداً لدحض ماقد يثار من الشبهات والاسئلة حول ولادته ووجوده .

وكانت هذه النقطة مما سار عليه والده الامام العسكري عليه السلام، كما عرفنا في تاريخ الفترة السابقة ، حيث رأيناه يعرض ولده المهدي (ع) على الخاصة من أصحابه ، وينص على امامته بعده ، وانه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً .

واستمر المهدي عليه السلام سائراً على ما سار عليه أبوه في ذلك لاستمرار الاسئلة والإشكال عن قصد أو غير قصد ، خاصة مع اختفاء الامام وغموض مكانه . ووجود الانحرافات بين أصحابه، كالذي عرفناه من عمه جعفر ، وسمعناه وتسمعه عن الشلمغاني وغيره .

وكان للمهدي (ع) لاثبات وجوده بالطريق الحسي الواضح عدة طرق :

الطريق الاول : تمكين عدد من الخاصة من مشاهدته عياناً وايصاؤهم بتبليغ ما شاهدوه إلى الناس ، وخاصة القواعد الشعبية الموالية للامام عليه السلام . مع ايصائهم بكتمان المكان وغيره من الخصوصيات التي قد تدل عليه وتيسر للسلطات طريق الوصول اليه .

الطريق الثاني : اقامة المعجزة بطريق غير مباشر لبعض الأشخاص ممن لا يواجهه مباشرة . بارسال رسالة شفوية اليه عن طريق خادم أو غيره تتضمن اسم الشخص « ان كان مما ينبغي عادة ان يكون مجهولاً » ووصفه للمال الذي يحمله والبلد الذي جاء منه ونحو ذلك ، مما لا يمكن ان يصدر إلا عن حجة الله تعالى على خلقه .

الطريق الثالث : الاجوبة على المسائل وحل المشكلات وقضاء الحاجات

عن طريق وكلائه بطريق منطقي حكيم منسجم مع اسلوب آبائـــه عليهم السلام في مثل هذه المواقف ، بنحو يعلم بعدم تمكن السفير من أن ياتي بمثله أو ان يخطر على باله . وخاصة إذا اقترف ذلك بأمر يجهله السفير أساساً ، مما قد اثبته المهدي عليه السلام في توقيعه .

الطريق الرابع : التزام نحو معين من الخط، الذي كان يعرفه الخاصة من مواليه، وموالي ابيه عليهما السلام . فان اختلاف الخطوط باختلاف الأشخاص من أوضح الواضحات . وهو يستخدم على التعرف عـــلى صاحبه في مختلف المجالات ، القانونية والفقهية وغيرها .

فكان لخط الامام المهدي عليه السلام ، ميزاته الخاصة التي يعرفهـا الخاصة ، والتي لا يمكن تقليدها ، كخط أي شخص آخر، حتى للسفير نفسه ، على انها كانت محفوظة بذاتها ومتشاكله عـــلى أيدي السفراء الأربعة ، على اختلاف خطوطهم الشخصية وطبائعهم النفسية [١] .

فهذه هي العناوين العامة لهذه الطرق ، وسيأتي التعرض للتفاصيل التاريخية في مستقبل البحث .

النقطة الثانية : الاختفاء عن السلطات اختفاء تاماً ، بحيث يتعـذر وصولهم اليه ، مهما كلفهم الأمر . ويتم ذلك بعدة طرق :

الطريق الاول : عدم تمكين المشاهدة ، إلا ممن يحرز فيه عمـــق الاخلاص وعدم افشاء السر الذي قد يؤدي إلى الخطر .

الطريق الثاني : ايصاء الشخص المشاهد ـ تاكيداً لذلك ـ بعـدم

---

١ ـ انظر للنموذج البحار جـ ١٣ ص ٩٥ وغيبة الشيخ الطوسي ٢١٦ و ص ٢٢٠ .

الافشاء والاحتياط من هذه الناحية على إمامه . بحيث يكون الفرد ذو مهمة مزدوجة ، فهو يجب عليه التبليغ عن مشاهدة الامام عليه السلام كما يجب عليه الالتزام في إخباره وتبليغه بان لا يزلق إلى ما لا يحمد عقباه .

الطريق الثالث : تحريم التصريح بالاسم ، ومنعه منعاً تاماً ، إلى حد يمكن أن يقال : انه كان مجهولاً عن الكثير من الخاصة الموالية ، فضلا عن سائر المسلمين ، وخاصة من يمت إلى السلطات بصلة .

ومن هنا كان يعبر عنه الخاصة ـ عند الحاجة ـ بتعبيرات مختلفة تشير اليه اجمالاً ، ولا تعينه شخصياً .. كالقائم،والغريم،والحجة،والناحية وصاحب الزمان ونحو ذلك ، ويتجنبون بالكلية التعرض لأسمه الصريح . فانهم « ان وقفوا على الاسم اذاعوه وان وقفوا على المكان دلوا عليه »[1] .

الطريق الرابع : الاختفاء التام عن السلطات ، وعن كل من لا يواليه .. اختفاء تاماً مطلقاً . فلئن كان عليه السلام في غضون الغيبة الصغرى ، قد يجتمع ببعض الموالين ، فانه لا يجتمع بمن سواهم على الاطلاق .. إلا ما كان لاقامة الحجة ، وإظهار التحدي للسلطات مع عدم امكان القاء القبض عليه ، كما حدث لرشيق صاحب المادراي حين أرسلته السلطات للكبس على دار المهدي عليه السلام في سامراء على ما سوف نسمع .

---

١ ـ الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٢ .

الطريق الخامس : تحويل مكانه بين آونـــة واخرى ، بنحو غير ملفت للانظار .

وهذا هو المستنتج من مجموع الروايات الدالة على مكانه في الجملة . حيث تدل بعضها على وجوده في مكان ، وتدل بعضها على وجوده في مكان ثان. أو ثالث وهكذا .. وهذا صحيح باختلاف الازمات وتعدد الأيام والسنين خلال الغيبة الصغرى .. وسنسمع تفصيل ذلك في فصل آت من هذا التاريخ .

الطريق السادس : السكوت التام .. ومن ثم الغموض المطلق ، بل الجهل الكامل بطريقة اتصال الوكيل الخاص بالمهدي عليه السلام . هل هو بطريق المواجهة،أو بطريق آخر ، وأين تحدث المواجهة وكيف ؟. ولو لم تحدث المواجهة فكيف تصل اجوبة المسائل وحلول المشكلات . كل ذلك كان مجهولاً تماماً لدى كل انسان مهما كان خاصاً ومقرباً ، ما عدا السفير نفسه ، الذي يضطلع بهذه المهمة .

ومن الممكن القول بان السفير كان منهياً عن التصريح بـه أساساً لكل أحد ، ومن ثم كان الشخص يقدم السؤال ثم يأتي بعد يومين أو أكثر لياخذ جواب سؤاله . ولم يرد في الروايات أي اشارة لطريقـــة استحصال الجواب من الامام عليه السلام .

الطريق السابع : إيكال الوكالة الخاصة ، أو السفارة ، إلى اشخاص يتصفون بدرجة من الاخلاص عظيمة ، بحيث يكون من المستحيل عادة ان يشوا بالامام المهدي (ع) ، أو ان يخبروا بما يكون خطراً

عليه ولو مزق لحمهم ودق عظمهم . ولا يتوخى بعد ذلك أن يكون السفير هو الاعمق فقهاً ، أو الأوسع ثقافة . فان السفارة عن الامام عليه السلام لا تعني إلا التوسط بينه وبين الآخرين ، ولا دخل للافضلية الثقافية فيه . ومن هنا قد تسند الوكالة الخاصة إلى المفضول من هذه الجهة ، توخياً لتلك الدرجة من الاخلاص .

وهذا هو الذي ذكر في بعض الروايات ، حيث اعترضوا على ابي سهل النوبختي ، فقيل له : كيف صار هذا الأمر « أي السفارة » إلى الشيخ ابي القاسم الحسين بن روح دونك ؟ فقال : هم أعلم وما اختاروه. ولكن أنا رجل القى الخصوم واناظرهم ، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم ، وضغطتني الحجة ، لعلي كنت أدل على مكانه وأبوالقاسم، فلو كان الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه [1] .

النقطة الثالثة : قبض المال وتوزيعه بواسطة سفرائه أو غيرهم .

والمال المقبوض يكون عادة من الحقوق الشرعية التي يعطيها أصحابها من الموالين للامام عليه السلام ، في مختلف البلاد الاسلامية فكان إذا اجتمع عند قوم أموال من هذه الحقوق ، أرسلوها بيد أحد امنائهم إلى الناحية .

وقد يكون المال المقبوض هبة شخصية للامام عليه السلام، من قبل أحد مواليه ، عيناً أو ثوباً أو غير ذلك . وقد يكون المال موصى به من قبل أحد الأشخاص للايصال إلى الامام (ع) بعد موته ، أو غير

---

١ - انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٠ والبحار ج ١٣ ص ٩٨ .

ذلك من الوجوه .

وهذه الأموال منها ما يصل إلى الامام مباشرة ، ومنها ما يبقى في يد الوكيل ، يوزعه بحسب نظر الامام وقواعد الاسلام .

كما ان حامل الأموال إلى الامام ، قد يوفق إلى دفعها إلى السفير مباشرة . وقد لا يستطيع حتى ذلك ، بل يؤمر بوضع المال في مكان معين ، يذهب بعده إلى حال سبيله . وذلك بحسب اختلاف الظروف والأحوال التي يعيشها السفراء بشكل خاص والقواعد الشعبية الموالية بشكل عام . على ما سوف نشير اليه في مستقبل البحث .

النقطة الرابعة : اجوبته عليه السلام على الاسئلة التي كان ايصالها إلى الامام (ع) من أهم مهام السفراء . والتي كانت تجتمع عندالسفير بكثرة من مختلف طبقات الموالين .

والجواب قد يكون توقيعاً أي جملة مختصرة مكونة من بعض كلمات ، وقد يكون مطولاً مسهباً ، بحسب ما يراه المهدي (ع) من مصلحة السائل والمجتمع .

تندرج في ذلك الاسئلة الفقهية والعقائدية التي كانت توجه اليه والطلبات الشخصية كاستئذان بالحج وسؤاله عن ميلاد الولد أو التوفيق بين زوجين متشاكين . كما يندرج في ذلك مناقشاته للشبهات التي كانت قد تنجم بين الموالين ، وللدعاوى الكاذبة بالسفارة عنه عليه السلام ولعن المدعي وكشف اتجاهاته المنحرفة .

كما يندرج في ذلك ، ما خرج عنه عليه السلام ، من الترحم على

السفير الأول وتعزية ولده السفير الثاني . وما خرج في بيان انقطاع السفارة بعد السمري السفير الرابع .. وغير ذلك من التوقيعات .. كما سيأتي التعرض لكل ذلك تفصيلاً ان شاء الله تعالى .

النقطة الخامسة : قضاؤه عليه السلام لحوائج الناس من قواعده الشعبية ، من الناحية الشخصية .

يندرج في ذلك المال الذي يأخذه بعضهم من المهدي (ع) مباشرة إذا وفقوا للقائه . والمال الذي يأخذه الآخرون من السفراء أو غيرهم ممن يمت إلى الامام بصلة ، وهي بمجموعها ، أموال مهمة لا يستهان بها .

كما يندرج في ذلك نصحه عليه السلام لمستنصحيه ، بالقيام بعمل معين ، كالحج أو غيره ، أو الامتناع عنه ؛ بحسب ما يرى من المصلحة التي يتضح بعد ذلك للسائل مطابقتها لمقتضى الحال . كما يندرج في ذلك ، الاكفان والحنوط والأثواب التي كان يعطيها لبعض الخاصة مع الطلب أو بدونه . وذلك قبل موت ذلك الشخص بقليل وسيأتي التعرض لتفاصيل ذلك فيما يلي من البحث .

النقطة السادسة : عدم التعرض في كلام المهدي عليه السلام، إلى شيء من الحوادث العامة في المجتمع أو في الدولة أو في الخارج ، وما يقوم به الخلفاء أو الوزراء أو الامراء أو القواد أو القضاة ، أو غيرهم ممن له شان أو ممن ليس له شان .

فانه بالرغم مما عرفناه من وجود الحوادث المهمة في التاريخ العام .. تلك الحوادث التي أقلقت الدولة وكلفت المجتمع الشيء الكبير .. ومنها

ما حرك ضمير المسلمين ، كقلع القرامطة للحجر الأسود ونقله إلى هجر .

بالرغم من ذلك ، لا نجد في كلامه وتوقيعاته وتوجيهاته عليه السلام ، أي تعرض لهذه الحوادث على الاطلاق أو أي تعليق عليها . وذلك لمبررات ثلاثة مجتمعة أو متفرقة :

المبرر الأول : ان هذا الإعراض الكامل ، يشكل احتجاجاً صامتاً وشجباً سلبياً ، لمجموع الخط الذي يسير عليه الناس **المنحرفون** وذوو المصالح الشخصيةالصانعين لتلك الحوادث الممثلين لها على مسرح التاريخ ابتداء من الدولة وانتهاء بقواعدها الشعبية .. ذلك الخط المنفصل عن خطه عليه السلام ، والمنهج المغاير لمنهجه .. ذلك الخط الذي تشترك الدولة واعداؤها بالسير عليه والانتفاع به ، فانهم مهما اختلفوا في شيء فهم لا يختلفون في معادات الامام عليه السلاموانكار وجوده، ومطاردة قواعده الشعبية .

والمهم لديه ، وهو المؤمل لإقامة الحق المطلق في الأرض ، أن يهمل هذا الانحراف اهمالاً تاماً ، ويتسامى عن مسايرته أو القول فيه أو التعليق عليه جملة وتفصيلاً، حتى كأن شيئاً لم يحدث ، وكأن الموجود في الأرض ليس إلا حقه المطلوب واهدافه المنشودة .

المبرر الثاني : ان ديدن المهدي في بياناته وتوقيعاته كان في الغالب مكرساً على اجوبة الاسئلة التي كانت ترفع اليه من مواليه بواسطة سفرائه ، ولم يخرج منه توقيع ابتدائي بدون سؤال ، إلا نادراً فيما

يخص حال سفرائه ، كالتعزية بسفيره الأول ، والاعلان عن انقطاع السفارة بموت الرابع .

ومن هنا يصبح من المنطقي ، ان لا نتوقع من المهدي عليه السلام تعليقاً على أحد الحوادث العامة ، إلا إذا سأله عنه بعض الموالين أو طلب منه التعليق عليه . وهذا مما لم ينقل في رواياتنا حدوثه .

والسبب في اهمال السؤال عن هذه الأمور ، هو : ان القواعد الشعبية الموالية للامام عليه السلام تنقسم إلى قسمين :

القسم الاول : وهم الأكثر والأغلب .. اناس يقل وعيهم ويتضاءل فهمهم الاجتماعي إلى حد كبير . فهم وان اطلعوا على أحكامهم الدينية من الناحية الشخصية ، على مذهب أهل البيت عليهم السلام . إلا انهم لم يكونوا مدركين بوضوح ، الاتجاه الاجتماعي والسياسي لأئمتهم عليهم السلام خاصة ولاحكام الاسلام عامة .

وخاصة ، وان التاريخ القريب الذي عاشوه ، كان يذكي أوار الجهل ويؤكد هذا التخلف فيهم . وذلك لما عرفناه من السياسةالعباسية في عزل الأئمة عليهم السلام عن قواعدهم الشعبية ، وحجزهم في العاصمة وتقريبهم إلى البلاط .. لأجل الأغراض التي عرفناها وفصلناها .. مما سبب نمو جيل من الشعب الموالي منفصل عن قادته وموجهيه ، محروم من علومهم ووعيهم وثقافتهم .

وقد أصبح هذا الجيل ، خلال الغيبة الصغرى هو الجيل السائد الذي يمثل الأغلبية الكاثرة ، الجاهلة .. ومن ثم لا ينبغي ان نتوقع من

مثل هذا الجيل أن يسال عن رأي الامـام عليه السلام أو فتوى الاسلام في أي شيء من الحوادث الاجتماعية أو الدولية .

القسم الثاني : وهم الأقل .. واعون مثقفون بتعاليم الأئمة السابقين عليهم السلام ، وهم العارفون لاتجاهاتهم وطرق تفكيرهم وتدبيرهم .. فمثل هؤلاء .. أما أن يكونوا عالمين برأي الامام عليه السلام سلفاً بدون حاجة إلى سؤال ، وذلك لوضوح اتحاد اتجاهه عليه السلام مع اتجاه آبائه . وهم يعرفون القواعد الاسلامية العامة التي يقيسون بها الأحداث الاجتماعية والدولية ، فالفرد منهم يسال نفسه عن تفسير الاحداث ويجيبها ، ويتخذ تجاهها مسلكاً موزوناً بميزان وعيه وفهمه الاسلامي الذي تلقاه عن أئمته عليهم السلام ، من دون حاجة إلى تجشم مؤونة السؤال .

وأما أن لا يكون الفرد من هؤلاء الخاصة عالماً بالرأي الاسلامي في حادثة أو عدة حوادث .. ولكنه مع ذلك لا يمكنه السؤال عنها ، لأن هؤلاء الخاصة معروفون للدولة ، تراقب أعمالهم، وتحسب عليهم أقوالهم.. وهذا يكون من أكبر الموانع عن السؤال عن مثل تلك الأمور .

المبرر الثالث : خوف الامام المهدي (ع) على قواعده الشعبية من عسف الدولة وضيق الخناق ، إذا وجد لديهم رأي الامام في أمر سياسي أو حادث اجتماعي . وذلك باحد اعتبارين :

احدهما : ان التعليق إذا كان على ما يمس الدولة من قريب أو بعيد، أو على ما تؤيده من أشخاص أو احداث .. كان ذلك أعلاناً صريحاً

للخلاف على الدولة .. الأمر الذي لا يعرض الفرد الذي وجد عنده أو سمع منه ذلك ، للخطر فقط .. بل يعرّض جماعة كبيرة من متعلقيه بل سائر أفراد الشعب الموالي للامام عليه السلام ، إلى انحاء من الخطر وأنواع من التهديد هم في غنى عنه لولا ذلك ، وهو مما لا يريده لهم الامام المهدي عليه السلام ، كما لم يكن يريده لهم آباؤه عليهم السلام .

ثانيهما : ان تعليق الامام على الأحداث سواء كان مما يوافق الدولة أو يخالفها ، يدل على وعي من وجد عنده أو سمع منه ، بل يدل على وعي جماعة ممن يكون بمستواه الثقافي والفكري ، وهذا معناه ـ كما تدركه الدولة بوضوح ـ كون الفرد والجماعة على مستوى الأحداث ، وعلى مستوى تحمل المسؤولية ، واجابة نداء الحق واطاعة تعاليم الامام المهدي (ع) على أي مستوى من المستويات .

وهذا ما تخافه الدولة وتخشاه ، بكل كيانها وطبقاتها ، وتقف دونه بكل قواها . فإذا عطفنا على ذلك احساس الدولة بما يصدر عنها من ظلم وجهلها بقلة الواعين المخلصين ، استطعنا ان نشعر بعظم الخطر وتفاقم الخطب .

ومن ثم كان المهدي (ع) يرى ضرورة التخلص من هذا الاحساس أساساً ، وذلك : بعدم إشعار الدولة بوعي الواعين من مواليه ، تجنيباً لهم عن الاخطار ، وتمكيناً لهم بالاتصال بالناس بشكل أوسع ، من أجل حفظ المصالح الكبرى التي يتوخاها الامام المهدي (ع) في المجتمع .

وان من أسهل الطرق لذلك ، هو ان لا يوجد بينهم أوعلى السنتهم أي تعليق « رسمي » على أي حادث اجتماعي أو سياسي ، وإذا وجد شيء من ذلك فلا بد أن يبقى منحصراً في النطاق الخاص ، محروساً عن الوصول إلى الدولة أو إلى أي عميل من عملائها ، ومن ثم نسمع أنه حين كان جماعة من الخاصة في مجلس السفير الثاني محمد بن عثمان العمري يتذاكرون شيئاً من الروايات وما قاله الصادقون عليهم السلام ، حتى أقبل أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادي ، ابن أخي أبي جعفر العمري (رض) . فلما بصر به أبو جعفر ، قال للجماعة : امسكوا فإن هذا الجائي ليس من أصحابكم [1] .

والذي أود الالماع اليه في المقام مختصراً ، هو ان ندرة التعليق الاجتماعي الواعي ، من الامام المهدي عليه السلام ، انما يدل على وجود مثل هذه المصالح ، ولا يدل على كون الامام المهدي عليه السلام بعيداً عن الأحداث منصرفاً عن تطورات المجتمع .

ولا نريد في المقام ، ان نستشهد ، بما نعتقده في الامام من العصمة والتعليم الإلهي ، وانه متى ما شاء أن يعلم فانه يعلم ، كما لا نريد أن نقول بأن نفس فكرة السفارة وما يترتب على ذلك من المصالح لاكبر دليل على استيعاب المهدي للاحداث ،ووعيه الكامل للمشاكل وحلولها الاسلامية على المستوى القيادي لا على المستوى الاعتيادي .

بل غاية ما نذكره هو الاشارة إلى الروايات المتعددة الواردة في

---

١ - الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٥٦ .

تاريخنا الخاص ، الدالة بكل وضوح علـــى ذلك . كتركه عليه السلام للجواب على سؤال شخص كان قد أصبح قرمطياً [1] وكالذي قاله لعلي بن مهزيار الأهوازي في شأن أهل العراق [2] وكالبيان الذي صدر منه عليه السلام للشيخ المفيد عليه الرحمة ، وقد تضمن جملة من الاخبار والافكار [3] وقصة شقه لثوب المرجي [4] وغـــير ذلك من الروايات الدالةعلىاستعراض الامام المهدي عليه السلام للأحداث ومتابعته للمشاكل الاجتماعية ، وسيأتي تفصيل ذلك بما يزيده وضوحاً ورسوخاً .

فهذه هي النقاط الرئيسية للاتجاه العام الذي كان يلتزمه الامـــام المهدي عليه السلام ابان غيبته الصغرى . استعرضناه بنحو الاختصار ، وسيأتي تفصيل الحوادث المشار اليها ، في الفصول الآتية من الكتاب .

* * *

القسم الثاني : الاتجاه العام للشعب الموالي .

كان الاتجاه العام للشعب الموالي لخط الامام عليه السلام ، خلال الغيبة الصغرى مركزاً حول عدة نقاط ، تكاد تكون مترابطة :

النقطة الأولى : الاعتماد التام والتوثق الكامل من السفراء وحسن الظن بهم بافضل أشكاله .. بما هم أهل لذلك . لمـــا هو معروف عند الشعب الموالي من نصوص أئمته الماضين عليهم السلام في توثيق وتجليل

---

١ - الارشاد ص ٣٣٢

٢ - الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٦١

٣ - انظر الاحتجاج ص ٣٢٢ .

٤ - انظر منتخب الاثر ص ٣١٦ . وغيره .

ومدح السفيرين الاولين ، على ما سوف نعرضه في ترجمتها . مضافاً إلى التجربة الفعلية ، والمعاشرة من قريب أو من بعيد .. التي عاشهاالناس، مع السفراء الاربعة ، قبل سفارتهم وبعدها، فعرفوا بالاخلاص والايمان والصدق والتقوى ، بنحو يجعلهم في السنام الاعلى من خاصة الشعب الموالي .

فكانوا لا يشكون ، باي حال من الاحوال ، بما ينقله أحد السفراء اليهم شفوياً أو كتبياً عن المهدي (ع) . مضافاً إلى ما عرفناه من استدلالهم على صدق الرسالة من خطها ، ومن مضمونها ، ومن أسلوب تبليغها .

النقطة الثانية : الرجوع في مشكلات الامور العقائدية والفقهية والشخصية إلى الامام عليه السلام ، عن طريق سفرائه ، لكي يذللها لهم برأيه وحكمته .. على ما سوف يأتي تفصيله في مستقبل البحث .

وبذلك ، يكون المهدي (ع) وهو في غيبته قد اخذ زمام الادارة لقواعده الشعبية ومواليه ، وتدبير امورهم ، وارشادهم ، فيما ينبغي ان يفعلوا او ان يتركوا .

النقطة الثالثة : الاعتماد على التسالم على امر من الامور الموجودة بين افراد الشعب الموالي او الرأي العام الذي يوجد لديه ، تجاه اي مسألة أو مشكلة .

فكان الفرد منهم ، يرجع - فيما يرجع اليه من قواعد شريعته - الى ما تسالم عليه اخوانه في العقيدة تجاه الامر الذي يفكر فيه ، لو كان

امرا متسالماً عليه . كما هو الحال في عـــدد من الامور والافكار .. التي لا يستطيـع الفرد مخالفتها الا باعلان مخالفته مع الشريعة نفسها، والكشف عن انحرافه وفساد عقيدته او سلوكه .

وهذا التسالم ، تـتقيه القواعد الشعبية من خاصتها وموجهـيها وعلمائها على وجه العموم ، ومن السفراء على وجه الخصوص . وامـا هؤلاء الخاصة فيتسالمون على الامر نتيجة للقواعد الاسلامية التي يعرفونهـا أو باعتبار صدور نص فيها من قبل الامام المهدي (ع) على يد احــد سفرائه ، أو باعتبار تجربة حسية عاشوها مع سلوك الفرد الذي تسالموا على وثاقته أو الذي تسالموا على انحرافه .

وذلك كالتسالم على وثاقة السفيرين الاولين [1] ، وعلى وثاقة السفير الثالث الحسين بن روح [2] بل على وثاقة السفراء الاربعة جميعهم. وكالتسالم على انحراف ولعن الشلمغاني ابن ابي العزاقر [3] والتسالم بان كل من ادعى السفارة بعد السمري فهو كافر ضال مضل [4] .

فكانت هـذه الامور وامثالها ، من الامور الواضحة ، غير القابلة للمناقشة ، يتلقاها الخلف عن السلف والجاهل عن العالم والعامة عــن الخاصة . وتعتبر جزءاً من معالم الدين .

فهذه هي النقاط الرئيسية، لما كانت تتوخاه القواعد الشعبية الموالية

---

١ – الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٥
٢ – المصدر ص ٢٢٧
٣ – المصدر ص ٢٥٠
٤ – المصدر ص ٢٥٥

في علاقتهم مع امامهم المهدي وسفرائه .

* * *

القسم الثالث : الاتجاه العام للسفراء

يتلخص الاتجاه العـــام للسفراء الاربعه ، في حياتهم الاجتماعيه الاسلاميه ، في عدة نقاط :

النقطة الاولى : الاضطلاع بقيادة قواعـــدهم الشعبيه المواليه للامام المهدي عليه السلام ، من الناحيه الفكرية والسلوكيه ، طبقاً لاوامره عليه السلام ، أو بتعبير آخر : التوسط في قيـادة المهدي (ع) للمجتمع ونطبيق تعاليمه فيه ، طبقاً للمصالح التي يراها ويتوخاها .

النقطة الثانية : الاخلاص في السفارة عن المهدي عليه السلام ، وفي خدمه قواعدهم الشعبيه المفتقرة الى قيادتهم وسفارتهم كل الافتقار .. والتضحة في سبيل ذلك بالغالي والنفيس .

النقطة الثالثة : ان لا يكون عملهم ملفتاً للنظر ، وأن تكون حياتهم وتجاراتهم طبيعيه جداً ، غير مثير لأي تساؤل أمام الدولة وعملائها وقواعدها الشعبية .

فقد سمعنا كيف ان عثمان بن سعيد العمري السفير الأول ، كان يوصل الأموال إلى الامام العسكري عليه السلام في جراب الدهن الذي كان يتاجر به . ولم يتغير الخط الاساسي الذي كانت تسير عليـه الدولة بعد وفات الامام العسكري (ع) وبدء الغيبة الصغرى .. فنعلم مـن ذلك استمرار العمرى على أمثال هذا الاسلوب عندسفارتهعنالمهدي(ع)

خلال هذه الفترة .

كما اننا نسمع ان الحسين بن روح السفير الثالث ، لم يكن له خدم ولم يكن حوله جماعة ، على حين كان لمدعي السفارة زوراً خدم وجماعة[1] .

على ان هذا المسلك لم يكن خاصاً بالسفراء، بل شاملاً لسائر الخاصة ممن كان ينتهج النهج الصحيح المتفق عليه . فمن ذلك انه كان علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، مستمراً في تجارته ، يجلس كل يوم ويخرج حسابه ودواته كما يكون التجار[2] . إلا ان ذلك لا ينافي قيامه بالواجب ، وإيفاءه لحق العقيدة الحقة .. إذ يأمر بجر الحسين بن منصور الحلاج من رجله واخراجه من محل تجارته ، باعتبار ادعائه السفارة كذباً وزوراً[3] .

النقطة الرابعة : التزامهم بمسلك التقية : مهما احوجهم الامر إلى ذلك .. يجعلونه طريقاً لتهدأة الخواطر عليهم وإبعاد النظر عنهم لكي تنفسح لهم فرصة أوسع ومجال أكبر للعمل ، مما اذا كانوا مراقبين ومطاردين بشكل مستمر أكيد .

فمن ذلك : ان أبا القاسم الحسين بن روح عليه الرحمة ، كان يحضر مجالس العامة غير الموالين للأئمة عليهم السلام . فصادف في بعض

---

١ - البحار ج ١٣ ص ٧٩ .

٢ - الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٤٨.

٣ - المصدر والصفحة .

المجالس ان تناظر اثنان ، فادعى احدهما : ان ابا بكر أفضل الناس بعد رسول الله (ص) ، ثم عمر ثم علي . وقال الآخر : بل علي أفضل من عمر . فزاد الكلام بينهما . فقال أبو القاسم رضي الله عنه الذي اجتمعت الصحابة عليه ، هو تقديم الصديق ثم بعده الفاروق ثم بعده عثمان ذو النورين ثم الوصي. وأصحاب الحديث على ذلك ، وهو الصحيح عندنا . فبقي من حضر المجلس متعجباً من هذا القول . وكان العامة الحضور يرفعونه على رؤوسهم وكثر الدعاء له ، والطعن على من يرميه بالرفض !! [1] . هذا وهو قائد الرافضة وسفير إمامهم .

فقد ظهر أبو القاسم رحمه الله في قوله هذا أشد تطرفاً من كلا المتناظرين . فانهما كانا متفقين على تقديم ابي بكر بالافضلية على الجميع كما كانا متفقين على تاخير عثمان عن الجميع .. واختلفا في افضلية عمر وعلي . أما أبو القاسم فقد اظهر ان علياً هو الرابع في الأفضلية والمتأخر عن الجميع .. ولله في خلقه شؤون .. إلى حوادث اخرى من هذا القبيل ، لعلنا نستعرضها في الفصل الآتي .

وعلى أي حال ، فمن المحرز المتيقن ان هذا الاتجاه الذي كان يسير عليه السفراء ، قد استقوا خطوطه العامة من المهدي عليه السلام بحسب ما يرى من المصالح في ذلك الحين والظروف التي كانت تعيشها قواعده الشعبية تجاه الدولة والآخرين . وكان كل سفير منهم يطبقه بمقدار ظروفه وشكل تطور الحوادث في زمنه .

---

١ - انظر الغيبة ص ٢٢٧ .

وأما بحسب ما هو المعلوم من درجة ايمانهم واخلاصهم ، تلك الدرجة التي اهلتهم لنيل السفارة الخاصة دون غيرهم من الخاصة ، فهم كانوا على استعداد لأكبر التضحيات وأوضحها ، لو أخذوا التعاليم بالقيام بشيء منها من المهدي (ع) ، أو اقتضتها المصالح الاسلامية العليا كيف وقد سمعنا شهادة أحد الخاصة العظماء في حق الحسين بن روح رحمه الله ، انه لو كان الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه .

ولكن كلما كان الموقف أدق والنشاط المفتقر اليه في قيادة القواعد الشعبية الموسعة ، أكبر ، والمصالح المتوخاة تطبيقها فيهم أعظم، كانت الحاجة إلى صرف نظر الدولة ومن يسير على خطها عن هذا النشاط وتلك المصالح .. أشد وأكثر . وقد استطاع السفراء كما قد استطاع الأئمة (ع) قبلهم ، ان ينالوا بمسلك التقية أو السلبية من المصالح العامة في قيادة قواعدهم الشعبية وهدايتها والمحافظة عليها ، أضعاف ، ما كان في الامكان أن ينالوا من الحركات الانتحارية العشوائية والتمردات الصغيرة .. لو كان فيها شيء من الخير !!

* * *

القسم الرابع : الاتجاه العام للدولة .

ونريد بالدولة .. الجهاز الحاكم .. خليفة ووزراء وقضاة وقواداً ومحسوبين .. يعطف على ذلك من يسير في ركاب الدولة عقيدة ومصلحه بنحو من الانحاء .. من أفراد الشعب المسلم .. الذي يمثل مع الدولة

خطاً واتجاهاً واحداً محفوظاً على ترتب الأجيال وتطاول السنين .

وهذا الخط التاريخي الطويل ، لا شك انه كان موجوداً في هذه الفترة باوضح صوره ، شانه في ذلك شان الفترة السابقة . حيث أشرنا إلى ان ضعف الخلافة في السياسة العامة ، لا يعني بحال تخفيف الوطاة على خط الأئمة عليهم السلام ، لما قلناه من ان اتجاه الدولة العام ليس بيد الخليفة وحده ، بل بيد مجموع الجهاز الحاكم .

الا ان الشيء الذي يظهر من التاريخ الاسلامي العام ، وتؤيده بعض القرائن التاريخية ، هو أن الخلافة في هذه الفترة بالذات .. كانت متسامحة إلى حد ما ، وغاضة للنظر عن الشعب المسلم الممثل لخط الأئمة عليهم السلام .

فالمعتضد ، وهو أقوى خلفاء هذه الفترة، وأكثرهم غلظة وسيطرة وقد تولى الحكم في أوائل هذه الفترة ، بعد تسع سنين من وفاة الامام الحسن العسكري عليه السلام .. والجرح لما يندمل والعواطف لما تهدأ فكانت فترة خلافته من اعقد الفترات في الغيبة الصغرى .

ولكن المعتضد ، مع ذلك ، لم يكن - كما سمعنا في الفصل الأول من هذا القسم - شديداً اتجاه العلويين ، وبالتالي تجاه سائر الخط الذي يمثله الشعب الامامي . فهو الذي رأيناه يعمم كتاباً على الناس في الطعن على بني امية ، حتى قال له بعض القضاة ما قال .. ويسمح بتقسيم المال الذي ورد من محمد بن زيد العلوي في بلاد طبرستان، ليوزع على آل ابي طالب سراً .. فانكر المعتضد ذلك ، وأمر الرجل باظهار

ذلك،وقرب آل ابي طالب .

وقد يدل على هذا الاتجاه ، ان المعتضد ومن لحقه من الخلفاء في هذه الفترة ومن يحف بهم من القواد ، كانوا يحاربون العدو المشترك بينهم وبين خط الأئمة عليهم السلام .. وهو كل من القرامطة الذين سمعنا من عقائدهم عزمهم على قتل كل من يخالف رأيهم في الامامة ، أيا كان مذهبه . وهم – في حدود تلك الفترة – العامل الاشد وطأ على الدولة وأقسى ضراوة على المجتمع . والخوارج ، وهم أطول مدى وأعمق تاريخاً وأرسخ تاثيراً على المدى البعيد ، وكانوا يكبدون الدولة إلى جانب القرامطة ، الشيء الكثير .

إلا ان الدولة – بالطبع – لم تكن نشعر بحال ، عند منازلتها لهؤلاء الأعداء ، انهم العدو المشترك بهذا المعنى ، ولا يهمها أن يكونوا كذلك أو لا يكونوا . بل لعل الاتجاه العام للدولة ، من هذه الناحية، مركز حول كونها العدو المشترك للقرامطة والخوارج من ناحية ولخط الائمة عليهم السلام من ناحية اخرى ، وأقصى ما تدرك الدولة من الفرق بينهما هو ان القرامطة والخوارج حاقدون دائماً ، ومستحلون لقتل المسلمين على طول الخط . في حين ان لخط الائمة روّية وحكمة وتقية .. لا ينافيها قيام الثورات منهم بين آن وآخر في مختلف البقاع الاسلامية .

على ان الدولة تعرف بوضوح قرب خط الائمة عليهم السلام إلى قلوب المسلمين ، وإلى واقع التشريع الاسلامي . كما يبدو واضحاً من تصريح القاضي يوسف بن يعقوب السابق . وقد دلت عليه القرائن

التاريخية الكثيرة كما سمعنا في غضون البحوث السابقة . على حين أن القرامطة والخوارج ، بعيدون عن الضمير الاسلامي وعن قناعة الجماهير المسلمة بفكرتهم وصواب رأيهم .

ولكن الدولة ، على أي حال ، تدرك بشكل أو بآخر ، قيامها بعمل مشترك مع خط الائمة عليهم السلام أحياناً . وذلك : عند رفضها لعمالة جعفر بن علي ، كما سبق أن سمعنا . وعند قتلها لابن ابي العزاقر على يد الخليفة الراضي عام ٣٢٢ [١] ، وعند قتلها للحسين بن منصور الحلاج على يد المقتدر عام ٣٠٩ [٢] . وكلا هذين الاخيرين قد ادعيا السفارة عن المهدي (ع) زوراً . وكان لابن ابي العزاقر موقف عدائي كبير ، على ما سنسمعه .

هذا هو الخط العام لاتجاه الدولة ، كما ترسمه هذه القرائن التاريخية . ولكننا يجب ان لا نتناسى في هذا الصدد عدة أمور ، لا بد أن تدخل في نظر الاعتبار فقد يتغير الميزان حينئذ .

الأمر الأول : تصريح رواياتنا بان الامر كان حاداً جداً في زمان المعتضد ، والسيف يقطر دماً ـ كما يقال ـ [٣] وان سنوات تلك الفترة على وجه العموم (مليئة بالظلم والجور وسفك الدماء) كما صرح به المستشرق رونلدسن [٤] .

---

١ ـ الكامل جـ ٦ ص ٢٤١ .
٢ ـ المصدر ص ١٦٧ .
٣ ـ انظر الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٧٩ والبحار جـ ١٣ ص ٨٤ .
٤ ـ عقيدة الشيعة ص ٢٥٧ .

الامر الثاني : جو التكتم المكهرب الذي كان يعيشه الشعب الامامي بشكل عام،والخاصةمنهم بشكل خاص،و السفراء الاربعة بنحو اخص . اذ كانت السفارة سراً بين الخاص من اهل هذا الشأن ، وكان مايحمل الى ابي جعفر ـ السفير الثاني ـ لايقف من يحمله على خبره ولا حاله وانما يقال : امض الى موضع كذا وكذا فسلم مامعك من غير ان يشعر بشيء . ولا يدفع اليه كتاب الوصول لئلا يتسرب الى الدولة شيء من ذلك [1] .

وقد سمعنا مقدار الخفاء والتكتم الذي كان يلتزمه السفير الاول عثمان بن سعيد،حين كان ينقل المال في جراب الدهن .. ومقدار التقيه التي كان يسير عليها السفير الثالث ابن روح ، في حياته العامة .

وسياتي التعرض لتفاصيل هذا المسلك فيما يلي من البحث والذي نريد التوصل اليه الان ، هو ان هذا المسلك يدل لامحالة على سببه .فان هؤلاء السفراء لو كانوا يشعرون بنسيم من الحرية او غض النظر من الدولة ، في اي يوم من ايامهم لم تصل الحال الى هذا التكتم الشديد والاخفاء المضاعف العميق . فهذا المسلك بنفسه ، يدل بكل وضوح على ما كان يشعر به هؤلاء من الضغط والمطاردة والمراقبة ، ومن العقاب الصارم والنتائج الوخيمة لو ظهر منهم امر او حصلت الدولة تجاههم على مستمسك خطير .

الأمر الثالث : مظاهر الاضطهاد الواسع للقواعد الشعبية الامامية

---

(1) البحار ج ١٣ ص ٨٢ . وغيره من المصادر .

ولعدد من كبرائهم أيضاً ، يكفينا في ذلك العدد الضخم الذي ضبطه أبو الفرج في المقاتل [1] ممن قضت عليه الدولة من العلويين ، وفيهم العظماء والفقهاء . ونحن وان ذكرنا قلة وجود الثورات الداعية إلى الرضا من آل محمد خلال هذه الفترة ، إلا ان المصروعين تحت يد الدولة ، مما لا يمكن احصاؤه .

الأمر الرابع : المطاردة الجادة للامام المهدي عليه السلام ، ومحاولة القاء القبض عليه مهما كلفها الأمر . والدولة وان اعتبرته في ظاهر قانونها شخصاً غير معترف بوجوده ، إلا انها تعرف بوضوح ـ متمثلة بشخص الخليفة وبعض خاصته ـ كون المهدي عليه السلام هو الممثل الحقيقي للحق والعدل الاسلامي المطلق ، الذي يهز كيانها المنحرف من الصميم .

ومن ثم كانت الدولة تجرد بين الحين والحين ، حملة لكبس داره وتفتيشها ، ولم تكن تفلح في أي منها بالوصول إلى غرضها المطلوب . وقد ورد في تاريخنا الخاص ثلاث حملات للكبس ، نذكرها في مستقبل البحث انشاء الله تعالى ، مضافاً إلى الانتباه المتواصل، والاصغاء الدائم إلى كل كلمة وكل عمل يشير اليه أو يدل عليه من قريب أو من بعيد .

فإذا كان رأي الدولة ومسلكها تجاه الامام القائد هو ذلك ، فكيف رأيها ومسلكها تجاه قواعده الشعبية ؟ . وكم ستشعر هذه القواعد بالضغط والمطادرة ، بمجرد ان تعرف ـ وهي دائماً ملتفتة عارفة ـ

---

١ - راجع ص ٨٧ ؛ وما بعدها ج ٣ .

بمطاردة امامها وغيبة قائدها خوفاً وتكتماً من السلطات .

فهذه الامور تبرهن بكل وضوح ، على الجو المكهرب الذي كان يعيشه الشعب الموالي للامام عليه السلام ، بالرغم من الهدوء والتسامح الظاهري الذي يعكسه التاريخ العام عن الدولة في تلك الفترة .

ومن المستطاع القول ، ان الدولة انما لم تنكل بهم ، وتذيقهم ظلمة السجن وحر السيف بوضوح .. لأنهم كانوا أبرع منها في تدبير أمورهم واخفاء نشاطهم ، إلى حد لم تستطع عيون الدولة ان تصل إلى شيء صادر منهم يعد خطراً على الدولة أو يدل من قريب أو بعيد على وجود المهدي (ع) .

والدولة إذ تعدم ذلك ، تكون بطبيعة الحال ، أهدأ بالاً ، مما إذا عثرت على شيء من ذاك القبيل . ومن ثم استطاعت الدولة ان تحافظ على هدوئها النسبي الظاهري خلال فترة الغيبة الصغرى ، بفضل جهود السفراء وخواصهم بالاخفاء والتكتم ، بحيث لا يظهر منهم ما يثيرها أو ينفرها .

* * *

وبعد هذه الجولة الموجزة في الاتجاهات العامة السائدة في المجتمع خلال هذه الفترة .. لا بد لنا من الدخول في تفاصيل تاريخ الغيبة الصغرى . فنتكلم أولاً عن الوكلاء الأربعة في حياتهم الشخصية ووكالتهم وأسلوب نشاطهم ، ونحو ذلك من الأمور. ثم نتكلم عن ظاهرة الوكالة المزورة التي أدعاها عدة أشخاص في تلك الفترة، مع الالماع إلى اساليبهم

وطرق دفعهم ومحاربتهم من قبل المهدي عليه السلام من ناحية ، ومن قبل الدولة من ناحية اخرى . ثم نبدأ بالتكلم عن المهدي عليه السلام بشخصه ، لنتعرف على حياته ونشاطه وتوجيهاته ، خلال هذه الفترة. وهذا ما نعتمده خلال الفصول الآتية .

الفَصل الثالث

السُفراء الأربعة
حياتهم ونشاطهم

عرفنا ان السفراء الأربعة ، الذين تولوا الوكالة الخاصة عن الامام المهدي عليه السلام خلال غيبته الصغرى هم كل من : عثمان بن سعيد العمري،وابنه محمد بن عثمان العمري،والحسين بن روح النوبختي ، وعلي بن محمد السمري . ووجودهم يشكل في الواقع المزية الرئيسية لهذه الفترة ، وبانتهائهم انتهى عهد الغيبة الصغرى .

وضبط السفراء بهذا الشكل من ضروريات المذهب لدى المعتقدين بغيبة الامام المهدي عليه السلام ، ومن واضحات تاريخهم الخاص ، فلا حاجة إلى تجشم العناء في اثباته .

وانما المهم هو التكلم أولاً في حياتهم الشخصية وترجمة كل واحد منهم وسرد ما ورد في شأنهم من نصوص . ثم التكلم ثانياً عن أساليبهم في التبليغ وطرقهم في الاتصال بالناس . ومن ثم نقسم هذا الفصل إلى قسمين رئيسيين :

القسم الاول

في تراجم السفراء الأربعة

ان التعرض إلى حياة السفراءالأربعة الخاصة والعامة ، سيكون في حدود ما وصل الينا من تاريخهم .

السفير الأول :

هو الشيخ الموثوق محمد بن عثمان بن سعيد العمري ، أبو عمرو الأسدي . وانما سمي العمري نسبة إلى جده . وقد قال قوم من الشيعة : ان أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال : لا يجمع على أمرىء بين عثمان، وأبو عمر ، وأمر بكسر كنيته فقيل : العمري[1] بفتح العين وسكون الميم .

ويقال له العسكري أيضاً ، لأنه كان من عسكر وهي سامراء ويقال له : السمان لأنه كان يتجر بالسمن تغطية على الأمر. وكان الشيعة إذا حملوا إلى ابي محمد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال

---

١ - الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٤ .

انفذوا إلى ابي عمرو ، فيجعله في جراب السمن وزقاقه ، ويحمله إلى ابي محمد (ع) تقية وخوفاً [1].

له من الأولاد : محمد وهو السفير الثاني ، واحمد [2].

لم يرد في المصادر التاريخية تحديد عام ولادته، ولا عام وفاته . وانما يرد أسمه أول ما يرد كوكيل خاص للامام الهادي عليه السلام [3] وكان يستوثقه ويمدحه بمثل قوله : هذا أبو عمر الثقة الأمين . مـــا قاله لكم فعني يقوله ، وما أداه اليكم فعني يؤديه [4].

وهذا النص بنفسه ، يـدل على سنخ النشاط الذي كان يقوم به ابو عمرو ، وهو نقل المال والمقال من الامام الهادي (ع) ، واليه فكان يمثل مع جماعة اخرين دور الوساطة بينه وبين قـواعده الشعبية ، في الفترة التي عرفنا ان الامام (ع) بدأ بتطبيق مسلك الاحتجاب عن مواليـه تعويداً لهم على الغيبة التي سوف يواجهونها في حفيده المهدي (ع) .

وحـين يلقى الامام الهادي عليه السلام ربـه عام ٢٥٤ ، يصبح ابو عمرو وكيلا خاصاً موثوقـاً للامـام العسكري عليه السلام ، ذا نشاط ملحوظ وبراعة في العمل . فقد سمعنا كيف كان يحمل المـال في زقاق السمن،ويسير على المسلك الذي يخططه‌الامام في الاخفاءوالتكتم.ويظهر امام الناس كتاجر اعتيادي بالسمن،تغطية على حاله ومسلكه‌وعقيدته.

---

١ – المصدر السابق ص ٢١٤ .

٢ – نفس المصدر ص ٢٥٦ .

٣ – انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٠٥ ورجاله ص .

٤ – غيبة الشيخ الطوسي ص ٢١٥ .

وكان الامام العسكري عليه السلام يكثر من مدحه والثناء عليه في مناسبات مختلفة ، وامام اناس كثيرين .

فمن ذلك انه (ع) قال : هذا ابو عمرو الثقة الامين . ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات . فما قاله لكم فعنى يقوله ، ومـــا ادى اليكم فعني يؤدي [1] . وقـال امام وفـــد من اليمن : امض ياعثمان ، فانك الوكيل والثقة المامون على مال الله .. [2] .

حتى اشتهر حاله وجلالة شانه بين الشعب الموالي .قال ابو العباس الحميري : فكنا كثيراً مانتذاكرهذا القول ،ويعني مدح الامامالعسكري له ، ونتواصف جلالة محل ابي عمرو [3] وقال وفد اليمن حين سمع من الامام مدحه : ياسيدنا ان عثمان لمن خيار شيعتك ، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وانـه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى [4] . فـلم تزل الشيعة مقيمة على عدالته [5] وتتسالم على وثاقته وجلالة قدره .

وحين يولد للامام العسكري عليه السلام ولده المهدي يبعث الى ابي عمرو يأمره بان يشتري عشرة آلاف رطل خبز وعشرة آلاف رطل لحم ويفرقه على بني هاشم ، وان يعق بكذا وكذا شاة [6] .

---

١ - الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٥ .
٢ - نفس المصدر ص ٢١٦ .
٣ - نفس المصدر ص ٢١٥ .
٤ - المصدر نفسه ص ٢١٦ .
٥ - المصدر والصفحة .
٦ - الاكمال المخطوط .

وينص الامام العسكري (ع) في مجلس حافل بالخاصة، يعدون باربعين رجلا، عرض فيه ولده المهدي عليه السلام ونص فيه على امامته وغيبته .. ينص على وكالة عثمان بن سعيد عن المهدي (ع) وسفارته له قائلاً: فاقبلوا من عثمان مايقوله، وانتهوا الى امره، او اقبلوا قوله فهو خليفة امامكم والامر اليه[1].

وحين يلقى الامام العسكري عليه السلام ربه، عام ٢٦٠، يحضر ابو عمرو عثمان بن سعيد تغسيله، ويتولى جميع امره في تكفينه وتحنيطه واقباره[2]. وبرر الشيخ الطوسي ذلك بانه كان «ماموراً بذلك للظاهر من الحال التي لايمكن جحدها ولا دفعها الا بدفع حقائق الاشياء في ظواهرها»[3]. يشير الى اختفاء المهدى عليه السلام، وعدم تمكنه من القيام بتغسيل والده والقيام بامره. ولكننا ـ على اي حال ـ سبق ان سمعنا كيف ان الامام المهدى عليه السلام، اقام الصلاة على ابيه بنفسه، ودفع عن ذلك عمه جعفر امام جماعة من الناس، منهم عثمان بن سعيد السمان نفسه. ومن ثم يمكن القول: بانه يمكن للامام المهدي عليه السلام، ان يغسل اباه في داره سراً، قبل ان ينقل جثمانه امام الجمهور. وظاهر عبارة الشيخ قيامه عليه السلام بالتغسيل بحضور ابي عمرو. ثم قيام ابي عمرو بنفسه بباقي شؤونه من تكفين وتحنيط وإقبار. والله العالم بحقائق الامور.

---

١ - غيبة الشيخ ص ٢١٧.

٢ - المصدر ٢١٦.

٣ - المصدر والصفحة.

وعلى اي حال ، فهو يصبح من ذلك الحين السفير الاول للمهدي عليه السلام ، بنص الامام العسكري عليه السلام ، كما سمعنا ، ونص الامام المهدي عليه السلام أمام وفد القميين ، كما سبق في القسم الاول من هذا الكتاب . . فيضطلع بالمهمة العظمى في ربط الامام بقواعده الشعبية وتبليغ توجيهاته وتعاليمه وانحاء تدبيره وادارته اليهم. وايصال اسئلتهم ومشاكلهم واموالهم اليه وتنفيذ اوامر الامام وتوجيهاته فيهم .

ويبقى ابو عمرو مضطلعاً بمهام السفارة ، وقائماً بها خير قيام ، الى ان يوافيه الاجل . فيقوم ابنه ابو جعفر محمد بن عثمان بتغسيله وتجهيزه[1] . ويدفن ـ كما قال ابو نصر هبة الله بن محمد ـ في الجانب الغربي من بغداد ، في شارع الميدان في اول الموضع المعروف بدرب جبلة في مسجد الدرب ، يمنة الداخل اليه ، والقبر في نفس قبلة المسجد .

قال الشيخ الطوسي : رأيت قبره في الموضع الذي ذكره ، وكان بني في وجهه حائط ، به محراب المسجد ، والى جنبه باب يدخل الى موضع القبر في بيت ضيق مظلم . فكنا ندخل اليه ونزور مشاهرة . قال : وكذلك من وقت دخولي الى بغداد وهي سنة ثمان واربعمائه الى سنة نيف وثلاثين واربعمائه .

ثم نقض ذلك الحائط الرئيس أبو منصور محمد بن الفرج ، وابرز القبر إلى براً ـ أي إلى الخارج ـ وعمل عليه صندوقاً ، وهو تحت سقف يدخل اليه من اراده ويزوره .

---

١ ـ الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢١ .

قال الشيخ : ويتبرك جيران المحلة بزيارته ، ويقولون : هو رجل صالح ، وربما قالوا : هو ابن داية الحسين (ع) . ولا يعرفون حقيقة الحال فيه. وهو إلى يومنا هذا ـ وذلك سنة سبع واربعين واربعمائة ـ على ما هو عليه [1] .

أقول : وقبره الآن مشيد معروف ببغداد ، يزار ويتبرك به .

ونستطيع ان نعرف من جهالة الناس لحقيقة قبره في زمان الشيخ الطوسي « قده » مقدار الغموض والكتمان الذي كان يحيط السفارة المهدوية ، في حياة السفير وبعد مماته ، بل بعد ما يزيد على مائتي سنة على دفنه .

ولم يفت أبو عمرو قبل وفاته ، أن يبلغ أصحابه وقواعده الشعبية ، ما هو مامور به من قبل المهدي عليه السلام ، من ايكال السفارة بعده إلى ابنه محمد بن عثمان ، وجعل الأمر كله مردوداً اليه [2]

ويكون لوفاته رنة اسى في قلوب عار في فضله ومقدري منزلته وخاصة الامام المهدي (ع) نفسه ، فنراه يكتب إلى ابنه السفير الثاني يعزيه بابيه قائلاً : انا لله وإنا اليه راجعون . تسليماً لأمره ورضاءً بقضائه . عاش أبوك سعيداً ومات حميداً ، فرحمه الله والحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام . فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل واليهم . نضر الله وجهه وأقال عثرته .

---

١ – المصدر ص ٢١٨ .

٢ – غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٢١ .

وفي فصل آخر من كتابه اليه يقول عليه السلام : اجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء ، رزيت ورزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا فسره الله في منقلبه كان من كمال سعادته ان رزقـه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده ، ويقوم مقامـه بامره ، ويترحم عليه . وأقول : الحمد لله . فإن الانفس طيبة بمكانك وما جعله الله تعالى فيك وعندك . اعانك الله وقواك وعضدك ووفقك ، وكان لك ولياً وحافظـاً وراعياً وكافياً [١] .

وفي هذين النصين،من المعاني الاسلامية السامية ، في أسلوب الترحم على المؤمن والدعاء له والثناء عليه ، مـا فيه بصيرة لمن القى السمع وهو شهيد .

السفير الثاني :

هو الشيخ الجليل محمـد بن عثمان بن سعيد العمري ، تولى السفارة بعد ابيه ، بنص من الامـام العسكري عليه السلام ، حيث قال عليه السلام لوفد اليمن الذي أشرنا اليه : واشهدوا عـليّ ان عثمان بن سعيد وكيلي ، وان ابنه محمد وكيل ابني مهديكم [٢] . وبنص ابيه على سفارته بأمر من المهدي (ع) [٣] .

وكانت قواعده الشعبية مجتمعة على عدالته وثقته وامانته،لا يختلف في ذلك اثنان من الامامية . وكيف لا وفيه وفي ابيه ، قال الامـام

---

١ - المصدر ص ٢٢٠_وما بعدها .

٢ - المصدر ص ٢١٦ .

٣ - المصدر ص ٢١٨ و ص ٢٢١ .

الحسن العسكري عليه السلام ، لبعض أصحابه : العمري وابنه ثقتان فما أديا فعني يؤديان ، وما قالا لك فعني يقولان ، فاسمع لهما واطعمهما فانهما الثقتان المامونان [١] .

وكلمات الامام المهدي عليه السلام فيه ، متظافرة ومتواترة ، فقد سمعناه يعزيه بوفاة ابيه ويثني عليه الثناء العاطر ، ويشجعه وهو في أول أيام اضطلاعه بمهمته الكبرى . وقال في حقه : لم يزل ثقتنا في حياة الأب - رضي الله عنه وأرضاه وانضر وجهه - يجري عندنا بجراه ويسد مسده ، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل [٢] . وغير ذلك من عظيم الاجلال والأكبار [٣] .

والتوقيعات كانت تخرج على يده من الامام المهدي (ع) في المهمات ، طول حياته ، بالخط الذي كانت تخرج في حياة ابيه عثمان . لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره ولا يرجع إلى أحد سواه . وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ، ومعجزات الامام ظهرت على يده ، وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة [٤] .

وبقي مضطلعاً بمسؤولية السفارة نحواً من خمسين سنة [٥] . حتى لقي ربه العظيم في جمادي الأولى سنة خمس وثلاثمائة [٦] أو أربع

---

١ - الغيبة ص ٢١٩ .
٢ - المصدر ص ٢٢٠ .
٣ - نفس المصدر والصفحة .
٤ - نفس المصدر ص ٢٢١ .
٥ - نفس المصدر ص ٢٢٣ .
٦ - انظر الغيبة ص ٢٢٣ والكامل ج ٦ ص ١٥٩ وابن الوردي ج ١ ص ٢٥٥ .

وثلاثمائة [1] . ومعنى ذلك انه توفى بعد وفاة الامـام العسكري عليه السلام بخمس واربعين سنة ، وحيث ان والده رضي الله عنه ، قـــد اضطلع بالسفارة عدة أعوام فالاولى أن يقال : ان سفارته امتدت حوالي الاربعين عاماً ، لا نحواً من الخمسين ، كما قال الشيخ في الغيبة .

وإذ يكون تاريخ وفاة ابيه مجهولاً ، مع الأسف، يكون مبدأ توليه للسفارة مجهولاً أيضاً ، غير اننا نعرف انه كان سفيراً قبل عام ٢٦٧ لأن ابن هلال الكرخي طعن في سفارته ، وكان أحـــد المنحرفين عن خطه على ما سنسمع في الفصل الآتي ، وكانت وفاة ابن هـــلال عام ٢٦٧ [2] أي بعد وفاة الامام العسكري بسبع سنين، وبذلك يمكن القول على وجه التقريب :ان الشيخ عثمان بن سعيد تولى السفارة خمس سنوات وتولاها ابنه أربعين سنة .

وبهذا التحديد لمدة سفارته ، نستطيع أن نعرف ، انه رضي الله عنه ، أطول السفراء بقاءً في السفارة ، ومن ثم يكون أكثرهم توفيقاً في تلقي التعاليم من الامـام المهدي (ع) ، وأوسعهم تأثيراً في الوسط الذي عاش فيه ، والذي كان ماموراً بقيادته وتدبير شؤونه .

وكان لابي جعفر العمري ، كتب مصنفه في الفقه ، مما سمعه مـن ابي محمد الحسن العسكري عليه السلام،ومن الصاحب « المهدي »(ع) ومن ابيه عثمان بن سعيد عن ابي محمد وعن ابيه علي بن محمد « الامام

---

١ - انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٢٣ واعلام الورى ص ٤١٦ .

٢ انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٥ ورجال النجاشي ص ٦٥ .

الهادي » عليهما السلام . فيهـــا كتب ترجمتها : كتب الاشربـه . ذكرت الكبيرة أم كلثوم بنت ابي جعفر انها وصلت إلى ابي القاسم الحسين بن روح ـ رضي الله عنه ـ عند الوصية اليه ، وكانت في يده قال أبو نصر : واظنها قالت : وصلت بعـــد ذلك إلى ابي الحسن السمري ـ رضي الله عنه وارضاه [١] .

كان يعلم ـ بارشاد من الامام المهدي عليه السلام ـ بزمان موته، اذ حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج . يقول الراوي : فسألته عن ذلك ،فقال : للناس اسباب . وسألته عن ذلك ، فقال : قـد امرت ان اجمـع امري فمات بعد ذلك بشهرين .

وكان قد اعد لنفسه ساجة نقش النقاش آيات من القرآن الكريم واسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيها . قال الراوى : فقلت لـــه : يا سيدي ما هذه الساجة ؟ فقال لي : هذه لقبري تكون فيه أوضع عليها « أو قال : اسند عليها » . وقد عرفت عنه . وانا في كل يوم انزل فيه فاقرأ جزءاً من القرآن فيه وأصعد.وأظنه قال : فأخذ بيده وأدانبه .

فإذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا وكـــذا صرت إلى الله عز وجل،ودفنت فيه وهذه الساجة معي . قال الراوي: فلما خرجت من عنده أثبت ما ذكره ، ولم أزل مترقباً بـه ذلك ، فما تأخر الأمر ، حتى اعتل أبو جعفر ، فمات في اليوم الذي ذكره من الشهر الذي قاله من السنة التي ذكرها [٢] .

---

١ ـ الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢١.

٢ ـ الغيبة ص ٢٢٢ ، انظر كل هذه التفاصيل .

ولم يفت أبو جعفر العمري رضي الله عنه ، ان يوصي إلى خلفه السفير الثالث : الحسين بن روح،بامر من الحجة المهدي (ع).وسنعرف تفاصيل ذلك فيما يلي .

وعند ما توفى أبو جعفر العمري ، دفن عند والدته ، في شارع باب الكوفة في الموضع الذي كانت دوره ومنازله فيه . قال الراوي : وهو الآن في وسط الصحراء . أقول : وقبره الآن مشيد معروف « بالخلاني » يزار للذكرى والتبرك . قدس الله روحه .

السفير الثالث :

هو الشيخ الجليل ابو القاسم الحسين بن روح ابن ابي بحر النوبختي، من بني نوبخت .

وهو كغيره من السفراء وغيرهم ، لم تذكر عام ولادته ، ولا تاريخ مبدأ حياته . وانما يلمع نجمه اول لمعانه كوكيل مفضل لابي جعفر محمد بن عثمان العمري ، ينظر في أملاكه ، ويلقي باسراره لرؤساء الشيعة وكان خصيصاً به، حتى انه كان يحدثه بما يجري بينه وبين جواريه لقربه منه وانسه . فحصل في انفس الشيعة محصلا جليلاً لمعرفتهم باختصاصه بابي جعفر وتوثيقه عندهم ، ونشر فضله ودينه ، وما كان يحتمله من هذا الامر «يعني الدعوة الامامية المهدوية» . فمهدت له الحال في طول حياة ابي جعفر ، الى ان انتهت الوصية اليه بالنص عليه .فلم يختلف في امره ولم يشك فيه احد[1] .

---

١ - غيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٧ .

وقد قدم بعض الموالين بمال على ابي جعفر العمري مقداره اربعمئة دينار للامام عليه السلام . فامره باعطاءها الى الحسين بن روح . وحين تردد هذا الشخص في ذلك ، باعتبار عدم وصـول السفارة اليه يومئذ . فاكد ابو جعفر عليه ذلك وامره مكرراً باعطاء المال لابن روح، وذكر له ان ذلك بامر الامام المهدي عليه السلام»[1] .

وكان تحويله على ابي القاسم ابن روح قبل موته بسنتين او ثلاث[2] حتى ماذا اشتدت بابي جعفر العمرى حاله ، اجتمع لديه جماعة من وجوه الشيعة ، منهم : ابو علي بن همام وابو عبد الله بن محمد الكاتب وابو عبد الله الباقطاني وابو سهل اسماعيل بن علي النوبختي ، وابو عبد الله بن الوجناء ، وغيرهم من الوجوه والاكابر . فقالوا له : ان حدث امر ، فمن يكون مكانك ؟ فقال لهم: هذا ابو القاسم الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي ، القائم مقامي ، والسفير بينكم وبين صاحب الامر عليه السلام ، والوكيل والثقة الامين ، فارجعوا اليه في اموركم وعولوا عليه في مهماتكم ، فبذلك امرت . وقد بلغت[3] .

ويروي عن ابي جعفر بن احمد بن متيل ، وهو من متقدمي اصحابه واجلائهم ، انه قال : لما حضرت ابا جعفر محمد بن عثمان العمري الوفاة ، كنت جالساً عند رأسه اساله وأحدثه ، وأبو القاسم ابن روح عند رجليه . فالتفت إلي ثم قال : امرت ان اوصي الى ابي القاسم

١ – انظر المصدر السابق ص ٢٢٤ .

٢ – نفس المصدر ص ٢٢٥ .

٣ – نفس المصدر ص ٢٢٧ .

الحسين بن روح . قال ابن متيل : فقمت من عند رأسه واخذت بيد ابي القاسم واجلسته في مكاني ، وتحولت الى عند رجليه [1] . الى غير ذلك من تاكيدات ابي جعفر عليه ، واعلان وكالته . والسبب المهم في هذا التاكيد ، هو كون الحسين بن روح ، لم يكن قد عاش تاريخاً زاهرا حافلاً باطراء وتوثيق الائمة عليهم السلام ، كالتاريخ الذي عاشه السفيران السابقان ، حتى قبل توليهما للسفارة . ومن ثم احتاج ابو جعفر العمري ، من اجل ترسيخ فكرة نقل السفارة الى الحسين بن روح ، وتوثيقه في نظر قواعده الشعبية الموالية لخط الأئمة عليم السلام ان يكرر الاعراب عن مهمته في ايكال الأمر اليه ، وان يامر بدفع اموال الامام (ع) اليه قبل وفاته بعامين او أعوام .. بامر من الامام المهدي عليه السلام .

على ان أبا القاسم ابن روح ، على جلالة قدره وقربه من السفير الثاني واختصاصه به ، لم يكن خير أصحابه ، ولم يكن الاخص تماماً به ، فقد كان لابي جعفر من يتصرف له ببغداد نحو من عشرة انفس وأبو القاسم ابن روح – رضي الله عنه – فيهم . وكلهم كانوا اخص به من ابن روح ، حتى انه كان إذا احتاج إلى حاجة أو إلى سبب فانه ينجزه على يد غيره ، لما لم تكن له تلك الخصوصية . فلما كان وقت مضى أبو جعفر – رضى الله عنه – وقع الاختيار عليه ، وكانت الوصية اليه [2] .

---

١ – انظر الغيبة ص ٢٢٦ .

٢ – المصدر ص ٢٢٥ .

فكان في ايكال السفارة اليه ، مصلحتان مزدوجتان ، أولاهما : وصول هذا المنصب إلى الشخص المخلص اخلاصاً بحيث لو كان المهدي تحت ذيله وقرض بالمقاريض ، لما كشف الذيل عنه . كما سمعنا في حقه وقد سبق أن قلنا : أن مهمة السفارة انما تستدعي هذه الدرجة من الاخلاص لاهميتها وخطر شانها ، ولا تستدعي العمق الكبير في الثقافة الاسلامية ، أو سبق التاريخ مع الأئمة عليهم السلام ، فانها انما تعني بشكل مباشر نقل الرسائل من المهدي عليه السلام واليه ، وتطبيق تعاليمه .. وهذا يكفي فيه ما كان عليه أبو القاسم بن روح ، من الاخلاص والثقافة الاسلامية ، ويزيد .

المصلحة الثانية : غلق الشبهة التي تصدر من المرجفين ، من انه انما أوكل الامر إلى ابن روح ، باعتبار كونه اخص أصحاب ابي جعفر العمري ، والصقهم به .. فانه لم يكن باخصهم ولا بالصقهم ، وان كان من بعض اخصائه في الجملة .

بل كانت الأذهان بعيدة عنه وكان احتمال الايكال اليه ضعيفاً عند الواعين المستبصرين بشؤون المجتمع من أصحابه ، حتى احتاج أبو جعفر لأجل ترسيخ فكرة الايكال اليه وايضاحها ، إلى تكرار الاعلان عن ذلك ، وتقديمه على ساعة موته بسنوات . وانما كانت الظنون تحوم حول أشخاص آخرين ، أرسخ من ابي القاسم ثقافة وتاريخاً كجعفر بن أحمد بن متيل و أبيه ، باعتبار خصوصيته وكثرة كينونته في منزله ، حتى بلغ انه كان في آخر عمره لا ياكل طعاماً إلا ما طبخ في

منزل جعفر بن أحمد بن متيل وابيه. وبالرغم من ذلك فقـــد أوكلت السفارة إلى الحسين بن روح . فسلم به الأصحاب ، وكانوا معـه وبين يديه ، كما كانوا مع ابي جعفر ـ رضي الله عنه ـ [1] . ولم يزل جعفر بن أحمد بن متيل من جملة أصحـاب ابي القاسم ابن روح وبين يديـه كتصرفه بين يدي ابي جعفر العمري .. إلى ان مات رضي الله عنـه فكل من طعن على أبي القاسم فقد طعن على ابي جعفر ، وطعن على الحجة صلوات الله عليه [2] .

وعلى اي حال ، فقد تولى الحسين بن روح السفارة فعـــلاً ، عن الامام المهدي عليه السلام .. بموت ابي جعفر العمري عام ٣٠٥ كما عرفنا الى ان لحق بالرفيق الاعلى في شعبان عـــام ست وعشرين وثلثمائة . فتكون مدة سفارته حوالي الواحدة والعشرين سنة . فان استطعنا ان نضيف العامين او الثلاث ، التي امر فيها ابو جعفر العمري قبل موته بتسليم الاموال اليه ، ونص عليه بالوكالة ، وتصورنا ان السفارة حينئذ كانت مسندة الى شخصين دفعة واحدة . . فتكون مدة سفارته ثـلاث وعشرون عاماً ، او اكثر .

وكان اول كتاب تلقاه من الامام المهدي عليه السلام، كتاب يشتمل على الثناء عليه ، ومشاركة الحملة التي بدأها ابوجعفر العمري في تعريف الحسين بن روح للرأي العام والاصحاب ، ممن مشى على خط الائمـــة

---

١ ـ الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٥ .
٢ ـ المصدر والصفحة .

عليهم السلام . وقد مثل هذا الكتاب آخر واهم خطوة في هذا الطريق لكي يبدأ هذا السفير بعدها مهمته بسهولة ويسر .وقد دعا له المهدي(ع) في الكتاب ، وقال : عرفه الله الخير كله ورضوانه ، واسعده بالتوفيق وقفنا على كتابه ، وثقتنا بما هو عليه . وانه عندنا بالمنزلة والمحل اللذين يسر انه زاد الله في احسانه اليه . انه ولي قدير . والحمد لله لاشريك له وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليما كثيراً .

وقد وردت هذه الرقعة يوم الاحد لست خلون من شوال سنة ٣٠٥ . بعد حوالي الخمسة اشهر من وفاة ابي جعفر العمري ، الذي توفي في جمادي الاول من نفس العام .

وقد اضطلع ابو القاسم منذ ذلك الحين بمهام السفارة ، وقام بها خير قيام ، وكان من مسلكه الالتزام بالتقيه المضاعفة ، بنحو ملفت للنظر ، باظهار الاعتقاد بمذهب اهل السنة من المسلمين . يحفظ بذلك مصالح كبيرة ، ويجلب بها قلوب الكثيرين ، على ما يأتي التعرض له فيما يلي من البحث . حتى اننا نسمع انه يدخل عليه عشرة اشخاص تسعة يلعنونه وواحد يشككك ، فيخرجون منه تسعة منهم يتقربون الى الله بمحبته وواحد واقف . يقول الراوي : لانه كان يجارينا من فضل الصحابة ما رويناه وما لم نروه ، فنكتبه نحن عنه ـ رضي الله عنه ـ [1] . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على لباقته وسعة اطلاعه وتوجيهه على هذا المسلك من قبل الامام المهدي عليه السلام . وقد تولى

١ـ المصدر ص٢٢٨

٢ ـ الغيبة ص ٢٣٨ .

ـ رضي الله عنه ـ ايام سفارته الحملة الرئيسية ضد ظاهرة الانحراف عن الخط ، وادعاء السفارة زوراً ، بتبليغ القواعد الشعبية توجيهات المهدي عليه السلام في ذلك ، وشجبه ظاهرة الانحراف عن الخط وادعاء السفارة زوراً ، بتبليغ القواعد الشعبية توجيهات المهدي عليه السلام في ذلك وشجبه لظاهرة الانحراف . كما سيأتي التعرض لـه في الفصل الآتي .

وبقي مضطلعاً بمهامه العظمى ، حتى لحق بالرفيق الاعلى عام ٣٢٦ كما عرفنا ، ودفن في النوبختية في الدار الذي كانت فيه دار علي بن أحمد النوبختي النافذ الى التل ، او الى درب الاخر والى قنطرة الشوك ـ رضي الله عنه ـ [١] . اقول : كذا قال التاريخ . وقبره اليوم في بغداد معروف .. مقصد ومزار .

السفير الرابع :

هو الشيخ الجليل ابو الحسن علي بن محمد السمري او السيمري او الصيمري . والمشهور جداً هو الاول مضبوطاً بفتح السين والميم معاً . والاخرين مضبوطين بفتح اولها وسكون الياء وفتح الميم وربما قيل بالضم ايضاً .

لم يذكر عام ميلاده، ولا تاريخ فجر حياته ، وانما ذكر اولاكواحد من اصحاب الامام العسكري عليه السلام [٢] . ثم ذكر قائماً بمهام

---

١ ـ الغيبة ص٢٣٨ .

٢ ـ رجال الشيخ الطوسي ص ٤٣٢ . بعنوان الصيمري . وانظر كشف الغمة جـ ٣ ص ٢٠٧ .

السفارة المهدوية ببغداد ، بعد الشيخ ابن روح ، بايعاز منه عن الامام المهدي عليه السلام [1] .

ولم يرد في هذا الايعاز خبر معين ، وانما يعرف بالتسالم والاتفاق الني وجد على سفارة السمري بين الموالين ، الناشيء لامحالة من تبليغ ابن روح عن الامام المهدي (ع) . وقد سبق ان قلنا ان مثل هذا التسالم والاتفاق ، كانت القواعد الشعبية الموالية للامـام (ع) تعتمده وتتبعـه فيتبع في ذلك الجاهل العالم والبادي الحاضر . ووجود هـــذا التسالم مأخوذ في التاريخ جيلا بعد جيل عن جيل الغيبة الصغري ،ممـــا يعلم بوجوده ويحرز تحققه بالقطع واليقين .

تولى السفارة من حين وفاة ابو القاسم بن روح عام ٣٢٦ ، الى ان لحق بالرفيق الاعلى عام ٣٢٩ في النصف من شعبان [2] فتكون مــــدة سفارته عن الامام المهدي عليه السلام ثلاثة اعوام كاملة ، غير ايام .

ولم ينفتح للسمري ، خلال هذا الزمان القصير ، بالنسبة الىاسلافه القيام بفعاليات موسعة ، كالتي قاموا بها ، ولم يستطع ان يكتسب ذلك العمق والرسوخ في القواعد الشعبية كالذي اكتسبوهُ . وان كان الاعتقاد بجلالته ووثاقته كالاعتقاد بهم .

فما ذكره بعض المستشرقين ، من انه ـ أي السمري ـ ربما أدركته

---

١ – اعلام الورى ص ٤١٧ .

٢ – انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٢ . وفي اعلام الورى انه توفى عام ٢٢٨ . ص ٤١٧ . والمعتمد ما ذكره الشيخ الطوسي . قده .

الخيبة ، فشعر بتفاهة منصبه وعدم حقيقته كوكيل معتمد للامـــام المفترض [1] .. ناشيء من عقيدة ذلك المستشرق في انكار الاسلام وانكار وجود المهدي عليه السلام . والا فاي تفاهة في مثل هذا المنصب الخطير الذي عرفنا خطوطه واهميته . وهو يمثل القيادة العامة للملايين، بالنيابة عن إمامهم ، في ظروف معاكسة خطرة ، ودولة مراقبة ومطاردة لهذا الخط وللسائرين عليه .

كما ان الشعور بعدم حقيقة الوكالة ، أمر لا معنى له على الاطـلاق بالنسبة إلى موقفه المباشر من الامام المهدي عليه السلام، وتلقي التعليمات والتوقيعات منه ، واستيثاق قواعده الشعبية وعلماء الطائفـة يومئـذ به ، وركونهم اليه . وانما كلام هذا المستشرق ناشيء من عقائده الخاصة ولله في خلقه شؤون .

نعم ، لا يبعد أن يكون لما ذكره ذلك المستشرق من كون تلك السنوات « مليئة بالظلم والجور وسفك الدمـــاء » [2] دخل كبير في كفكفة نشاط هذا السفير ، وقلة فعالياته . فان النشاط الاجتماعي يقترن وجوده دائماً ، بالجو المناسب والفرصة المواتية . فمع صعوبـة الزمان وكثرة الحوادث وتشتت الأذهان ، لا يبقى هناك مجـــال مهم لمثل عمله المبني على الحذر والكتمان .

وهذا بنفسه ، من الأسباب الرئيسية لانقطاع الوكالة بوفاة السمري

---

١ – عقيدة الشيعة لرونلدسن . ص ٢٥٧ .

٢ – المصدر والصفحة .

وعزم الامام المهدي عليه السلام على الانقطاع عن الناس ، كما انقطع الناس عنه ، وفرقتهم الحوادث عن متابعة وكلائه .. إلى أسباب اخرى نشير اليها في فصل آتٍ من هذا التاريخ .

ولذا نجد السمري رضي الله عنه ، يخرج إلى الناس قبل وفاته بايام ، توقيعاً من الامام المهدي عليه السلام ، يعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى وعهد السفارة بموت السمري ، ويمنعه عن أن يوصي بعد موته إلى أحد ليكون سفيراً بعده .

ويقول عليه السلام فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم :

يا علي بن محمد السمري ! أعظم الله أجر أخوانك فيك . فانك ميت ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ولا توص الى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك . فقد وقعت الغيبة التامة . فلا ظهور إلا باذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً .

وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة ، إلا فمن أدعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة ، فهو كذاب مفتر . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . » .

فكان هذا آخر خطاب خرج من الامام المهدي عليه السلام ، عن طريق السفارة الخاصة ، وآخر ارتباط مباشر بينه وبين الناس في الغيبة الصغرى .

قال الراوي : فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده . فلما كان اليوم السادس عدنا اليه وهو يجود بنفسه . فقيل له : من وصيك من بعدك ؛ فقال : « لله أمر هو بالغه » وقضى . فهذا آخر كلام سمع منه ، رضي الله عنه وارضاه[1] .

وأودع الأرض في قبره الذي هو في الشارع المعروف بشارع الخلنجي من ربع المحول ، قريب من شاطىء نهر ابي عقاب[2] .

أقول : وله الآن في بغداد مزار معروف .

تلخيص وتطبيق :

ظهر مما سبق أن فترة الغيبة الصغرى دامت على التحديد تسعا وستين عاماً وستة أشهر وخمسة عشر يوماً . شغل منها السفير الأول : عثمان بن سعيد ، حوالي الخمس سنوات . أي انه لم يتعد فترة خلافة المعتمد . فكما عاصر هذا الخليفة وفاة الامام العسكري (ع) عاصر أيضاً وفاة السفير الأول رضي الله عنه .

وشغل السفير الثاني : محمد بن عثمان حوالي الاربعين عاماً منها عاصر فيها بقية خلافة المعتمد ، ثم خلافة المعتضد ، ثم خلافة المكتفي ثم عشر سنوات من خلافة المقتدر . حين توفى عام ٣٠٥ من الهجرة .

وشغل السفير الثالث : الحسين بن روح ، بعد وفاة سلفه ، أحد وعشرين عاماً. عاصر فيها بقية خلافة المقتدر ، وقسما من خلافة الراضي

---

١ — غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٣ .

٢ المصدر والصفحة .

حيث خلفه السفير الرابع علي بن محمـــد السمري ، حيث بقي في السفارة ثلاث سنين ، وتوفى عام وفاة الراضي نفسه ، وان عاصر خلفه المتقي مدة خمسة أشهر وخمسة أيام .

فما ينقل عن بعضهم من ان مـدة الغيبة الصغرى أربعاً وسبعين سنة [1] . مبني على التسامح في الحساب . أو على ادعاء ان الغيبة الصغرى تبدأ من حين ميلاد الامام المهدي (ع) نفسه عام ٢٥٥ . أي قبل خمس سنوات من عام وفاة الامام العسكري (ع) . فاذا اضفناها إلى التسع وستين سنة ، كان المجموع ٧٤ عاماً .

إلا ان هذه الدعوى، مبنية على التسامح في الاعتبار أيضاً . فان الامام المهدي (ع) وان كان غائباً في حياة ابيه عليهما السلام ، كما سبق ان عرفنا ، إلا ان هـذه الغيبة لا تعـد من الغيبة الصغرى البتة . لأن المهدي (ع) كان طوال مدتها معاصراً لأبيه عليه السلام ، والامـام في زمان ابيه غير متحمل للمسؤولية ، ولا تربع على منصب الامامة ، وانما يتولاها – على أي حال – بعد أبيه لا محالة ، اذن فالامام المهدي عليه السلام ، انما تولى الامامة بعد وفاة ابيه عليهما السلام .

ونحن انمـــا نتحدث عن غيبته عن قواعده الشعبية بصفته اماماً مفترض الطاعة عليهم ، حيث يكون المفروض – لولا الغيبـة – ان يكون مرتبطاً بهم وقائداً لهم وموجهاً لمجتمعهم ، وهذا ممـا لم يتحمل

---

١ – انظر البحار ج ١٣ ص ٠٠

المهدي (ع) مسؤوليته في حياة ابيه، إذن فيتعين القول : بان الغيبة الصغرى للامام المهدي (ع)، هي غيبته بصفته اماماً ، مع اقترانهـــا بفكرة السفارة . ومعه تكون مدتها ما قلناه لا ما أدعوه .

القسم الثاني

في نشاط السفراء

بعد هذه الجولة ، في تراجم السفراء الاربعة ، ينبغي لنا ان نحيط علماً باوجه النشاط والفعاليات التي كان يقوم بها السفراء واساليبهم في ذلك ، والنتائج المتوخاة منها : ونحو ذلك من التفاصيل .

ونحن خلال هذا البحث ، لانحاول استقصاء كل ما ورد في تاريخهم من اخبار ، وانما حسبنا ان نعطي لكل عنوان من الامثلة ما يجليه دون اسهاب وتطويل .

ونحن إذ نتحدث عن نشاط السفراء ، نتحدث عنهم بنحو عام لأنهم يكادون أن يكونوا متماثلين في الأسلوب متشابهين في الأهداف باعتبار صدورهم من مصدر واحد ، هي توجيهات الامام المهدي عليه السلام ، بحسب ما يرى من المصالح . ما عدا ما قد يقوم به بعض السفراء من عمل اضافي واسلوب زائد ، سنراه في مستقبل البحث .

ونتكلم في هذا القسم عن حقلين رئيسيين : أولهما : في الخصائص

العامة والمضمون الاجتماعي للسفارة . وثانيهما : في تفاصيل أعمال السفراء .

الحقل الأول : في الخصائص العامة والمضمون الاجتماعي للسفارة .

ويقع الحديث حول ذلك ضمن عدة أمور :

الأمر الأول : ان ما أشرنا اليه قبل قليل من كون السفراء على العموم متماثلين في الأساوب والأهداف ، لم يؤثر على بحثنا فحسب ، بل أثر فعلاً على النقل التاريخي لأعمالهم وللتوقيعات التي تخرج على يدهم . ففي عدد مهم من الموارد يهمل أسم السفير اهمالاً ، وانما يقال مثلاً : كتبت إلى الناحية . وجاء الجواب . ولا يكون هناك أي تعرض للسفير المتوسط في الأمر .

والسر في ذلك غير خفي ، فان المدبر الحقيقي للامور ، ومن يتكفل حل المشكلات ، هو الامام المهدي (ع) نفسه من دون دخل لشخص السفير في ذلك ، سوى كونه ناقلاً للسؤال وواردا بالجواب . فليس المهم في نظر السائل حين يروي سؤاله أن يذكر الواسطة فيه وانما المهم أن يذكر حل المشكلة الذي صدر عن الامام المهدي (ع) فحسب .

مضافاً إلى ما في إهمال ذكر السفير ، من الأخذ بالحيطة والحذر له لاحتمال تسرب اسمه إلى السلطات . وانما يذكر اسم السفير في المحافل الخاصة عند ارتفاع الخطر واطمئنان النفوس .

ومن هنا نكون نحن أمام هذا النقل التاريخي ، في إجمال من ناحية

نسبته إلى أي سفير من السفراء. بل يعتبر هذا النقل نقلاً عن الامام (ع) نفسه بواسطة أحد سفرائه في الجملة . وان كان لا يبعد وجود الظن والترجيح في نسبة جل هذه التوقيعات إلى السفيرين الثاني والثالث لاستغراق سفارتهما أكثر فترة الغيبة الصغرى ، وانفتاح فرص العمل في عهدهما أكثر نسبياً من الآخرين . وان كان هذا الترجيح لا يصل - بطبيعة الحال - إلى حد الاثبات التاريخي .

نعم ، وجد في عدد آخر مهم من النقول التاريخية تسمية السفير بشخصه ، أما تبرعاً من الراوي أو لخصوصية في الحادثة تقتضي الاشارة اليه. ففي مثل ذلك تكون نسبته إلى السفير المعين اثباتاً تاريخياً كافياً .

الأمر الثاني ان السفارة صرفت عن العاويين صرفاً تاماً، وانيطت بغيرهم . مع ان في العلويين يومئذ من يعلو شأنه في العلم والفقه والعبادة.

والسر في ذلك واضح جداً ، يبرزه التاريخ الذي عاشه العلويون من حين ثورة الحسين (ع) الى العصر الذي نؤرخ له . وهو تاريخ الثورات والتمرد على الواقع الفاسد ، والاحتجاج على الظلم والطغيان فكانت الصورة الرئيسية التي تحملها الدولة على كل علوي ، هو كونه موالياً للائمة عليهم السلام ، من ناحية ، وثائراً على الظلم الفساد من ناحية اخرى او بتعبير آخر : انه ثائر على كيانها القائم بشكل لاتستره تقية ولايجدي في تغييره حذر .

واذا كانت النظرة تجاه الفرد هي تلك ، فاخلق به ان يكون عاجزاً عن النفع العام والعمل الاجتماعي ، لدى المراقبة والمطاردة والتنكيل

الذي يحيط به .. ومن ثم يكون عاجزاً عن مهام السفارة المهدوية التي لم تؤسس الا للنفع العام والعمل الإجتماعي .

وهذا بخلاف الحال في غير العلويين ، ممن لاتكون هـــذه النظرة تجاههم متحققة ، فانهم مهما كانوا خاصين بالأئمـة عليهم السلام ومقربين منهم ، الا انه في مستطاعهم على طول المدة ان يغطوا اختصاصهم هذا بالحذر والكتمان ، في القول والعمل ، ويكون العمل ـ في حدود ذلك ـ ممكناً لهم ، على اي حال .

ومن هنا يكون الفرد منهم ، اذا كان على المستوى الرفيـــع من الاخلاص وقوة الارادة ، اكثر تسلطاً على القيام بمهام السفارة وافسح مجالا لها ، من اي شخص علوي .

الامر الثالث : ان جميع السفراء الاربعة ، مارسوا اعمالهم في بغداد ولم يرد قيامهم باي عمل اجتماعي في خارجها يدل على ذلك عدة امور :

احدها : ما قاله الامام المهدي عليه السلام ، لوفد القميين في اليـوم الاول من وفاة ابيه (ع) كما سبق ان سمعنا ، من انه ينصب لهم ببغداد رجلا تحمل اليه الاموال وتخرج من عنده التوقيعات .

ثانيهما : ماسمعناه ايضاً من انه كان لابي جعفر العمري ، رضي الله عنه ، من يتعرف له في بغداد عشرة انفس ، كلهم اخص به منا ابـن روح . مما يدل على ان محل تجارته ومحل عمله منحصر في هذه المدينة . كما انه يدل على ان العمل التجاري لابن روح كان في بغداد ايضـــاً فاخلق بان يكون عمله الاجتماعي هناك ايضاً ، على مانشير اليه .

ثالثها : ماعرفناه ايضاً من ان قبورهم جميعاً في بغداد . اذن فقد قضوا حياتهم جميعاً في بغداد ، وماتوا فيها ودفنوا في ارضها .

والسر في ذلك واضح ، فان عملهم التجاري حيث كان موجوداً في بغداد ، فان عملهم الاجتماعي لايمكن ان يكون خارجاً عن هـذا النطاق . لما عرفناه من ان نشاطهم وسفارتهم كانت مبتنية على مضاعفة الكتمان والتخفي . فكان ذلك يمنع عن ان يقوموا بعمل ليس له مبرر من واقع حياتهم او تجاراتهم .. بحيث يكـون ملفتاً للنظر وجالبـاً للانتباه . وانما هم يقتصرون ، بحسب ظاهر حالهم على تجـاراتهم واعمالهم الاعتيادية ، غير الملفتة للنظر كما سبقنا ان اشرنا .

ومن هنا نعرف ، ان السفير اذا اقتضى عمله التجاري البقـاء في بغداد ،لم يتطلب منه الخروج الى محل آخر ، لم يكن من المصلحة ان يخرج بقصد تنفيذ اعمال سفارته مخضاً . لأنه بذلك لايمكنه ان يعطي التبرير المقنع للسلطات وعيونها ومن يدور في فلكها تبريراً مستمداًمن واقع حياته او تجارته . وان هو اعطى التبرير الواقعي ، خرج عـن مسلك الكتمان والحذر .

الا ان عدم النقل لذلك ، لايعني بحال ان السفير قـد يحتاج الى الخروج من بغداد لغرض حياتي او تجاري مشروع من ناحية الدولة او غرض عبادي كالحج فيستطيع ان يقوم ـ ضمناً ـ بعمله المهم بصفته سفيراً للامام المهدي (ع) .

كما ان انحصار وجـود هؤلاء السفراء في بغداد لايعني انحصار

توجيهات وتوقيعات الامام المهدي بهذا البلد . لما سنعرف من اتصال السفراء بالوافدين الى بغداد من الاطراف ، ولما سنراه من وجود وكلاء عددين لهؤلاء السفراء في مختلف البلاد الأسلامية .وكانوا ينشرون تعاليم الامام المهدي (ع) عن طريقهم.وكان الاتصال بينهم وبين السفراء قائماً على قدم وساق ، على ماسنسمع .

الامر الثالث : انه لم يرد الينا في النقل التاريخي الخاص ، قيام السفراء باعمال اجتماعية واسعة ومؤسسات مهمة ، حتى على النطاق الخاص .. الا اقل القليل .

والسر في ذلك يكمن في احد امور اربعة، تتضح مما قلناه في غضون البحوث السابقة من هذا القسم من التاريخ .

الامر الاول : احتمال عدم قيامهم اساساً بمثل هذا النشاط باعتباره مخالفاً لمسلك الكتمان الذي كانوا يسيرون عليه . والنشاط الواسع ، مهما حاولوا اخفاءه ، فان اثره يظهر لامحالة ، ولو بالوسائط للسلطات ، مما يوجب تسليط خطرها عليهم ، ومن ثم على خط المهدي (ع) كله .

فوجود مثل هذا التحذر في اذهانهم، كان يحد من نشاطهم بطبيعة الحال.

الامر الثاني : انه يصح ان نفترض انهم قاموا بنشاط اجتماعي كبير ولو على النطاق الخاص ، مع امكان عرضه امام السلطات والآخرين على انه عمل لشخص السفير بصفته تاجراً متديناً لابصفته سفيرا عن الامام المهدي (ع) .

الا ان نفس تلك الظروف الصعبة التي عاشوها كانت تمنع من

روايتها ونقلها ، لئلا يتسرب سرها الى السلطات .وهذا بنفسه اوجب عدم وصول اخبار نشاطهم الينا في النقول التاريخية .

الامر الثالث : احتمال ان خبر النشاط الذي كانوا يقومون به كان مما يتناقله الخاصة في ذلك العصر . إلا ان المؤرخين واصحاب المجاميع من اصحابنا ، اهملوا التعرض اليها ، لالشيء إلا لانهم يقتصرون في النقل على موارد فضائل الأئمة ومعاجزهم،فما خرج عن ذلك من الحوادث مهما كان مهما ومؤثرا فانهم لايعيرونه الاهمية المطلوبة، ويندر ان يكون مروياً في مجاميعهم .

الامر الرابع : احتمال ان يكون النشاط مروياً في بعض المجاميع التاريخية ، ولكنه تلف في عشرات الالآف من الكتب التي تلفت في حملات اعداء الاسلام على البلاد الاسلامية ، كالمغول والصليبيين وغيرهم.

وعلى أي حال ، فكل واحد من هذه الامور الأربعة ، وان كان لا يزيد على الاحتمال ، إلا ان واحداً منها أو أكثر متحقق جزماً ولكننا – في النتيجة – نبقى مفتقرين إلى النقل التاريخي الذي يوصل لنا قيام السفراء بنشاط واسع مهم .

الأمر الرابع : – من هذا الحقل الاول – : اننا يجب ان لا نبالغ في التوقع من السفير ، ان يقوم بعمل اجتماعي فعال . وانما الميزان الأساسي الصحيح لقياس قيمة العمل الذي قام به كل سفير ، هو ان يكون متضمناً للقيام بمسؤوليته على الوجه الذي كلف به وطلب منه . وهذا ما قام به كل واحد منهم خير قيام .

والغرض الاساسي من السفارة امران :

الغرض الأول : تهيئة الأذهـــان للغيبة الكبرى ، وتعويد الناس تدريجاً على الاحتجاب ، وعدم مفاجاتهم بذلك . فانه ينتج نتيجة سيئة لا محالة ، إذ قد يؤدي إلى الانكار المطلق لوجود المهدي عليه السلام .

ومن ثم رأينـــا كيف ان الامامين العسكريين عليهما السلام بدءا الاحتجاب عن الناس تدريجاً ، وضاعفه الامام العسكري (ع)على نفسه كما ان الامام نفسه تدرج في عمق الاحتجاب كما سمعنا .. فكانت فترة السفارة أيضاً ، احدى الفترات المرحلية لتهيئة الأذهان لهذا التدرج .

ومن المعلوم ان هذا الغرض من السفارة يتحقق بنفس تحقق فكرة السفارة ، ووجود السفير في المجتمع ولو باقل ما يقوم به من عمل فضلاً عن اضطلاعه بالمسؤولية بالنحو المطلوب .

الغرض الثاني : القيام بمصالح المجتمع ، وخاصة القواعد الشعبية الموالية للأئمة عليهم السلام .. تلك المصالح التي تفوت بطبيعه الحال بانعزال الامام واختفائه عن مسرح الحياة .. شان أي مصلحة للمجموع تفوت بفوات القائد والموجه .

ومن ثم جعلت السفارة ، لكي يقود الامام المهدي عليـه السلام برأيه ان فاتت قيادته بشخصه، ويكون التطبيق بين السفراء في حدود الامكان ، وبحسب المصالح والتصرفات التي يراهـــا ويخططها المهدي عليه السلام نفسه .

وهذا الغرض ، قد قام به كل واحد من السفراء خير قيام ، حيث

اضطلع بحفظ مصالح المجتمع ، في حدود الجو المكهرب والمراقبة الشديدة والتحفظ . وهذا الجو مما لا ينتج أكثر من ذلك .

الأمر الخامس : تدل كثير من النقول ، على ما سيأتي تفصيله ، على كون السفراء عالمين بالغيب ، بنحو وآخر . فنرى مثلاً : ان الحسين بن روح يتكلم باللسان الآبى [1] من دون سبق تعليم ، وانه يفهم ما في خاطر الآخر ، فيجيب عنه ابتداءً [2]. ومحمد بن عثمان العمري يعين عام وشهر ويوم وفاته [3] . وعلي بن محمد السمري يترحم على الشيخ علي بن الحسين بن بابويه القمي . فيكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم فيرد الخبر بعد ذلك انـــه توفى في ذلك اليوم [4] . إلى غير ذلك من الحوادث .

وقد سبق ان اشرنا مجملاً إلى الجواب عن شبهة استحالة ذلك، بغض النظر عن الاسس الفلسفية النظرية لهذه المسالة .

وتفصيله : ان ما نؤمن باختصاص الله عز وجل به من علم الغيب هو العلم الابتدائي ، الذي يكون ازلياً لا بتعليم من أحد فانه سبحانـه يكون عالماً بما يكون غائباً عنا ومجهولاً لنا ، من اجزاء الكون ، وبمـا كان وما يكون من الازل إلى الابد . وهذا العلم يستحيل ثبوته لغير ذاته المقدسة جل وعلا .

---

١ - الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٩٥

٢ - المصدر ص ١٩٩ .

٣ - المصدر ص ٢٢٢ .

٤ - المصدر السابق ص ٢٤٢ .

وأما علم الغيب الذي ننسبه إلى الانبياء والأئمة عليهم السلام اجمعين فهو تعليم من قبل العالم بالغيب جل وعلا . والبشر قابل للتعليم ، ولا يكون الانبياء والأئمة (ع) أسوأ تعلماً من غيرهم ، وهم في مراق كبيرة من الكمال .

إلا ان انحاء هذا التعليم تختلف ، فهو في الانبياء بالمباشرة والمشافهة - لو صح هذا التعبير - عن طريق الوحي ونحوه . وهو في الأئمة عليهم السلام بالتلقي عن النبي (ص) جيلاً بعد جيل حتى الامام الثاني عشر : المهدي (ع) . بل ان الروايات اثبتت للامام شيئاً أكثر من ذلك وهو ان الامام حتى ما أراد أن يعلم فانه يعلم ، الراجع إلى ان الامام (ع) وهو القائد للامة الاسلامية جميعاً ، بل لوجه البسيطة باعتبار عالمية الدعوة الاسلامية والدولة الاسلامية .. قد أعطي القابلية من الله عز وجل على ذلك ، اذ جاء لمصلحة تمكينه من القيادة العامة .. انه متى احتاج إلى شيء أخطره الله في ذهنه وصار ذلك معلوماً له بعد أن كان مجهولاً .

ومن هنا كان علم الغيب - بهذا المعنى - ممكناً من الأئمة عليهم السلام ، بل واقعاً بتواتر الروايات والنقل عنهم عليهم السلام ، بما فيهم الامام الثاني عشر المهدي (ع) على ما سيأتي .

وأما بالنسبة إلى غير الائمة من الناس ، فيكون بالتعلم من الأئمة (ع) . فمثلاً يخبر الامام المهدي سفيره الرابع بموعد وفاة ابن بابويه القمي أو يخبر سفيره الثاني بموعد وفاة نفسه . أو يعلم سفيره الثالث

اللسان الآبي ، ولو بمقـــدار حاجته في تلك الواقعة ، إلى غير ذلك من الأمثلة .

وهناك امران آخران ، يمكن ان ننسبهما إلى السفراء في علة مـــا يخبرون به من علم الغيب .

احدهما : الحدس الاجتماعي ، الذي يحصــل لمن يعيش في معمعة المجتمع ، إذا كان ذكياً وبعيد النظر .. فانه يستطيع أن يحدس بوقوع بعض الحوادث قبل وقوعها ، بلحاظ ما يعرف مـــن مجموع الملابسات والسفراء ليسوا بأدنى من هذا المستوى في الذكاء وبعد النظر على أي حال ، وكانوا يعيشون الحوادث بكل احساسهم .. ففي الامكان أن يحدسوا بامور عديدة قبل وقوعها .

ثانيهما : الحدس الايماني : وهو ما يعبر عنه فيقال : المؤمن ينظر بنور الله تعالى . فان الايمان وعمق الاخلاص لله عز وجـــل يعطي ـ بمقدار درجته ـ نحواً من الصفاء الذهني والكمال النفسي يستطيع الانسان بواسطته استشمام الحوادث قبل وقوعها ، والحديث عنها قبل حدوثها .

وهذا في واقعه ، درجة ضعيفة جداً ، من درجات العلم الذي قلنا بامكانه للامام المعصوم (ع) . والفرق بينهما انما هو في درجة الايمان والاخلاص بين الامام وغيره . فالامام يبلغ بكماله النفسي الى ان يصيب الواقع بعلمه بوضوح . واما غيره ، فقد يحدس وقد لايحدس ... كما قد يصيب حدسه الواقع وقد يخطيء .

وعلى اي حـــال ، فبالمقدار الذي نثبته من الحدس لسائر المؤمنين المخلصين بالدرجة العليا ، يمكن ان نصدق بثبوته للسفراء ايضاً . فانهم في هذه المرتبة من الايمان والاخلاص ، بطبيعة الحال .

الا ان كلا من الحدس الاجتماعي والحدس الايماني،لا يمكن ان ايصل الى بعض ما اخبر به السفراء ، كتحديد وفاة شخص مع بعد المكان او الزمان . فينحصر تفسير مثل هـــذا المستوى من العلم عند السفراء بالتعلم من الامام المهدي (ع) ومعه يكون من الواضح ، ان اي شيء قالوه ، في هذا الصدد كما يكون فضيلة من فضائل السفير،كذلك يكون ـ بالأولى ـ فضيلة للامام المهدي نفسه باعتباره الموجه والمعلم لذلك .

الامر الخامس : كان الخط الذي يستعمله الامام المهدي عليه السلام في توقيعاته وبياناته ، خطاً موحدا يعرفه الناس المتتبعون لذلك . فهو لا يختلف باختلاف اشخاص السفراء واختلاف خطوطهم ، ممـــا يحصل القطع بصدوره عنه عليه السلام كما سبق ان اشرنا وقلنا بان استعمال الخط في معرفة صاحبه أمر عقلائي متسالم عليه بين الامم . ولئن كان يمكن افتراض ان احد السفراء ذو فن في مضاهات الخط وتزويره، فهو بالنسبة الى مجموعهم ، يكون ـ عادة ـ من المحالات .

وقد توخى الامـام المهدي عليه السلام، ان تصدر بياناته ، بنفس الخط الذي كانت تصدر به بيانات ابيه عليه السلام.فاننا عرفنا ان الامام العسكري عليه السلام ، استعمل مسلك الاحتجاب تعويدا للنـاس على فكرة الغيبة ، وكان يتصل بقواعده الشعبية عـــن طريق التوقيعات

والبيانات المكتوبة . فقد كان خط الامـــام العسكري (ع) معروفاً لدى جملة من قواعده الشعبية وخاصة من كان من خاصتهم ومبرزيهم وقد سمعنا كيف طلب احدهم من الامام العسكري عليه السلام عند مقابلته ان يكتب شيئاً في ورقه،حتى يطابقهمع التوقيعات الصادرةمنه لاجل ان يامن من التزوير فقد استعمل الامـام المهدي عليه السلام نفس الخط طيلة مدة الغيبة الصغرى ، فقد كانت الاجوبة تخرج مـن ناحيته المقدسة بالخط الذي يخرج في حيـــاة الحسن « ع »[1] . لسبق معروفية هذا الخط عند الاصحاب ، مع جهالة خط الامام المهدى « ع » لو كان خطاً مستقلاً ذو شكل جديد ، فقد يتدخل فيه احتمال التزوير

وبذلك تكون شهادة الخط اوسع واعلى من شهادة السفير ، بكون هذا البيان صادراً عن الامام المهدي عليه السلام .فاذا انضمت الشهادتان وتصادقتا على ذلك ، كان في ذلك الكفاية لمن كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد .

وقد يعترض : بانه كيف يمكن ان يكون الوالد والولد على شكل واحد في الخط ؟ مع ان العادة بين الناس تقضي بخلاف ذلك . وجوابه يكون من وجوه :

أولاً : امكان ذلك في نفسه .. وان كان لا يحدث إلا نادراً . إلا ان حدوثه بين الوالد والولد ، أقرب من الحالات الاخرى كما هو واضح . فان شكل الخط منوط بعوامل عضلية في اليد والبدن ونفسية وفكرية

---

١ – الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٦ .

وراثية واجتماعية ، متعددة وانحفاظ هذه العوامل وتشابهها في الوالد والولد ، من الناحيتين الوراثية والاجتماعية ، قريب إلى حد كبير .

ثانياً : ان فرض ان خط الامام المهدي عليه السلام ، يختلف في نفسه عن خط والده ، فهو اختلاف ليس بالكثير ، فان الخط ينحفظ فيه التسلسل الوراثي ، كما ينحفظ في خلق الوجه والبدن ، فكما يحمل الابن بعض الملامح العامة من ابيه في خلقه ، كشكل وجهه ويده وطريقة مشيه وتكلمه .. كذلك تنحفظ المعالم العامة للخط بنفس المقدار .

فإذا اضيف إلى ذلك ، ان هناك تعمدا خاصا وعناية معينة قام به الوالد والولد ، لتطبيق خط احدهما على الآخر ، لمصلحة من المصالح المطلوبة لهما . فبالامكان ان يكون خط الولد قريباً من خط الاب إلى حد كبير .

فاما ان يكون هذا القرب هو المقصود من النقل التاريخي بتشابه الخطين : أو ان الامام المهدي عليه السلام ، لاجل حفظ المصالح العامة كان قادراً أن يمثل خط ابيه عليهما السلام ، لمدى القرب بينهما . وان كان لو خلي ونفسه،ولم تتوفر تلك المصالح لكان الفرق بينهما واضحاً .

ثالثاً : انه مع غض النظر عن هذه الطرق الطبيعية . فان المصالح ما دامت مهمة ، يتوقف عليهاحفظ المجتمع طيلة زمان الغيبة الصغرى اذ مع اختلاف الخط يقع احتمال التزوير ، ومع وقوعه ينفتح للشبهات مجال كبير .

فما دامت المصلحة مهمة تمس العقيدة والمجتمع المسلم واقامة الحجة على الحق ، وهي مصالح ملحوظة لله عز وجل ، في هدايته لخلقه فكان من مقتضى حكمته الازلية ، أن يعطى المهدي (ع) قدرة في تكييف خطه على شكل خط ابيه ، متى احتاج الأمر إلى ذلك . ولو كانت هذه القدرة بسبب اعجازي ، خارج عن مجرى القوانين الطبيعية .

اذن نعرف باحد هذه الوجوه ، امكان مشابهة خط الامام المهدي لخط ابيه عليهما السلام .

فكانت التوقيعات والبيانات تخرج على يد السفير الأول بالخط الذي كانت تخرج على يده أو على يد غيره من الوكلاء في زمن الامام العسكري عنه عليه السلام .

وحين مضى السفير الأول الى ربه عز وجل ، واضطلع الثاني بمهامه ، كانت الكتب تخرج عنه بنفس الخط الذي كانت تخرج أيام سلفه [1] . إلى حد أصبح هذا معروفاً واضحاً ، فيعبر ويقال : ان هذا التوقيع بخط مولانا صاحب الدار [2] يعنى الامام المهدي عليه السلام .

وبقي الخط محفوظاً في عهد السفيرين الاخيرين أيضاً .. إلى نهاية الغيبة الصغرى . والتاريخ وان لم ينص على ذلك بوضوح إلا ان السبب في ذلك هو وضوح هذا المعنى في اذهان الرواة المعاصرين لتلك الفترة . إذ ان الاربعين عاماً التي قضاها السفير الثاني

---

١ - انظر الغيبة ص ٢٢٦ .

٢ - المصدر والصفحة .

في سفارته .. والتوقيعات التي خرجت على يده بخط واحد ، كافيه في ترسيخ هذه الفكرة في اذهـــان كل من اطلع على ذلك من القريب والبعيد .. إلى حد يكون من القول المستانف تكرار التأكيد عليه بالنسبة إلى السفيرين الاخيرين . فما سكت عنه في النقل ، إلا لان ذلك متيقن الوجود على أي حال .

الأمر السادس : بقيت في التوقيعات التي كان يصدرها المهدي (ع) جهات هامة لا بد من بحثها في هذا الصدد .

الجهة الأولى : في معنى التوقيـع :

يطلق التوقيـع فى لسان رواياتنا ، مطابقاً مع العرف السائد آنئذ على الكلمات القصار التي تمليها اقلام الكبراء في ذيل الرسائل والعرائض ونحوها ، لأجل جواب السؤال الذي تتضمنه أو حـــل المشكلة التي تحتويها أو التعبير عن وجهة نظر معينة فيها .

اذن فتوقيعات الامام المهدي عليه السلام ، ما كان يذكره عليه السلام بخطه في جواب الاسئلة والعرائض بواسطة سفرائه من الكلمات القصار ، في مختلف ميادين المعرفة .. من الناحية العقائدية أو الفقهية أو الاجتماعية أو غيرها .

الجهة الثانية : في احتياج التوقيـع إلى سؤال .

لم تكن التوقيعات الصادرة عنه عليه السلام ، مقتصرة على الجواب على الاسئلة فقط ، وان كان الأغلب هو ذلك . بل كانت التوقيعات والبيانات المهدوية ، تتخذ احياناً شكل بيان ابتدائي يطول ويقصر

حين تقتضي المصلحه ذلك ، بدون سؤال يقتضيه ويتطلبه . ومن أمثلته التوقيع الذي أصدره عليه السلام مترحماً على سفيره الاول ، والبيان الذي أعلن فيه انتهاء السفارة بموت السفير الرابع .. وقد سمعناهما . والرسالة التي رويت عنه عليه السلام للشيخ المفيد رحمه الله . وسيأتي التعرض لها في الفصل الثالث من هذا القسم من التاريخ .

الجهة الثالثة : ان التوقيع كما يعتبر عملاً للامام المهدي عليه السلام باعتبار معناه وخطه ، فانه هو الذي كتبه حلاً لمشكلة أو جواباً على سؤال أو بياناً لمصلحة .. كذلك يعتبر عملاً من اعمال السفير، باعتبار ان للسفير يداً في اظهاره إلى النور واطلاع أصحابه وقواعده الشعبية عليه . بل ان السفير أيضاً واسطة في ايجاده بنحو من الأنحاء ، اذ لولا ان المهدي عليه السلام يعلم بوجود السفير الامين لنقله ، لما كتبه .

ومن هنا فكما يمكن ان تندرج التوقيعات في هذا الفصل الذي نحن بصدده وهو نشاط السفراء. كذلك يمكن ان تندرج في فصل آت. نعقده لأعمال المهدي (ع) ونشاطه الخاص ، وسندرج ذلك في كلا الفصلين بهذا الاعتبار ، بنحو لا يلزم منه التكرار جهد الامكان .

الجهة الرابعة : في مدة خروج التوقيع .

يحتاج خروج التوقيع: جواباً على سؤال معين إلى حوالي اليومين أو الثلاثة .. كما هو ظاهر عدد من الروايات . كقول الراوي في أحداها : فلما كان بعد أيام . قال لي صاحبي الا نعود إلى ابي جعفر

فنسأله عن حوائجنـــا التي كنا سألناه [1] وقوله في رواية اخرى : ثم اخبرني ـ أي السفير اخبره بالجواب ـ بعد ذلك بثلاثة أيام [2] .

كما ان الجواب قد يأتي شفوياً ، يبلغه السفير نفسه ، كقول ابن روح لبعضهم : انكم أمرتم بالخروج إلى الحائر [3] . وقـد لا يرد الرد على السؤال أصلاً ، لبعض المصالح التي يراها المهدي عليه السلام . وقـــد تكرر ذلك في عدة موارد ، مثاله : ذلك الراوي الذي سأل الامام (ع) ان يدعو له أن يرزق ولداً ذكراً . فلم يجبني اليه [4] . لأنه يعلم بعـــدم كونه من الرزق المقسوم . ومثله ذلك الرجل الذي كان من الاصحاب فقدم سؤالاً ، فلم يرد جوابه . قال الراوي : فنظرنا في العلة،فوجدنا الرجل قد تحول قرمطياً [5] . وما دام قد انحرف وتبع القرامطـة . اذن ، فمقتضى الدعوة المهدوية ان لايجاب ، فانهـــاو المنحرفين على طرفي نقيض .

وعلى أي حال ، فمدة الثلاثة ايام او نحوهـا ، مـدة معقولة في رد الجواب ، وعليه تحمل سائر الروايات التي تعرضت الى خروج الرد من دون ذكر المدة .. باعتبار وضوح ذلك في الاذهان ، وتكرره الى حـد اصبح متسالماً عليه ، لايحتاج الى تكرار وتأكيد .

---

١ - غيبة الشيخ الطوسي ص ١٨٤ .
٢ - المصدر ص ١٩٥ .
٣ - المصدر نفسه ص ١٨٨ .
٤ - المصدر ص ١٩٥ .
٥ - الارشاد الشيخ المفيد ص ٣٣٢ .

وفي خلال هـذه المـدة يمكن افتراض ان السفير حصل على الجواب حصولا اعتيادياً ، غير اعجازي . فقد كان السفير عادة يجمع عدةاسئلة في ورقة واحدة ، كما يظهر من عدد من الروايات [١] ويرد الجواب عنها دفعة واحدة في درج واحد .

ومن هنا يمكننا ان نتصور ـ اعتيادياً ـ ان السفير في هـذه المـدة يحمل الاسئلة معه الى الامام المهدي (ع) فانه المطلع الوحيد على مكانه فيقابله فيه ويعرض عليه الاسئلة . فيقرؤها الأمام ثم يجيب على واحد واحد منها..إن شاء كتابة وإن شاء شفوياً . وإن شاء لم يجب بحسب ما يرى من المصالح التي يتوخاها .

الا ان بعض الروايات ، تـدل على خلاف ذلك . فبعضها تنيط ورود الجواب بعدة ساعات ، من الصبح إلى مابعد صلاة الظهر [٢] وفي بعضها انه يرد الجواب والمداد رطب لم يجف [٣] . وهناك رواية تنيط الجواب بنفس الآن . حيث يخطر السؤال على ذهـن الشخص ، فيرى الجواب مكتوباً على الورقه في ذلك الحين . وقد وجـد الراوي ذلك غريباً على الأذهان . فاقسم عليه قائـلاً : فوالذي بعث محمـداً «ص» بالحق بشيرا [٤]

فلو صحت هذه الرواية ، امكننا أن نفترض ان السفير يتلقى

---

١ ـ انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ١٨٤ . و ص ١٩٠ او غيرها .
٢ ـ الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٩٢ .
٣ ـ المصدر ص ٢٥٢ .
٤ ـ الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٠ .

الاجوبة بهـــذا الأسلوب أيضاً ، من دون ان يذهب الى مقابلة الإمام المهدي عليه السلام .

ويمكن ان يرجح ذلك بمرجحات : احدهما : كون هـذا الاسلوب طريقة سرية للغاية لاتخطر في ذهن السلطات على الاطلاق . ومن هنـا كانت انسب بكثير بمسلك التكتم والحذر الذي كان يسير عليه السفراء وهو أولى جداً من أن يرى السفير ذاهباً إلى مكان المهدي عليه السلام وعائداً منه على أنهقد تعرض للامام المهدي عليه السلام مصلحةفي تغيير مـكانه في بعض الأيام من دون علم السفير ، فيترتب على ذلك انقطاع الجواب إلى حين اللقاء .

والمهدي « ع » قد يضطر إلى السفر البعيد ، زيادة في الحيطة ، أو لاجل الذهاب إلى الحج [1] . فينفصل عن السفير - وهو في بغـداد - انفصالا تاماً . ولايمكن للسفير متابعته ، بالخروج من بغـداد والرجوع اليها ، لأن ذلك ، مما يثير عليه الاستفهام والانتباه .

ثانيهما : إنه يظهر من جملةمن الروايات،أن المهدي عليه السلام، كان يمضي الوقت في أول الغيبة الصغرى إلى عدة سنوات في سامراء على ما سوف ياتي . ومعه كيف يمكن للسفيرين الاول والثاني مقابلته .. وهما لايستطيعان الخروج من بغداد بشكـل ملفت للنظر . على أن الخروج من بغداد إلى سامراء كان يستدعي السفر أياماً متعددة ، ممـــا يوقف

---

١ - انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٢١ .

تجاراتهم ويحس الناس بغيابهم وهذاغير واردفي تواريخنا على الاطلاق .

ثالثهما : إن كل من شاهد المهدي (ع) في فترة غيبته الصغرى ، لم يجد معه احد سفرائه ولا في مرة واحدة.. لاداخلا اليه ولاخارجاً عنه ولاباقياً عنده . بل إن علي بن مهزيار بقي عند المهدي (ع) عدة أيام[1] فلم يجده إلا منفرداً ، لم يدخل عليه أي شخص آخر .

رابعها : قوله : محمد بن عثمان العمري السفير الثاني ، وهويتحدث عن لقائه مع المهدي « ع » : آخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول : اللهم انجز لي ماوعدتني[2] . وهذا يستلزم بكل وضوح عدم وقوع المقابلة مابين موسم الحج إلى زمان هذا الكلام .فبهذه المرجحات قد يستنتج استحصال السفراء على الاجوبة والتوقيعات ، بطريق اعجازي ، بدون مقابلة ، أو بالمقابلة بسبب اعجازي . وهذا يناسب مع كون المهدي عليه السلام في أي مكان من الارض ، ويكون بعيداً عن الفات النظر وقريباً من مسلك الحذر . ونحن نقول بامكان المعجزة عقلاً إذا توقفت عليها مصلحة الدعوة الالهية . كما أثبتناه في محله . إلا أن كل هذه المرجحات لاتوجب إلا الظن ، ومجرد إمكان الشيءلايعني وقوعه في الخارج .. فإننا ننكر توقف الدعوة الألهية على خروج التوقيع الاعجازي دائماً ، وإن كان ثبوته أحياناً محتملا ، كما في الرواية التي أشرنا اليها .

ومناقشات جملة من هذه المرجحات واضحة ، وبعضها يحتاج إلى عمق في العرض ، نحمل به فكره عن اتجاه المهدى عليه السلام في اسلوب مقابلته لسفرائه .

---

١ - غيبة الشيخ الطوسي ص ١٦١

٢ - المصدر السابق ص ٢٢٢ .

فإننا سبق أن عرفنا أن اسلوب وكيفيـــة استحصال السفير على الجواب مجمل جدا في الروايات ، حتى يكاد أن يكون مجهولا مطلقاً . ولم يصرح ولم يلوح به أي سفير من السفراء لشخص مـــن الخاصة فضلاً عن سائر الناس.ولم يتصد شخص لسؤال اي سفير عن ذلك بحسب ماوردنا من نقول .

ومعنى ذلك ، أن المقابلات التي كانت تحدث مع السفراء هي مـن السرية والحذر بمنزلة عظيمة حتى لايمكن أن يخطر في ذهن بشرمكان ذلك أو زمانه . والله وحده هو العالم به . ومعه تكون سائرمرجحات الطريقة الاعجازية مندفعة وغير صحيحة :

أما المرجح الأول ، وهو كون الطريقة الأعجازية أنسب بالكتمان والحذر ، فهو وإن كان صحيحاً ، إلا أنه يمكن الدقة اتخاذ مكانوزمان خفيين للمقابلة ، لايفطن اليهما أحد . والمهدي بعمق نظره هو الذي كان يدبر ذلك . ومن المعلوم أن الدولة في ذلك الحين لم يكن لها من شبكات الأستخبار والتجسس ماعليه الدول فعلا . بل كانت دون ذلك بكثير ، مما يسهل المهمة ، ويجعل اخفاءها ايسر .

ولانريد باتخاذ المكان الخفي للقاء : إنهلايتم إلا في سراديب بعيدة أو أماكن شاذة . وإنما قد يكون ذلك متحققاًوإن لم يكن قابلا للبقاء مدةطويلة علىغفلة من الناس . وقد يكون ــ وهوالأرجحوالاشد خفاء إبقاء على السرية ــ أن تكون العلاقة بين المهدي « ع » وسفيره على صعيد المجتمع الواضح علاقة بائع ومشترى أو دائن ومدين أو عامل وصاحب عمل وهكذا.ويكون المهدي « ع » قد إتخذإسماً آخر وشخصية أخرى تختلف عن واقعه تماماً . ويكون له بعض العلاقة مـــع السفير

بصفته شخصاً من التجار . فيدس له السفير الأسئلة والطلبات بشكل غير ملفت للنظر ، فياخذها المهدي ويجيب عليها بصفته الحقيقية . وهذه الطريقة محتملة على أي حال ، وسياتي إيضاح تفاصيلهافي التاريخ القادم إن شاء الله .

وأما مسالة اضطرار المهدي (ع) إلى السفر بعيداً عن بغداد أو ذهابه إلى الحج.. فهو أمر قديتحقق إلا أنه لايمنع عن خروج التوقيعات في الوقت المناسب . ولادليل لنا على تتابع خروج التوقيعات عنه بشكل منظم ، في كل أسبوع أو في كل شهر ، بحيث إعتلا الناس على ذلك بل المظنون أن المسافات الزمنية ، مابين التوقيعات مختلفة بنحو مشوش حتى لايكون تاخرها احياناً موجباً لألفات النظر أو إثارة التساؤل . ومن ثم يمكن أن نتصور أن المهدي عليه السلام ، يذهب إلى الحج أو إلى أي مكان أراد ، ثم يرجع إلى بغداد أو إلى بعض المناطق القريبة منها ، لأجل تمكين سفيره من مقابلته .

وأما المرجح الثاني ، وهو سكنى المهدي « ع » في أول الغيبة الصغرى في دار أبيه في سامراء .. فان نفس الروايات الدالة على ذلك ، تدلنا على عدم حصول المقابلة أحياناً بينه وبين السفير ، بل كان السفير في تلك الفترة يحول من جاء بالاموال إلى بغداد ؛ ويامره بحملها إلى سامراء ، على ماسوف ياتي في الفصل الرابع من هذا التاريخ .

وهذا هو الذي يفسر أيضاً ندرة صدور التوقيعات والبيانات على يد السفير الأول ، وكثرتها على يد السفيرين اللذين بعده .

وأما المرجح الثالث : وهو أن من شاهد الامام عليه السلام لم يجد عنده أحداً من سفرائه .. فهو واضح بعد الذي عرفنادمن توخي إخفاء المقابلة عن كل بشر ، حتى عن الخاصة الذين يشاهدون الامام المهدي عليه السلام . فمن الممكن بل لابد أن نفترض ، كون المقابلة تقع في أوقات غير أزمنة تلك اللقاءات ومقابلة علي بن مهزيار له عدة أيام ليست بدعاً من ذلك . وقد عرفنا أنه لم تكن ثمة ضرورة الى خروج التوقيع يومياً أو اسبوعياً ، بل من الممكن تاخر خروجه خلال هذه الأيام .

وأما المرجح الرابع ، وهو عدم مقابلة السفير الثاني له عليه السلام منذ موسم الحج .. فبالامكان أن نفترض ، إن لم يكن راجحاً فعلاً ،قرب هذا الحديث من موسم الحج ، بمدة معتادة لتاخر التوقيعات

إذن فالطريق الأعجازي لخروج التوقيع ، وإن كان ممكناً عقلاً إلا أنه لم يدل عليه دليل خارجاً ، ومما لاتتوقف عليه مصلحة الدعوة الالهية المتمثلة بالمهدي (ع) وسفرائه ، بعد إمكان ماقلناه في هذه المناقشات . نعم ، نحن لاننكره بل نقول بضرورته عند وجود هذا التوقف .. ولعل تلك الرواية التي أشرنا اليها من هذا القبيل ، على تقدير صدق نقلها وصحة سندها .

إذن فالراجح ، إن لم يكن المتيقن ، أن أتصال السفير بالأمام وإستحصاله التوقيعات والتوجيهات منه ، يكون عادة بطريق طبيعي غاية في الخفاء والستر والحذر . ومما يؤيد ذلك ، وجهان :

الوجه الاول : إن الغالب ، كما عرفنا ، تاخر التوقيعات لعدة ايام بعد توجيه السؤال . ومعنى ذلك حصول مقابلة الامام المهدي« ع » في الاثناء . ولو كان البناء على حصول الطريق الاعجـــازي ، لامكن استحصال الجواب بمجرد كتابة السؤال ، أو بمجرد أطلاع السفير عليه مما يوفر المصالح ويقلص الجهود . أو على الأقل ، كان في امكان السفير ـ زيادة في الحيطة ـ تاخير الرد عدة ساعات أو يوماً واحــداً ، ولم يكن مضطراً للتأخير لعدة أيام .

الوجه الثاني : ان المهدي (ع) ـ كما تدل عليه الروايات ـ كان ينيل سفراءه المطالب العقائدية والثقافة الاسلامية ، كما كان يحملهم الجواب على عدد من الاسئلة شفوياً كما سمعنا فهل كان ذلك عن طريق المعجزة؟! وكيف ؟ ونحن نسمع السفير الثالث يؤكد قائلاً : لأن اخر من السماء فتخطفني الطير أو تهوى بي الريح في مكان سحيق أحب إلى من أن أقول في دين الله برأيي ، ومن عند نفسي . بل ذلك مـــن الأصل ومسموع من الحجة[1] .

فهذه أربع جهات من مهم الحديث عن شؤون التوقيع المهدوي وخصائصه . وبها تم الكلام عن الأمر السادس في هذا الحقل.

الأمر السابع : في خفاء السفراء على السلطات :

ان مسلك التستر والحذر الذي سلكه السفراء ، انتج تماماً مـا هو المقصود ، وهو الخفاء على القواعد الشعبية السائرة في ركاب السلطات، وعيون الدولة ، وعلى المنتفعين منها والضالعين بركابها .

١ ـ الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٩٩ .

وليس أدل على ذلك ، مما سمعناه من موقف السفير الثالث في تفضيل الخلفاء الثلاثة جميعاً على أمـــير المؤمنين علي بن ابي طالب ، في مجلس للعامة .. فرفعه العامة على رؤوسهم وكثر الدعاء له والطعن على مـن يرميه بالرفض [1] .

وان دل هذا على شيء ، فانما يدل على جهلهم التام بسفارته وانهم غاية ما يحملون عنه من فكرة .. انه متهم بالرفض .. وهذا القول منه ماح لهذه التهمة ودليل على كذبها في نظرهم .. وإذا لم يكن رافضياً فكيف يكون سفيراً لامام الرافضة !؟ .

وهذا هو الذي كان يتوخاه ابن روح من كلامه ذلك.. إبعاد احتمال السفارة عن اذهانهم إبعاداً تاماً . وجعلها بشكل لا يمكن ان تخطر في ذهنهم ، فضلاً عن أن يصدقوا بها .

وإذا كانوا لا يعلمون به ، فهم لا يعلمون باسلافه أيضاً ، ولا بخلفه بطريق أولى . يندرج في هذه القائمة، سائر السائرين على هذا الخط من حكام ومحكومين ، غير شخص الخليفة .

فان حول بعض أشخاص الخلفاء قرائن تاريخية تدلنا على انه كان عارفاً بالحق وبموضعه . كما صرح به الشيخ الصدوق في إكمال الدين [2] وقد فصلنا القول فيه في تاريخ الفترة السابقة .

فكان ان سمعنا موقف المعتمد من الامـام العسكري عليه السلام

---

١ – المصدر نفسه ص ٢٣٧ .

٢ – انظر المصدر المخطوط .

حين طلب منه الدعاء له بالبقاء في الحكم . ورأينا موقفه نفسه من جعفر بن علي حين ادعى الامامة بعد اخيه ، حاول التوسط إلى الدولة لنيل ذلك .

ونسمع في هذه الفترة.. بالنسبة إلى المقتدر انه كان للشيخ ابن روح محل عظيم عنده [1] . وهذا وان كان يمكن تفسيره باعتبار جهل المقتدر بتشيعه فضلاً عن سفارته ، لما سمعناه من التزامه بالتقية والحذر . فكان المقتدر يقربه لأجل علمه وسعة اطلاعه وحضور خاطره ، جاهلاً بواقعه وحقيقته .

وهذا الاحتمال ، وان كان لا يخلو من قوة في الذهن إلا ان له مضعفات تاريخية وقرائن موهنة له . منها : ان المقتدر نفسه حبسه مدة يسيرة منها وان الشيخ ابن روح استتر مدة من الزمن [2] . ولو كان بالمنزلة التي سمعناها مع غض النظر عن سفارته لما كان هناك موجب لذلك كما هو واضح . وانما يحدث ذلك ، لما قد يبلغ السلطات بشكل غامض وغير مباشر ، ما قد يقوم به ابن روح من أعمال بصفته سفيراً عن الامام المهدي عليه السلام . واذ لا يكون لها أي مستمسك ضده فانها تغض النظر عنه وتطلق سراحه وعلى أي حال ، يكون مسبوقاً في الجملة بذلك .

ومنها : ما إذا ضممنا هذا الموقف من المقتدر ، إلى موقف المعتمد قبله وموقف الراضي بعده ، فاننا قد نحصل على سلسلة من الخلفاء

---

١ – انظر غيبة الشيخ ص ٢٥٢ وص ١٨٧ .

٢ – نفس المصدر ص ١٨٣ .

العارفين بالامر ، إلى بعض الحدود ، وان لم يجدوا أي أسلوب معين للوقوف ضده أو لحيلولة دونه، ثم نسمع بالنسبة إلى الراضي، في حادثة يأتي التعرض لها في الفصل الآتي ، انه ذكر ابن روح في مجلسه،ذكره احد مؤيدي الشلمغاني المدعي للسفارة زوراً .. فقال عن صاحبه الشلمغاني ، انه لم يدع الالهية ، وانما ادعى انه الباب إلى الامام المنتظر مكان ابن روح[1] .

فلم يساله الراضي عن ابن روح هذا ، ولم يستفصله عن خبره،ومن أين يعرف انه كان سفيراً ؟ . ولو كان الراضي جاهلاً بذلك ومحاولاً التنكيل بالسفير لا حفى السؤال عن ذلك ، ولكان بيده أول مستمسك يدله على الامام المهدي عليه السلام . فيدل ذلك على انه كان عالماً به إلى حد ما ، بل وعالماً بسفارته عن الامام المنتظر (ع) الذي أشار الرجل في كلامه .

اذن فالمعتمد والراضي ، بل والمقتدر أيضاً على احتمال كبير، كانوا يعلمون بالاتجاه الذي يسير فيه خط الأئمة عليهم السلام ، وبممثليه إلى حد كبير.

وتنفتح امامنا ثلاثة اسئلة لا بد من التصدي للجواب عنها .

السؤال الأول : هل كان الخلفاء الآخرون يعلمون بذلك أيضاً ، أم ان هذا العلم خاص بهؤلاء .

---

١ - الكامل جـ ٦ ص ٢٤١ .

السؤال الثاني : ان هؤلاء الخلفاء من أين علموا بذلك ، ومن أي طريق وصلهم الخبر .

السؤال الثالث : وهو الاهم ، انهم إذ عرفوا ذلك ، فلماذا غضوا النظر عن السفراء ، ولم يلقوا القبض عليهم،لأجل فصلهم عن قواعدهم الشعبية أولاً واستجوابهم عن الامام المهدي ثانياً . تمشياً مع الخط العام للدولة في محاربة الخط العام للائمة عليهم السلام .

وتوخياً لتقسيم الكلام ، يقع الجواب ضمن بيانات ثلاثة لكل سؤال بيان :

البيان الاول : اننا حيث عرفنا الجهل التام بحال السفراء، من سائر القواعد الشعبية الموالية للدولة ، بمختلف طبقاتها فانه لا يبقى أي دليل على اطلاع جميع الخلفاء بذلك .

فان الخلفاء لم يكونوا يتقابلون اثناء انتهاء خلافة أحدهم وبدأ عهد الآخر .. لكي نفترض انه أسر له بهذا الأمر. بل ان الخليفة منهم يتولى منصبه أما بعد موت الآخر ، أو بعد أن يشارك في عزل سلفه وقتله . وفي كلا الحالين لم يكن الظرف يسمح بمثل تلك المقابلة .

كما ان الخليفة الجديد دائماً غير مسبوق بتوليه للخلافة قبل أن يتولاها فعلا ، تحت ظروف وتأثيرات معينة. فهو لم يكن يستعدلجعل نفسه اهلاً للخلافة قبل ذلك ، حتى يسأل سلفه عن بعض الأمور التي قد تخفى عليه .

ومن ثم بستحيل عادة ان نفترض ان الخبر بحال السفراء تسلسل

بين أشخاص الخلفاء واقتصر عليهم . بل ان افتراض ذلك يعني ان هذا الخبر موجود بين الطبقات العليا من رجال الدولة يتناقلون فيما بينهم لكي يكون كل خليفة مسبوقاً بالحال من قبل خلافته .

وشيوع الخبر بهذا النجو غير محتمل اساساً . فاننا إذا افترضناه لم يكن بد من تجديد الحملات الشعواء على السفير وعلى قواعده الشعبية. بل لعل المهدي (ع) نفسه يكون في خطر ولم يكن لابن روح ولا لغيره أي مجال للتقية والمداراة . ولكننا عرفنا انه كان متمكناً من مدارات الطبقات العليا فضلاً عن الدنيا ، وهذا معناه - بكل وضوح - جهل تلك الطبقات بالأمر . اذن فمن أين يصل خبر السفراء إلى سائر الخلفاء ؟ .

ومعه فيتعين أن يكون هؤلاء الخلفاء العالمين بخبر السفراء ، هم وحدهم المطلعون على ذلك.. إلا أن يكون غيرهم قد سلك نفس سبيلهم في الاطلاع على الخبر ، على ما سنذكره في البيان الثاني .. وهذا لم يرد في التاريخ ما يدل عليه .

كما يتعين أيضاً أن يكون الخليفة العالم بالخبر حريصاً على عدم التصريح به امام أي شخص . إذ لو صرح به أمام بطانته وخاصته لا نتشر الخبر، ولبدأت الحملات القوية ضد السفراء من حيث ان القواد والموالي كانوا أشد تطرفاً من أشخاص الخلفاء في ذلك . ولكان هذا القول من الخليفة أحسن مستمسك ضده من قبل مواليه ومعارضيه على حد سواء .

البيان الثاني : اننا بعد ان عرفنا أن أي خليفة من خلفاء هـــذه الفترة ، لا يمكنه أخذ الخبر ، من سلفه ولا من خاصته . كما لا يمكن أن نفترض انه حصل عليه بعد توليه الخلافة من قبل بعض الموالين للسفراء ، لأن شخص الخليفة ، وهو على قمة الدولة ، أولى من يجب الحذر منه ، واخص من ينبغي التكتم امامـــه . ووصول الخبر اليه بالواسطة غير محتمل أيضاً لعدم اطلاع أحد على سفارة السفير ما لم يكن قوي الارادة صلب الايمان قابلاً للصمود أمام المطاردة والتعذيب .

اذن فيتعين ، ان يكون هؤلاء الخلفاء الاثنين أو الثلاثة ، قــد عرفوا حال السفراء قبل توليهم للخلافة ، وتصيدوا اخبارهم عن طريق اتصالهم ببعض القواعد الشعبية للسفير ، من عامتهم أو خاصتهم ، ممن يكون مسبوقاً بالخبر .

وايضاح ذلك : اننا عرفنا ان الفرد من الخلفاء لم يكن عالماً بانـه سيتولى الخلافة ، وقد لا يخطر في ذهنه ان ذلك سيحدث له في يوم من الأيام ؛ لكثرة رجال بني العباس الصالحين لها في نظره ، وعـدم إبتناء الخلافة على أساس قانوني مضبوط . وانما ينصب الخليفة عجالة بعـــد موت سلفه تحت ظروف غير معينة وبرأي جماعة غير معينين . فاحتمال تولي الفرد العباسي للخلافة كان ضعيفاً ، بل قد يكون في غاية الوهـن لدى الكثرة الكاثرة منهم .. إلا بمجرد الصدفة وتجمع الظروف المقتضية لذلك ، عند موت أحد الخلفاء .. تلك الظروف المشوشة التي لا يمكن ان يحسب لها حساب قبل أيام فضلاً عن أعوام .

وإذا كان الفرد بنفسه جاهلاً بخلافته ، قبل حدوثها . فبالاولى ان يجهلها الناس ، بل ان يغفلوا عنها غفلة مطلقة .

إذا عرفنا ذلك ، فهمنا بوضوح ، كيف يتسنى لجماعة من علماء العامة وأهل السنة ، بما فيهم بعض بني العباس ، الاتصال بالخاصة وغير الخاصة من الموالين لخط الائمة عليهم السلام . وعقد المجالس العلمية المتعددة معهم ، بل وعقد أوثق الصلاة القائمة على تبادل حسن النية في جملة من الأحيان بينهم . فقد كان هذا هو ديدن الأئمة عليهم السلام مع علماء العامة ، ولا زال هذا الديدن محفوظاً ومتبعاً بين أصحابهم إلى هذه الفترة التي نؤرخ لها .

ويكفينا أن نسمع حضور السفير ابن روح نفسه لمجالسهم ، كما ان ابا سهل النوبختي كان يعرب عن مناظراته ومحاججاته [1] إلى غير ذلك مما يطول تعداده . وبالجملة .. كان الارتباط بين علماء المذاهب الاسلامية كبيراً في بغداد في تلك الفترة .

وكان الخاصة الموالون ، إذا وجدوا من شخص انفتاحاً وتقبلاً وذهناً واسعاً وصدراً رحباً ، ازادوه ثقافة ومعرفة واطلاعا . وإذا اطمأنوا بشخص واحسوا منه الميل اليهم والقناعة باتجاههم ، زرقوا له بعض ما يعرفون مما هو أعلى من المستوى العام المعروف من الاسلام .

ومن ثم يكون المظنون،بل المتعين جزماً ، بعد سد سائر الاحتمالات الاخرى ، كما سبق .. ان يكون الراضي والمقتدر قد استقيا معرفتهما

---

١ - غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٠ .

عن هذا الطريق .. حيث كانا قبل خلافتهما يعيشان العقيدة على البساطة والصفاء بعيداً عن جو الدولة الصاخب ، فامتزجا بعلمـــاء الخاصة فاحسوا منهما الانفتاح والميل إلى حد ما ، فزرقوا اليهما بعض ما يعتبر سراً عن الآخرين كاسم السفير وعمله .

ومن ثم لم يندهش الراضي من ايراد اسم الحسين ابن روح ولم يستفسر من المتكلم عن حاله ولم يسأله عن سفارته ومكانه . فان الحسين بن روح كان قد تولى السفارة قبل خلافة الراضي بعدة سنوات عام ٣٠٥ واستخلف الراضي عام ٣٢٢ ، وتوفي ابن روح عـام ٣٢٦ كما عرفنا . فيمكن للراضي ان يكون قد عرف بسفارته قبـــل خلافته بزمن ليس باليسير .

كما أن الراجح أن المقتدر ، إنما يبدي الاحترام المتزايد لابن روح باعتبار ذلك .

وهذا البيان يشمل أي خليفة يفترض أنه يحمل فكرة عن السفراء من خلفاء تلك الفترة . ماعدا المعتمد الذي بدأت تلك الفترة أثنـــاء خلافته . فانه لاضرورة إلى إفتراض كونـه مسبوقاً بالاتصال بعلمـاء الخاصة قبل خلافته .

بل يكفي فيه مـا علمناه من إحترام الامام العسكري عليه السلام والايمان بقدسيته وصدق سجيته ..إلى حد طلب منه ان يدعو له.فان مسلك الامام في العلم والتقوى ، كاف لاخذ مثل هذه النتائج المهمة .

ولم يعلم من المعتمد انه كان عالماً بالسفراء بقليل ولا بكثير .وخاصة

وأن خبر السفارة في أول وجودها ، وهو محاط بالكتمان والحذر ،أقل إنتشاراً من أزمنتها المتاخرة . علماً أن شخص الخليفة وخاصته،هم أولى من يكتتم عنه ويتقى منه . فلم يكن يصل اليهم الخبر بحال من الأحوال وانما حصل بعض الخلفاء المتأخرين على الخبر ، قبل خلافتهم ، بصفتهم أفراداً من علماء العامة المنفتحين .

البيان الثالث : اننا نستطيع أن نجيب عن السؤال الثالث بوجهين

الوجه الاول : وهو مترتب على البيان الثاني الذي ذكرناه . وذلك : ان الخليفة العالم بأمر السفراء ، لما لم يصبح عالماً بامرهم الا بعد كونه منفتحاً على خطهم ومطمئناً اليه بقليل أو بكثير . فهو لايستطيع التخلص نفسياً وفكرياً من هذا الاطمئنان ، بعد توليه للخلافة .

إذن فبالرغم من كونه يجد نفسه عالماً بحقيقة السفراء ، ومسؤولا عن حماية خط الخلافة العباسي . إلا انه يحس بالمسؤولية أيضاً تجاه السفراء ، في حفظهم والستر عليهم ، وفاء للخط الذي انفتح عليه قبل خلافته . وفي الحدود التي لاتنافي الامن العام في الدولة .

ومعه فهو لايصرح برأيه لاحد من خاصته ، حفاظاً على السفراء وعلى نفسه أيضاً . اما محافظته على السفراء فباعتبار علمه انه لو صرح بذلك لخرج الأمر من يده ولبدأت الحملات على السفراء وقواعدهم الشعبية من دون الرجوع إلى رأيه . . من قبل قواده ووزرائه ، فانهم لم ينفتحوا انفتاحه ولم يروا رأيه . وأما محافظته على نفسه فلعلمه أنهم لو علموا بحاله لما انتخبوه ، وانهم على استعداد لازالته بمجرد تهمته

بذلك فضلا عن العلم به منه . وعلى أي حـــال ، نرى الخليفة يلوذ بالصمت تكتما وحذراً .

ومن هنا يتضح : ان هذا الشأن خاص بالخليفة وحده ، ولايشمل الآخرين . ومن هنا نجا السفراء مــن المطاردة الفعلية ، واستطاعوا التكتم ، في عهد المقتدر والراضي العارفين بشأنهم . لأن من يعلم بهم وهو شخص الخليفة ، غير عازم على مطاردتهم ، ومـن هو عـازم على مطاردتهم ، وهم الاخرون ، غير عالمين بشأنهم .

كما يتضح : ان القواعد الشعبية العامة الموالية للدولة ، بمختلف طبقاتها ، كانت خالية الذهن عن إتصالات الخليفة قبـل خـلافته . أو أنهم - على الاقل - علموا بهـــا ولكنهم لم يطلعوا على ميله وإنفتاحه ومن هنا وقع عليه الاختيار للخلافة . فانه كان يتكتم جزماً بذلك قبل خلافته وبعدها ، بحيث يخفى حـاله على الاخرين وعلى التاريخ العـام المدون ايضاً .

كما يتضح من ذلك ، انه يمكن القول :بأن قتل المقتدر للحسين بن منصور الحلاج عام ٣٠٩ ، وقتل الراضي لابن ابي العزاقر الشلمغاني عام ٣٢٢ ، كما سبق ان عرفنا - وكلاهما ادعى السفارة زوراً - . قد كان مستنداً إلى انفتاحهما ايضاً . اي ان ما قلناه سابقاً من ان قتلهما لهـذين الرجلين المنحرفين ، عمــل مشترك في مصلحة خط السفراء .. هذا المعنى كان ملحوظا للخليفة فعلا ، وان البسه بلباس آخر ، تكتمـــاً وتحذراً .

يبقى سؤال واحد ، وهو أن الخليفة على فرض انفتاحه على خط السفراء وميله اليه ، كيف رضي بان يتولى الخلافة ، ولماذا لم يسلمها الى من يرى انها حقه بعد أن تولاها .

ومختصر الجواب : اننا ان فرضنا ان الخليفة كان قد اصبح قبل خلافته شيعياً مخلصاً تماماً .. إذن فقد يصبح معرضاً للقتل على تقدير تصريحه برأيه ورفضه للخلافة . على انه - لو كان كذلك - لعلم انه ليس هناك من يدفع الخلافة اليه ، فان المهدي (ع) غائب والسفير غير مامور بتولى الخلافة .. كما انه ليس هناك من يقبل تنازله عنها فانه لو تنازل يعود الحكم إلى شخص عباسي آخر ، لا إلى من يعتقده أهلاً لذلك . ولعله يكون أسوأ اتجاهاً ضد السفراء منه فيما إذا تولاها .

وان لم نفرض في مثل هذا الخليفة ذلك ، ولا حاجة إلى مثل هذا الافتراض بطبيعة الحال ، بل يكفي فيه افتراض كونه وفياً للصحبة السابقة مع الخاصة ، محترماً لعلمهم وتقواهم .. وهذا هو الذي اكدنا عليه في البيان الثاني . فإذا كان الحال كذلك ، فانه لا يحتمل في حقه رفض الخلافة حين تعرض عليه ، بما فيها من ملك وقوة وإغراء . فانها مما تنال بالسيف وتهرق في سبيلها الدماء ، فكيف إذا حصل عليها بطريق سهل بسيط .

* * *

الوجه الثاني : ان نغض النظر عن الوجه الاول فنفترض الخليفة عالماً بسفارة السفراء ، وغير حريص على الوفاء معهم ، بل يرى السير

على خط الدولة الزم والمحافظة على أمنها وصيانتها أرجح .

الا اننا نقول : انه كان عاجزاً عن تجريد الحملات على السفراء للقبض عليهم واستجوابهم وتعذيبهم . أو على الأقل ، لم يكن يرى من مصلحة الدولة حدوث ذلك .

وذلك : لما يراه الخليفة عيانا ويعيشه من التصدع في اركان الدولة والحروب في أطرافها عن قرب وعن بعد .. فصاحب الزنج أولاً والقرامطة ثانياً والخوارج ثالثاً وقواد الأطراف رابعاً ، ومشاكل الوزراء والحرس وتمرداتهم واحتجاجاتهم على كثير من الأوضاع خامساً . كل ذلك مما يشتت قوى الدولة ويدعها تحارب في عدة جبهات وتضطر لصرف الأموال في مختلف الجهات .

مضافاً إلى ان نجم الخلافة كان لازال مستمراً بالافول ، ولم تواجه الامة بعد المعتضد ـ خلال هذه الفترة ـ خليفة قوياً يؤبه به ويركن اليه .

فالخليفة لم يكن يجد القدرة : أو لم يكن يجد المصلحة ، في أن تفتح الدولة جبهة جديدة للحرب ، بتجديد الحملات ضد السفراء ، وما يحتمله من استتباع ذلك من تحركات واراقة دماء في نفس العاصمة بغداد .. مسكن الخلافة والسفراء . وما قد يستتبعه من ثورات في الأطراف من قبل المخلصين الداعين إلى الرضا من آل محمد . وقد عرفنا مقدار حذر الدولة من هذه الثورات وفرقها من حدوثها .

وما قلناه من قلة هذه الثورات خلال هذه الفترة .. انما هو أمر

ندركه بعد نجاز الحوادث وتمخض النتائج خلال التاريخ . ولم تكن الدولة يومئــــذ . بمدركة لذلك ، وهي تعيش تلك الاحداث مباشرة وقريبة العهد من كثير من هذه الثورات ، ومعاصرة لبعضها بالفعل والتي من اهمها دولة طبرستان . فكل ذلك مانع لابحاله للدولة عن ان تجرد الحملات ضد السفراء ، حفاظاً على البقية الباقية من قوى الدولة ، في جبهاتها المختلفة .

وهذا هو الذي يوضح لنا .. كيف ان الخليفة لايصرح للاخرين بما يعلمه من امر السفراء . فانه يعلم انه لو صرح بذلك لخرج الامر من يده، ولبدء الاخرون الحملات التي لم يكن مقتنعاً بكونها صحيحة وذات مصلحة بالنسبة الى الدولة .

يضاف إلى ذلك : امكان افتراض ان الخليفة العالم بأمر السفراء كان يعلم ايضاً بعدم عزمهم على القيام باي حركة اجتماعية عامة . ومن ثم فهو لايشكل خطراً مباشراً على الدولة . ومن هنا كان يرى الخليفة بوضوح ان الوقوف في وجه الاعداء المحاربين عن قرب في البلاد او عن بعد ، اولى من صرف المال والجهد ضد امر لاضرر منه . خاصة وهو يحتمل ان السفراء وقواعدهم الشعبية لو جوبهوا بالتحدي لامكن ان يصبحوا له جبهة قتال اخرى لاتقــــل ضرراً عن اي جبهة اخرى بل قد تزيد .

الامر الثامن : في مقدار ارتباط السفراء، بقواعدهم الشعبية ذكرنا فيما سبق ، انه لم يكن يعرف باسم السفير الا من عرف فيه الاخلاص

العظيم والاستعداد للتضحية والفداء. وهم الخاصة الاقلون بطبيعة الحال.

الا ان المفهوم من مجموع النقل التاريخي في رواياتنا ، ان القواعد الشعبية الموالية في بغداد خاصة وفي العراق عامة ، كانت تعرف - على العموم - فكرة السفارة وكيفية الاتصال بالسفير ولو بوسائط . وان عدداً مهماً من خاصتهم وعلمائهم ومبرزيهم ، كانوا على اتصال مباشر بهم وعلم بمسؤولياتهم . وقد يقوم جملة منهم بالوساطة بين السفير والمجتمع لابلاغ توقيعات المهدي وتوجيهاته إلى الناس . قال الشيخ الطوسي : وقد كان في زمان السفراء الممدوحين اقوام ثقات ترد عليم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الاصل [1] .

وقد يرتبط الفرد العادي من القواعد الشعبية الموالية ، بواحد من هؤلاء الخاصة ، لقضاء مقصوده عن طريق السفير ، من دون معرفته بشخص السفير ولا مكانه ولا عمله الاجتماعي الظاهر . ولا يكون هذا الواسطة على استعداد للتصريح بذلك باعتبار كون الفرد العادي ، غير قادر على الكتمان ، ولا على مستوى المسؤولية والاخلاص . وسنسمع اسماء جماعة من هؤلاء الوسطاء في الفصل الاخير من هذا القسم من التاريخ .

وعلى اي حال فقد سمعنا فيما سبق انه كان لابي جعفر العمري في بغداد نحواً من عشرة انفس ، منهم ابو القاسم ابن روح رضي الله عنه كانوا وكلاء على الاموال والتجارات . الا ان استعمالهم على ذلك انما

---

١ - غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٥٧ .

كان للتغطية على الامر وزيادة الحذر والكتمان . كما هو الحال في السفير نفسه . وفي الواقع كانوا وكلاء في المال وفي قيادة قواعدهم الشعبية . . وقد سمعنا كيف ان الحسين بن روح يلقي باسراره الى الرؤساء من الشيعة [1] .

كما نسمع ان ابن روح رضي الله عنه ، كان له الوكلاء، منهم الشلمغاني قبل انحرافه [2] . وآخرين . وفي بعض الروايات يعبر بقول الراوي : كتبت الى الشيخ ابي القاسم الحسين بن روح ، وهو ظاهر بوجود واسطة بينه وبين الراوي . . لعدم وجود البريد يومئذ بالنحو المعروف الان .

فكان الامر في بغداد والاطراف يجري على هذا النسق ، فكانت توزع تعاليم الامام المهدي عليه السلام وتجبى الضرائب الاسلامية والحقوق الشرعية ، بشكل هرمي ، يكون السفير قمته ، والوكلاء الخاصون وسطه ، والقواعد الشعبية الموالية قاعدته ، وذلك مبالغة في الخفاء والحذر والتستر .

واما في الاطراف البعيدة ، فالامر في مبدأ الغيبة الصغرى وتحقق فكرة السفراء ، كان مختلفاً عن ذلك الى حد كبير . فقد كان الامر عند الكثيرين غامضاً مجملا .

صحيح ، ان المهدي (ع) نفسه اسس الأساس الرئيسي لارتفاع

---

١ - الغيبة ص ٢٢٧ .

٢ - المصدر ص ١٨٣ .

هذا الغموض ، منذ اليوم الاول للغيبة الصغرى ، حـــين ذكر لوفد القميين انه سيعين لهم رجلا في بغداد تـدفع اليه الاموال وتخرج عنه التوقيعات . فكان لهذا الوفد اثره الكبير في ايضاح الفكرة في العراق وفي قم واطرافها الى حدكبير .

الا ان الانتشار المطلوب لهذه الفكرة ، يحتاج إلى عـــدة سنوات خاصة وهو يعيش جو التكتم والحذر ، في كل أصقاع البلاد الاسلامية ومن هنا كان الأمر في مبدأ الغيبة الصغرى غامضاً لدى الكثيرين ومبهماً مجملا .

فهذا محمد بن ابراهيم بن مهزيار الأهوازي ، يرد العراق شاكاً بعد وفاة الامام العسكري عليه السلام ، باحثاً عن خلفه [1] . وفي الدينور حين أراد أهلها بعد وفاة الامام بسنة أو سنتين ، أن يسلموا أموالهم إلى أحمد بن محمد الدينوري ليحملها إلى حيث يجب تسليمها.. فاجابهم: يا قوم هذه حيرة ولا نعرف الباب في هذا الوقت .

انظر .. انه يعرف السفارة وكونها مطبقة في ذلك الحين،ويعرف كونها في بغداد ، لكونه قصد بغداد بعد ذلك باحثاً عن السفير ، كما جاء به النقل [2] . ولكنه يعترف بجهله باسم وشخص السفير (الباب) في ذلك الوقت .

وفي مصر ، خرج أبو الرجاء المصري ، وكان من الصالحين ، بعد

---

١ - انظر الغيبة ص ١٥٩ والمنتخب ص ٣٨٣ .

٢ - انظر البحار ج ١٣ص ٧٩ .

مضى الامــــام العسكري عليه السلام بثلاث سنين ، خرج في طلب خلفه [1] والتعرف على وظيفته وتكليفه في تلك الفترة .

ومن الطبيعي ان يثور مثل هذا الغبار في أول فترة الغيبة الصغرى في المناطق النائية عن المركز . ولكنه ينجلي تدريجاً بعد أن يستطيع هؤلاء الباحثون عن الامر ان يحصلوا على المراد ، فيعرفوا شخص السفير أو يقابلوا الامام (ع) بنفسه أحيانــــاً . فيرتفع شكهم ويرجعون إلى بلدانهم لكي يبلغوا ما رأوا من الحق ، مضافاً إلى تبليغ وفد القميين وما يقوم به من جهود . فيستتب اليقين وتهدأ النفوس .

واذ تتضح جلية الأمر يصبح نفس النظام الهرمي مطبقاً في الاطراف أيضاً ، حيث يرجع الناس هناك إلى الوكلاء المبثوثين في البلدان ويرجع هؤلاء بالمراسلة إلى السفير في بغداد .

* * *

فهذه هي أهم الامور التي تحدد الخصائص العامــــة والمضمون الاجتماعي للسفارة ، الذي عقدنا من أجله هذا الحقل الأول .

الحقل الثاني : في تفاصيل أعمال السفراء :

سبق ان قلنا اننا خلال هذا البحث لا نحاول استقصاء كل ما ورد في تاريخهم من اخبار ، بل حسبنا أن نعطي لكل عنوان نعقده من الامثلة ما يجليه ، من دون تطويل .

كما اننا حين نتحدث عن نشاط السفراء ، نتحدث عنهم بنحو عام

---

١ - انظر اكمال الدين المخطوط وغيره .

لانهم لا يكادون يتميزون في الاساليب ، باعتبار صدورهم من منبع واحد ، هي توجيهات الامام المهدي عليه السلام . وكل ما يستقل به بعض السفراء من خصائص راجع إلى اختلاف المصالح التي يراها المهدي (ع) في ذلك ، بحيث لو كان السفير الآخر في محله لقام بنفس العمل لا محالة .

وفي هذه الحدود يقع الكلام في أعمال السفراء ، ضمن عدة نقاط :

النقطة الأولى : اقامة الحجة على اثبات صدقهم باظهار المعجزات على المستوى الذي سبق ان عرفناه وبحثناه ، ينقطع لسان الطاعن ويزداد يقين المتيقن .

ووجه الحاجة إلى مثل ذلك على العموم ، هو ان منصب السفارة عن الامام المهدي عليه السلام ، منصب مهم جليل تصبو اليه الانظار وتتشوق اليه النفوس . ومن ثم لم يكتف جماعة ممن لا حريجة له في دينه بمجرد الأمل بالحصول عليها . بل ادعى جماعة السفارة فعلاً عن الامام المهدي (ع) كذباً وزوراً ، استدراراً للأموال واستجلاباً للانظار ، فلحقته لعنة الله والمهدي والتاريخ .. على ما سنعرف في الفصل القادم .

ومن ثم احتاج السفراء إلى اقامة الحجة على صدقهم من ناحيتين :

احداهما : كون السفير صادقاً في قوله ، وغير طامع بالزعامة المزيفة في دعواه للسفارة .

وهذه الناحية ، وان كانت تثبت بامور عديدة ، منها : وثاقة السفير

في نفسه بحسب التجربة التي يعيشها الناس معه . ومنها : مدح الأئمة عليهم السلام للسفيرين الأولين .. وقد كان ذلك مشهوراً معروفاً بينهم ومنها : ايعاز كل سفير إلى خلفه امام جمع من الخاصة .إلا أن المعجزة ـ على أي حال ـ ذات أثر حسي مباشر أقوى في ازالة الشك للشاك وانفع في التاثير على اولئك الوافدين الذين لم يعيشوا تلك الامور وانما نقلت اليهم بعضها بنحو السماع الظني .

ثانيتهما : افحام المدعين للسفارة زوراً وإظهار كذبهم ودجلهم وذلك لانه إذا اتضح للفرد جلياً قدرة السفير على اقامة خوارق العادة وعجز الآخر عن ذلك ، تعين لديه صدق الأول وكذب الثاني لامحالة .

وقد سبق أن حملنا عن بعض المعجزات فكرة مختصرة ، ونعرض له الآن ، بشيء من التفصيل مقروناً ببعض الأمثلة :

فمن ذلك : ما قاله الحسين بن روح للراوي الذي ناقشه في بعض الأمور العقائدية ، فغدا عليه من الغد وهو يقول في نفسه : أتراه ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه ؟.. فابتدأه ابن روح ، بدون سبق الكلام قائلاً : يا محمد بن ابراهيم لئن اخر من السماء فتخطفني الطير أو تهوى بي الريح في مكان سحيق ، أحب إلي من ان أقول في دين الله برأيي ومن عند نفسي . بل ذلك من الأصل ومسموع من الحجة صلوات الله وسلامه عليه [1] .

انظر كيف اقترنت أمور ثلاثة انتجت نتيجة واضحة . احدها :

---

١ ـ انظر الغيبة للشيخ الطوسي/ص ١٩٩ .

شك المخاطب . والآخر : التاكيد الذي ذكره ابن روح في كلامه والثالث : ان ابن روح ابتداه بالكلام بما في نفسه قبل أن يعرب عنه وهو خرق للنواميس الطبيعية ، وعلم للغيب ببعض مراتبه . وبذلك ارتفع شكه ، ولم يكن شكه ليرتفع دون ذلك .

ومن ذلك : ان ابن روح رضي الله عنه ، تكلم مع امرأة من أهل آبة ، بلغة قومها . فانها جاءت تحمل معها ثلثمائة دينار لكي تسلمها إلى السفير ، واستصحبت معها مترجماً ، ليكون واسطة في التفاهم بينهما ولكن أبو القاسم بن روح أقبل عليها وتكلم معها بلسان ابي فصيح بادءاً بسؤال أحوالها وحال صبيانها . فاستغنت عن الترجمة ، وسلمت المال ، ورجعت [1] .

انظر لهذه الحجة الساذجة البسيطة ، التي تزيل ما قد يكون علق في قلب هذه المرأة الوافدة من الشك ، أو من ثقل المسؤولية بدفع المال اليه .

ومن ذلك إخبار السمري بوفاة علي بن الحسين بن بابويه القمي فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم ، فورد الخبر انه توفي في ذلك اليوم [2] .

ومن ذلك: ان أبا جعفر العمري اخرج إلى محمد بن شيبل ، ثوبيان معلمة، وصريرات فيها دراهم . وقال له : تحتاج أن تصير نفسك إلى

---

١ - الغيبة ص ١٩٥ .

٢ - انظر الغيبة ص ٢٤٢ ومنتخب الأثر ص ٣٩٩ .

واسط في هذا الوقت ، وتدفع ما دفعته اليك إلى أول رجل يلقاك عند صعودك من المركب في واسط [١] . وبعد أن ينفذ ابن متيل هذا الأمر يرى الشخص المقصود ، كما وصفه العمري ، ويظهر له من تضاعيف الحادثة ان صرة الثياب هي كفن لمحمد بن عبيد الله الحايري ، وصرة الدراهم كراء الحمالين والحفار .

ومن ذلك : ان أبا جعفر العمري رضي الله عنه وصله رسول من قم إلى بغداد يحمل أموالاً للامام عليه السلام. وعندما دفعها اليه وأراد الانصراف ، قال له أبو جعفر : قد بقي شيء ممـــا استودعته ، فاين هو ؟ . فقال له الرجل : لم يبق شيء يا سيدي في يـدي إلا وسلمته . فقال له أبو جعفر : بلى قد بقي شيء فارجع إلى مـا معك وفتشه وتذكر ما دفع اليك .

فمضى الرجل واجهد نفسه أياماً في البحث والتفكير ، فـلم يفلح فعاد إلى ابي جعفر يائساً . فقال له أبو جعفر : فانه يقال لك - يعني من قبل المهدي (ع) - : الثوبان السردانيان اللذان دفعهما اليك فلان ابن فلان ، ما فعلا . فقال له الرجل : أي والله يا سيدي لقد نسيتهما حتى ذهبا عن عقلي . ولست أدري الآن ، أين وضعتهما .

وبحث الرجل عنها طويلاً ، وسأل كثيراً فلم يقف لهمـا على خبر فرجع إلى ابي جعفر فاخبره . فقال له أبو جعفر . يقال لك : امض إلى فلان بن فـلان القطان الذي حملت اليه

---

٢ - انظر منتخب الاثر ص ٣٩٦ . واكمال الدين المخطوط

عدلي القطن ، في دار القطن ، فافتق أحدهما ، وهو الذي مكتوب عليه كذا وكذا ، فانهما في جانبه .

فتحير الرجل مما أخبر به ابو جعفر ، ومضى لوجهه الى الموضع ففتق العدل المذكور ، فاذا الثوبان في جانبه ، قـد اندسا مع القطن فاخذهما وجاء بهما الى ابي جعفر وسلمهما اليه[1] .

انظر إلى صراحة ابي جعفر رضي الله عنه ، بأن هذه التعليمات ليست منه ، وإنما هي أوامر الامام المهدي (ع) وتعاليمه. وهذا معنى ماقلناه من ان مايخبر به السفراء من الأمور الغائبة ، انما هي بتعليم منه عليه السلام . وهي تدل بوضوح ـ امـام هذا الرسول القمي ـ على صدق سفارة السفير وحقانية دعواه . بـل على جلالة شانه ، وعناية الامام المهدي به .

وانظر إلى هذا التزريق التدريجي للاخبار عن الثوبين الضائعين اذ اخبره اولاً عن شيء ضائع ، ثم اخبره عـن جنسه وهو انهما ثوبان سرد انيان . ثم اخبره عن مكانهما ، وكان يفصل بين كل أخبار وآخر عدة ايام. وهذا يوفر حشداً نفسياً من التوجـه الذي يمهد طريق اليقين بالنتيجة والشعور بضعف النفس وتفاهتها أمام هذا التيار الجارف من الحجج الدامغة .. التي لاتفسير لها الا كونها واقعة في طريق الله عز وجل رب العالمين العلي العظيم .

ومن ذلك : ان الشلمغاني بعد انحرافه وتزويره ، ارسل الى الشيخ

---

١ ـ غيبة الشيخ الطوسي ص ١٧٩ .

الحسين بن روح يسأله ان يباهله . وقال : انا صاحب الرجل -يعني الأمام المهدي (ع) - ، وقد أمرت باظهار العلم . وقد اظهرته باطناً وظاهراً . فباهلني . فانفذ اليه الشيخ رضي الله عنه في جواب ذلك : اينا تقدم صاحبه فهو المخصوم . فتقدم العزاقري ، فقتل وصلب . وأخذ معه ابن ابي عون . وذلك في سنة ٣٢٣ [1] . وسياتي تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى في مستقبل هذا البحث .

النقطة الثانية : المساهمة في إخفاء المهدي « ع » . وهو ما كان كل واحد من السفراء،يكافح في سبيله ويؤكد عليه ملياً . وكيف لا، وهو على مستوى المسؤولية التي عبر عنها بعض الخاصة من معاصريهم بانه لو كان الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ليكشف الذيل عنه ، لما كشفه كما سبق ان سمعنا .

فمن ذلك:ان عبد الله بن جعفر الحميري واحمدبن اسحاق الاشعري وهما من اجلاء علماء الاصحاب وخاصة الموالين لخط الائمة عليهم السلام. كما عرفنا من القسم الاول من هذا التاريخ طلبا من ابي عمرو عثمان بن سعيد السفير الاول ان يخبرهما عن اسم الامام المهدي عليه السلام فقال : نهيتم عن هذا .

وفي رواية اخرى عن نفس الواقعة انه قال : محرم عليكم ان تسألوا عن ذلك . ولا اقول هذا من عندي وليس لي ان احلل واحرم ولكن عنه عليه السلام . فان الامر عند السلطان ان ابا محمد« ع »مضى

---

١ - الغيبة ص ١٨٧ .
٢ - المصدر ص ٢١٥ .

ولم يخلف ولداً وقسم ميراثه واخذه من لاحق له ، وصبر على ذلك . وهوذا عياله يجولون وليس احد يجسر أن يتعرف اليهم وينيلهم شيئاً . واذا وقع الاسم وقع الطلب . فاتقوا الله وامسكوا عن ذلك[1]

وقد درسنا في [illegible] تفصيل الظروف المقتضية لهذا النهي المشدد عن ذكر الاسم ، حتى أمام مثل هؤلاء الخاصة . خوفاً من أن يتسرب ببطء - ولو عن غير قصد - الى اصحاب النيات السيئة والنفوس المريضة من عملاء الدولة أو ممن يلين لها ويخاف من سطوتها ، فيصرح بسره ويكشف ما في نفسه .

وخرج التوقيع من المهدي (ع) الى محمد بن عثمان العمري السفير الثاني رضي الله عنه ، إبتداء من غير مسألة : ليخبر الذين يسألون عن الاسم : أما السكوت والجنة، وأما الكلام والنار . فانهم أن وقفوا على الاسم أذاعوه . وإن وقفوا على المكان دلوا عليه[2] .

انه عليه السلام يأمر سفيره ان يخبر اولئك الفضوليين الذين يسألون عن الاسم .. انهم مأمورون بالسكوت . فانهم أن تقدموا بشيء في هذا السبيل ، فالنار مثواهم وبئس المصير .

وانظر إلى العلة التي يذكرها .. انه يشير إلى ضعف الاخلاص والارادة عند الفرد المسلم . وان كان سائراً في خط الائمة عليهم السلام فانه ان أطلع على الأسم افشاه، وصرح به تحت الضغط الحكومي العالي

---

١ - الغيبة ص ٢١٩ . وانظر أصول الكافي (المخطوط) .

٢ - الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٢ .

دان عرف المكان دل عليه الناس والسلطات .

وقد أثيرت هذه التساؤلات في أغلب أمرها ، في السنوات الأولى من فترة الغيبة ، وهذا ملحوظ مما نقلناه من أن التحريم صادر عن السفيرين الأولين ، ولم يصدر من السفيرين الاخيرين شيء ملحوظ في ذلك .

وعلى أي حال ، فقد كان المتسائلون يغفلون أو يتناسون التبليغات القديمة من الائمة الماضين عليهم السلام . كقول الامام الهادي الذي سمعناه في القسم الأول من هذا التاريخ : انكم لا ترون شخصه ولا يحل ذكره باسمه . قال الراوي : فقلت فكيف نذكره ؟ فقال : قولوا : الحجة من آل محمد (ص) [1] . وقول الامام الصادق (ع) : صاحب هذا الأمر لا يسميه باسمه إلا كافر [2] .

وعلى أي حال ، فهذا الكتمان الشديد ، منوط بعدم وجود مصلحة كبرى في الدلالة على مكان الامام عليه السلام ومقابلته ، أما لو وجدت مثل هذه المصلحة ، لم يكن إلى ذلك من بد . ومما يندرج في ذلك : ان أبا جعفر العمري رضي الله عنه،حين رأى ان أبا طاهر بن بلال،وهو أحد مدعي السفارة زوراً ، يحتكر الاموال التي للامام (ع) ولايدفعها إلى سفيره الحق . اصطحبه وادخله إلى بعض دوره . يقول أبوطاهر: فاشرف عليّ من علو داره فامرني بحمل ما عندي من المال اليه . فقال

---

١ – انظر أصول الكافي (المخطوط) .

٢ – المصدر السابق (المخطوط) .

له أخوه : ومن اين علمت انه صاحب الزمان . قال : قد وقع علي من الهيبة له ودخلني من الرعب منه مـا علمت انه صاحب الزمان [1] .

فكان المهدي عليه السلام ـ فيما تدل عليه هذه الرواية ـ يرى المصلحة في أن يقابل المدعي المزور وجهاً لوجه ، ويأمره بدفع الاموال وعدم احتكارها . فكان ان ذهب به السفير إلى بعض دوره ، وتمت المقابلة هناك . وكانت المقابلة قصيرة ورهيبة بالنسبة إلى هذا المزور .. وهو يعلم بكذب نفسه ، وسوء تصرفه .

والطريف في أمره انه اضطر إلى الاعتراف بعدم معرفته بصاحب الزمان المهدي (ع) شخصياً ، بالرغم من انه يدعي السفارة عنه. وهذا يدل بكل وضوح على كذبه وإفحامه .

وكان المهدي عليه السلام يعلم بأن هذا الرجل ، بالرغم من سوء تصرفه ، فانه لن يدل السلطات عليه ، لانه ـ في واقعه ـ يعيش باسم السفارة عن المهدي (ع) ويقبض الاموال من الناس ويتكلم معهم على هذا الاساس .. فمن غير المنطقي بالنسبة اليه أن يدل السلطات على تلك الدار التي تمت فيها المقابلة . مضافاً الى أن إتصاله بالسلطات قد يكون سبباً لانزالهم العقاب عليه وتجريده من امواله ، بصفته مدعياً للسفارة . مضافاً إلى مايفكر به هذا الشخص ، بشكل اليقين أو الظن على الاقل . من أن الايعاز إلى السلطات بذلك ، سوف لن يجدي نفعاً

١ ـ الغيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٦ .

في القبض على المهدي « ع » . فانه يستطيع أن يخفي نفسه بمختلف السبل ولن يكون هذا بأهم من حوادث الكبس التي وقعت على دوره عليه السلام ، فلم يتهيأ للسلطات القبض عليه بحال

النقطة الثالثة : التزام السفراء بالتكتم والحذر . وقد سبق أن عرفنا هذا المسلك ، وحملنا عن اسبابه ونتائجه فكرة كافية ، وغاية غرضنا في هذه النقطة ان نعرض امثلة من ذلك ، في حدود ماوردنا من تاريخ.

فمن ذلك : ماسمعناه من أن ابا جعفر العمري رضي الله عنه . . وقد كان الامر حاداً جداً والسيف يقطر دماً .. كان يتسلم الامـــوال الراجعة إلى الامام (ع) من أصحابها بصفته تاجراً من التجار ، ولا يدفع بها وصلا لئلا يتسرب الى السلطات .

وكان مايحمل إلى أبي جعفر من المال ، لايقف من يحمله على خبره ولاحاله . وإنما يقال له : أمض إلى موضع كذا وكذا ، فسلم مامعك ،من غير أن يشعر بشيء . ولا يدفع له كتاب لئلا يوقف على ماتحمله منه .

وحين نص أبو جعفر قبل موته بسنتين أو ثلاث على الحسين بن روح ، وأمر بتسليم الاموال اليه . كان يطالب ابن روح بالوصول . فشكا ذلك الى أبي جعفر . قال الراوي ، ـ وهو احد حملة المال اليه ـ فامرني أن لااطالبه بالقبوض ـ يعني الوصولات ـ . وقال : كل مـــا وصل الى أبي القاسم فقد وصل الي. فكنت احمل ، بعد ذلك ، الاموال اليه ولا اطالبه بالقبوض [1] .

---

١ – المصدر ص ١٨٠

٢ – انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٢٦ . و الاكمال المخطوط .

وحين آلت السفارة الى الحسين بن روح بعد وفاة العمري ، ازداد تمسكا بالحذر والكتمان ، إلى حد إظهار التدين بمذهب أهل السنة والجماعة والدفاع عنه . وقد سمعناه يظهر تاخير أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في الأفضلية على جميع الخلفاء الراشدين الثلاثة .

ولم يكتف ابن روح باظهار ذلك ، بل شمل لطفه وعطفه معاوية بن أبي سفيان ايضاً .. فقد بلغه ان بواباً له قد لعن معاوية وشتمه فأمر بطرده وصرفه عن خدمته . قال الراوي : فبقي مـدة طويلة يسأل في إمره . فلا والله ما رده الى خدمته[1] .

ان إبن روح لم يمدح معاوية .. ولكنه في نفس الوقت لايرى من صالح عمله كسفير عن الأمام المهدي (ع) ، وجود من يلعن معاويه في بيته أو عند بابه .. حتى لايكون هـذا مستمسكاً ضده عند الدولة في يوم من الأيام .

وكان رضى الله عنه ، يستعمل نفس هذا الأسلوب مع سائر الناس ماعدا من يعلم باخلاصه وقوة إيمانه . حتى انه كان عشرة ذاهبين إلى إبن روح تسعه يلعنونه وواحد يشكك ، فيخرجون من عنده ، تسعة يتقربون إلى الله بمحبته وواحد واقف .[2]

وهم انما اصبحوا من محبيه ، باعتبـار افاضته في فضائل الصحابـة ودعوته إلى مذهب الخلفاء الراشدين . لاباعتبار انه قد اثر على هؤلاء في

---

١ - انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٣٧ .

٢ - المصدر ص ٢٣٨ .

جلبهم إلى خط الائمة عليهم السلام ، وجعلهم مخلصين له . ولذا يقول الراوي : لانه كان يجارينا في فضل الصحابه ماورويناه ومالم نروه فنكتبه لحسنه عنه ، رضي الله عنه

ولهذا المسلك فائدة جمة في إبعاد النظر عنه ، وحسن ظن العامة به وإحترام الخليفة المقتدر له . الا انه معذلك لم ينج من السجن أياماً يسيره في دار المقتدر عام ٣١٢ [١] . وبالطبع كان لمسلكه هذا ، الأثر الكبير في تخفيف السجن عليه وقصر مدته .

النقطة الرابعة : إخراج توقيعات الامام المهدي(ع) وحل المشكلات وتذليل العقبات التي قد تصادف بعض قواعدهم الشعبية في طريقها

وفي الحقيقة أن المشكلات انما تحل والحاجات انما تقضى نتيجة لتعاليم الأمام المهدي (ع) الواردة في توقيعاته ، ومن هنا يعتبر التوقيع عملا من أعماله ، وإن استند الى السفير باعتبار إظهاره والعمل على تطبيقه كما سبق أن قلنا .

وعلى أي حال ، فنحن ذاكرون العناوين العامة للتوقيعات مع مثال واحد لكل منها ، محيلين التفصيل إلى ماسنسمعه في الفصل الخاص باعمال المهدي عليه السلام من هذا التاريخ .

ونحن إذا لاحظنا اثر التوقيعات من الناحية الاجتماعيه في حل المشكلات وقضاء الحاجات ، نراها تندرج ضمن عدة امور :

الامر الاول : حل المشكلات العائلية ، وتحويل الاسرة الى اسرة

---

١ - المصدر ص ٢٥٢ و ص ١٨٧ .

سعادة وهناء .

فمن ذلك : أن زوجا حمل زوجته الى بيت ابيها ، فاقامت فيه سنين ، لايسمحون لها بالرجوع إلى منزل زوجها ، ولاتجدي محاولات الزوج في ذلك ، ثم انه اتى بغداد وسأل الدعاء من الأمام عن طريق الحسين بن روح . فخرج التوقيع : والزوج والزوجه فاصلح الله ذات بينهما . فسهل الله له نقل زوجته بايسر كلفة ، وأقامت معه سنين كثيرة وانجبت منه اولاداً .

قال الزوج (وهو الراوي) : وأسأت اليها إساءات إستعملت معها كل ما لا تصبر النساء عليه ، فما وقعت بيني وبينها لفظة شر ولا بين أحد من اهلها الى ان فرق الزمان بيننا [1] .

الامر الثاني : تيسير الشفاء لامراض قد أزمنت وطال علاجها

فمن ذلك : ان شخصاً خرج به ناسور : فعرضه على الأطباءوانفق في التداوي عليه مالاً . فلم يجد فيه شيئاً . فكتب رقعة إلى الأمام(ع) يسأل فيها الدعاء . فخرج التوقيع اليه قائلاً : البسك الله العافية وجعلك معنا في الدنيا والآخرة .

يقول : فما أتت علي جمعة حتى عوفيت ، وصار الموضع مثل راحتي . فدعوت طبيباً من اصحابنا وأريته إياه . فقال : ماعرفنالهذا دواء . وما جاءتك العافية الا من الله بغير احتساب [2] .

---

١ الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٨٦ .وانظر ص ١٩٧ أيضاً .
٢ – الارشاد ص ٣٣٢ .

الامر الثالث : طلب الولد .

فمن ذلك : ان علي بن الحسين بن موسى بن بابوية القمي، ارسل إلى إبي القاسم بن روح بواسطة أبي جعفر محمد بن علي الأسود، يسال الأمام المهدي عليه السلام ان يدعو له ان يرزقه ولداً ذكراً . فساله ابو جعفر الأسود لابن بابوية ولنفسه . فاخبره ابن روح بعد ذلك بثلاثة ايام : أنه عليه السلام قد دعا لابن بابويه وأنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به ، وبعده أولاد . ولكنه لم يدع له وقال : ليس إلى ذلكمن سبيل . فلم يولد له [1] .

الامر الرابع : سؤال الدعاء لمهام الأمور :

فمن ذلك : أن القاسم بن العلا ، وهو من الوكلاء في اذربيجان على ماسنسمع في مستقبل الأمر ، ولد لــــه عدة بنين فكان يكتب الى المهدي (ع) يسال الدعاء لهم. فلا يجاب بشيء في امرهم . فماتوا كلهم فلما ولد له ولده الحسين ، كتب يسال الدعـاء له . فاجيب إلى ذلك . وبقي ابنه في الحياة [2] .

الامر الخامس : الاستئذان بالسفر .

فمن ذلك : ان رجلاً يمانياً كان في بغداد ، فاراد ان يخرج مـــع قافلة يمنية متهيئة للخروج . فكتب يستاذن في الخروج . فخرج التوقيع قائلاً : لاتخرج معهم فليس لك في الخروج معهم خَيرَة . واقم با لكوفة

---

١ - انظر الغيبة ص ١٩٥ وانظر أيضاً ص ١٨٨ .

٢ - انظر الارشاد ص ٣٣١ .

فامتثل الامر واقـام بالكوفة . وخرجت القافـلة متوجهة إلى اليمن . فخرجت عليهم بنو حنظلة فاجتاحتهم واستأصلتهم .

فكتب هذا الرجل يستأذن في ركوب البحر ، فلم يؤذن له .فبقي متطلعاً سائلاً عن اخبار المراكب التي خرجت في تلك السنة . فعرف بعد ذلك انها جميعاً قـــد غرقت وتقطعت من الرياح البوارح ، ولم يسلم مركب منها[1] .

الأمر السادس : الاستئذان بالخروج إلى الحج .

فمن ذلك : ان رجلاً من بني نوبخت عزم على الحج في احدى السنين وتأهب له . فخرج اليه من المهدي (ع) خطاب يقول نحن لذلك كارهون فاغتم الرجل وضاق صدره . وكتب إلى الناحية : أنا مقيم على السمع والطاعة ، غير اني مغتم بتخلفي عن الحج . فخـرج اليه الجواب : لا يضيقن صدرك ، فانك تحج من قابل . فلما كان من قابل ـ أي السنة الآتية ـ كتب الرجل يستأذن فورده الاذن . فكتب إلى الناحية : اني عادلت محمد بن العباس وانا واثق بديانته وصيانته . فورد الجواب : الاسدي نعم العديل فأن قدم فلا تختر عليه . قال الراوي : فقـــدم الاسدي فعادلته[2] .

انظر كيف يتوخى الامام المهدي (ع) مصـالح أصحابه ومواليه يذلل مشاكلهم ويحل مصاعبهم بسعة صدر وانفتاح على الحوادث.حتى

---

١ ـ انظر الارشاد ص ٣٣٢ .

٢ ـ الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٥٧ .

انه يختار لهذا الرجل عديله ورفيق سفره ، فينهاه عن شخص ويعين له شخصاً آخر . وهو الأسدي . والظاهر انه ابو الحسين محمد بن جعفر الاسدي ، الذي كان وكيلاً للسفراء في تلك الفترة .

الأمر السابع : طلب الناس تزويدهم باكفان وحنوط .

فمن ذلك : انه كتب محمد بن زياد الصيمري يسال المهدي (ع) كفناً . يتيمن بما يكون من عنده ، فورد الجواب : انك تحتاج اليه سنة احدى وثمانين . فمات – رحمه الله تعالى – في الوقت الذي حدده وبعث اليه بالكفن قبل موته بشهر[1].

والمظنون ان المراد بالسنة المحددة ، هو سنة احدى وثمانين ومائتين . وان كان يحتمل ان يراد به السنة الحادية والثمانين من عمره على ماذكره المجلسي[2] .

وهذه طلبات كثيراً ما نجدها في الروايات ، والسر في ذلك واضح وهو ان المؤمن يهتم بطبيعة الحال بما بعد موته ، لتامين راحته وسعادته هناك ، وان أفضل الطرق لذلك عند الموالين للامام (ع) هو ان يكون لهم كفن مسته يد الامام وبركته انفاسه واشترى بماله ، يدفع بها ضغطة القبر وسوء الحساب

اضف إلى ذلك ان طلباً من هذا النوع، بعيد كل البعد عن الأمور السياسية ، والمهاوي الاجتماعية ، وانما هي مسألة شخصية محضة . يعذر الانسان ان رعاها وبذل اهتمامه بها . كما ان الكفن المدفوع من قبل

---

١ – انظر الغيبة ص ١٨١ .

٢ – انظر البحار ج ١٣ ص ٨٣ .

السفير ليس فيه أي دلالة على المهدي (ع) أو علامة على مكانه ، ولا يمكن أن يكون ملفتاً للنظر ، وان وصل إلى السلطات . بخلاف التوقيع ، فان خط المهدي عليه السلام ولحن خطابه واضح فيه . فيكون مصدراً للخطر ان وقع عند السلطات .

ومن ثم انفسحت فرصة حسنة،في توزيع السفراء للأكفان الصادرة عن الامام (ع) بين مواليه وعارفي فضله .

الأمر الثامن : تحذير الوكلاء من السلطات .

فانه خرج إلى الوكلاء في بعض الايام أمر بان لا ياخذوا من أحد شيئاً وان يتجاهلوا بالامر . فلم يعلم الوكلاء السبب .

يقول تاريخنا الخاص : وكان السبب ان وصل إلى مسامع عبد الله بن سليمان الوزير ، وجود وكلاء للمهدي عليه السلام في بغداد وغيرها من النواحي . فهم بالقبض عليهم . فنصحوه ان يرسل لكل وكيل شخصاً يدعي انه له مال يدفعه للامام . فمن قبض من الوكلاء شيئاً قبض عليه .

فقام الوزير بهذه المحاولة ، إلا ان تعاليم الامام المهدي (ع) كانت قد سبقته الى الوكلاء . فتنصل الجميع من الوكالة وتجاهلوا أمرها . فحبطت مؤامرة الوزير ، ونجا الوكلاء من براثن السلطات [1]

وهذا ، بشكل عام واضح كل الوضوح ، فانه يعكس تطرف السلطات ، ضد هذا الخط المقدس . كما انه يدل على تعدد الوكلاء في

---

١ - انظر اعلام الورى ص ٤٢١ .

بغداد وغيرها . وهو معنى الذي قلناه من انهم وكلاء للسفير لاللمهدي مباشرة . وان كان المهدي (ع) حريضاً على سلامتهم اجمعين .

إلا ان الاعتراض الذي يرد على هذه الرواية ، هو ان خلفاء هذه الفترة ، ابتداء بالمعتمد والمعتضد وانتهاء بالراضي والمتقي ، ليس من وزرائهم من يدعى : عبد الله بن سليمان . لكن قد يراد به ، بنحو من التجوز في التعبير : ابا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان الذي استوزره القاهر ابان خلافته [1] . ومعه فتصح هذه الرواية .

وعلى أي حال ، فهذه أمور ثمانية ، لا على وجه الحصر ، مما كان السفراء فيه الواسطة الامينة الرحيمة ، بين الامام المهدي وقواعده الشعبية ، في حل مشكلاتهم وقضاء حوائجهم .

النقطة الخامسة : قبض السفراء للأموال وتوزيعها وايصالها إلى حيث يجب دفعها .

وهو من واضحات وظائفهم ومهمات أعمالهم ، بصفتهم حلقة الوصل بين الامام وقواعده الشعبية ، وتتمثل هذه الاموال بما يملكه الامام من الحقوق الشرعية الاسلامية في أموال الناس .

وقد عرفنا من تاريخ الفترة السابقة ، كيف ان الموالين لخط الائمة عليهم السلام ، كانوا يحملون من أطراف البلاد الاسلامية هذه الاموال إلى الائمة (ع) ، وكانت الوفود تفد اليهم حاملة الاموال والاسئلة فتسلم اليهم الاموال وتستقي منهم اجوبة المسائل وحل المشكلات .

---

١ - انظر المروج ج ٤ ص ٢٢١ والكامل ج ٦ ص ٢٢٩ .

وكان الامام عليه السلام في اول مقابلة يصف للوفد المال قبل قبضه ويذكر جنسه وكميته ودافعه وغير ذلك . الزاماً للحجة تجـــاه الوفد فاذا علم الوفد بامامته ، وورد عليه في السنوات الاخرى حاملا بعض الاموال له يحتج الى ذلك .

حتى ان الامام العسكري (ع) اثناء حياته كلف ابنه المهدي (ع) ان يصف اموالا حملها احد الوفود من قم، ففصل القول في اوصافها [1] لاجل إقامة الحجة على الناس في امامة المهدى عليه السلام وقـــد سمعنا المهدي (ع) وهو يصف المال لوفد القميين الذي ورد الى سامراء يوم وفاة الامام العسكري (ع) .

واستمرت الوفود تصل بالاموال الى السفراء من بعيد ، الى جانب أموال اخرى يحملها الافراد من قريب اليهم . ويكـون مـن وضيفة السفراء ازاء ذلك حين يتسلمون المـــال ان يصفوه ايضاً ويذكروا خصائصه . لاجل إقامة الحجة على الاخرين ، واثبات صدق السفير . وذلك بتعليم من الامام المهدي (ع) .

فمن ذلك : ان محمد بن ابراهيم بن مهزيار سلم مالا جليلاالىرسول الامام (ع) بدلالة الوصف [2] ودفع احمد بن محمد الدينوري إلى وكيل المهدي (ع) ستة عشر الف دينار من اهل الدينور ، دفعهـــا بدلالة الوصف ايضاً [3]

---

١ - انظر اكمال الدين المخطوط .

٢ - انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ١٧١ .

٣ - انظر البحار جـ ١٣ ص ٧٩ .

وظاهر بعض الروايات ، ان الاموال كانت تحمل في السنوات الأولى من الغيبة الصغرى ، الى سامراء حيث يكون من يقبضها هناك ويسلمها إلى المهدي . وذلك بدلالة من السفير نفسه . كما فعل ابو جعفر العمري مع الدينوري المشار اليه [1] .

ثم انقطع ذلك ، واستمر السفير على قبض المال بنفسه مع اعطاء الوصل به [2] وربما اقترن بالدعاء للمالك ايضاً [3] . وربما اقترن بالتذكير بمال يجب دفعه الى الامام ، نسيه الحامل [4] .

ولم ننس لحد الآن تلك المرأة من اهل آبة التي حملت للحسين بن روح ثلثمائة دينار فكلمها بلسان آبي فصيح [5] كما لم ننس ذلك الرجل الذي ورد قم الى بغداد باموال ليدفعها الى ابي جعفر العمري ، فذكره ابو جعفر بالثوبين السردانيين [6] .

كما لاينبغي أن ننسى الرسل الحاملين للاموال ممن كان يحولهم ابو جعفر العمري في اعوامه الاخيرة على الحسين بن روح . وكان احدهم حاملا لاربعمئة دينار [7] . وطولب ابن روح بدفع الوصولات فشكا ذلك الى ابي جعفر. قال الراوي : فامرني ان لاطالبه بالقبوض وقال : كل ما وصل الى ابي القاسم فقد وصل الي . فكنت احمل بعد

---

١ - البحار ج ١٣ ص ٧٩ .
٢ - الارشاد ص ٣٣٥ .
٣ - اكمال الدين (المخطوط) .
٤ - الارشاد ص ٣٣٥ .
٥ - غيبة الشيخ ص ١٩٥ .
٦ - المصدر ص ١٧٩ .
٧ - المصدر ص ٢٢٤ وص ٢٢٥ .

ذلك الاموال اليه ولا اطالبه بالقبوص[1] .

وانما امتنع السفراء عن دفع الوصولات باعتبار صعوبة الوقت وكان السيف يقطر دماً في زمان المعتضد كما سبق ان سمعنا . وكان ما يحمل اليه من الأموال لا يقف من يحمله على خبر ابي جعفر ولا على حاله بل ينفذه اليه كما ينفذ التجار إلى أصحابهم على يد من يثقون به . وكان يقال للفرد : أمض إلى موضع كذا فسلم ما معك ، من غير ان يشعر بشيء ولا يدفع اليه كتاب ، لئلا تطلع السلطات عليه[2] .

ومن هنا نستطيع أن نعرف ان الوصولات لم تدفع إلا لفترة قليلة نسبياً من عهد الغيبة الصغرى . حيث بدأ المعتضد خلافته عام ٢٧٩ أي بعد تسعة عشر عاماً من مبدئها . والمظنون انها لم تدفع بعد ذلك خلال الخمسين عاماً التالية إلى نهاية هذه الفترة .

* * *

فهذا هو حال قبض الاموال من قبل وكلاء المهدي (ع) وسفرائه ثم لايهمنا ان نفكر في ان هذه الاموال هل تبقى لدى السفراء ام تدفع الى المهدي (ع) . لانها على اي حال تكون تحت اشرافه ورهن تعليماته فانها ان دفعت اليه مباشرة فهو غاية المطلوب . وان بقيت في يد السفارة ، فلا مانع منه فان يد الوكيل كيد الاصيل .

وعلى أي حال ، فمن المؤكد ـ عادة ـ وصول جملة من الأموال الى الامام المهدي (ع) مباشرة . بل ظاهر بعض الروايات ان وظيفة

١ ـ غيبة الشيخ ص ٢٢٦ .
٢ ـ المصدر السابق أيضاً ص ١٨٠ .

السفير في قبضه للأموال هو ايصالها اليه (ع) [1] .

وبهذه الاموال كان المهدي (ع) يزجي حاجاته الشخصية ، ويوزع منها على عدد من مواليه، عند مقابلته شخصياً أوبدون ذلك . وكان عليه السلام لا يجيز رد المال الذي اعطاه ويعتبره أمراً ينبغي الاستغفار منه [2] . وتكون من هذه الاموال قيمة الاكفان التي يدفعها إلى مواليه والاموال التي يعطيها كاجرة للحمال والدفان [3] ، وما كان يجريه لبعض مواليه جريا على ما كان عودهم عليه أبوه العسكري [4] .

وأما توزيع السفراء للمال ، فهو - في التاريخ الخاص - نادر الوجود . مع العلم انه كان مما يحدث جزماً لوجوب ايصال الاموال والحقوق الشرعية إلى مستحقيها شرعاً ، أو صرفها في سبيل الله والمصالح الاسلامية العامة . وقد عرفنا الظروف التي اوجبت الكتمان والحذر . وفهمنا الخطر الذى كان يحيق بالسفراء لو انهم وزعوا الاموال علناً . ولا ينبغي أن ننسى بهذا الصدد الكلام الذي سمعناه عن السفير الاول ، عن حال عائلة الامام المهدي عليه السلام: « وليس أحد يجسر أن يتعرف عليهم أو ان ينيلهم شيئاً » .

فالتوزيع كان يقع سرياً للغاية بعيداً عن أعين الدولة ، ولا يصرح به إلا نادراً ، ومن هنا لم تصلنا اخباره . ولعل الاغلب هو توزيع

---

١ - غيبة الشيخ ص ١٧٨ .
٢ - الارشاد ص ٣٣٣ .
٣ - انظر الغيبة ص ١٩٣ ومنتخب الاثر ص ٣٩٦ .
٤ - غيبة الشيخ الطوسي ص ٢١٩ .

الاموال على الاسلوب التجاري ، أي يعطي الفرد بصفته دائناً مثـــلاً حتى لا يكون مثاراً للشك لا لدى السلطات .

ومن هذا النادر ما دفعه الشيخ ابن روح رضى الله عنه ، من المئة درهم إلى أحدهم مع حنوط واكفان [1] حتى لا يكون ملفتاً للنظر .

والطريف في هذا الصدد ان الاموال التي كان يوزعها المهدي عليـه السلام، لمن شاهده وغيرهم ، بحسب نقلها في التاريخ أكثر جداً مما وردنا توزيعه عن طريق السفراء . وسيأتي التعرض لذلك في الفصل الخامس الخاص بالمهدي (ع) .

النقطة السادسة : الجهاد العلمي للسفراء .

حول المناقشات العقائدية وحلول المشاكل العلمية التي كان يقوم بها السفراء ، سواء من ذلك ما كان لتوجيه أصحابهم وصقل أفكارهم . أو لأجل الاحتجاج ضد الشبهات التي يثيرها الآخرون ، والدفاع عـن الحق بلسان مخلص سليم .

ونحن في هذا الصدد لا بد ان نعرض صفحاً عن امرين لهما محلها في الفصلين الآتيين من هذا التاريخ :

احدهما : المناقشات والتوجيهات الفقهية والعقائدية والاجتماعيـة الصادرة على أيدي السفراء من الامام المهدي (ع) فان ذلك يعتبر من اعمـال المهدي نفسه ويأتي التعرض له في الفصل الخامس من هذا التاريخ .

---

١ - غيبة الشيخ ص ١٩٣ .

ثانيها : مناقشة السفراء لمدعي السفارة أو الوكالة عن المهدي زوراً فان هذا مما نذكره عن قريب في الفصل الآتي .

تبقى بين يدينا التوجيهات والمناقشات التي يذكرها أحد السفراء الاربعة ، من عند انفسهم ، باعتبار ما يعرفونه من الحق . في حدود تعاليم الامام المهدي (ع) ومسلكهم العام .

يندرج في ذلك ، ما سمعناه عن السفير الاول في النهي عن التصريح باسم المهدي ، والشكوى من جور السلطات وسطوتهم . وقد سبق ان سمعناه أكثر من مرة .

وللشيخ ابن روح مناقشات عديدة ، فمن ذلك مناقشته لبعض المتكلمين المعروف بترك الهروي ، في فضل الزهراء على سائر بنات النبي (ص) . حتى قال الهروي : فما رأيت أحداً تكلم واجاب في هذا الباب باحسن ولا أوجز من جوابه[1] .

ومن ذلك مناقشته لرجل حول مقتل الامام الحسين عليه السلام بيد اعداء الله عز وجل . وقد اجابه بجواب مطول ، أكد فيه ان حكمة الله عز وجل قد جرت في ان انبيائه وأوليائه يكونون في حال غالبين واخرى مغلوبين وفي حال قاهرين واخرى مقهورين . ولو جعلهم عز وجل في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة من دون الله عز وجل ، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والاختبار .

---

١ - غيبة الشيخ ص ٢٢٩ .

ولكن جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ، ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين وفي حال العافية والظهور على الاعداء شاكرين ويكونوا في جميع احوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين .. إلى آخر كلامه .

وحين شك الراوي في ان هذا الكلام ، هل قاله من عنده أم هو من تعاليم الامام المهدي (ع) . قال له ابن روح : يا محمد بن ابراهيم ! لان آخر من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح من مكان سحيق احب إلي من ان أقول في دين الله برأيي ومن عند نفسي بل ذلك من الاصل ومسموع من الحجة صلوات الله وسلامه عليه [1] .

ومن تعاليمه رضي الله عنه ، ما قاله لاحمد بن محمد الصفواني : ان يحيى بن خالد سمم موسى بن جعفر عليه السلام في احدى وعشرين رطبة وبها مات . وان النبي (ص) والأئمة (ع) ، ما ماتوا إلا بالسيف أو السم . وقد ذكر عن الرضا (ع) أنه سم . وكذلك ولده وولد ولده [2] .

انظر كيف بتّ رضي الله عنه، في هذه المسألة التي كانت ولا زالت محل الخلاف بين المسلمين عموماً والمؤرخين خصوصاً،من ان النبي (ص) هل مات مسموماً أولاً . فقد جزم ابن روح بكونه (ص) مات مسموماً ، ليس هو فقط ، بل عدد من الأئمة (ع) أيضاً. والباقون ماتوا

---

١ ــ انظر غيبة الشيخ ص ١٩٩ . والاحتجاج ص ٢٨٨ .

٢ ــ غيبة الشيخ ص ٢٣٩ .

بالسيف على ايدي أعداء الله ورسوله .

ولعلك لاحظت معي ان امثال هذه المناقشات مما لا ينافي مع جو التقية والحذر ، الذي كان يسلكه السفراء على العموم والشيخ ابن روح على الخصوص ، اذ ليس في هذه المسائل « فتوى رسمية » للدولةأووجهة نظر خاصة لعلماء العامة ، ينبغي له التحرز من مناقشتها ومجابهتها .

ولكننا لا زلنا نذكر : ان الثقافة المعطاة منه رضي الله عنه ليست هي دائماً الثقافة التي تتفق مع خطه واعتقاده . بل قد يمتزج بها غيرها ، لو اقتضى ذلك مصالح عمله كسفير مؤد لواجبه تجاه أمامه (ع) ومجتمعه .

ولعل أهم مثال لذلك ، مـــا سمعناه فيما سبق مختصراً ، ونذكره الآن تفصيلاً ، من انه تناظر في بعض مجالس العامة اثنان. فزعم احدهما ان أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله (ص) ثم عمر ثم علي . وقال الآخر : بل علي أفضل من عمر . فزاد الكلام بينهما . فقال ابن روح رضي الله عنه : الذي اجتمعت عليه الصحابة هو تقديم الصديق ثم الفاروق ، ثم بعده عثمان ذو النورين ثم علي الوصي. وأصحاب الحديث على ذلك ، وهو الصحيح عندنا .

فجعل علياً أمير المؤمنين (ع) دون عثمان في الفضل بحسب ظاهر كلامه . وهو ما لم يكن مقصوداً لكلا المتناقشين ، وانمـــا اختلفا في تفضيله على عمر ، مع اتفاقهم على تفضيله على سائر البشر بعده .

وحيث كان يعلم الراوي ، الذي يسمع هذا الكلام أن هذا مخالف

لخطه وبعيد عن اعتقاده .. فوقع عليه الضحك ، ولم يستطع ان يمنع نفسه ، رغم محاولته ، حتى خشى أن يفتضح . فقفز خارجاً عن المجلس .

وانتبه اليه ابن روح وعرف قصده . فبادر اليه بعد خروجه من المجلس ، وقصده في داره ، فطرق عليه الباب ، وانبه على ضحكه وقال له : يا أبا عبد الله ـ ايدك الله ـ لم ضحكت ؟! فاردت ان تهتف بي كان الذي قلته عندك ليس بحق . قال الراوي : فقلت له : كذلك هو عندي ! فقال لي : اتق الله ايها الشيخ ، فاني لا اجعلك في حل . تستعظم هذا القول مني فقلت : يا سيدي. رجل يرى بانهصاحب الامام ووكيله ، يقول ذلك . لا يتعجب منه ويضحك من قوله هذا ! فقال لي : وحياتك لئن عدت لاهجرنك .. وودعه وانصرف [1] .

فانت ترى ان المناقشة بين هذا الرجل وابن روح ، قائمة على تخيل الراوي المناقضة بين مسلك ابن روح وبين كلامه . والفرد انما يكون وكيلاً للامام وسفيراً عنه مع الانسجام مع خطه واخلاصه له .. دون ما إذا كان مظهراً لغير ما يبطن ، ولهذا اظهر الرجل التشكيك ـ جدلاً ـ بالسفارة ، لا باعتبار كونه معتقداً لهذا التشكيك كما هو معلوم .

وكان كلام ابن روح منصباً على التاكيد من طرف خفي على الانسجام بين خطه الاصلي وكلامه ، وان ما قاله انما هو باعتبار

١ ـ الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٣٧ .

الاخلاص له والالتزام به . باعتبار المصلح التي يستطيع ان بنالهـــا والمشاكل التي يذللها بمثل هذا الكلام .. وتوجيهات الامام المهدي (ع) المتعلقة بذلك . وهو معنى قوله : كأن الذى قلته عندك ليس بحق . والله العالم .

ثم انه رضي الله عنه أكد على ذلك ، وهدد الرجل بهجرانه . لئلا يكون هذا الرجل وامثاله ، عائقاً أمـــام مسالك ابن روح ومصالحه وتطبيقات أوامر امامه (ع) . فقد يسبب لـه خرقاً كبيراً في المجتمع قد تترتب عليه من الاضرار وتنتفي من المصالح ما لا سبيل إلى تداركه.

* * *

فهذا هو سهم الكلام في أعمال السفراء ونشاطهم ومسالكهم العامـة وبه ينتهي القسم الثاني من هذا الفصل الثالث . وبه ينتهي هذا الفصل والحمد لله رب العالمين .

الفصل الرابع

السفارات المزورة عن المهدي (ع)

ابتليت السفارة عن الامام المهدي (ع) والسفراء ، بعـــد أعوام قلائل من أول عهدهم، بدعاوى السفارة كذباً وزوراً ، طمعاً في ابتزاز الأموال والتزعم على الناس .

مناشيء التزوير :

السفارة الكاذبة في واقعها تشويه منحرف لمفهوم السفارة الصادقـة العادلة . ومن هنا جاءت متأخرة عنها بسنوات . وذلك : لان القواعد الشعبية الموالية في زمان الامامين الهادي والعسكري عليهما السلام. وان كانت قد اعتادت على وجود السفراء عن الامام عند احتجابه عن الناس تمهيداً للغيبة الصغرى ، كما عرفنا . إلا انه من المحتمـــل اساساً للفرد العادي ـ لو التفت إلى ذلك ـ ان يحتجب الامام المهدي (ع) عـن

قواعده الشعبية ، ولا يوكل عنه شخص على الاطلاق .

وإنما ثبت عزمه عليه السلام على التوكيل خلال هذه الفترة ، عن طريق تصريحه هو عليه السلام وتصريح ابيه العسكري عليه السلام واعمال السفراء في إثبات وكالتهم .وقد استعرضنا كل ذلك بالتفصيل .

فاذا ثبت عزمه عليه السلام على ايجاد الوكالة او السفارة عنه . انفتح باب إمكان دعوى السفارة الكاذبة وتزوير الدعوى بالاتصال بالمهدي (ع) . خاصة بعد معلومية ان الاتصال به سر لايمكن لاحد الاطلاع عليه او السؤال عن مكانه وزمانه . فتكون دعوى الاتصال به سراً بمكان من الامكان . ولن يمنى المزور بصعوبة وإحراج من هذه الجهة .

يعضده في ذلك عدة امور : إحداها : ضعف الأيمان لديه وسوء الاخلاص وقابليته للانحراف . ثانيهما : الطمع بالأموال التي يحصل عليها عن هذا الطريق . إذ يتخيل المزور ان الحقوق الشرعية التي تدفع الى السفير الصادق ستدفع اليه .

ثالثها : فسح المجال للشهرة الاجتماعية والتقدم بين الناس ، والتحكم في القواعد الشعبية الموالية للامام عليه السلام.وأصدارالأوامر والنواهي فيها بزعم انه صادر عنه عليه السلام .

ولايهم بعد ذلك ،ان نفهم ان مدعي السفارة الكاذبة ، هل كان يعتقد ضمناً بكذب السفير الصادق ، كما صرح به الشلمغاني بالنسبةإلى السفير الثاني ، على ما سنسمع . او كان المزور يعتقد بكذب فكرة

السفارة أساساً . إذن فلا فرق في نظره بينه وبين ذاك السفير ، فكما أدعى غيره السفارة يمكن له ايضاً ذلك .

أو كان المزور يعتقد بصدق السفارة وصدق السفير ، ولكنه كان طامعاً بالمصالح الشخصية التي أشرنا اليها، فأدعى السفارة تقديماً لمصالحه الشخصية على المصالح الدينية شخصية وإجتماعية .

لايهمنا إثبات مثل هذه الأتجاهات لمدعي السفارة ، بعد ثبوت كذبهم في الدعوى ، على أي أساس كان .

يبقى هناك عدة اتجاهات للمزور قد تخطر في الذهن ، يحسن التعرض لها ومناقشتها .

الاتجاه الاول : أن يرسل الأمام المهدي (ع) سفيراً ويأمره بتبليغ بعض التعليمات ، ثم يكذبه وينفي سفارته بلسان سفير آخر . وهذا غير محتمل أساساً ، لما نعتقده في الامام المهدي (ع) من العصمة التي هي في حقيقتها عمق في العدالة والاخلاص والايمان ، ومعه يكون أجل وأعظم من أن يقوم بمثل هذا التغرير والغدر . فان مثل هذا العمل غدر بمثل هذا السفير المفروض . وتغرير بالجهل بالنسبة إلى القواعد الشعبية الموالية .. وكلاهما ظلم يجل عنه المعصوم ويتنزه .

الاتجاه الثاني : ان يرسل الامام المهدي عليه السلام ، سفيراً على أساس الدوام والاستمرار ، ويكون السفير في مبدأ أمره عادلاً صادقاً . ولكن هذا السفير لقلة إخلاصه وضعف إيمانه ، يتاثر بالأموال والمغريات فيصبح منحرفاً وتظهر منه العقائد والأعمال الباطلة . فيعلن الأمام

المهدي (ع) على يد سفير آخر عزله عن السفارة ولعنه.

وهذا مما لم يحدث بالخارج . وإنما الذي حدث ان الشلمغاني كان وكيلاً عن السفير إبن روح ، فعزله السفير بعد إنحرافه ، على ماسنسمع ولم يكن سفيراً المهدي بحال . على ان هذا غير ممكن أساساً ، بحسب ما عرفناه من سياسة الامام المهدي (ع) في تعيين السفراء،من أن السفارة موقف دقيق وخطر ، فــلا بد أن يكون شخص السفير بمرتبة من الأخلاص بحيث لو كان المهدي عليه السلام تحت ذيلهوقرض بالمقاريض ليكشف الذيل عنه لما كشفه ، وهــذه المرتبة من الاخلاص لايحتمل توفرها بالنسبة الى من ينحرف بعد ذلك ويفسد حاله عقيدة وسلوكاً.

فإن الفسق بعد الايمان ، لايكون الا من نقطة ضعف مركوزة في نفس الفرد ، ناشئة من تقصيراته وسوء إختياره . ومن الصعب جداً بل غير الممكن عادة ان نتصور شخصاً مؤمناً حقاً من دون ان يشوب ايمانه وإخلاصه نقص او تقصير . . ثم ينحرف انحرافاً كبيراً بحيث يكون مستحقاً للعنة والتشنيع .

اذن ، فالشخص القابل للانحراف في مستقبل امره ، لايكون قابلا للسفارة اساساً . وضعف الايمان أمر لايخفى على الفرد الواعي فضلاعن الأمام المهدي « ع » . اذن فكيف يرسله سفيراً ؟وخلصة أنه منالمحتمل أن يكشف عن المهدي «ع» ويدل السلطات عليه بعد الانحراف . وهذا خطر ، كان يخطط الامام دائماً للتفصي عنه والتحذر منه .

على أنه لو كان الفرد سفيراً حقاً في مبدأ امره، لأمكن له ان يتلقى

من تعاليم الأمام المهدي (ع) وتوجيهاته ، مــا يصون به إيمانه من الانحراف وعقيدته من الاسفاف. وقد عرفنا كيف كان السفراء الصادقون يتلقون العلوم والتوجيهات منه عليه السلام ، لأجل تكميلهم وتعميق ثقافتهم الأسلامية بغض النظر عن المصالح العامة .

الاتجاه الثالث ان يرسل الامام المهدي « ع » سفيراً في قضايا معينة أ زمات محددة ، لا على اساس الدوام والاستمرار . وهذا ممـــا يحتمل حدوثه . وهو في واقعه من السفارة الصادقة ، لامن الكاذبة . وهذه السفارة تنتهي عادة باداء العمل الموكل إلى الفرد، ولا تستتبع الانحراف بعدها على اي حال .

الاتجاه الرابع : أن نتصور ان مدعي السفارة كاذباً . لايعلم بكذب نفسه ، بل يتخيل نفسه صادقاً . وذلك : لانه استطاع احد المحتالين الماكرين ان يخيل له انه هو المهدي ، فيجتمع به في الخفاء ويعطيه التعاليم ويقبض منه الأموال بزعم كونه هو المهدي . ويبقى السفير معتقـــداً بصحة سفارته ، وهو كاذب في الحقيقة ، وخاصة وهو لم يشاهد الأمام المهدي عليه السلام قبل ذلك ، ولم يحمل من شخصه أي فكرة سابقة الا أن هذا وإن كان محتملاً في حق بعض البسطاء مبدئياً لعدة ايام او لعدة اشهر ـ مثلا ـ ولكن مثل هذا التزوير غير قابل للبقاء . لان هذا السفير المغرر به ، سينكشف له خلال الزمان ما في صاحبه الماكر من هفوات ونقص وقصور .. بحيث يثبت لديه انه ليس مهدياً بل رجل ماكر محتال .

واذا لم ينتبه أنتبه الناس الى ذلك ، وخاصة العلماء الموالين لخط الائمة عليهم السلام ومفكريهم ومبرزيهم . . فاننا لاننسى بهذا الصدد الأجوبة والبراهين والحجج التي اعتاد الناس صدورها من السفراء الاربعة ، وكانوا يتطلبونها من كل مدع للسفارة . فاذا عجز السفير او عجز صاحبه عن اقامة الحجة ، ثبت تزويره لامحالة .

على ان مثل هذه السفارة ، بل كل سفارة كاذبة ، تكون مبتورة الاول عادة ، غير منصوص عليها من قبل شخص سابق قام الدليل على صدقه . وانما تكون قائمة فقط على اساس زعم المدعي . على حين عرفنا كيف ان السفارة الصادقة منصوص عليها من قبل الامام المهدي (ع) وابيه العسكري (ع) . مضافاً الى نص بعضهم على بعض ، وما ظهر على ايديهم من الحجج والبراهين .

التسلسل التاريخي للتزوير :

بدأ التزوير - على مايدل عليه تاريخنا الخاص - في عهد السفير الثاني الشيخ محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه . واما ابوه السفير الاول ، فقد كان اقوى واسمى من ان يعارضه معارض ، بعد تاريخه المجيد مع الامامين العسكريين الماضيين عليهما السلام . وثناؤهما العاطر عليه ، واداؤه لمختلف انواع الجهاد في عهدهما وبموجب توجيهاتهما وتعاليمهما . فلنيكون للظنون ان تحوم وللمطامع ان تطمح لمعارضته او مضايقته . فانها ستجابه بالنقد والانكار من كل جانب .

كما ان الظرف لم تكون لتساعد على دعوى السفارة . فــان الغيبة الصغرى لازالت في اولها ، وتتبع السلطات ومطـاردتهم للمهدي (ع) ولكل من يمت اليــه بصلة ، قوية . وعائلته يتسكعون في الطرقـات لايجرء احد على التعرف عليهم اوالاقتراب منهم.وقد كانت سفارةعثمان بن سعيد جهاداً كبيراً وتضحية عظمى فكيف ان يعرض الشخص نفسه للمطاردة والخطر تلقائياً بانتحال السفارة .

على ان التزوير لايكاد يحتمل وجوده قبل ان يعتاد الناس على هذا النحو من السفارة عن الامام المهدي عليه السلام . وهذا الاعتياد يحتاج في تحققه إلى زمن بطبيعة الحال ، تعيشه القواعد الشعبية تجاه السفارة الصادقة . وهو مـالم يتحقق في اول الغيبة الصغرى ، وخلال الاعوام القليلة التي قضاها عثمان بن سعيد في السفارة .

وقد توفر المزورون خلال الفترة الطويلة التي قضاها السفير الثاني في سفارته . وتاريخنا الخاص ، وان لم يضع الحروف على النقاط مـــن حيث تواريخ التزوير وعدد من جهاته ، على ماسنسمع .. الا انه على اي حال يدل على بدء السفارة الكاذبة في زمان هذا السفير .

فقد ادعى السفارة زوراً عن الامام المهدي عليه السلام في زمان ابي جعفر محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه ، عدة اشخاص : اولهم: ابو محمد الشريعي . قال الراوي : وأظن اسمه كان الحسن . وهو اول من ادعى مقاما لم يجعله الله فيه [1] ومحمد بن نصير النميري . ادعى ذلك

---

١ - الغيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٤ .

الامر بعد الشريعي [1] . واحمد بن هلال الكرخي [2] . وابو طاهر محمد بن علي بن بلال البلالي [3] . وأبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادي ابن اخي ابي جعفر العمري رضي الله عنه. واسحاق الاحمر [4] . ورجل يعرف بالباقطاني [5] .

وقد كان بعضهم صالحين في مبدأ أمرهم ، ومن أصحاب الامامين الهادي والعسكري عليهما السلام . فانحرفوا وسلكوا مسلك التزوير . فجابهم العمري رضي الله عنه بكل قوة وانتصر عليهم ، وخرجت من المهدي (ع) التواقيع والبيانات بلعنهم والبراءة منهم ، والتاكيد على كذب سفارتهم وسوء سريرتهم .

واما الشيخ الحسين بن روح السفير الثالث ، فقد ابتلى باشدهم تاثيراً واوسعهم أصحاباً : محمد بن علي الشلمغاني العزاقرى [6] . وكان في مبدأ امره مؤمناً مستقيماً ، بل وكيلاً لابن روح . ثم ظهر انحرافه وسقم عقيدته على ما سيأتي تفصيله .

وآخرهم في دعوى السفارة الكاذبة ـ على ما يظهر من عبارة الشيخ الطوسي [7] ـ : أبو دلف الكاتب ، حيث كان على ذلك إلى ما بعد

---

١ ـ الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٤٤ .
٢ ـ المصدر ص ٢٤٥ .
٣ ـ المصدر والصفحة .
٤ ـ البحار ج ١٣ ص ٧٩ .
٥ ـ المصدر والصفحة .
٦ ـ غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٨
٧ ـ المصدر ص ٢٥٥ .

وفاة السمري السفير الرابع . قال الراوي : فلعناه وبرئنا منـه ، لأن عندنا ان كل من ادعى الامر بعد السمري فهو كافر منمس ضال مضل.

بقي شخص ممن نسبت اليه دعوى السفارة ، هو الحسين بن منصور الحلاج ، المعروف بمذهبه الصوفي . وله في هذه الدعوى مكاتبة مع ابي سهل بن اسماعيل بن علي النوبختي .. كشفه فيها أبو سهل وافحمه . ولم يعين تاريخ هـذه المكاتبة ، إلا انهـا كانت ـ على المظنون في زمن الحسين بن روح .

فهؤلاء هم الذين قامت حركة التزوير على أيديهم ، فـلا بد من التعرض اليهم ، في حدود ما دل عليه تاريخنا .. معتمدين نفس الترتيب الذي ذكرناه في تعدادهم، فانه يرجع إلى ناحية تسلسلهم في تاريخ دعوى السفارة ، في الجملة

أولهم : أبو محمد الشريعي .

قال الراوي : اظن اسمه كان الحسن ، وكان من أصحاب ابي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام ، ثم أصبح من أصحاب الحسن بن علي العسكري عيه السلام .

ثم انه انحرف ، وكان أول من أدعى مقاماً لم يجعله الله فيه ، ولم يكن أهلاً له. وكذب على الله تعالى وعلى حججه عليهم السلام ، ونسب اليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء . فلعنته الشيعة وتبرأت منـه . وخرج توقيـع الامام (ع) بلعنه والبراءة منه . ثم ظهر منـه القول

بالكفر والالحاد [1] .

هذا ما قاله التاريخ . ولم يزد .

ثانيهم : محمد بن نصير .

النميري [2] الفهري [3] ، كان من أصحاب الامام العسكري عليه السلام . فانحرف وافتتن.وأصبح يستخدم اسم صحبته للامام العسكري (ع) ، هذا العنوان العظيم الذي يعرف الناس شانه وجلالته، في الربح المادي والمنفعة الشخصية .

فكتب الامام العسكري « ع » كتاباشديد اللهجة ضده وضد شخص آخر يدعى بابن بابا القمي ويسمى الحسن بن محمد..يكشف فيه انحرافهما ويظهر البراءة منهما ، ويقول مخاطباً أحد أصحابه : أبرأ إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي . فأبرأ منهما . فانى محذرك وجميع موالي ، وانى العنهما ، عليهما لعنة الله . مستأ كلين ، ياكلان بنا الناس ، فتانين مؤذيين ، آذاهما الله . ارسلهما في اللعنة واركسهما . في الفتنة ركساً . إلى آخر بيانه عليه السلام [4] .

وكان يدعى انه رسول نبي ، وان علي بن محمد الهادي « ع » أرسله وكان يقول بالتناسخ ، ويغلو في ابي الحسن ـ الهادي « ع » ويقول فيه بالربوبية ، ويقول باباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في

---

١ ـ غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٤ .
٢ ـ المصدر ص ٢٤٤ .
٣ ـ الكشي ص ٤٣٨ .
٤ ـ المصدر والصفحة .

أدبارهم . ويزعم ان ذلك من التواضع والإخبات والتذلل في المفعول به وانه من الفاعل احدى الشهوات والطيبات . وان الله لا يحرم شيئاً من ذلك .

رآه بعض الناس وغلام له على ظهره. قال الراوي : فلقيته فعاتبته على ذلك . فقال : ان هذا من اللذات . وهو من التواضع لله وترك التجبر [١] .

وتبعه في أقواله جماعة ، سموا بالنميرية ، ذكروا ان منهم : محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات [٢] . وهو لا محالة ، والد علي بن محمد بن موسى بن الفرات الذي وزر بعد ذلك للمقتدر المعاصر لسفارة ابن روح . استوزره عام ٢٩٩ [٣] . وبقي ما يزيد على الثلاث سنين في الوزارة . فمن هذا يظهر كيف تؤيد السلطات خط الانحراف الداخلي عن الائمة عليهم السلام ، بنحو خفي لا يكاد يلتفت اليه .

وعلى أي حال ، فانه حين اعتل محمد بن نصير النميري العلة التي توفى فيها . قيل له ـ وهو مثقل اللسان ـ : لمن الأمر من بعدك ؟! فقال بلسان ضعيف ملجلج : أحمد . فلم يدروا من هو ، فافترقوا بعده ثلاث فرق . قالت فرقة : انه احمد ابنه . وفرقة قالت : هو

---

١ ـ انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٤ وما بعدها . ورجال الكشي ص ٤٣٨ بلفظ مقارب ونحوه في فرق الشيعة ص ٩٣ .

٢ ـ فرق الشيعة ص ٩٣ .

٣ ـ المروج ص ٢١٣ ج ٤ .

احمد بن محمد بن موسى بن الفرات، وهو اخو علي بن محمد بن موسى وزير المقتدر ، وفرقة قالت : انه أحمد بن ابي الحسين بن بشر بن يزيد فتفرقوا فلا يرجعون إلى شيء [١] . .

ثالثهم : احمد بن هلال .

الكرخي [٢] العبر تائي [٣] . ولد عام ١٨٠ للهجرة وتوفي عام ٢٦٧ [٤] : أي أنه عاصر الامام الرضا عليه السلام ومن بعده حتى الامام العسكري عليه السلام الذي توفى عام ٢٦٠ ، كما عرفنا . وعاصر الغيبة الصغرى لمدة سبع سنوات . أدعى خلالها الوكالة عن المهدي .

له كتاب يوم وليلة ، كتاب نوادر ، يرويه النجاشي في رجاله عنه بسنده اليه [٥] . اتخذ مسلك التصوف ، وحج أربعاً وخمسين حجة عشرون منها على قدميه . لقيه أصحابنا بالعراق وكتبوا عنه [٦]

ذمه الامام العسكري « ع » ، على ما روي عنه [٧] وبعده تبنى المهدي عليه السلام التحذير منه . فكتب إلى قوامه بالعراق: [٨] احذروا الصوفي المتصنع . وورد على القاسم بن العلا ، نسخة ما كان خرج من لعن ابن هلال .

---

١ – انظر غيبة الشيخ ص ٢٤٥ وفرق الشيعة ص ٩٤ ورجال الكشي ص ٤٣٨ .

٢ – انظر الغيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٥ .

٣ – انظر رجال النجاشي ص ٦٥ ورجال الكشي ص ٤٩ ٤ .

٤ – انظر رجال النجاشي ص ٦٥ .

٥ – انظر المصدر ص ٦٥ .

٦ – رجال الكشي ص ٤٤٩ .

٧ – انظر رجال النجاشي ص ٦٥ .

٨ – يعني وكلاؤه والقائمون بامره اجتماعياً .

فانكر رواة أصحابنا بالعراق ذلك، لما كانوا قد كتبوا من رواياته فحملوا القاسم بن العلا على ان يراجع في امره ، فخرج اليه من الامام المهدي (ع) بيان مفصل ، نصه :

« قد كان امرنا نفذ اليك في المتصنع ابن هلال ـ لا رحمه الله ـ بما قد علمت . ولم يزل ـ لا غفر الله ذنبه ولا أقال عثرته ـ يداخلنا في أمرنا بلا اذن منا ولا رضى . يستبد برأيه فيتحامى ديوننا . لا يمضي من أمرنا اياه إلا بما يهواه ويريده . أرداه الله في ذلك في نار جهنم فصبرنا عليه حتى بتر الله بدعوتنا عمره . وكنا قد عرّفنا خبره قوماً من موالينا في ايامه ـ لا رحمه الله ـ وامرناهم بالقاء ذلك إلى الخاص من موالينا . ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال . لا رحمه الله ولا ممن لا يبرأ منه .

واعلم الاسحاقي [1] سلمه الله وأهل بيته بما اعلمناك من حال هذا الفاجر ، وجميع من كان سالك ويسالك عنه من أهل بلده والخارجين ومن كان يستحق ان يطلع على ذلك . فانه لا عذر لا حد من موالينا في التشكيك فيما روى عنا ثقاتنا . قد عرفوا باننا نفاوضهم بسرنا ونحمله اياه اليهم . وعرفنا ما يكون من ذلك ان شاء الله تعالى [2] » .

وواضح من هذا البيان انه صادر بعد موت ابن هلال ، ولعله مات بعد التوقيع السابق وقبل هذا البيان . كما انه يتضح منه ان ابن

---

١ ـ المظنون انه : احمد بن اسحاق الاشعري القمي .

٢ ـ رجال الكشي ص ٤٥٠ .

هلال كان يتلقى الاوامر من الامام المهدي (ع) - ولو بالواسطة - إلا انه كان يستبد برأيه فيها ، ولا يطبق منها إلا ما يريد وكيف يريد . فدعا عليه الامام المهدي (ع) فبتر الله عمره .

وعلى أي حال ، فقد ثبت قوم على إنكار ما خرج فيه . ولم يفد فيهم هذا القول البليغ ، فعاودوا القاسم بن العلا على أن يراجع فيه . فخرج اليهم من الامام المهدي (ع) :

« لا شكر الله قدره . لم يدع المرزءة بان لا يزيغ قلبه بعد ان هداه ، وان يجعل ما من به عليه مستقراً ولا يجعله مستودعاً . وقد علمتم ما كان من امر الدهقان - لعنه الله - وخدمته وطول صحبته فابدله الله بالايمان كفراً حين فعل ما فعل ، فعاجله الله بالنقمة ولم يمهله ، والحمد لله لا شريك له وصلى الله على محمد وآله وسلم[1] » .

وهذا التوقيع في واقعه ، بيان لانحراف هذا الشخص بعد الايمان . وكيفية ذلك بحسب القواعد العقائدية الاسلامية . انه - في الحقيقة - راجع إلى سوء عمل الشخص الناشيء من بعض نقاط الضعف في ايمانه واخلاصه ، فيترتب على عمله ازدياد البعد عن الايمان والاخلاص أكثر فأكثر .. فيزيغ الله قلبه ويبدله بعد الايمان كفراً .

والذي يظهر من تاريخنا ان ابن هلال بقي مؤمناً صالحاً ، خلال سفارة السفير الاول ، ولكنه بمجرد ان ذهب السفير الأول إلى ربه بدأ بالتشكيك بسفارة السفير الثاني ، بحجة انكار النص عليه من قبل

---

١ - رجال الكشي ص ٤٥٠ .

الامام العسكري عليه السلام . ويقول : لم اسمعه ينص عليه بالوكالة . وليس انكر اباه ـ يعنى عثمان بن سعيد ـ فأما ان اقطع ان ابا جعفر وكيل صاحب الزمان . فلا اجسر عليه . فقالوا قد سمعه غيرك . فقال : انتم وما سمعتم . ووقف على ابي جعفر . فلعنوه وتبرءوا منه [1] .

و ترتب على تشكيكه هذا في ابي جعفر رضي الله عنه ، عدم دفعه أموال الامام عليه السلام اليه وعصيانه للاوامر الصادرة منه عن المهدي (ع) ، مما أدى به إلى منزلق الكفر والجحود .

قال الشيخ الطوسي : ثم ظهر التوقيع على يد ابي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه ، في جملة من لعن . وهذا لا يكاد يناسب ما عرفناه من كون وفاته عام ٢٦٧ . فان ابن روح انما أصبح سفيراً عام ٣٠٥ ، أي بعد ثمان وثلاثين عاماً . وهو زمان كفيل بمحو آثار ابن هلال من الاذهان إلى حد كبير . بحيث يكون التصدى لبيان كفره وجحوده أمراً مستانفاً . وان عرفنا كون البيان الصادر ضده قد خرج بعد وفاته ، إلا انه لا يمكن ان يكون بعيداً عن وفاته هذا البعد . وانما المعقول ان يصدر ذلك في الاشهر أو الاعوام القليلة اللاحقة لوفاته .

وكونه صادراً إلى القاسم بن العلا ، لا يعني كونه من ابن روح لأن ابن العلا كان وكيلاً للعمري ولابن روح معاً ، على ما سيأتي ومن هنا يرجح أن يكون البيان صادراً عن طريق العمري ابي جعفر

---

١ ـ غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٥ .

لا عن طريق ابن روح . رضي الله عنهما . والله العالم .

ثم انه لا يبدو من التاريخ بوضوح انه ادعى السفارة عن الامام المهدي (ع) زوراً ، غايته ان الشيخ الطوسي ذكره في قائمه المذمومين الذين ادعوا البابية ـ أي السفارة ـ من الامام المهدي عليه السلام . ولم يظهر مما ذكره الشيخ ولا غيره ذلك . وانما الذي عرفناه هو كونه وكيلاً صادقاً ـ بالواسطة ـ عن الامام المهدي (ع) ، ولم يتضح انه بقي على دعواه للوكالة بعد انحرافه وخروج التحذير منه . والله العالم.

رابعهم : محمد بن علي بن بلال .

ابو طاهر ، البلالي [1] . كان من أصحاب الامام العسكري عليه السلام [2] . وعده ابن طاووس [3] من السفراء الموجودين في الغيبة الصغرى والابواب المعروفين الذين لا يختلف الامامية القائلون بامامة الحسن بن علي (ع) فيهم . وظاهره كونه بمنزلة القاسم بن العلا والاشعري والاسدي ونحوهم في الوثاقة والجلالة . الا ان الشيخ الطوسي ذكره في المذمومين الذين ادعو البابية . فتابعناه هنا على ذلك . وتوقف العلامة الحلي في ما يرويه من أجل ذلك أيضاً [4] .

قال الشيخ : وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين ابي جعفر محمد بن عثمان العمري ـ نضر الله وجهه ـ وتمسكه بالأموال التي كانت عنده

---

١ ـ غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٥ .

٢ ـ جامع الرواة جـ ١ ص ١٠٣ والخلاصة ص ٦٩ .

٣ ـ جامع الرواة . نفس الصفحة .

٤ ـ الخلاصة . الصفحة ص ٦٩ .

للامام (ع) ، وامتناعه من تسليمها وادعاؤه انـه هو الوكيل . حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه . وخرج فيه من صاحب الزمان مـــا هو معروف .

وقد كان له جماعة من الاصحاب والمؤيدين، منهم اخوه أبو الطيب وابن حرز ورجل من أصحابنا . وقد انفصل منه هذا الاخير ، لمـــا نذكره فيما يلي .

وقد جاهد أبو جعفر العمري رضي الله عنه ، واستعمل الاساليب لردعه وتقويم انحرافه . واخذ الاموال منه لايصالهـا إلى الامام عليه السلام . فـــلم يفلح وبقي ابن بلال على انحرافه وتمسكه بالأموال والأصحاب .

فمن ذلك : ان ابا جعفر قصد ابن بلال في داره ، وكان عنده جماعة ، فيهم اخوه أبو الطيب وابن حرز . فدخل الغلام فقال : ابو جعفر العمري على الباب . ففزعت الجماعة لذلك وانكرته للحال التي كانت جرت . ولم يستطع ابن بلال ان يحجبه . فقال : يدخل .

فدخل أبو جعفر رضي الله عنه . فقام له أبو طاهر والجماعـة وجلس في صدر المجلس ، وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديـــه . فامهلهم إلى ان سكتوا . ثم قال العمري : يا أبا طاهر انشدتك بالله ألم يامرك صاحب الزمان بحمل ما عندك من المال إلي فقال ابن بلال : اللهم نعم . فنهض أبو جعفر رضي الله عنه منصرفاً ووقعت عـــلى القوم سكتة. فلما تجلت عنهم قال له اخوه أبو الطيب : من أين رأيت

صاحب الزمان ؟. فقال أبو طاهر : ادخلني أبو جعفر إلى بعض دوره ، فأشرف علي - يعني صاحب الزمان - من علو داره فامرني بحمل ما عندي من المال اليه - يعني إلى العمري - .

فقال له ابو الطيب : ومن أين علمت انه صاحب الزمان ؟ . قال : قد وقع علي من الهيبة له ، ودخلني من الرعب منه ، ما علمت انه صاحب الزمان (ع) . قال ذلك الرجل من اصحابنا: فكان هذا سبب انقطاعي عنه [1] .

فنجد ان ابا جعفر العمري رضي الله عنه ، قام تجاه ابن بلال بعملين مهمين :

اولهما : انه وفر له طريق مقابلة الامام المهدي (ع) . ليأخذ منه الأمر بدفع المال اليه . وهذه حادثة كبرى في حدود ماعرفناه من السرية والتكتم والحذر . ومبني على الاطمئنان من ابن بلال ، ولو باعتبار ابتناء مصالحه على عدم الافشاء والايصال إلى السلطات ، كما سبق ان ذكرناه .

ثانيهما : تذكيره بهذه الحادثة ، ونشدانه بالله تعالى بصدور الامر من الأمام المهدي (ع) بدفع المال . وذلك امام جماعة من اصحابه ، وإقامة الحجة عليهم في ذلك . مما اوجب انفصال أحدهم ورجوعه إلى خط السفراء الصادقين رضي الله عنهم . وقد يوجب انفصال غيره مما لم يروه

---

١ - الغيبة ص ٢٤٦ .

التاريخ . كما ان الجماعة الحاضرين في مجلسه ، لاحظوا منه خضوعه لابي جعفر وإرتباكه من حظوره ، واعترافه بعدم المعرفة السابقة بشخص الامام المهدي عليه السلام وتهيبه ورعبه منه،عند مقابلته . وكل ذلك يؤثر عليهم نفسياً ، في الابتعاد عن ابن بلال والشعور بالنفرة منه بصفته مدعياً للسفارة ، اذ لو كان صادقاً لما حدث كل ذلك .

خامسهم : محمد بن احمد بن عثمان

ابو بكر المعروف بالبغدادي . ابن اخي ابي جعفر العمري السفير الثاني رضي الله عنه . وحفيد عثمان بن سعيد السفير الاول رضي الله عنه .

وامره في قلة العلم والمروة اشهر من ان يذكر [1] . كان معروفاً لدى عمه أبي جعفر العمري بالانحراف . ولم يكن معروفاً لدى البعض الآخرين من اصحابه . ومن هنا كان جماعة من الاصحاب ، وهم خاصة الموالين ، في مجلس العمري رضي الله عنه ، وهم يتذاكرون شيئاً من روايات الائمة عليهم السلام . فاقبل عليهم ابو بكر محمد بن أحمد بن عثمان ، إبن اخيه . فلما بصر به ابوجعفر رضي الله عنه ، قال للجماعة مشيراً اليه : إمسكوا فان هذا الجاني ليس من اصحابكم [2] . فقد أمرهم بقطع الحديث الاسلامي الواعي ، الذي لايناسب معه وجود المنحرفين امثاله .

ادعى السفارة ، وكان له اصحاب ، منهم ابو دلف محمد بن المظفر

---

١ – المصدر ص ٢٥٥

٢ – الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٥٦ .

الكاتب . وقد كان في ابتداء امره مخمساً [1] مشهوراً بذلك ، لانه كان تربية الكرخيين وتلميذهم وصنيعتهم . وكان الكرخيون مخمسة ، لا يشك في ذلك أحد من الشيعة . وقد كان أبو دلف يقول ذلك ويعترف به . ويقول : نقلني سيدنا الشيخ الصالح ، قدس الله روحه ونور ضريحه ، عن مذهب أبي جعفر الكرخي إلى المذهب الصحيح . يعني ابا بكر البغدادي [2] . وسيأتي الكلام عن ابي دلف مستقلاً فيما يلي .

ثم أن ابا بكر البغدادي ، حين ارسل عليه وجوه الخاصة وعلمائهم وسالوه عن دعواه السفارة ، انكر ذلك وحلف عليه . وقال : ليس إلي من هذا الأمر شيء . وعرض عليه مال ، لكي يأخذه بالوكالة عن الامام المهدي عليه السلام . وإنما عرض عليه ذلك امتحاناً . فأبى وقال محرم علي أخذ شيء منه ، فانه ليس إلي من هذا الأمر شيء ،ولاادعيت شيئاً من هذا .

قال الراوي : فلما دخل بغداد ، مال اليه ـ ابو دلف الكاتب ـ وعدل عن الطائفة واوصى اليه . لم نشك أنه على مذهبه ، فلعناه وبرئنا منه . لأن عندنا ان كل من ادعى الامر بعد السمري ، فهو كافر منمس ضال مضل [3] .

وكان ابو دلف هذا ، يدافع عن ابي بكر البغدادي ويفضله

---

١ ـ المخمسة من الغلاة يقولون : ان الخمسة سلمان وابا ذر والمقداد وعمار وعمرو بن امية الضمري، هم الموكلون بمصالح العالم من قبل الرب . كذا في هامش الغيبة ص ٢٥٦
٢ ـ الغيبة ص ٢٥٦ .
٣ ـ المصدر الصفحة ص ٢٥٥ .

على ابي القاسم الحسين بن روح وعلى غيره . فلما قيل له في وجه ذلك قال : لان ابا جعفر محمد بن عثمان قدم اسمه على اسمه في وصيته فقلت له : فالمنصور افضل من مولانا أبي الحسن موسى عليه السلام . قال وكيف ؟ قلت : لأن الصادق عليه السلام قدم اسمه على اسمه في الوصية فقال لي : انت تتعصب على سيدنا ومولانا وتعاديه . فقلت : والخلق كلهم تعادي ابا بكر البغدادي وتتعصب عليه غيرك وحدك وكدنا نتقاتل وناخذ بالازياق [1] .

وحكي انه توكل لليزيدي بالبصرة ، فبقي في خدمته مدة طويلة وجمع مالا عظيما.فسعي به الى اليزيدي ، فقبض عليه وصادره ،وضربه على ام رأسه حتى نزل الماء من عينيه ، فمات ابو بكر ضريراً [2] .

ولم يذكر التاريخ عام وفاته . الا اننا يمكن ان نستنتج من بعض ماسبق ، أنه كان موجوداً خلال سفارة الحسين بن روح ، فانه اوصى إلى ابي دلف الكاتب بعده،فاصبح ابو دلف مدعياً للسفارة بعد السمري فيكون ابو بكر البغدادي قد مات في زمان مناسب مع هذه الوصية والله العالم .

سادسهم وسابعهم : اسحاق الاحمر والباقطاني .

روى في البحار [3] بسنده عن ابي جعفر محمد بن جرير الطبري

---

١ - الغيبة ص ٢٥٥ .

٢ - المصدر ص ٢٥٦ .

٣ - انظر جـ ١٣ ص ٧٩ .

باسناده مرفوعاً إلى احمد الدينوري . انه حمل من اموال الشعب الموالي في الدينور ستة عشر الف دينار ، الى بغداد . وبحث عمن اشير اليه بالنيابة ـ اي السفارة ـ . فقيل له : إن ههنا رجلاً يعرف بالباقطاني يدعى بالنيابة . وآخر : يعرف باسحاق الاحمر يدعي النيابة . وآخر يعرف بابي جعفر العمري يدعى النيابة .

قال : فبدأت بالباقطاني ، وصرت اليه فوجدته شيخاً مهيباً له مروة ظاهرة وفرس عربي وغلمان كثير . ويجتمع الناس يتناظرون قال : فدخلت اليه ، وسلمت عليه ، فرحب وقرب وسر وبر . قال : فاطلت القعود إلى ان خرج اكثر الناس . قال : فسالني عن ديني فعرفته اني رجل من اهل الدينور وافيت ومعي شيء من المال . احتاج ان اسلمه . فقلت : اريد حجة ـ يعني برهاناً على صحة سفارته التي يدعيها . فلما اعوزه ذلك ـ قال : تعود الي في غد . قال : فعدت اليه من الغد ، فلم يأت بحجة . وعدت اليه في اليوم الثالث ، فلم يأت بحجة قال : فصرت إلى اسحاق الأحمر ، فوجدته شاباً نظيفاً ، منزله اكثر من منزل الباقطاني ، وفرسه ولباسه ومروته اسرى وغلمانه اكثر من غلمانه ، ويجتمع عنده من الناس اكثر مما يجتمع عند الباقطاني . قال: فدخلت وسلمت ، فرحب وقرب . قال : فصبرت الى ان خف الناس قال : فسالني عن حاجتي . فقلت له ، كما قلت للباقطاني . وغدت اليه بعد ثلاثة ايام ، فلم يات بحجة .

قال : فصرت الى ابي جعفر العمري ، فوجدته شيخاً متواضعاً

عليه مبطنة بيضاء ، قاعد على لبد في بيت صغير ليس له غلمان ولا له من المروة والفرس ماوجدت لغيره .. إلى آخر الرواية .

ونستطيع ان نفهم من هذه الرواية عدة امور :

الاول : ان هذين الرجلين ادعيا السفارة في أول زمـــان سفارة العمري رضي الله عنه . يعني في أوائل فترة الغيبة الصغرى . قبل ان يصل خبر السفارة المحقة الى الاطراف، حتى أن هذا الرجلا لدينوري كان جاهلا بالسفارة والسفير . وهو الذي سمعناه يقول لاهل الدينور حين كلفوه بحمل الأ موال : ياقوم هـذه حيرهولا نعرف الباب في هذا الوقت . ونجده يبحث في بغداد عن السفير عدة ايام .

الثاني : ان هذين المدعيين ، لم يكونا يفهمان مسلك التكتم والحذر الذي كان يتخذه السفراء الصادقون . وهو ان دل على شيء ، فانما يدل على كذبهم وانحرافهم .. الى حد لايجدون حرجاً من انكشاف امرهم تجاه الدولة واطلاع السلطات عليهم. حيث نجد الناس يجتمعون عندهما يتناظرون ، ولانجد مثل ذلك عند العمري رضي الله عنه .

الثالث : ان هذين المدعيين ، كانا يبذلان على انفسهما المال ،من اجل زيادة الابهة والفخفخة ، على حين لانجد العمري يعمل ذلك . والسر في ذلك واضح وهو أنالعمري لايتصرف بالاموال الا باذن الامام المهدي عليه السلام ، وفي حدود تعليمه وتوجيهه . وهي تحدد بحدود المصالح العامة لابالزخارف والبهارج . على انه لو فعل ذلك لالفت الى نفسه النظر وقد تحومعليه الشكوكوالانظار،وهومالايريده لنفسهواصحابه.

على حين لم يكن هذان المدعيان بمتورعين عن صرف المال في ذلك سواء مما قبضاه من المال بدعوى السفارة وما كان من اموالهما الخاصة . ولا مانع لديهما من اطلاع السلطات عليهما فانهما ـ على اي حال ـ ليسا باولى ولا اهم من جعفر بن علي الذي توسط الى السلطة مباشرة لاجل تنصيبه للامامه .

وما ذلك ، الا لأن خط الأنحراف دائماً يناسب مع خط الأنحراف ولا يخشاه .. وان كانا على شاكلتين . وخاصة حين يشعران ان لهما عدواً مشتركاً هو خط السفراء العادل .

ثامنهم : محمد بن علي الشلمغاني .

المعروف بابن أبي العزاقر او العزاقري . ابو جعفر . نسبته الى شلمغان ، وهي قرية بنواحي واسط [١] .

كان شيخاً مستقيم العقيدة والسلوك صالحاً [٢] متقدما في اصحابنا [٣] حتى ان الشيخ ابا القاسم الحسين بن روح نصبه وكيلاعنه عنداستتاره من المقتدر . وكان الناس يقصدونه ويلقونه في حوائجهم ومهماتهم [٤] . وكانت تخرج على يده التوقيعات من الامام المهدي عليه السلام عن طريق ابن روح [٥] .

---

١ ـ الكامل ج ٦ ص ٢٤١ .

٢ ـ انظر الغيبة ص ١٨٣ ورجال النجاشي ص ٢٩٣ وفهرست الشيخ الطوسي ١٧٣ .

٣ ـ رجال النجاشي ص ٢٩٣ .

٤ ـ الغيبة ص ١٨٣ .

٥ ـ الغيبة ص ١٨٤ .

له من الكتب التي عملها في حال الاستقامة : كتاب التكليف . قال الشيخ الطوسي : اخبرنا به جماعة من ابي جعفر ابن بابويه عن ابيه عنه الا حديثاً واحداً منه في باب الشهادات انه يجوز للرجل ان يشهد لاخيه إذا كان له شاهد واحد من غير علم [1] . كان الشلمغاني يكتب باباً باباً من هذا الكتاب ، ويعرضه على الشيخ ابي القاسم رضي الله عنه فيحككه ، فإذا صح الباب خرج فنقله وامرنا بنسخه . يعني أمرهم ابن روح [2] فكثرت نسخه عند الاصحاب .

وفي رواية اخرى : انه لما انتهى من الكتاب طلبه ابن روح لينظر فيه . فجاءوا به فقرأه من أوله إلى آخره ، فقال : ما فيه شيء إلا وقد روى الائمة عليهم السلام إلا موضعين أو ثلاثة ، فانه كذب عليهم في روايتهما لعنه الله [3] .

وله كتاب « التأديب » . اخذه الشيخ الحسين بن روح رضي الله عنه منه . وانفذ الكتاب إلى قم ، وكتب إلى جماعة الفقهاء بها . وقال لهم : انظروا في هذا الكتاب وانظروا فيه شيء يخالفكم . فكتبوا اليه : انه كله صحيح ، وما فيه شيء يخالف ، إلا قوله : الصاع في الفطرة نصف صاع من طعام . والطعام عندنا مثل الشعير كل واحد صاع [4] .

---

١ - الفهرست ص ١٧٣ .

٢ - الغيبة ص ٢٣٩ .

٣ - المصدر السابق ص ٢٥٢ .

٤ - نفس المصدر ص ٢٤٠ .

فمن هنا نجد ان في كل من هذين الكتابين ، قد دس الشلمغاني فرعاً فقهياً مخالفاً لما عليه مذهب الاصحاب ، وان كان مستقيماً مؤمناً وهذا يدل على ما قلناه من وجود ضعف في ايمان كل شخص ينحرف في حياته ، بحيث يكون من الاول قابلا لهذا الانحراف عند اجتماع ظروفه وشرائطه .

ويمكن ان نفهم وضوح ذلك لابن روح رضي الله عنه ، حين كان يتوجس من كتب الشلمغاني ، فيحاول ان يشرف عليها او يعرضها على الموثوقين من أصحابه وعلماء مذهبه .

وللشلمغاني أيضاً كتاب الغيبة ، روى عنه الشيخ الطوسي في الغيبة [١] . وله كتاب الاوصياء ، روى عنه الشيخ أيضاً في الغيبة [٢] . وله عدة كتب اخرى رواها النجاشي في رجاله [٣] ولم يعلم ان هذه الكتب ، مما كتبه في حال استقامته أو بعد انحرافه .

ثم انه حمله الحسد لابي القاسم بن روح، على ترك المذهب، والدخول في المذاهب الرديه [٤] وظهر منه مقالات منكرة [٥] واصبح غالياً [٦] يعتقد بالتناسخ وحلول الالوهية فيه [٧] .

---

١ - انظر الغيبة ص ٢٤٠ .
٢ - انظر ص ٢٠٨ وما بعدها .
٣ - انظر ص ٢٩٤ .
٤ - رجال النجاشي ص ٢٩٣ .
٥ - فهرست الشيخ ص١٧٣ .
٦ - انظر رجال للشيخ ص ٥١٢ .
٧ - الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٢٤١

وكان من عقائده انه يعتقد القول بحمل الغد . ومعناء انه لا يتهيأ إظهار فضيلة للولي إلا بطعن الضد فيه ، لانه يحمل سامعي طعنه على طلب فضيلته ، فاذا هو أفضل من الولي ، إذ لا يتهيا إظهار الفضل إلا بـــه . وساقوا المذهب من وقت آدم الاول إلى آدم السابع . لانهم قالوا : سبع عوالم وسبع أو ادم . ونزلوا إلى موسى وفرعون ومحمد وعلي مع ابي بكر ومعاوية [١] .

قال أبو علي بن همام : سمعت محمد بن علي العزاقرى الشلمغاني يقول : الحق واحد ، وانما تختلف قمصه . فيوم يكون في أبيض ويوم يكون في أحمر ويوم يكون في أزرق . قال ابن همام : فهذا أول ما انكرته من قوله ، لانه قول اصحاب الحلول [٢] .

وكان يقول لاصحابه وتابعيه : ان روح رسول الله ﷺ انتقلت الى ابي جعفر محمد بن عثمان العمري رضي الله عنـــه . وروح أمير المؤمنين علي عليه السلام انتقلت الى بدن الشيخ ابي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنـــه . وروح فاطمة الزهراء عليها السلام انتقلت الى ام كلثوم بنت ابي جعفر العمري رضي الله عنهما . وكان يزعم لهم ان هذا سر عظيم ويأخذ عليهم ان لا يكشفوه لاحد . إلى معتقدات غريبة اخرى [٣] لا حاجة الى الاسهاب فيها .

---

١ – الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٥٠ .
٢ – المصدر ٢٥١ .
٣ – انظر الكامل ج ٦ ٢٤١ وما بعدها .

وكان ابن ابي العزاقر وجيهاً عند بني بسطام . وذلك : ان الشيخ أبا القاسم بن روح رضي الله عنه ، كان قد جعل له عند الناس منزلة وجاهاً . فكان عند ارتداده يحكي كل كذب وبلاء وكفر لبني بسطام ، ويسنده عن الشيخ ابي القاسم رضي الله عنه. فانكره وأعظمه ، ونهى بن بسطام عن كلامه وامرهم بلعنه والبراءة منه . فلم ينتهوا ، واقاموا على توليه . وذاك انه كان يقول لهم : انني اذعت السر ، وقد اخذ علي الكتمان ، فعوقبت بالابعاد بعد الاختصاص . لان الأمر عظيم لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او مؤمن ممتحن ، فيؤكد من نفوسهم عظم الامر وجلالته .

فبلغ ذلك أبا القاسم رضي الله عنه ، فكتب الى بني بسطام بلعنه والبراءة منه وممن تابعه على قوله وأقام على توليه . فلما وصل اليهم وأظهروه عليه ، بكى بكاء عظيما. ثم قال ان لهذا القول باطناً عظيماً وهو ان اللعنة الابعاد. فمعنى قوله: لعنه الله، اي باعده الله من العذاب والنار. والآن قد عرفت منزلتي. ومرغ خديه على التراب. وقال: عليكم بالكتمان لهذا الامر[1] .

وقد ترتب على بعض هذه العقائد ان الكبيرة ام كلثوم بنت ابي جعفر العمري رضي الله عنهما ، دخلت على ام أبي جعفر بن بسطام ، فاعظمتها غاية الإعظام حتى انها انكبت على رجلها تقبلها . فلما انكرت ذلك منها ، اخبرتها بما قاله لهم العزاقري من العقائد ، وان روح الزهراء عليها السلام قد تجسدت فيها ، فكيف لا تعظمها

---

١ - انظر الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٤٩ .

وتكبر شانها؟! ولم يفد تكذيب الكبيرة ام كلثوم لهذه العقائد ، وردعها لتلك المرأة عنها ، لما سبق من العزاقري بانه سر عظيم وقد أخذ عليهم انه لا يكشفونه لاحد .

وحين رأت الكبيرة ام كلثوم ذلك ، بادرت الى ابي القاسم بن روح رضى الله عنه ، فاخبرته بالقصة . فقال : يا بنيه ! اياك ان تمضي الى هذه المرأة بعد ما جرى منها ولا تقبلي لها رقعة ان كاتبتك ولا رسولاً ان انفذته اليك ، ولا تلقيها بعد قولها . فهذا كفر بالله تعالى وإلحاد . قد احكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى ان يقول لهم : بان الله تعالى قد اتحد به وحل فيه كما يقول النصارى في المسيح عليه السلام. ويعدو الى قول الحلاج لعنه الله.

قالت : فهجرت بني بسطام ، وتركت المضى اليهم ، ولم أقبل لهم عذراً ، ولا لقيت امهم بعدها .

وشاع هذا الحديث في بنى نوبخت ، فلم يبق احد الا وتقدم اليه الشيخ ابو القاسم وكاتبه بلعن ابي جعفر الشلمغاني والبراءة منه ، وممن تولاه ورضى بقوله اوكلمه. ثم ظهر توقيع من صاحب الزمان عليه السلام يلعن ابي جعفر محمد بن علي والبراءة منه وممن تابعه وشايعه ورضى بقوله وأقام على توليه ، بعد المعرفة بهذا التوقيع[1] .

وكان خروج التوقيع ضده عام اثنى عشر وثلاثمائة ، يقول الامام المهدي (ع) فيه : ان محمد بن علي المعروف بالشلمغاني ، وهو ممن

---

١ - انظر كل ذلك في الغيبة من ص ٢٤٨ الى ص ٢٥٠ .

عجل الله له النقمة ، ولا امهله ، قد ارتد عن الاسلام وفارق ، والحد في دين الله، وادعى ما كفر معه بالخالق جل وعلا وافترى كذباً وزوراً وقال بهتاناً وإثماً عظيماً . كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً .

وأننا قد برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله وآله صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم منه ، ولعناه عليه لعائن الله تترى من الظاهر والباطن في السر والعلن وفي كل وقت وعلى كل حال . وعلى من شايعه وتابعه أو بلغه هذا القول منا وأقام على توليه بعده .

وأعلمهم أننا من التوقي والمحاذرة منه على ما كنا عليه ممن تقدمه من نظرائه من الشريعي والنميري والهلالي والبلالي وغيرهم . وعادة الله عندنا جميلة ، وبه نثق ، وإياه نستعين وهو حسبنا في كل أمورنا ونعم الوكيل .

وقد صدر هذا التوقيع حين القي القبض على الشيخ الحسين بن روح رضي الله عنه ، وأنفذه من السجن في دار المقتدر إلى أحد أصحابه: شيخنا أبو علي بن همام ، فوزعه أبو علي توزيعاً عاماً ، ولم يدع أحداً من الشيوخ إلا أقرأه إياه وكتب بنسخته إلى سائر الأمصار . فاشتهر ذلك ، في الطائفة ، فاجتمعت على لعنه والبراءة منه [1] .

قال الراوي : وجدت بخط أحمد بن ابراهيم النوبختي وإملاء أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه ، على ظهر كتاب فيه جوابات

---

(١) انظر كل ذلك في الغيبة من ص ٢٥٢ — ٢٥٤.

ومسائل أنفذت إلى قم ، يسال عنها : هل هي جوابات الفقيه عليه السلام - يعني الإمام المهدي «ع» - أو جوابات محمد بن علي الشلمغاني لأنه حكي عنه انه قال : هذه المسائل أنا أجبت عنها . فكتب اليهم على ظهر كتابهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، قد وقفنا على هذه الرقعة وما تضمنته فجميعه جوابنا ، ولا مدخل للمخذول الضال المضل المعروف بالعزاقري - لعنه الله - في حرف منه . وقد كانت أشياء خرجت اليكم على يدي أحمد بن بلال [1] وغيره من نظرائه . وكان من ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا عليهم لعنة الله » .

وأراد الراوي أن يتأكد ، عما إذا كان ما خرج من هؤلاء المنحرفين قبل انحرافهم عن الإمام المهدي «ع» ، هل هو صحيح أو مزور أيضاً . قال الراوي : فاستثبت قديماً من ذلك ، فخرج الجواب : « على من استثبت ، فانه لا ضرر من خروج ما خرج على أيديهم . وان ذلك صحيح » [2] فانه لا تنافي بين الانحراف المتأخر وصحة القول والنقل المتقدم حال إيمان الفرد واستقامته .

ومثل هذا التثبت ، ما سئل الشيخ ابن روح رضي الله عنه ، عن كتب ابن أبي العزاقر بعدما ذم وخرجت فيه اللعنة . فقيل له : فكيف نعمل بكتبه وبيوتنا منها ملاء . فقال : أقول فيها ما قاله أبو

(١) لعل المراد : احمد بن هلال . فان ابن بلال اسمه محمد بن بلال . لا احمد . كما سبق .
(٢) غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٢٨ .

محمد الحسن بن علي صلوات الله عليهما وقد سئل عن كتب بني فضال فقالوا : كيف نعمل بكتبهم وبيوتنا منها ملاء . فقال صلوات الله عليه خذوا بما رووا وذروا ما رأوا [1] .

فنرى ابن روح يعقد مقارنة بين كتب العزاقري وكتب بني فضال ، حيث يفهم من كلام الإمام العسكري «ع» قاعدة عامة ، وهي: إن الإنحراف في العقيدة لا ينافي إمكان صحة الرواية .

فما على الفرد إلا أن يأخذ بما رووا من أخبار ويدع ما رأوا واعتقدوا من العقائد المنحرفة والطرق الضالة . لا يفرق في ذلك بين بني فضال وابن أبي العزاقر .

وحين أحس الشلمغاني بالتحدي والمجابهة من قبل الشيخ ابن روح والمجتمع الموالي له، أراد أن يباهل ابن روح حتى يضع المجتمع أمام حد الواقع ، وذلك : انه بعد أن اشتهر أمره وتبرأ منه ابن روح ، اجتمع الشلمغاني بجماعة من رؤساء الشيعة في مجلس الوزير ابن مقله ـ وزير الراضي عام ٣٢٢ [2] ـ.فوجدان كل فرد منهم يحكي عن الشيخ أبي القاسم لعنه والبراءة منه.فقال: اجمعوا بيني وبينه حتى آخذ بيده ويأخذ بيدي فان لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه ، وإلا فجميع ما قاله في حق .

فبلغ ذلك إلى الراضي،فامر بالقبض عليه،وقتله فقتل.واستراحت الشيعة منه [3] .

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٣٩ .
(٢) الكامل جـ ٦ ص ٢٣٨ .
(٣) الغيبة ص ٢٥٠ .

يدلنا ذلك على ما أشرنا اليه فيما سبق من أن الخليفة الراضي كان عارفاً للحق وفياً له ، في حدود قدرته ومصلحته . وقد سبق أن ربطنا ذلك باتصالات شخصية كان يقوم بها الخليفة قبل خلافته مع الخاصة من موالي الإمام وعلمائهم .

كما اننا نفهم من ذلك بكل وضوح ، كيف ان هؤلاء الخاصة يجتمعون في دار الوزير ويتناقشون فيه . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ما سبق منا من وجود الاتصالات الواسعة بينهم وبين سائر بني الإسلام من علماء ووجهاء . فان الفرد من علمائنا في تلك الفقرة لم يكن يفرق في وضعه الإجتماعي عن أي فرد آخر ، ليس له طبقية خاصة أو نطاق معين ، غير ما يمليه عقيدته ودينه . فهو في الأغلب تاجر يتصل بالبائعين والمشترين ، ويتصل بالشريف والوضيع وله علاقات مع سائر بني الإسلام من علماء ووجهاء .

ولكننا يجب أن لا ننسى في هذا الصدد مسلك الحذر والتقية التي كانوا يسيرون عليه ، فنحن نلاحظ : اولاً : ان الحسين بن روح لم يكن معهم في مجلس الوزير ، زيادة في التكتم والحذر ، ولو كان معهم لما زاد حاله عن ذلك ، كما سمعناه منه في مجالس اخرى عند المقتدر وغيره .

ثانياً : ان المناقشة في الطعن على الشلمغاني ولعنه ، لم يكن ينافي الحذر والتقية ، إذ أن مسلك الدولة منذ أعوام على معادات الشلمغاني ومطاردته ، كما سنسمع بعد قليل .

كما ان هذا النقل التاريخي يدلنا بوضوح على ان مقتل الشلمغاني من قبل الخليفة ، كان من اجل انحرافه عن ابن روح . وهذا هو ما احتملناه فيما سبق من ان الدولة المتمثلة في شخص الخليفة كانت تشعر بالفعل في قتلها للشلمغاني - وربما للحلاج أيضاً - بانها تقوم بعمل مشترك تتفق عليه مع خط السفراء رضوان الله عليهم .

ومن خبر آخر عن مباهلة الشلمغاني ، قال الراوي : انفذ محمد بن علي الشلمغاني العزاقري الى الشيخ الحسين بن روح يساله ان يباهله . وقال : انا صاحب الرجل - يعني المهدي (ع) . وقد امرت باظهار العلم . وقد اظهرته باطناً وظاهراً ، فباهلني ! فانفذ اليه الشيخ - رضي الله عنه - في جواب ذلك : أيّنا تقدم صاحبه فهو المخصوم . فتقدم العزاقري فقتل وصلب واخذ معه ابن ابي عدن. وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة[1] .

وقد اثبتت هذه المباهلة ، ضد مقصود الشلمغاني فانه اراد ان يضع المجتمع بازاء الأمر الواقع نتيجة للمباهلة . فحصل ذلك وثبت ما هو الحق والواقع ، لكن الى جانب الشيخ ابن روح رضى الله عنه ، وظهر كون الشلمغاني مخصوماً مبطلاً .

خطوط من تاريخ الشلمغاني :

هناك بعض التفاصيل التي ينبغي تحديدها قبل التعرض الى حادثة قتل الشلمغاني . وهي تتلخص في عدة امور :

---

١ - غيبة الشيخ ص ١٨٦ .

الامر الأول : اننا سمعنا من تاريخنا : ان الشلمغاني كان وكيلا صالحا لابن روح حال استتاره عن المقتدر [١] .

وسمعنا ايضاً ان التوقيع الذي ارسله الامام المهدي (ع) منذوصل الى ابن روح وهو في سجنه في دار المقتدر . فاوصله ابن روح الى ابن همام . فوزعه الأخير بين مشايخ أصحابه .

اذن فاستتار ابن روح متقدم زمانا على سجنه ، وانحراف الشلمغاني واقع ما بين هاتين الحادثتين . ونحن وان كنا نعلم تاريخ سجن ابن روح ، وهو عام ٣١٢ كما سبق . الا اننا لا نعلم تاريخ استتاره ولا مدته لكي نحدد عام انحراف الشلمغاني . وغاية ما يمكن تحديده هـو انه انحرف في زمان خلافة المقتدر وهو تاريخ غير كاف في نفسه .

وعلى أي حال فالمهم هو معرفة تاريخ البيلن الذي صدر ضده ، ولا بد ان يكون بعد انحرافه بقليل ، بحيث لا يبقى له مجال للعمل العام بالوكالة عن ابن روح خلال ذلك ، وتاريخ صدوره مضبوط بعـام ٣١٢ نفسه .

الأمر الثاني : أخرج الشيخ في الغيبة عن أبي علي محمد بن همام ، وهو الذي سمعناه انه وزع بيان الإمام المهدي «ع» في لعن الشلمغاني على المشايخ . انه قال : ان محمد بن علي الشلمغاني لم يكن قط بابا – وكيلاً – إلى أبي القاسم ولا طريقاً له . ولا نصبه أبو القاسم لشيء من ذلك على وجه ولا سبب . ومن قال بذلك فقد أبطل – يعني قال بالباطل – وإنما كان

---

٢ – غيبة الشيخ ص ١٨٣ .

فقيهاً من فقهائنا ، وخلط وظهر عنه ما ظهر ، وانتشر الكفر والإلحاد عنه . فخرج فيه التوقيع على يد أبي القاسم بلعنه والبراءة ممن تابعه وشايعه وقال بقوله [1] .

وهذا خلاف ما سمعناه في الرواية الأخرى [2] من أن الشلمغاني كان حين استقامته واستشار الشيخ ابن روح ، سفيراً بينه وبين الناس في قضاء حوائجهم ومهماتهم ، وكانت التوقيعات تخرج على يديه عن طريق ابن روح .

وقد أشرنا فيما سبق أنه لا تنافي بين الانحراف المتأخر والوكالة حال الاستقامة . فان الإستقامة ما دامت موجودة تترتب عليها كل الآثار الإسلامية كقبول روايته وإمكان وكالته . وخاصة وان ابن همام في الرواية الأولى يعترف باستقامته في مبدأ أمره . وتنتفي هذه الآثار بانحرافه . وعلى أي حال فقد عرفنا أن النقل بثبوت الوكالة أكثر ومعه يكون الاعتماد عليه أكثر .

الأمر الثالث : نسمع من التاريخ العام [3] أن أبا جعفر الشلمغاني اتصل بالمحسن بن أبي الحسن بن الفرات في وزارته الثالثة .

وقد سبق أن عرفنا ان أبا الحسن بن الفرات هذا هو علي بن محمد بن موسى بن الفرات ، الذي وزر للمقتدر ثلاث مرات، كانت وزارته

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٥٠ .

(٢) المصدر ص ١٨٣ وما بعدها ،

(٣) الكامل جـ ٦ ص ٢٤١ .

الثالثة عام ٣١١ [١] . وكان ولده محسن بن علي هو الغالب على الأمور في هذه الوزارة [٢] حتى عزل عام ٣١٢ واختفى ولده محسن وصودر ابن الفرات على جملة من المال مبلغها الف الف دينار [٣].

وقد عرفنا ابن الفرات هذا ، فرعاً من أب وأخ منحرفين ، اتبعا محمد بن نصير النميري الذي ادعى السفارة زوراً ، وخرج فيه من الإمام العسكري «ع» توقيعات شديدة اللهجة .

وكان ابنه المحسن وقحاً سيء الأدب ظالماً ذا قسوة شديدة ،وكان الناس يسمونه : الخبيث ابن الطيب [٤] . ويروى له في التاريخ أثناء وزارة أبيه الثالثة عدة شنائع في التعذيب والمصادرات [٥] .

فهذا هو الذي اتصل به ابن ابى العزاقر ، فانظر بمن يستجير وعلى من يتكل ، وكيف يهرب من الحق إلى الباطل ، صريحاً وبلا مواربة. ومن الراجح انه اتصل به عام ٣١٢ ، الذي رجحنا فيما سبق أنه عام انحرافه .

وعلى أي حال ، فبعد عزل ابن الفرات استوزر المقتدر عبد الله بن محمد ابن عبيد الله الخاقاني [٦] وذلك عام ٣١٢ [٧] .فطلب الشلمغاني وطارده

---

١ - الكامل ج ٦ ص ١٧٣ .
٢ - مروج الذهب ج ٤ ص ٢١٤ .
٣ - الكامل ج ٦ ص ١٧٧ .
٤ - المصدر ص ١٧٤ .
٥ - انظر المصدر والصفحة .
٦ - مروج الذهب ج ٤ ص ٢١٤ .
٧ - الكامل ج ٦ ص ١٧٨ .

وحاول القبض عليه . فاستتر الشلمغاني وهرب إلى الموصل . فبقى سنين عند ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان في حياة أبيه عبد الله بن حمدان (١) . ويروي النجاشي في رجاله أنه أخبر بقائمة كتبه عند استتاره بمعلثايا . وهي قرية من أعمال الموصل .

فانظر إلى ضعف الدولة وضيق سلطانها ، إذ نرى حكومة بغداد لا تستطيع القبض على شخص بالموصل ، ويكون في إمكان بعض أمرائها إجارته منها وإبعاده عنها .

ونعرف من هذا السياق أيضاً ، ان التوقيع الذي صدر ضده من الإمام المهدي عليه السلام ، كان قبل اختفائه في الموصل . فانه أيضاً كان عام ٣١٢ ، كما عرفنا . ومن المعلوم صدوره حال وجوده في بغداد واختلاطه بالناس . كما أن محاولته للمباهلة مع ابن روح ، كانت بعد عوده إلى بغداد ، قبل مقتله بعدة شهور .

وذلك انه انحدر إلى بغداد واستتر ، وظهر عنه ببغداد انه يدعى لنفسه الربوبية . وقيل انه اتبعه على ذلك :الحسين بن القاسم بن عبدالله بن سليمان بن وهب ، الذي وزر للمقتدر عام ٣١٩ (٣) وأبو جعفر وأبو علي ابنا بسطام (٤) وابراهيم بن محمد بن أبى عون وابن شبيب الزيات وأحمد بن عبدوس . كانوا يعتقدون الربوبية فيه . وظهر ذلك

---

١ — الكامل ص ٢٤١

٢ — رجال النجاشي ص٢٩٤

٣ — انظر ص ٢٦٤ .

٤ — الكامل ج ٦ ص ٢٠٥ .

٥ — انظر الكامل ، نفس الصفحة ، والغيبة للشيخ ص ٢٤٨ وغيرها .

عنهم ، وطلبوا ايام وزارة ابن مقله حين وزر للمقتدر عام ٣١٦ [١] فلم يوجدوا [٢] .

اذن فالشلمغاني هرب الى الموصل عام ٣١٢ وعاد إلى بغداد عام ٣١٦ . وسلطات المقتدر بالرغم من انها حاولت القبض على الحسين بن القاسم بن عبدالله بن سليمان بن وهب عام ٣١٦ بتهمة اتباع الشلمغاني، واعتقاده الربوبية فيه . فان المقتدر استوزره عام ٣١٩ ، كما رأينا . وهو معنى ما قلنـــاه من ان الدولة كانت تؤيد من طرف خفي خط الانحراف الداخلي في خط الموالين للأئمة عليهم السلام .

مقتله

اتفق تاريخنا الخاص والتاريخ العام على ان الراضي قتله عام ٣٢٢ [٣] . وذلك انه لما كان في شوال لهذا العام ظهر الشلمغاني من بعد استتاره ببغداد . فقبض عليه الوزير ابن مقلة [٤] . وكان هذا أول عام من تولي الراضي للخلافة. وكان ابو علي محمد بن علي مقله هو اول وزرائه [٥] .

فقبض عليه الوزير ابن مقله وسجنه ، وكبس داره ، فوجد فيها رقاعاً وكتباً ممن يدعى عليه انه على مذهبه يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضاً . وفيها خط الحسين بن القاسم. فعرضت الخطوط

---

١ - الكامل ج ٦ ص ١٩٢
٢ - انظر المصدر ص ٢٤١
٣ - انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ١٨٧ وص ٢٥٠ . والكامل ج ٦ ص ٢٤١
٤ - الكامل نفس الصفحة .
٥ - المروج ج ٤ ص ٢٣١ .

فعرفها الناس . وعرضت على الشلمغاني ، فاقر انها خطوطهم وانكر مذهبه ، واظهر الاسلام ، وتبرأ مما يقال فيه .

واخذ ابن ابي عون وابن عبدوس معه وأحضرا معه عند الخليفة وامرا بصنعه فامتنعا . فلما اكرها مد ابن عبدوس يده . وصفعه. واما ابن ابي عون فانه مديده إلى لحية ورأسه، فارتعدت يده . فقبل لحية الشلمغاني ورأسه . ثم قال : الهي وسيدي ورازقي .

فقال الراضي : قد زعمت انك لا تدعي الالهية ، فما هذا ؟ . فقال : وما علي من قوله ابن ابي عون ؟ والله يعلم انني لا قلت انني اله قط . فقال ابن عبدوس : انه لم يدع الالوهية، وانما ادعى انه الباب الى الامام المنتظر مكان ابن روح ، وكنت اظن انه يقول ذلك تقية .

ثم أحضروا عدة مرات،ومعهم الفقهاء والقضاة والكتاب والقواد وفي آخر الايام افتي الفقهاء باباحة دمه . فصلب الشلمغاني ، وابن ابي عون في ذي القعدة وأحرقا بالنار [1] . وكان الحسين بن القاسم بالرقة فارسل الراضي اليه فقتل آخر ذي القعدة ، وحمل رأسه الى بغداد [2] .

وبذلك، انتهى حساب الشلمغاني ، تجاه الدولة وقواعدها الشعبية وتجاه المؤمنين به ، وتجاه السفير الشيخ أبي القاسم بن روح رضي الله

---

١ - الكامل جـ ٦ ص ٢٤١ .

٢ - المصدر ص ٢٤٢ .

عنه ، وبالتالي تجاه الامام المهدي عليه السلام نفسه ، وقواعده الشعبية.

وانتصر الامام المهدي(ع) و سفيره ، من حيث اراد الله تعالى لهما النصر .

تاسعهم : الحسين بن منصور الحلاج

الصوفي المشهور . ولا نريد ان ندخل في هذا الصدد ، في ترجمته وتفاصيل حياته ، ولا فيما كان يصدر منه من العجائب التي كانت تستهوي العوام وتستغويهم . وانها هل هي حق او باطل . وما اختلف الناس فيه من ذلك . فان ذلك كله خارج عن تاريخ الامام المهدي عليه السلام في غيبته الصغرى . وانما فصلنا القول في الشلمغاني لارتباطه بهذا التاريخ ارتباطاً عضوياً . فليرجع في تفاصيل ترجمة الحلاج الي مصادره .

وإنما نقتصر من ذلك على ما هو مربوط بنا في هذا التاريخ . من حيث انه ادعى السفارة عن الامام المهدي (ع) . ومما نذكره سيتضح ماهو الحق تجاه عقيدة الحلاج وسلوكه .

وذلك:انه لما قدم بغداد اراد ان يغري ابا سهل بن اسماعيل بن علي النوبختي ، وهو من علمائنا الاجلاء في تلك الفترة . ويمت الي الشيخ ابن روح النوبختي رضي الله عنه برابطة النسب .

وتخيل انه ممن تنطلي عليه حيله وخدعه . فكاتبه وادعى له انه وكيل الامام المهدي عليه السلام . وقد اخرج الخطيب البغدادي شيئاً من ذلك ، كما اخرج الشيخ في غيبته بعض التفاصيل حوله .

قال الخطيب البغدادي [١] : اخبرنا علي بن ابي علي عن ابي الحسن احمد بن يوسف الأزرق ، ان الحسين بن منصور الحلاج لما قدم بغداد يدعو ، استغوى كثيراً من الناس والرؤساء ، وكان طمعه في الرافضة اقوى لدخوله من طريقهم [٢] . فراسل ابا سهل بن نوبخت يستغويه . وكان ابو سهل من بينهم مثقفا فهما فطناً . فقال ابوسهل لرسوله :هذه المعجزات التي يظهرها قد تأتي فيها الحيل . ولكن انا رجل غزل ولا لذة لي اكبر من النساء وخلوتي بهن.وانا مبتلي بالصلع ، حتى اني اطول قحفي وآخذ به الى جبيني واشده بالعمامه ، وأحتال فيه بحيل .ومبتلى بالخضاب لستر المشيب . فان يصل لي شعراً ورد لحيتي سوداء بـــلا خضاب . آمنت بما يدعوني اليه كائناً ما كان . ان شاء قلت : انه باب الامام .وان شاء قلت : انه الامـام . وان شاء قلت : انه النبي وإن شاء قلت : انه الله .

قال : فلما سمع الحلاج جوابه ، أيس منه وكف عنه .

قال الشيخ [٣] . بعد نقله نحواً من ذلك ، مع زيادة ان الحلاجزعم لابي سهل في مراسلته. انه وكيـل صاحب الزمان عليه السلام . وهـذا واضح ايضاً من كلام الخطيب البغدادي باعتبار قول ابي سهـل : ان شاء قلت : انه باب الامام . . اي وكيله . واضاف الحـلاج ـ برواية الشيخ ـ وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ماتريده من النصرة لك لتقوى

---

١ امظر الكني والالقاب ج ٢ ص ١٠٨

٢ – يقصد كونه بالاصل شيعيا ودعوته في واقعها انحراف عن هذا المذهب

٣ – الغيبة ص ٢٤٨ .

نفسك ولا ترتاب بهذا الامر .

وبعد ان كشفه ابو سهل وافحمه واظهر عجزه امسك الحلاج عنه ولم يرد اليه جواباً ولم يرسل اليه رسولاً . وصيره ابو سهل احدوثة وضحكة ، ويطنز - اي يسخر - به عند كل احد . وشهر امره عند الصغير والكبير .وكان هذا الفعل سبباً لكشف امره وتنفير الجماعة منه.

وحين ذهب الحلاج الى قم كاتب علي بن الحسين بن موسى بن بابويه ، وهو من اجلاء علمائنا ، ابو الشيخ الصدوق قدس الله سرهما وادعى له الحلاج : انه رسول الامام ووكيله .

فلما وصل خطابه الى ابن بابويه ، مزقه ، وقال لرسول الحلاج : ما افرغك للجهالات ! . فقال له الرجل : فان الرجل قد استدعانا فلم خرقت مكاتبته ؟ وضحكوا منه وهزءوا به .

ثم نهض الى دكانه ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه ، وعندماوصل نهض لاحترامه كل من كان هناك غير رجل رجل رآه جالساً في الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه ابن بابوية .

فلما جلس واخرج حسابه ودواته ، كما يكون التجار . اقبل على بعض من كان حاضراً فسأله عنه ، فاخبره . فسمعه الرجل يسال عنه فاقبل عليه ، وقال له : تسأل عني وانا حاضر ؟! . فقال له ابن بابوية اكبرتك ايها الرجل واعظمت قدرك ان اسألك . فقال له : تخرق رقعتي ، وانا اشاهدك تخرقها . فقال له . فانت الرجل اذن . ثم قال . خذ ياغلام برجله وبقفاه ، وسحبوه من الدار سحباً . ثم قال له . اتدعي

المعجزات ، عليك لعنة الله . فاخرج بقفاه . قال الراوي . فما رأيناه بعدها بقم .

يتضح من هذا التاريخ أمور :

الأمر الأول : ان أمر الحلاج كان أهون وأوضح لدى خاصة الموالين من أن يخرج فيه التوقيع عن الإمام المهدي عليه السلام . فقد كان لهم من الموازين والقواعد الإسلاميه ، ما يكشفون به عن خدعه وأباطيله .من دون حاجة إلى سؤال من المهدي «ع» وجواب . ولم يستفحل به الأمر ليصل الحال إلى حد الحاجة إلى ذلك .

ولا ننسى في المقام قول ابن روح في الشلمغاني: فهـذا كفر بالله تعالى وإلحاد ، قد أحكمـه هـذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أن يقول لهم : بأن الله تعالى اتحد به وحل فيه ، كما يقول النصارى في المسيح عليه السلام . ويعود إلى قول الحلاج لعنـه الله [1] . فقد حكم على عقائد الشلمغاني بالبطلان باعتبار رجوعها في نهاية المطاف إلى قول الحلاج . فكيف يقول في الحلاج نفسه .

على انـه لم يكن الذي التفت إلى فساد قوله ، هو الحسين بن روح وأصحابه ، فحسب بل التفتت إلى ذلك السلطات ، وخافت على شعبها من أن يؤثر الحلاج في انحرافه عن أصل الإسلام ، وهو الدين الحنيف الذي تقوم الخلافة على أساس منه . فقبضوا عليه ، وأفتى الفقهاء بإباحة دمه . ولما سمع الحلاج ذلك . قال : ما يحل لكم دمي واعتقادي الإسلام

---

١ – غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٩ .

ومذهبي السنة . ولي فيها كتب موجودة . فالله الله من دمي . ولكن الخليفة المقتدر ، اذن في قتله حين رأى الفتاوى . فضرب الف سوط وقطعت يده ثم رجله ثم يده ثم رجله . ثم قتل ثم أحرق بالنار والقي رماده في دجلة ، ونصب الرأس ببغداد ، وأرسل إلى خراسان لأنه كان له بها أصحاب [1] .

فاعجب من الخطيب البغدادي ، إذ سمعنا منه أنه يعتبر الحلاج محسوباً على الشيعة ، على حين نرى الحلاج بنفسه يعترف أمام السلطات أن مذهبه السنة وله فيها كتب موجودة .

الأمر الثاني : ان الحلاج ، كان يخدع كل قوم من حيث جهة قناعتهم واعتقادهم ، ليجلبهم بعد ذلك إلى ما يريده لهم من العقائد الباطلة والأقوال المنحرفة . وإذ يكون الناس في فراغ عقائدي وضعف في الدعوة والإرشاد الإسلامي بينهم ، لم يكن بإمكانهم أن يفرقوا بين المعتقد الحق والباطل وبين ما هو معجزة وما هو خدعة . وقد استغل الحلاج هذا الواقع المر استغلالاً كبيراً واصطاد في هذا الماء العكر اصطياداً مضاعفاً . حتى ضج منه أهل الإسلام بمختلف مذاهبهم .

وقد كان منطلقه إلى خداع القواعد الشعبية الموالية للأئمة عليهم السلام ، هو ادعاء الوكالة عن الإمام المهدي عليه السلام . ثم يعلو منه إلى غيره [2] . لتخيله ان هذا الأمر مفهوم لهم معتاد بالنسبة اليهم .

---

١ - انظر الكامل جـ ٦ ص ١٦٨ - ١٦٩ .

٢ - غيبة الشيخ ص ٢٤٧ .

ولولا وقوف ابي سهل النوبختي في بغداد وابن بابويه القمي في قم ضده لكان له أثر مؤسف كبير .

الأمر الثالث : أنه يتضح أيضاً من هذا التاريخ ، ما سبق أن ذكرناه من كون علمائنا في تلك الفترة ، لم يكونوا يشكلون طبقة منفصلة لهم حدود معينة وعلاقات محدودة . بل كان حالهم حال غيرهم في اتخاذهم عملاً يرتزقون منه ، وينطلقون إلى اللقاء مع مختلف الطبقات عن طريقه . كالذي سمعناه عن ابن بابويه الذي كان إلى جانب تجارته من أكابر العلماء العاملين لتلك الفترة . ويكفينا من جهاده هذه الصورة الواضحة من قيامه ضد الحلاج وفضحه في المجتمع المسلم .

عاشرهم : محمد بن المظفر .

أبو دلف ، الكاتب . وقد سمعنا عند الحديث عن أبي بكر البغدادي ان أبا دلف هذا كان مخمساً مشهوراً . ثم انه آمن بأبي بكر البغدادي واعتبر مذهبه هو الصحيح [1] وكان يدافع عنه بحرارة ، ويقدمه على الحسين بن روح رضي الله عنه [2] حتى أوصى له أبو بكر البغدادي بعد وفاته [3] . وأصبح بذلك مدعياً للسفارة بعد السمري ، وكان هذا علامة كذبه لدى الأصحاب ، على ما سبق .

وكان أبو دلف معروفاً بالإلحاد ثم أظهر الغلو ثم جن وسلسل ثم صار مفوضاً . قال الراوي : وما عرفناه قط ، إذا حضر في مشهد

---

١ – غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٥٦ .

٢ – انظر المصدر ص ٢٥٠ .

٣ – المصدر ص ٢٥٥ .

– يعني مجتمعاً على الناس – إلا استخف به . ولا عرفته الشيعة إلا مدة يسيرة . والجماعة تتبرأ منه وممن يومي اليه وينمس به ،[1] . وأمره في الجنون أكثر من أن يحصى[2] .

* * *

فهؤلاء عشرة ، ممن مثلوا خط الإنحراف الداخلي الكبير أثناء فترة الغيبة الصغرى ، ضد السفراء وقواعدهم الشعبية، وبالنتيجة ضدالإمام المهدي (ع) وضد المصالح الكبرى التي كان يتوخاها في المجتمع . وقد عرفناهم وجملة من أساليبهم وطرق الوقوف ضد تيارهم . والحمد لله رب العالمين .

تحليل مجابهة الانحراف :

كان الاهتمام الكبير للامام المهدي (ع) وسفرائه في الوقوف ضدهذا التيار ، أكبر من الوقوف ضد أي تيار آخر . وذلك لعاملين أساسيين:

أحدهما ، لاحظناه مما سبق ، من كون هذا العمل مما ينسجم وسياسة السلطات . فلا يكون منافياً لمسلك الحذر والتكتم . وحيث كان في ردع القواعد الشعبية الموالية عن هؤلاء المزورين مصلحة كبرى كما هو معلوم ، ولا مانع منه من قبل السلطات .. إذن فمن المنطق أن ننتظر ازدياد نشاط السفراء والوكلاء في ذلك ، وتعدد التوقيعات بخصوصه .

---

١ – غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٥٤ .

٢ – المصدر ص ٢٥٥ وما بعدها .

ثانيها : وهو الأهم ، المبتني على قاعدة عامة في منطق الجماعات البشرية ، تقول : إن الهدم الناشىء في داخل الجماعة يكون أضر بها وأشد عليها من الهدم الوارد عليها من الخارج ، في الأعم الأغلب . بل ان المنحرفين في كل جماعة ، ليمثلون خط المناوىء جنباً إلى جنب مع الجماعات الأخرى المعادية .

ومن ثم كان المنحرفون عن الإسلام ، والمتاجرون باسمه ، أشدعلى الإسلام من الكفار والمشركين ، وأكثر تاثيراً في الإبعاد عنه . وهم-في واقعهم - يد عاملة في مصلحة القوى العالمية المناوئة للاسلام .

ولذلك ، كان هؤلاء المنحرفون ،المدعون للسفارة زوراً ، أشد على القواعد الشعبية وأضربها - لو استفحل امرهم- من السلطات المنحرفة لانهم ويتاجرون باسم الامام المهدي عليه السلام ، ويدخلون الى عقول السذج عن طريق مهم معتاد بالنسبة اليهم وهو السفارة عنه وقبض الاموال بالوكالة عنه . ثم انهم يزرقون من عقائدهم المنحرفه وسلوكهم الباطل في نفوس الآخرين ، تحت هذاالشعار ، مايحلو لهم ومايشاءون.

على حين ان السلطات لاتملك الا الحديد والناز والسجون، ولم تكن هذه الامور يوماً بصالحةفيالقيام ضد العقيدةاوالتاثير عليها .لاتستطيع السلطات ان تدخل الى اذهان الموالين للائمة عليهم السلام ، عن طريق ديني باي حال من الاحوال . وليس ادل على ذلك ، من رفض المعتمد لعمالة جعفر بن علي ، حين كان يائساً من تاثيره في فرض عمالته على موالى اخيه عليه السلام .

فكان من الواجب الوقوف ضد هذا التيار الداخلي المنحرف ،الذي كاد ان يبلغ مبلغاً عظيماً ، لولا مابينه الامام المهدي عليه السلام من بينات وما قام به السفراء من نشاط مضاعف كبير . الى جانب شعور الدولة بالمعادات مع هؤلاء المنحرفين ومطاردتها لهم . ولم يخطر لها ان تستفيد منهم في سبيل هدم الجماعة الموالية وتفريق شملها وتشتيت كلمتها مما اوجب تظافر نشاط السفراء والدولة على حربهم ومطاردتهم .

ولم تكن الدولة بقادرة على جرهم الى جانبها والاستفادة منهم في مصلحتها لعدة عوامل .

الأول : ان دعوتهم ـ على الأغلب ـ كانت خارجة عن أصل الإسلام بشكل مكشوف واضح ، لدى عموم الناس ، بحيث لا يمكنهم التاثير الكبير . ولا ينفعون السلطات حتى لو أرادوا ذلك .

الثاني : ان توقيعات الإمام عليه السلام وموقف سفرائه ، كان قوياً فعالاً في التأثير على الجماعة الموالية . بحيث لم يبق لهؤلاء المزورين باقية ، يمكن أن تصلح سنداً للدولة ، حتى لو أرادت استخدامها .

الثالث : ان الدولة ، كانت تخاف على قواعدها الشعبية من التشتت والانهدام . فانها على أي حال قائمة على أساس الإلتزام بالإسلام ، ومنتفعة في أصل وجودها من شعاراته . فإذا دخلتها الدعوات المنحرفة عنه بشكل علني صريح ، كان ذلك مضراً بها لا محالة .

الرابع : ان الدولة كانت تخاف ـ في حدود ما تفهم ـ بأن يؤثر هؤلاء المنحرفون ، بشكل أو آخر ، في صرف بعض قواعدها الشعبية

عن مذهبهم وتقريبهم إلى خط الأئمة عليهم السلام .. ولو باعتبار أن هؤلاء المنحرفين مدعين للسفارة عن الإمام المهدي عليه السلام ، وهو القائد الفعلي لذلك الخط . وهو الخط الذي تفرق منه السلطات وتخشاه. وقد سبقت بعض الشواهد على ذلك[1] .

الخامس : ان هؤلاء المنحرفين ، كانوا في الأعم الأغلب ، مشتركين مع خط الأئمة والسفراء ، في الشعور بظلم السلطات وعدم الإعتراف بشرعيتها . وهذا الشعور بنفسه يجعلهم يرهبون أن يبيعوا ضميرهم للسلطات ويكرسوا نشاطهم من أجلها . وهم يشعرون بكل عمق، إنهم لن يحصلوا من القواعد الشعبية أحداً ، لو شعر الناس منهم مثل هذا الإتجاه .

وهذا هو الذي جعلهم طرفاً للعداء مع السلطات ومع السفراء على حد سواء . ولم يكن في مستطاعهم ، وهم يمثلون أضيق الإتجاهات وأضعفها ، أن يحاربوا في جبهتين ، ويبذلوا نشاطهم في أكثر من ميدان واحد . مما عجل في خاتمة أمرهم وإنهاء حسابهم ، وتوفيق الله للامة الإسلامية عموماً والموالين خصوصاً للخلاص منهم .

---

(١) انظر الكامل جـ٦ ص ٨٧ .

الفصل الخامس

الامام المهدي (ع) حياته ونشاطه خلال هذه الفترة

ويقع الكلام في ذلك ضمن عدة حقول ، نذكر عناوينها اولاً ، لنكون على ذكر منها حين ندخل في التفاصيل . فهي :

أولاً : حياته الخاصة خلال غيبته الصغرى .

ثانياً : محاولات القبض عليه من قبل السلطات .

ثالثاً : مقابلاته للناس من حيث اسلوب ذلك واهدافه .

رابعاً : تصرفه في الامور المالية .

خامساً : حله للمشكلات العامة والخاصة .

سادساً : نصبه لوكلاء غير السفراء الاربعة .

سابعاً : اعلانه انتهاء السفارة وبدأ الغيبة الكبرى .

وقد عرفنا الشيء الكثير عن الاتجاهات والاساليب التي كان يتبناها الامام المهدي عليه السلام ، مما يندرج في عدد من هذه العناوين. وعلينا في هذا الفصل ترتيب ما عرفناه مع الزيادة عليه .

وتجنباً للتكرار ، سيكون التعرض الى ما عرفناه مما سبق ضئيلاً الى حد كبير ، وسيكون الجهد مكرساً على ما يستجد في هذا الفصل من تاريخ وأفكار .

الحقل الأول

حياة المهدي (ع) الخاصة

من حيث صفته ومكانه ومقدار عمره ، وعدد من خصائصه الشخصية خلال غيبته الصغرى .

شكله :

كان سلام الله عليه وعجل فرجه ، يوم وفاة أبيه ، حين رآه الناس يصلي على ابيه .. صبياً بوجهه سمره ، بشعره قطط باسنانه تفل كما سبق أن سمعنا .

ثم يصفه من رآه بعد ذلك خلال غيبته الصغرى ، بانه شاب حسن الوجه طيب الرائحة ، هيوب ؛ ومع هيبته متقرب الى الناس . قال الراوي : فتكلم ، فلم أر احسن من كلامه ولا اعذب من منطقه في حسن جلوسه[1] . وفي رواية اخرى : انه شاب اسمر لم ار قط في حسن صورته واعتدال قامته[2] وفي رواية ثالثة : فتى حسن الوجه

---

١ - غيبة الشيخ ص ١٥٢ .

٢ - المصدر ص ١٥٣ .

طيب الرائحة يتبختر في مشيته[1] . وفي رواية رابعة : انه ليس بالطويل الشامخ ولا بالقصير اللازق بل مربوع القامة مدور الهامة صلت الجبين ازج الحاجبين ، اقنى الأنف ، سهل الخدين . على خده الايمن خال [2] . الى غير ذلك من الروايات [3] .

ونسمع من سفيره محمد بن عثمان رضي الله عنه ، حين سئل عن رؤيته للمهدي (ع) .. يصف عنقه في حسنه وغلظه ، فيشير بيده ويقول : وعنقه هكذا [4] او قال : ورقبته مثل هذا [5] . وانما اكد على صفة عنقه ليدل على صفة الرجولة فيه ، وانه لم يبق كما عهده الناس في حياة ابيه صبياً صغيراً ، أو غلاماً عشارياً عليه رداء تقنع به [6] .

اذن فهو عليه السلام ، قد تقدم وتطور من حيث شكله ، فأصبح شاباً بعد ان كان غلاماً وقوياً بعد ان كان ضعيفاً وكبيراً بعد ان كان صغيراً . وكان سفراؤه يواجهونه في شبابه هذا .

ففي زمان العمري السفير الثاني ، حاول شخص أن يقابل المهدي (ع) فوفر له العمري فرصة المقابلة . فرآه شاباً من أحسن

---

١ - غيبة الشيخ ص ١٥٩ .
٢ - المصدر ص ١٦١ .
٣ - انظر المصدر ايضا ص ١٥٦ وص ١٦٣ و ص ١٨٢ وغيره من المصادر كثيرة .
٤ - المصدر ص ٢١٥ .
٥ - المصدر ص ٢١٩ .
٦ - المصدر ص ١٥٥ .

الناس وجها واطيبهم رائحة . بهيئة التجار ، وفي كمه شيء كهيئة التجار [1] .

وكونه عليه السلام بهيئة التجار ، يدلنا على لباسه خلال هذه الفترة بل على عمله أيضاً .. وهو التجارة ، حيث يستطيع أن يواجه الناس كتاجر من التجار من دون أن يعرف الناس حقيقته . ولعله تاجر مستقل عن تجارة سفيره أو لعله يعمل في تجارة سفيره أو يعمل سفيره في تجارته . وقد عرفنا مما سبق أن هيئة الكثير من علماء الخاصة بما فيهم السفراء أنفسهم ووكلائهم ، وعملهم الاجتماعي الظاهر ، كان على ذلك . ومن هنا اتخذ قائدهم وإمامهم نفس العمل والملبس ، وهو أمر أبعد ما يكون عن إلفات النظر وإثارة الشكوك .

ثم يوصف لباسه حال الاحرام للحج : وهو عليه السلام يحضر الموسم كل سنة ، يرى الناس ويعرفهم ، ويرونه ولا يعرفونه [2] ويكون في أثناء حجه متزراً ببردة ومتشحاً باخرى ، وقد عطف بردائه على عاتقه [3] ، شانه في ذلك شأن كل حاج محرم يلبس ثياب الاحرام . وفي رواية اخرى عليه إزاران [4] .

مكانه وانتقالاته :

كان حال حياة أبيه عليهما السلام في سامراء . دلت على ذلك جميع

---

١ — غيبة الشيخ ص ١٦٤ .
٢ — المصدر ص ٢٢١ .
٣ — اكمال الدين المخطوط .
٤ — غيبة الشيخ الطوسي ص ١٥٦ .

الروايات الناقلة لمشاهدته في تلك الفترة . وقد سبق أن سمعنا قسطاً كبيراً منها . ومن الطبيعي أن يبقى في سامراء يوم وفاة أبيه يصلي على أبيه ويقابل وفد القميين ، ليحولهم على بغداد ، حيث يعين لهم سفيراً جديداً .

ويبقى في سامراء ردحاً من السنين بعد ذلك ، كما تدل عليه حوادث تحويل السفيرين الأولين باموال الوفود الى سامراء ، كما سياتي في الحقل الخاص بذلك . ويدل عليه أيضاً بعض مقابلاته هناك ، على ما يأتي . ويدل عليه أيضاً ما قامت به السلطات من المطاردة له والكبس على داره في سامراء من قبل المعتمد والمعتضد . حيث يكون عليه السلام موجوداً هناك ولكنه يستطيع التخلص والهرب . اذن فهو إلى زمان خلافة المعتضد التي تولاها عام ٢٧٩ . كان ساكناً في دار أبيه في سامراء فلو فرض ـ كما هو المظنون ـ ان الكبس الذي أمر به المعتضد كان في أول عام من خلافته ، فمعنى ذلك أن المهدي عليه السلام بقي هناك تسعة عشر سنة بعد وفاة أبيه عليه السلام .

وقد أبعد المهدي (ع) عن نفسه كل الآثار ، وكل ما يلفت النظر ويثير الشك ، حتى وكلاؤه أصبحوا بعيدين عنه ، لكي لا يوجهوا الأنظار اليه أولاً ، ولكي يعيشوا في قلب الحوادث الاجتماعية شأن كل من يريد أداء الخدمة الصالحة لمجتمعه وأمته ، ثانياً . ولكي يبعدوا هم بدورهم عن أرصاد الدولة وعاصمة الملك حال كونها في سامراء خلال هذه التسعة عشر سنة ثالثا .

أما هو فلا ينبغي أن يعيش الحوادث ولا أن يختلط بالناس. بل يبقى بعيداً يكتفي بسماع الأخبار والاطلاع على الآثار ، يعيش هموم الأمة الاسلامية ذهنياً إن لم يستطع أن يعيشها خارجاً ... حتى تهدأ النائرة ، ويندمل الجرح وتخف المطاردة ، ويمضي الردح الأول من الغيبة الصغرى ليستطيع بعد ذلك أن يقوم بعمل جديد .

والمتتبع لخروج التوقيعات والبيانات عن الامام المهدي عليه السلام خلال الفترة الأولى من غيبته ، يري بوضوح قلتها وندرتها . إلى حد لا يكاد ينقل عن السفير الأول ، بل السفير الثاني في أول سفارته توقيع ذو بال ، إلا في حدود قليلة وعند الحاجة الكبيرة . وما ذلك إلا لأن الحاجة إلى الحذر في هذه الفترة ألزم ، والبعد ما بين المهدي (ع) وسفرائه من حيث المكان أكثر .

وحين تنتهي هذه الفترة الحرجة ، ولا يزال محمد بن عثمان سفيراً في ذلك الحين ، تنفتح له عليه السلام ، فرصة جديدة في الخروج والتجول بنحو لا يمكن أن يعرفه الناس ولا أن يشار اليه بحقيقته . فان أكثر الناس لم يروه في حياة أبيه . ومن رآه منهم كان قد رآه طفلاً أو صبياً والآن قد أصبح شاباً وسيماً ، فلا تكاد ملامحه أن تكون محفوظة معروفة بعد مرور هذه الفترة . على أن جيلاً من الناس قد مات وجيلاً واجه الحياة من جديد ، وهو لا يعرف من شكل المهدي شيئاً. وكلما طالت المدة ابتعدت صورته عن أذهان الناس وذابت ذوباناً كلياً.

ومن هنا انفسحت للمهدي (ع) فرصة جديدة ، لأن يدخل بغداد

لنراه تارة بزي التجار [١] . وأخرى آمراً محمد بن علي بن بلال ، أن يدفع ما لديه من الأموال إلى سفيره العمري [٢] . وأصبح يحضر موسم الحج في كل عام ، كما سمعنا ، ماشياً [٣] . بل أصبح يخالط الحجاج من خواصه ويحدثهم [٤] ويعلمهم الأدعية ويعطيهم التعليمات [٥] . بل انه ليكشف حقيقته أمام البعض إذا اقتضت المصلحة ولم يكن في ذلك خطر [٦] . وكان يسكن خلال فترة الحج في تلك الديار المقدسة. ومن هنا سنرى أن جملة من مقابلاته تمت هناك ، من قبل الباحثين عنه المريدين التشرف بلقائه .

وكما يذهب إلى الحج ، فانه يذهب إلى كربلاء لزيارة جده سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، يوم عرفة ، فيوصل إلى أحدهم مالاً [٧] على ما سيأتي .

بل انه يصل إلى مصر ، على ما يظهر من بعض الروايات ، وينزل الاسكندرية في خان ينزله الغرباء ، يصلي في مسجده بأهل ذلك الخان . ثم يسافر مع أحدهم ، ويأخذ طريق البحر [٨] .

---

١ – غيبة الشيخ الطوسي ص ١٦٤ .
٢ – المصدر ص ٢٤٦ .
٣ – المصدر ص ٢٥٨ .
٤ – انظر المصدر نفسه ص ١٥٢ .
٥ – المصدر ص ١٥٦ .
٦ – المصدر ص ١٥٢ .
٧ – المصدر ص ١٨١ .
٨ – المصدر ص ١٨٣ .

ثم انه يعود من هذه الأسفار إلى بغداد ليباشر الاتصال بسفرائه ، وإدارة مصالح المجتمع والوقوف في وجه المنحرفين ، عن طريق التوقيعات والبيانات .

هذا ونسمع قول المهدي «ع» - في رواية علي بن ابراهيم بن مهزيار - يا ابن المازيار ! أبي أبو محمد عهد إلي أن لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم ، ولهم الخزي في الدنيا والآخرة ، ولهم عذاب أليم . وأمرني أن لا أسكن من الجبال إلا وعرها ومن البلاد إلا عفرها . والله مولاكم أظهر التقية ، فوكلها بي . فأنا في التقية إلى يوم يؤذن لي فاخرج [١] .

وهذا الخبر لو صح لكان معارضاً لعدد من الأخبار أهمها طريقة استحصال التوقيعات منه عليه السلام ، إلا ببعض الفروض البعيدة أو الاعجازية التي نحن في غنى عن افتراضها ، والمهدي «ع» في غنى عن اتخاذها . ومعه تكون تلك الأخبار متقدمة على مدلول هذا الخبر . وقد سبق أن عرفنا أن الحذر والتقية يتم مع سكناه المدن أيضاً لعدم معرفة الناس بشكله وعدم الالتفات إلى حقيقته . وليست التقية متوقفة على سكنى الجبال وعفر البلاد . إن لم يكن ذلك ملفتاً للنظر وجالباً للشك أحياناً . والله العالم بحقائق الأمور .

عمره الشريف :

ولد عليه السلام في النصف من شعبان عام ٢٥٥ ، كما عرفنا ، فيكون عمره حين وفاة أبيه في شهر ربيع الأول من عام ٢٦٠ كماسبق.

---

١ - غيبته الشيخ الطوسي ص ١٦١ .

اربع سنوات وحوالي سته اشهر . وقال المسعودي وثمانية اشهر [١] . ولعله مبنى على رواية اخرى لم ناخذ بها . وفي هذا العمر تولى منصب الإمامة وقيادة الامة وآتاه الله الحكم صبياً .

وقد عرفنا انه لم يكن شكله يوم وفاة ابيه موافقاً مع هذا العمر ، بل كان صبياً يافعا يقول من يراه انه ابن ثمان او عشر سنين . وقد اعطينا لذلك التبريرات الكافية فيما سبق ويكون عمره الشريف حين شوهد في الحج عام ٢٩٣ ، شابا اسمر ، قال الراوي : لم ار قط في حسن صورته واعتدال قامته [٢].. ثمان وثلاثون عاماً .

ويكون عمره عند وفاة سفيره الثاني في جمادي الاولى عام ٣٠٥ خمسين عاما غير ثلاثة اشهر . وعندوفاة سفيره الثالث الحسين بن روح رضى الله عنه عام ٣٢٦ واحداً و سبعين عاماً .

ويكون عمره عند وفاة سفيره الرابع الشيخ السمري، عام ٣٢٩ ، وانتهاء فترة الغيبة الصغرى .. اربعا وسبعين عاماً . قضى منها اربع سنين ونصف في حياة أبيه عليهما السلام . وتسعة وستين عاما ونصف وخمسة عشر يوما في الغيبة الصغرى . ثم بدأت الغيبة الكبرى حيث لا ظهور الا ان يأذن الله تعالى بالفرج لكي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

ويكون عمره يوم انتهى المسعودي من كتابه اثبات الوصية، وهو

---

(١) اثبات الوصية ص ٢٦٣ .

(٢) الغيبة ص ١٥٣ .

عام اثنتين وثلاثين وثلاث مائه.. اي بعد انتهاء الغيبة الصغرى بثلاث سنوات .. يكون عمره الشريف ستا وسبعين سنة واحد عشر شهر ونصف شهر ، كما ذكر المسعودي[1].

هذا بحسب عدد السنين . واما بحسب شكله ، فكان عليه السلام لا يزال شابا ، يقدره الناظر بحوالي العشرين عاما على ما يستفاد من مجموع اوصافه . وهذا امر ممكن بل ضروري الثبوت ،بأعتبارين:

احدهما ، وهو الامر الاساسي ، الايمان بقدرة الله تعالى الذي خلقكم اول مرة ، والذي يحي العظام وهي رميم ، وبيده ملكوت كل شيء ، وهو على كل شيء قدير .

فاذا عرفنا المصلحة الكبرى المتوقفة على وجود المهدي (ع) والمسؤولية الكبرى المناطة به . وانها من الاهمية والرسوخ في الاسلام الى حد يعمل الله عز وجل ارادته الخاصة في تنفيذها .. نعرف كيف يمكن ان يحفظ الله تعالى المهدي (ع) لاجل ذلك الهدف الكبير .

ثانيهما : نموه البطيء في غيبته الكبرى بحيث يقدر له من العمر حين ظهوره اربعين عاما كما ورد في الروايات (٢).

اذن ، فهو بالرغم من نموه السريع في صغره في حياة ابيه ، حتى نما في الاربع سنوات، ما ينمو به الانسان خلال ثمان او عشر سنين.. اصبح نموه يتباطأ بعد ذلك . ففي خلال السبعين عاما لغيبته الصغرى نما بمقدار حوالي العشر سنين من العمر الطبيعي ، حيث كان في اولها

---

(١) انظر اثبات الوصية ص ٢٦٣ .

(٢) انظر الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٥٨ وكتاب المهدي ص ٨ .

يقدر بحوالي عشر سنوات ، وكان في آخرها يقدر بحوالي العشرين .

ثم هو في السنوات المتطاولة المتمادية في غيبته الكبرى ينمو بمقـدار العشرين الباقية من سن الاربعين الطبيعي للانسان ، ليظهر في آخرها وهو كابن الاربعين . وهو السن الذي يكون فيه الرجل في غاية الرشد والنضج والحنكة .

ثم ان المظنون ان نمّوه امام الناس بعد ظهوره سوف يكون طبيعياً كشخص له اربعون سنة ، فما فوق .

ومن طريف ما ورد في هذا الصدد ، ما في عقد الدرر عن ابي عبد الله الحسين عليه السلام ، انه قال : انه لو قام المهدي لانكره الناس ،لانه يرجع اليهم شابا موفقاً وان من اعظم البلية ان يخرج اليهم صاحبهم شابا ، وهم يظنونه شيخاً كبيراً[1] . والمراد من قوله ، يرجع اليهم انه يظهر لهم بعد غياب،لا انـــه يكون شيخاً ثم يتحول شاباً بطريق اعجازي .

هـــذا كله ، بحسب المصالح الالهية الكبرى ، المذخورة ليومه الموعـود .

فهذه لمحات من حياته الخاصة، وستعرف جملة أخرى من تفاصيلها في الحقول التالية .

الحقل الثاني

محاولة السلطات القبض عليه

كان القبض عليه ، احد الاهداف الكبرى للدولة ، من حيث انها تعلم

(١) كتاب المهدي ص ٢٠٨ وانظر عقد الدرر المخطوط

ما في كيانها من ضعف وانحراف وتسيب. وتعلم ان المهدي عليه السلام هــو المذخور لرفع الظلم والجور عن بني البشر ، اذن فهو يناقض باساس وجوده وعمق هدفه ، كيان هذه الدولة من الصميم ، ويشكل ضدها الخطر الاصيل .

ولم تكن الدولة لتعلم انه سيتأخر ظهوره ، ما حصل له من التاخر بعــد ذلك . فان من مميزات ظهور الامام المهدي (ع) كونه محتمل الظهور في كل وقت ، لكي يخافه كل ظالم ويخشاه كل منحرف.

وقـد سبق ان دللنا على ان الخلفاء كانوا عالمين بوجوده وهدفــه ولا اقل من احتمالهم لذلك . وهو يكفي لتصديهم الى تحصين دولتهم ضد خطره وتجريد الحملات للقبض عليه .

وقد جردت السلطات ثلاث حملات للقبض عليه ، احداها قام بها المعتمد في الفترة القليلة المتأخرة عن وفاة الامام العسكري عليه السلام والاخريان قام بهما المعتضد الذي تولى الحكم بعده. واما الخلفاء المتأخرون فلم ينقل عنهم ذلك ، ولعلهم كانوا قد أيسوا من ذلك يأساً تاماً .

اما محاولة المعتمد ، فقد سبق ان سمعناها في القسم الاول من هذا التاريخ ، عند استعراض ما قام به جعفر بن علي من محاولات واعمال فلا نعيــد .

وقد عرفنا ما تلا ذلك من انشغال الدولة بحرب صاحب الزنج وغيره ، مما اوجب انحراف السلطات ذهنياً عن ان تجرد حملات اخرى للكبس والتفتيش، اثناء خلافة المعتمد ، وهي التسعة عشر عاما

التي قضاها في الحكم بعد وفاة الامام العسكري (ع) .

إلا أن التجسس المستمر والتلفت الدائم من قبل السلطات ، كان قائماً على قدم وساق ، ومستمراً خلال الزمان ، وكان يجابه، كماعرفنا، بأساليب السرية والكتمان المضاعفة التي كان يقوم السفيران الأولان في هذه الفترة الصعبة من الغيبة الصغرى . بما في ذلك تحريم التصريح باسمه والدلالة على مكانه ، إلا لمن امتحن الله قلبه للايمان .

وفي خلال هذه الأعوام التسعة عشر ، يكون التجسس قد أنتج شيئاً مهماً بالنسبة إلى الدولة . وهو ثبوت فكرة السفارة لديها ، وأن هناك من يدعي السفارة عن الإمام المهدي (ع) ويقبض المال بالوكالة عنه [1] اذن فهو موجود . ليس هذا فقط ، بل يحاول قيادة قواعده الشعبية وقبض الأموال منهم . ومن ثم كانت من أعظم مهام المعتضد عند توليه للخلافة أن يجدد الحملات لمحاولة القبض على المهدي (ع) .

ومن ثم يبادر ، فيبعث على ثلاث نفر : فيهم أمرهم . رشيق صاحب المادراي . ويامرهم أن يخرجوا إلى سامراء ؟ نفين لا يكون معهم قليل ولا كثير ، إلا أن يركب كل واحد منهم فرساً ويجنب معه آخر . ووصف لهم محلة وداراً . وقال : إذا أتيتموها تجدون على الباب خادماً أسود ، فاكبسوا الدار ومن رأيتم فيها فأتوني برأسه [2] .

انظر لمقدار ما أتت به أخبار التجسس .. انه يعلم بدار المهدي (ع)

---

١ - أعلام الورى ص ٤٢١ .

٢ - انظر تفصيل الرواية في الغيبة ص ١٤٩ وما بعدها والخرايج ص ٦٧ والبحار ج ١٣ ص ١١٨ .

وهي دار أبيه .. انها دار معروفة في سامراء ، لها تاريخ مجيد . وليس في هذا ما يلفت النظر .. ولكنه يعلم بالعبد الجالس على باب الدار. فانه من الأخبار المتاخرة ، إذ لم تكن الحالة في حياة الإمام العسكري (ع) بهذا الشكل بالتعيين .

كما أنه يعلم بوجود شخص آخر غير هذا العبد ، في داخل الدار . وهو الإمام المهدي (ع) لا محالة . وعلى الأقل يعلم انها دار سكناه ، وإن كان يحتمل عدم وجوده فيها ساعة الكبس . ولكن لا أقل من احتمال وجوده ، والكبس دائماً مغامرة ومقامرة .

وهو لا يحاول أن يرى المهدي (ع) أو أن يكلمه ، وإنما يامر بقتله رأساً وحمل رأسه اليه . وبذلك يتحقق الهدف الأعلى لكيان الدولة الزائف.

وهو لا يعين لهم شخصاً أو اسماً معيناً . بل يغمض من هذه الناحية انه يريد أن يبقى هذا الأمر خفياً حتى على هؤلاء القائمين بالجملة ، ولا يهمه بعد ذلك أن يقتلوا شخصاً غير المهدي ويأتوه برأسه . فحسبه أنه قام بالمحاولة ، على أي حال .

ويتوخى المعتضد من هذا الإغماض أهدافاً :

الأول : عدم إثارة مسالة المهدي (ع) إمام هؤلاء الجلاوزة ، وعدم تنبيههم إلى ذلك ، مهما أمكن . لكي لا يكون ذلك رأس الخيط بالنسبة اليهم أو إلى أحدهم للبحث عن الحق في خط الإمام المهدي (ع) أو الميل اليه .

الثاني : عدم كشف مهمتهم الحقيقية أمامهم ، محافظة على سمعته

وسمعة الدولة . فانهم إن عرفوا ان المعتضد يكلفهم القبض على المهدي (ع) . أمكن تسرب الخبر إلى المجتمع ، فيترتب على ذلك ، ما لا يحمد للمعتضد عقباه .

الثالث : عدم كشف مهمتهم الحقيقية أمامهم للمحافظة على سرية المطلب ، حتى عن خاصة الدولة ، وجهاز استخباراتها ، فإن الأمر أهم وأدق من أن يعرفه الناس . وقد كان أشخاص الخلفاء وحدهم يعرفون ذلك في الغالب ، وقد عرفنا وجه مصلحتهم في الحرص على سرية المطلب وإبهامه .

وبدأت الحملة كما أمر المعتضد ، وتوجه الثلاثة إلى سامراء،وبحثوا عن الدار ، فوجدوها ، كما وصفها لهم المعتضد ، ورأوا في الدهليز خادماً أسود وفي يده تكة ينسجها . فسألوه عن الدار ومن فيها. فقال: صاحبها . قال رشيق : فوالله ما التفت الينا وقل اكتراثه بنا .

ثم انهم استمروا على مهمتهم ، فكبسوا الدار وجاسوا خلالها فوجدوا غرفة سرية وعليها ستر جميل جديد . قال رشيق : ما نظرت قط إلى أنبل منه ، كأن الأيدي رفعت عنه في ذلك الوقت .

ولم يكن في الدار أحد ، فرفعوا الستر ، فرأوا بيتاً كبيراً كأنه بحر فيه ماء . وفي أقصى البيت حصير يبدو كانه على الماء . وفوقه رجل من أحسن الناس هيئة ، قائم يصلي . وبقي مشتغلاً بصلاته متوجهاً إلى ربه لم يلتفت اليهم ، كأنه لم يرهم ولم يسمعهم .

فسبق أحد الرجلين اللذين كانا مع رشيق ليتخطى البيت ، فغرق

في الماء ، وما زال يضطرب ، حتى انقذوه واخرجوه . وغشى عليه وبقي ساعة . ثم هم الرجل الآخران يتخطى البيت فغرق في الماء ايضاً . فاصابه ما اصاب صاحبه .

فبقي رشيق وهو قائد الحملة ، مبهوتاً واجماً ، وأيس من نيـــل الغرض ، واراد ان يلطف من خاطر هـذا المصلي ويزيل ما قد يكون قد علق بذهنه من هذه الحملة . فتوجه اليه قائلاً :المعذرة الى الله واليك فوالله ما علمت كيف الخبر ولا الى من اجيء . وانا تائب الى الله . قال رشيق : فوالله ما التفت الى شيء مما قلنا . وما انتقل عما كان فيه فهالنا ذلك ، وانصرفنا عنه .

انظر كيف انتصر المهدي (ع) على هؤلاء ، الجـلاوزة المنحرفين وكيف استطاع ان يؤثر على اعصابهم هذا التأثير الرهيب . فقد كان يمكنه ان يدبر امره بحيث يختفي منهم كما لا يراهم ولا يرون .. بأن يكون خارج تلك الدار ساعة الكبس. ولكنه دبر الامر بحيث يتحدى السلطات يقيم عليها الحجة ، في اثبات حقه .

فقد ملأ مكانه ، باسلوب طبيعي او اعجازي بالماء . وبقي آمناً لا حاجة له ان يلتفت الى هـذه الحملة ، او ان يعيرها اي اهمية ، حتى خادمه الاسود ، كان مطمئناً من تدابير مولاه وإمامه ، وحفظ الله تعالى اياه ، فلا حاجة له الى الخوف والاهتمام .

والمهدي عليه السلام ، يعلم سلفا ان لن يكون مع هؤلاء الجلا وزه سلاح يقذف بـه كالسهم ، ليصل اليه وهو على مصلاه في نهاية الغرفة .

وانما يستصحبون معهم السيف ، لقطع رأسه ، وهو لا يمكن ان يعمل مع هذه التدابير .

والعلم بساعة ورودهم ونوع سلاحهم، ونحو ذلك.ليس بدعاً على علم الامامة . وليس اعجب من هذا التدبير الذي ارهب به السلطات وانتصر عليهم .

وكان الجلاوزه ظنوا انهم متوهمون في حسبان المكان مملوءاً بالماء وانه شيء من خداع النظر . حيث حاول اثنان منهم اقتحام المكان . ونفس كلام رشيق يوحي بهذا الظن حيث يقول : كأن بحراً فيه ماء . وفي أقصى البيت حصير قد علمنا أنه على الماء. أي أنهم ظنوا ولم يتأكدوا بحسب ما يدل عليه السياق . إلا أن التجربة الفعلية المكررة ، في غرق اثنين منهم جعلتهم يقطعون الشك باليقين . فانـــه سواء كان حصول الماء طبيعياً أو إعجازياً ، فانه يوجب الغرق . ولا يعني بحـال كونـه وهمياً غير واقعي .

وأما وقوف الإمام عليه السلام على الماء ، فان كان حقيقيـاً ، فهو إعجازي لا محالة ، لا يكون إلا بقدرة الله عز وجل ، لإقامة الحجة على المنحرفين والظالمين . والمعجزة عند إقامة الحجة ممكنة بل ضروريـة كما برهنا عليه في بحوث أخرى ، وعليها قامت الدعوة الالهيـة في خط الأنبياء الطويل .

على أننا يمكن أن نتصور أن المهدي (ع) قد أعـد لنفسه في آخر هذا الماء قطعة صغيرة من الأرض، بمقدار الحصير لكي يصلي عليها، وكان

الماء يغمرها فلم يبد منها شيء ، فتوهموا أن الحصير على الماء .

وحين أيس رشيق من بلوغ الغرض ، وذاق صاحبـــاه الغرق والعذاب ، اضطر إلى الانصياع للتحدي والاعتراف بالعجز . انهلم يكن يتوقع شيئاً مما رآه ، فضلاً عن كل ما رآه . لم يعلم إلا أن المعتضدأرسله على شخص ما ليقبض عليه ويأخذ برأسه . واما مثلهذا التدبيرالحاسم فهو لم يواجه مثله من قبل أي شخص آخر حاول القبض عليه . انـه يواجه الهول والتحدي الصريح لأول مرة في حياته ، بشكل لا يجدله حيلة ، ولا يعرف إلى تذليله طريقاً .

إذن ، فلصاحب هذا البيت شأن غير اعتيادي ، شأنأعلى منالقوى الاعتيادية التي يعرفها رشيق . والمعتضد إنما أغمض له الشك لسبب في نفسه .. إذن لعله يعرف شأن صاحب هذا البيت على الاجمال . انه هو الذي أوقعه في هذا الهول والتحدي . بالرغم ان التحدي فيواقعهمتوجه إلى المعتضد نفسه أكثر مما هو متوجه اليه .

وعلى أي حال ، فينبغي التملص من المسالة ، والقاء المسؤوليةكلها على كاهل المعتضد ، والاعتذار من صاحب الدار ، ذيالشان المجهـول الرهيب .

ولكن ماذا يجدي لديه الاعتذار . انه اعتذار المتلبس بالجرم . انه قبل لحظات ، بل وحتى بعد الاعتذار ، لو استطاع أن يقبض عليـه ويقطع رأسه لفعل . إذن فليس لاعتذاره أي قيمة ولا أهمية .. ولا ينبغي الاعتناء به بحال .

وصحب هؤلاء الجلاوزة هولهم في داخل قلوبهم ، وتوجهوا تواً إلى بغداد ، ليحملوا هـذا الخبر العجيب الرهيب إلى المعتضد . وكان المعتضد ينتظرهم ، وقد أمر الحجاب والحرس على أن يدخل هذا الوفد عليه في أي وقت كان ، ليلاً أو نهاراً . فان مهمتهم أعمق وأعقد من أن تحتمل التأجيل .

ودخل عليه الوفد يحمل هولة بين جنبيه ، وصب أمامه الحكاية كما وقعت . فقال : ويحكم لقيكم أحد قبلي وجرى منكم إلى أحد سبب أو قول ؟!. فقالوا : لا !. فقال : انا نفي من جدي ــ أي ليس من بـني العباس ــ ، وحلف بأشد إيمان له ، انه رجل أن بلغـه انهم أخبروا بهذا الخبر ليضربن أعناقهم . قال رشيق : فما جسرنا أن نحدث بـه إلا بعد موته .

ان المعتضد ، لم يجد فيما رووه له ، هولاً أو أمراً غريبـاً . فانـه يعرف ان من حاول القبض عليه ، من العمق والسمو ، بحيث لايكون مثل هذا الأمر غريباً منه . وقد سبقت من آبائه عليهم السلام إلى أسلاف المعتضد أمور كثيرة من هذا القبيل .

انه يعرف ذلك جيداً ، ولكنه يخاف منه على قواعده الشعبيـة وأساس ملكه . ان هؤلاء الثلاثة بالرغم من أنه حاول الاغماض لهم في كلامه ، قد اطلعوا على الحقيقة وواجهوا الحق ، حتى اضطر رشيق إلى التنازل والتوبة . إلا أنه لا ينبغي أن يكون الناس الآخرون كرشيق عارفين بالحق أو منصاعين له . ومن ثم نراه يحلف لهم بأغلظ الأيمان

ويهددهم بالقتل ، ان بلغه انهم أخبروا أحداً بذلك . فلم يجسروا أن يخبروا به إلا بعد موته . فان إيمانه وتهديده إنما يكون رسمياً في حال حياته وبطشه لا بعد موته وفوته .

يبقى احتمال واحد ، وهو أن لا يكون هذا الذي وجدوه هو المهدي بل شخص آخر غيره . فان اسمه لم يرد في الرواية ، بل لعل رشيق قائد الحملة لم يعين في ذهنه ، من بعد رجوعه أنه المهدي (ع) بالتعيين .

ولكننا نستطيع الجزم بكونه هو المهدي بعدة قرائن :

الأولى : إقامة الحجة بالمعجزة أمام أعضاء الحملة والسلطات المتمثلة بالخليفة نفسه .

فان الحادثة تحتوي على عنصر غيبي لا محالة ، فلأن استطعنا أن نفهم الماء الذي شاهدوه وغرقوا فيه والحصير الذي عليه بنحو طبيعي اعتيادي .. فلا يمكن أن نفهم علمه بموعد مجيئهم ونوع سلاحهم على الطريق الإعتيادي . مع انصرافه عن المجتمع في تلك الأيام وسرية هذه الحملة سرية تامة ، يهتم المعتضد باخفائها اهتماماً بالغاً .

وقد التفت المعتضد نفسه إلى هذه الحجة الواضحة ، ومن هنا زاد اهتمامه بالإخفاء حفاظاً على الخط العام للدولة بين قواعدها الشعبية .

وقد علمنا بالبرهان الدال على إمامة المهدي عليه السلام ، انه ليس هناك في ذلك العصر ، من يقيم المعجزة باعداد من الله عز وجل سواه. تعين القول بأن هذا الشخص الذي وجدوه هو المهدي (ع) لاسواه .

الثانية : انه مع غض النظر عن الجانب الاعجازي ، تستطيع

الجزم بانه لم يكن في العالم في ذلك العصر ، فضلا عن سامراء التي كانت مهجورة وغامرة بعد انتقال الخلافة عنها إلى بغداد .. ليس هناك من يستطيع القيام بهذا التدبير الدقيق لتحدي السلطات والتخطيط لارعابهم غير الامام المهدي (ع) . فانه لم يكن التكتيك دقيقاً على أي المستويات الاعتيادية في ذلك العصر ، حتى لدى السلطات نفسها . ما عدا ما كان من المهدي نفسه من إنقاذ سفرائه وقيادة قواعده الشعبية كما عرفنا مفصلا . فليس عجيباً ان يضع مثل هذا التخطيط ، مثل هذا العقل القيادي .

الثالثة : قول المعتضد ـ برواية الراوندي[1] ـ حين أمرهم بالتوجه إلى سامراء : الحقوا واكبسوا دار الحسن بن علي ، فانه توفى ، ومن رأيتم في داره فاتوني برأسه .

ومن يكون في تلك الدار يومئذ إلا ابنه الامام المهدي عليه السلام؟ ومن يمكن أن يخطر في ذهن المعتضد ممن يحتمل أن يسكن في تلك الدار أو يستجير بها ويكون خطراً على الدولة والكيان القائم غيره ؟

* * *

وظن المعتضد ، ان هذه الحملة ، إنما فشلت باعتبار قلة العدد وسرية التوجيه والتنفيذ . ولا أقل من احتمال نجاح الحملة لو كثر العدد وانكشف الغرض . ولم يستطع أو لم يرد أن يفهم أن هذا العقل الذي تحداه مرة واحدة ، يمكنه أن يتحداه عشرات المرات . ولن تستطيع

---

١ انظر الخرايج والجرايح ص ٦٧ .

أي قوة في البشر أن تسيطر عليه أو تقضي عليه .

ومن هنا جرد حملة أكبر ، وبعث عدداً أكثر ، وأتبعه بجيش كبير . فانظر إلى هذا الجبن من الفرد الواحد ، والفزع الذي تتصف به الدولة تجاه هذا الامر العظيم .

وأود في هذا الصدد أن أذكر الرواية بنصها [1] قال الراوي : ثم بعثوا عسكراً أكثر ، فلما دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءةالقرآن فاجتمعوا على بابه وحفظوه حتى لا يصعد ولا يخرج . وأميرهم ـ يعني قائد الحملة ـ قائم حتى يصل [2] العسكر كلهم. فخرج من السكة التي على باب السرداب ، ومر عليهم . فلما غاب ، قال الأمير : انزلوا عليه . فقال : أليس هو مر عليك . فقال : ما رأيت . قال : ولم تركتموه . قالوا : انا حسبنا أنك تراه .

انظر لهذا التحدي الجديد من قبل المهدي عليه السلام للسلطات انه تحد أبسط ، ولكنه أعمق وأعقد في نفس الوقت . فان ذلك التحدي على تعقيده ، لم يكن إلا لدفع ثلاثة أنفار . وأما هذا التحدي على بساطته ، فهو لدفع جيش كبير من جلاوزة السلطان، وتسجيل الفشل على مهمتهم .

انه يقرأ القرآن ، وهل في قراءة القرآن أي ضير حتى في نظر السلطات ؟. ان القرآن الكريم هو حلقة الوصل بين جميع الفئات

---

١ - انظر البحار ص ١١٨ جـ ١٣ .

٢ - في المصدر : يصلي . وهو غلط مطبعي لا محالة .

الاسلامية . والعلامة الرئيسية لتمسك الفرد بالاسلام . فالمهـــدي (ع) يريد أن يفهمهم ضمناً ـ لو كانوا يفهمون ـ حرمة الاعتداء عليه وقتله، باعتباره مؤمناً بالقرآنَ الذي تعترف السلطات بقدسيته .

وهو في حين الوقت يتحداهم ، بقراءته . انه لا يخافهم ولايخشاهم. فانه يعلم بوجودهم ويسمع ضوضاءهم ولكنه لا يسكت عن القراءة ولا يخفي نفسه . بل انه ليغرق في التحدي فيخرج أمامهم ، بحيث يراهم ويرونه ، ولكنهم لا يقبضون عليه ، مع أنهم قادمون لأجل ذلك بالذات.

وهو يقرأ القرآن بالسرداب . والسرداب دائماً هو المقر الطبيعي للفارين ، الذين لا ينسجمون مع الحياة الإجتماعية ، اما لانحرافهـــا أو لحصول حرب أو غير ذلك.

ومن طريف حال هؤلاء الجلاوزة ، انهم لم يبادروا للقبض عليه. بل وقفوا على باب السرداب يحافظون عليه ، ويتجنبون عن اقتحامه. انهم يخافون مواجهة المهدي (ع) ويحتاجون إلى مدد أكبر وعدد أكثر. فهم منتظرون لوصول المدد من بغداد إلى سامراء .

وفي هذه الأثناء استغل الإمام المهدي (ع) أروع لحظة من لحظات ذلك الحصار ، لحظة اقترنت بالدقه بالتوقيت والضبط في التدبـــير والعناية الالهية . انها لحظة غفلة قائد الحمـــلة عن الترصد والانتباه . لحظة لم يأت فيها المدد ، ولم تصدر الأوامر بعدُ إلى اقتحام المكان . ولو كان المهدي (ع) قد تاخر لحظة أخرى لقبضوا عليه لا محالة .

استغل المهدي تلك الفرصة السانحة ، وخرج أمامهم من السرداب،

واختفى حيث لا يمكن أن يصل اليه وهم هذا الجيش المهاجم .

ولم يلتفت قائدهم إلى خروجه ، كان ذهنه سارحاً إلى الخارج حيث يقبل المدد الكبير . كان في حالة انتظار ، وهي حالة تحطم الأعصاب وتاخذ بالإفكار ، وخاصة في مثل ذلك الموقف الصعب الدقيق .

ثم كانه يستبطىء مجيء المدد فيفكر بالاقتحام بما لديه من الرجال لعله يستطيع تحقيق الهدف . فتتدحرج الكلمات على شفتيه : انزلوا اليه . ودهش الحاضرون أن يامرهم قائدهم باقتحام السرداب الفارغ ! بعد أن شاهدوا المهدي (ع) يخرج أمامهم ويختفي .

ثم فكر قليلاً ! كان ينبغي أن يقبضوا عليه .. فلئن كان هو غافلاً فإنهم انتبهوا له ، وكلهم يعلمون أن مهمتهم هي القبض عليه . فلماذا لم يقبضوا عليه حين رأوه . ومن هنا توجه اليهم معاتباً: ولم تركتموه.

وكان جوابهم واضحاً صريحاً : انا حسبنا أنك تراه . فان الجيش ليس له أن يتصرف قبل قائده ومن دون أمره. هكذا اعتادت الجيوش على مدى التاريخ . وبالأولى حين يرون القائد ملتفتاً إلى الشخص المطلوب . ويامر بشيء بصدده . انهم حسبوه ملتفتاً ـ ولم يكن لحسن القدر وجمال التوفيق ـ ملتفتاً .

وهكذا تظافرت هذه الأمور الصغيرة ، لكي تنتج النتيجة الكبيرة لكي ينفذ المخطط الالهي العظيم لانقاذ مستقبل البشرية بالمهدي (ع) من الظلم والجور إلى القسط والعدل .

واريد ، في هذا الصدد ، أن أهمس لـــك بكلمة قليلة المؤنـــه كبيرة الأهمية .

وهو ان هذا السرداب الذي عرفنا ، بنص هذه الرواية ، في دار الامام العسكري (ع) التي يسكنها الامام المهدي (ع) في الفترة الأولى من غيبته الصغرى .

هذا السرداب ، هو الذي أصبح سبباً للحملات الضخمة المركزة على مذهب الاعتقاد بالغيبة ، من قبل عدد ليس بالقليـــل من علماء الإسلام ومفكريهم . باعتبار تصوير المسالة على أن المهدي عليه السلام غائب في السرداب . وقد أضافوا على ذلك اضافات غريبة ، رواياتنـــا منها براء . فمن ذلك : انه دخل السرداب وامه تنظر إليه ، وانه يسكن السرداب طيلة مدة غيبته .

إذن فكيف يأكل ويشرب حتى أصبح اسم المهدي عندهم : صاحب السرداب . وزعم ابن جبير أن هذا السرداب كان في الحلة ولم يكن في سامراء . ونظم آخر من ذلك شعراً :

ما آن للسرداب أن يلد الذي   غيبتموه بجهلـــكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء فانــكم   تلثتم العنقـــاء والغيلانا[1]

---

(١) أنظر بهذا الصدد المصادر التالية : الصواعق المحرقة ص ١٠٠ . ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٢ . والكامل ج ٥ ص ٣٧٣ . وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٢٣٢ . وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٤١ . والعبر في خبر من غبر ج ٣ ص ٣٠ . وتاريـــخ ابي الفداء ج ١ ص ٤٧ . ومصادر أخرى عقائدية وتاريخية .

حتى ان أمثلهم طريقة ، وهو الكنجي في البيان[1] حاول الاعتذار عن ذلك وتقريب امكان بقائه في السرداب هذه المدة الطويلة بدون طعام وشراب بقدرة الله تعالى .

وتصبح هذه الحملة المركزة ، هواء في شبك ، بعد كل الذي قدمناه وبسطناه وحللناه من رواياتنا وتاريخنا الخاص. ويتضح أن هذه الكلمات إنما قيلت نتيجة للجهل المطلق برواياتنا والبعد الكبير عن مصادرنا وكتبنا . وامساكهم للقلم والقرطاس دون مراجعة وتثبت وتدقيق .

فالمركز الأول ، كان هو سامراء بلد الامامين العسكريين عليهما السلام . وليس هو الحلة ، كما زعم ابن جبير . وليس المهدي محبوساً في السرداب . وليس هناك على وجه الأرض من يعتقد ذلك بحق . بل هو يحضر الحج ويكلم الناس وينصب السفراء ويقبض الأموال ويكتب التوقيعات ، ويواكب الأحداث عن كثب ، ويقف بوجه الانحراف والتزوير . ولديه فرص كبيرة لان يعيش كما يعيش اي فرد من الناس.

واما هذه الرواية التي ورد فيها ذكر السرداب فقد عرفنا تفاصيل مدلولها. فالسرداب مكان طبيعي للاختفاء من الهجوم أو الحرب أو الوباء أو نحو ذلك على مدى التاريخ. وليس أمراً خاصاً بالمهدي (ع) . وقد كان المهدي (ع) طبقاً لذلك ، يتخذ سرداب داره مخبأ للطوارىء في أثناء الفترة الأولى من غيبته الصغرى ، التي تمثل أصعب الفترات بالنسبة إليه .

---

(١) أنظر ص ١١٢ وما بعدها .

وليس لامه ذكر في الرواية ، على أنها تنص كما سمعنا أنه لم يبق في السرداب بل خرج أمـــام أعين المهاجمين ، فمن أين عرفوا بقاءه في السرداب ، فحملوا همّ طعامه وشرابه؟!. وسيأتيك في البحوث الآتيـة تفاصيل عديدة ، تزيد ذلك ايضاحاً وتفصيلاً .

كما ان اعتبار هذه الحادثة هي مبدأ غيبة الإمام المهدي عليه السلام . كما يظهر من قولهم : دخل السرداب وامه تنظر إليه . فكانه غاب منـذ ذلك الحين . وكما يظهر أيضاً من هامش كتاب البحار ، حيث أضاف الـكاتب عبارة تدل على ذلك[1] .

إلا أن هذا في غاية السخف والافتراء . فقد أوضحنـا فيما سبق أن الغيبة ليس لها مبدأ معين ، بل كان المهدي (ع) مختفيـــاً من أول ولادته . وقد زاد اختفاؤه شيئاً فشيئاً . وقد مثلت الغيبـة الصغرى وتعيين السفراء مرحلة من مراحل غيبته . وحيث بدأت امامته عليه السلام ونصب السفراء بوفاة أبيه عليه السلام كانت الغيبة الصغرى بادئة منذ ذلك الحين ومنتهية بوفاة السفير الرابع .

ومعنى ذلك : ان الغيبة الصغرى بدأت قبل خلافة المعتضد بتسعة عشر عاماً . إذ توفي الامام العسكري عام ٢٦٠ واستخلف المعتضد عام ٢٧٩ . فلو كان قد جرد هذه الحملات في العام الأول من خلافته ، كانت هذه الحملات متأخرة عن مبدأ الغيبة بنفس هذا المقدار من الأعوام .

وصاحب البحار قدس الله روحه، لا يرضى بأي حال عن العنوان

---

(١) قال في الهامش ما لفظه : في بيان اول الغيبة ص ١١٨ جـ ١٣ .

الذي كتبه كاتب النسخة الحجرية من كتابه . حيث نراه قدس سره يؤكد ان ابتداء الغيبة الصغرى مع وفاة الامام العسكري عليه السلام ، ويستنتج انها أقل من سبعين عاماً بقليل . ثم يذكر احتمال ان يكون مبدؤها ولادة الامام المهدي (ع) نفسها[1] . ومعه تزيد مدتها على السبعين عاماً بقليل . ولم يذكر أي احتمال أو وهم في أنها تبدأ عند حدوث حملة المعتضد في القبض عليه . وليس في اي شيء من رواياتنا ما يدل على ذلك . ونسبته إلى المذهب زور وبهتان .

على انه على هذا التقدير تكون مدة الغيبة الصغرى ، ستون عاماً. وهو مما لم يحتمله احد، وغير مناسب مع شيء من تواريخ السفراء التي ذكرناها . يكفينا من ذلك أنه في ذلك العام الذي حدثت فيه حملة المعتضد ، كان السفير الأول قد توفى وقد مضت من سفارة السفير الثاني حوالي الأربعة عشر سنة . كما يظهر من التواريخ التي ضبطناها فيما سبق .

الحقل الثالث

مقابلته للآخرين

خلال غيبته الصغرى واسلوبه واهدافه من ذلك .

كانت المقابلات مع المهدي عليه السلام . تجري مع العديدين اللذين يعلم

(١) انظر جـ ١٣ ص ١٠٠ .

من درجة اخلاصهم وايمانهم أو من ظروفهم واسلوب مقابلتهم انهم لن يصلوا إلى ما يضر الامام المهدي عليه السلام، أو يدلوا السلطات عليه .

وكانت المقابلات تجري في الغالب بطلب من الآخرين ، يكونون مدة من الزمن بصدد البحث عن المهدي (ع) وتمني مقابلتـه . فيوفر لهم هذه الفرصة بنحو سري بالغ في التكتم والحيطة. ويوصيهم في الغالب أن لا يصرحوا بما شاهدوا ويجعلوا ذلك مكتوماً إلا عن الخواص الذين يعلم الفرد بوثاقتهم واخلاصهم .

وتجري غالب المقابلات ، بعيداً عن السفراء الأربعـة ، في الديار المقدسة ، أثناء موسم الحج . إما في المسجد الحرام نفسه ، أو في بعض الأطراف على مـا سيأتي . وقلما تتم المقابلات في مـكان آخر إلا نادراً خاصة في بغـداد ، حيث وجود السفراء ، وحيث العاصمة بسلطانها وعيونها واضوائها . على حين ان الفرد في الحج ، يحس بالتوجـه إلى الله والانقطاع عن علائق الدنيا ، خاصة في السفر على وسائـط النقل القديمة ، التي كان الحاج عليها يحسب للموت حسابه ويوصي بوصيته قبل خروجه . هذا .. إلا في بعض الموارد الاستثنائية التي تقتضي المصلحة وجودها في بغداد أو سامراء أو في أي محل آخر .

ومن الطريف في بعض المقابلات ، التي يوفرها المهدي (ع) ، مع البعض ، يقضي حوائجهم ويوجه إليهم تعليماته . إلا انهم يبقون غافلين عن كونه هو المهدي (ع) غير ملتفتين إلى ذلك . حتى ما إذا فارقهم وعملوا بتعاليمه ، وانتج عملهم شيئاً كبيراً مثيراً للعجب والاعجاب

عرفوا ان ذاك هو الامام المهدي (ع) .

وهذا النحو من المقابلات تتم حين يعلم المهدي عليه السلام ان الغاية التي يتوخاها والمصلحة التي يريد تحقيقها ، تتم بدون الكشف عن شخصيته وحقيقته . واما لو كانت المصلحة المتوخاة لا تتحقق إلا بالافصاح عن هذا الواقع ، كاقامة الحجة وعرض الاطروحة التامة الحقة عن غيبته ومستقبله ، على ما سنسمع تفصيله . فعندئذ لا بد أن تتم المقابلة مع التعارف بين الطرفين . وقد تستمر المقابلة يوماً أو عدة أيام .

ونحن فيما يلي لا نتوخى سرد جميع المقابلات مع الامام المهدي «ع» وإلا لطال بنا المقام ، فانها عديدة كثيرة في تاريخنا . وانما نتوخى حصر الأهداف المتعددة من المقابلات بحسب الامكان ، ونمثل لكل هدف بمثال واحد على الأقل .

فان المهدي «ع» ، كان يتوخى بحسب ما وردنا في التاريخ الخاص عدة غايات ومصالح من وراء توفير الفرص للآخرين لمقابلته . وهي تكاد تنحصر بالامور التالية :

أولاً : إثبات وجوده بنحو حسي مباشر .

ثانياً : إقامة الحجة على الإمامة وقيادة الحاضر والمستقبل .

ثالثاً : إعطاء وعرض الاطروحة التامة والبيان الكامل الحق لفلسفة غيبته وأهدافه في مستقبله .

رابعاً : قضاء حوائج المحتاجين من الناحية المالية أو غيرها .

خامساً : ممازجة الناس، وإعطاؤهم بعض التعليمات وتعليمهم بعض

الأدعية والأذكار .

سادساً : قبض المال ممن حمله اليه . وان كان الأغلب فيه جريانه عن طريق غيره ، إذا لم يكن عن طريق أحد السفراء الأربعة ، على ما سوف ياتي . كما أن ذلك لم يكن هو الهدف الأساسي أو الوحيد من أي مقابلة معروفة ، ولكنه قد يقترن بغيره من الأهداف .

والمهم من هذه الأهداف ، من الناحية الإسلامية ، هي الثلاثة الأولى وتليها الثلاثة الأخيرة . فلا بد من التعرض الى كل واحد من هذه الأهداف ، وعرض بعض الأمثلة لكل واحد . معتمدين نفس هذا الترتيب الذي ذكرناه ، مع العلم أن المقابلة قد تحقق أكثر من هدف واحد على ما سنرى . وسنحمل فكرة خلال ذلك ، عن الأساليب العامة التي كان المهدي «ع» يتخذها للمقابلة ، وسلامة أمره خلالها وبعدها .

الهدف الأول : إثبات وجوده بنحو حسي مباشر .

لكى يرجع المشاهد فيروي مشاهدته لمن يثق بإيمانه وإخلاصه . وهذا الهدف يتوفر في كل مقابلة ، لا يستثنى منها شيء . حتى تلك المقابلات التي يكون الإطلاع على حقيقة المهدي «ع» بعد فراقه ، فإنه بعد معرفة حقيقته عليه السلام ، ينفتح مجال كبير للأخبار الحسي برؤيته ومقابلته .

وهذا هو مراده عليه السلام ، حين قال لبعض من رآه – عام ٢٦٨ – : يا عيسى ما كان لك أن تراني لولا المكذبون القائلون بأين هو . ومتى كان . وأين ولد . ومن رآه . وما الذي خرج اليكم منه . وبأي

شيء نبأكم . وأي معجزاتكم .. يا عيسي فخبر أولياءنا مـــا رأيت . وإياك أن تخبر عدونا فتسلبه • قال: فقلت : يا مولاي أدع لي بالثبات. فقال : لو لم يثبتك الله ما رأيتني[1] .

وواضح جداً من هذا ان الهدف الأساسي الذي أراده المهدي «ع» من هذه المقابلة ، هو إقامة الدليل الحسي على وجوده ، ضد الشبهات التي كانت ولا زالت تثار من قبل الآخرين من أهل الإسلام بما فيها السلطات والمنتفعين منها .

والمهم أن لا يسري التشكيك إلى قلوب المؤمنين به الموالين له . فتكون هذه المقابلة ، والخبر الذي يحمله كل من رآه عليه السلام دليلاً حسياً مباشراً على وجوده . خاصة بالنسبة إلى أولئك الذين يعيشون في أطراف البلاد الإسلامية، ولا يمكنهم ان يصلوا إلى السفراء أو يحصلوا عن طريقهم على التوقيعات .

ويمكننا أن نلاحظ في هذا النص أمرين :

أحدهما : كيف أن المهدي (ع) يعيش على مستوى معرفة الأحداث الإجتماعية والإطلاع عليها ، والتجاوب مع آمالها وآلامها . انه يحمل هم المستوى العقائدي لمواليه ، بكل جد واهتمام . من حيث التعرف عليه والإعتراف بوجوده وإمامته .

ثانيهما : إن كل من يفوز بلقائه، لا بد أن يكون من أعلى مستويات الإخلاص والإيمان . وهو المستفاد من قوله (ع) : لو لم يثبتك الله مـا

---

(١) انظر اكمال الدين المخطوط .

رأيتني . وليس ذلك مما يتوفر للفرد العـــادي الخائض بالشبهات والراكض وراء المصالح . فإنه مضافاً إلى انه ليس أهلاً لذلك ، فإنـه يشكل نقطة خطر في الكشف عن الإمام المهدي (ع) والدلالة عليه .

الهدف الثاني : إقامة الحجة على وجوده .

وانه هو المهدي القائم صاحب الأمر وصاحب الزمان ، المنتظر الذي ذخره الله تعالى ليومه الموعود ، يوم يملأ الأرض قسطاً وعـدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وهذا المعنى موجود في أكثر مقابلاته عليه السلام إن لم يكن كلها . والسر في ذلك واضح : فإن شكله غير معروف للقاصدين . ومجرد دعوى أنه المهدي غير قابلة للتصديق . وإنما يحتاج كل من يقابله بغير معرفة سابقة ، إلى دليل يشهد للمهدي عليه السلام على ثبوت حقيقتـه وصدق مدعاه . شأنه في ذلك ـ إلى حد كبير ـ شان النبي (ص) حين كان يستدل على نبوته بالحجج والمعجزات . بل إن حال المهدي عليـه السلام لأشد تعقيداً . فان كل نبي حـــين يقيم بعض المعجزات ، فانه يظهرها للناس ويكشفها أمام المجتمع، فتأتي أمام الملأ صريحة واضحة يؤمن بها كل من يراها ، إذا كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد .. وتكون علنية تنتقل إلى غير المشاهدين بالتواتر . أما الإمام المهدي (ع) فهو مضطر بالنسبة إلى كل فرد يقابله إلى أن يقيم الحجة على اثبـات شخصيته وحقيقته .. على انفراد . ولا مجال له بطبيعة الحال الاكتفاء بالمعجزات التي أقامها تجاه فرد ، إن يعتبرها سارية المفعول تجـاه فرد

آخر كما هو واضح .

والحجج التي يقيمها المهدي عليه السلام لمن يقابله من الناس ، على قسمين : إما أن تكون من قبيل علم الغيب ، بالمعنى الذي نؤمن بامكانه بالنسبة إلى الإمام ، كما سبق أن بيناه . وإما أن تكون شيئاً آخر من قبيل التصرف في بعض الامور التكوينية ، كجعل الحصاة ذهباً ونحو ذلك . وهذا أيضاً نقول بامكانه للنبي والإمام عند لزوم إقامة الحجة على اثبات الحق ، على بحث وتفصيل موكول الى محـــله من بحوث العقائد الاسلامية .

وبمثل هذه الحجج ، يعرف الفرد ان الذي قد قابله هو الإمـــام المهدي عليه السلام ، لو لم يكن قد عرفه أثناء مقابلته . ومن هنا يقع الكلام في نقاط ثلاث :

النقطة الأولى : إقامة الحجة ، عن طريق إظهـار علم الغيب لمن يقابله عليه السلام .

فمن ذلك : ما ورد في خبر عيسى بن مهدي الجوهري الذي قصد الفحص عن الإمام المهدي(ع) وأراد مقابلته . وكان هذا الرجل مسبوقاً بمرض اشتهى فيه السمك والتمر . فلما ورد المدينة عـام ٢٦٨ في سفره للحج ، دعاه خادم إلى مقابلة الإمـــام المهدي (ع) وسماه باسمه الكامل . قال الراوي : فكبرت وهللت وأكثرت من حمد الله عز وجـل والثناء عليه . فلما صرت في صحن القصر رأيت مائدة منصوبـــة . فمر بي الخادم إليها فاجلسني عليها . وقال لي : مولاك يامرك أنـ تأكل ما

اشتهيت في علتك وأنت خارج من « فيد » .

فقلت : حسبي بهذا برهاناً . فكيف آكل ولم أر سيدي ومولاي . فصاح بي – يعني الإمام المهدي(ع) – : يا عيسى ! كل من طعامك فانك تراني . فجلست على المائدة فنظرت فإذا عليها سمك حار يفور . وتمر إلى جانبه أشبه التمور بتمورنا . وبجانب التمر لبن . فقلت في نفسي: عليل وسمك وتمر ولبن !؟. فصاح بي : يا عيسى ! أتشك في أمرنا ؟ أفانت أعلم بما ينفعك ويضرك ؟ . فبكيت واستغفرت الله تعالى وأكلت من الجميع . وكلما رفعت يدي منه لم يتبين موضعها فيه . فوجدته أطيب ما ذقته في الدنيا .

فأكلت منه كثيراً، حتى استحييت، فصاح بي : لا تستح يا عيسى فانه من طعام الجنة لم تصنعه يد مخلوق. فأكلت فرأيت نفسي لا ينتهي عنه من أكله . فقلت : يا مولاي حسبي . فصاح بي : أقبل إليّ . فقلت في نفسي : آتي مولاي ولم أغسل يدي ! فصاح بي : يا عيسى وهل لما أكلت غمر . فشممت يدي وإذا هي أعطر من المسك والكافور . . إلى آخر الحديث[1] .

ومن ذلك : ما روي عن الحسن بن الوجناء النصيبي . قال : كنت ساجداً تحت الميزاب في رابع أربع وخمسين حجة بعد العتمة . وأنا أتضرع في الدعاء . إذ حركني محرك . فقال : قم يا حسن بن الوجناء قال : فقمت ، فإذا جارية صفراء نحيفة البدن . أقول انها من أبناء

---

(١) البحار ج ١٣ ص ١٢٣ .

الأربعين فما فوقها. فمشت بين يدي وأنا لا أسألها عن شيء ، حتى أتت بي دار خديجة صلوات الله عليها . وفيها بيت – يعني غرفة – بابه في سط الحائط . وله درجة ساج يرتقي إليه . فصعدت الجارية .

وجاء في النداء : اصعد يا حسن ، فصعدت ، فوقفت بالباب . وقال لي صاحب الزمان (ع) : يا حسن أتراك خفيت عليّ ؟. والله ما من وقت في حجك إلا وأنا معك فيه . ثم جعل يعد عليّ أوقاتي . فوقعت على وجهي . فحسست بيده قد وقعت عليّ فقمت .. إلى آخر الحديث[1] .

وهنا يمكن أن يقال: ان إخبار المهدي (ع) لابن الوجناء ، بأوقات حجه ، كان عن مشاهدة لا عن غيب ، باعتبار انه كان موجوداً معه فعلاً ، وان لم يعرفه الرجل . إلا ان دلالة الجارية على مكانه وإعلامها باسمه يكفي في اقامة الحجة لا محالة . إلا أن ابن الوجناء نفسه اقتنع بان كلام الإمام المهدي (ع) معه ، لم يكن بالأمر الطبيعي ، بل كان علماً ميتافيزيقياً غيبياً . واعترف بكونه حجة كافية عليه ، كما يدل عليه وقوعه على وجهه .

يبقى سؤال جانبي ، وهو ان هذا الخبر دال على أنّ ابن الوجناء رأى الجارية ، بحيث استطاع أن يصفها بنحو لا يخلو من دقة. فكيف جاز له بحسب الشرع الإسلامي. والمفروض انه من الأشخاص الأخيار القابلين لمقابلة المهدي (ع) .

---

(١) البحار جـ ١٣ ص ١١٢ .

وجواب ذلك يكون من وجوه أهمها اثنان :

أولاً : ان هذا الوصف يكفي فيه رؤية الوجه ، وهيئـــة الجسد العامة . وكشف الوجه جائز في الإسلام ، بمقتضى فتـاوى كثير من الفقهاء . وتكون هذه الرواية دليلاً عليه ، لو صحت مستنداً للحكم الشرعي .

ثانياً : اننا لو تنزلنا جدلاً عن الوجه الأول ، فيمكن افتراض كون هذه الجارية مملوكة للإمام المهدي (ع). ومن الواضحات في الشرع جواز النظر إلى الجارية مع اذن مالكها . وبمجرد الاحتمال بهذا المصدر يكفينا لتبرير العمل من الناحية الشرعية .

النقطة الثانية: إقامة الحجة، عن طريق إظهار المعجزة،بالتصرف ببعض الأمور التكوينية .

فمن ذلك : ان رجلاً يدعى بالآودي أو الأزدي ، كان عند ادائـه الطواف ، وكان قد طاف ستاً وبقي عليه الطواف السابع . رأى عن يمين الكعبة شاباً حسن الوجه طيب الرائحة هيوباً ومع هيبته متقرب إلى الناس . قال الراوي : فتكلم فلم أر أحسن من كلامه ولا أعـذب من منطقه ، في جلوسه . فذهبت اكلمه ، فزبرني النـــاس . فسألت بعضهم : من هذا ؟ فقال : ابن رسول الله ﷺ ، يظهر للناس في كل سنة يوماً لخواص شيعته فيحدثهم ويحدثونه . فقلت : مسترشد أتاك فارشدني هداك الله .

قال : فناولني حصاة . فحولت وجهي . فقال لي بعض جلسائه :

ما الذي دفع إليك ابن رسول الله . فقلت : حصاة. فكشفت عن يـدي فاذا أنا بسبيكة من ذهب . وإذا أنا به قد لحقني فقـال : ثبتت عليك الحجة وظهر لك الحق وذهب عنك العمى . أتعرفني ! فقلت:اللهم لا. فقال المهدي (ع) : أنا قائم الزمـان . . إلى آخر الحديث[1] ، حيث يعطيه البيان الحق والاطروحة الصحيحة لغيبتـه باختصار . كما ياتي في الهدف الثالث من مقابلته (ع) .

يتضح من هذا الخبر بجلاء ، انه كان من عادة الامام المهدي (ع) في غيبته الصغرى قبل عام الثلاثمائة ، انه حينما يحـج يجتمع بالخاصة من الحجاج ويمازجهم ويتكلم معهم، ويعطيهم ما أراد من التعاليم والتوجيهات. إلا أنه لا دليل على معرفتهم له على حقيقته. وإنما كانوا يعرفونه باعتباره ابن رسول الله ﷺ. ومعه قد يعرف بعضهم حقيقته وقد لا يعرفون. وقد خص عليه السلام ، هذا الرجل بكشف حقيقتـه له . لكي يظهر الحق له ويبلغه إلى اخوانه الآخرين .

النقطة الثالثة : إقامة الحجة لمن لا يعرفه عند المقابلة . ولا يلتفت إليه الفرد إلا بعد مفارقته .

فمن ذلك : الرسالة الشفوية التي أرسلها المهدي (ع)، مع أبي سورة بعد ان رافقه في السفر من دون أن يعرفه . ثم قال له : أمض إلى أبي الحسن علي بن يحيى فاقرأ عليه السلام ، وقل له : يقول لـك الرجل ادفع إلى أبي سورة من السبع مائة دينار التي مدفونة في موضع كذا

---

(١) الغيبة الشيخ الطوسي ص ١٥٢ .

وكذا مئة دينار .

فمضى أبو سورة من توّه وساعته ، إلى دار علي بن يحيى . فدق الباب . فقيل له : من هذا ؟. فقـــال : قولي لأبي الحسن . هذا أبو سورة . فسمعه يقول : ما لي ولابي سورة .

قال الراوي : ثم خرج إليّ . فسلمت عليه وقصصت عليه الخبر . فدخل وأخرج إليّ مئة دينار . فقبضتها . فقال لي: صافحته؟ فقلت : نعم . فاخذ بيدي ، فوضعها على عينه ومسح بها وجهه[1] .

انظر لهذه الرسالة الشفوية، التي أقام فيها المهدي (ع) الحجة بدون أن يعلم أبو سورة ، وإنمـــا ينكشف صدقها عند إيصالها . وقد عرف ابن يحيى ذلك . حتى أنه تبرك باليد التي لامست يد الإمام المهدي (ع)

وسيندرج هذا الخبر أيضاً في توزيع المهدي (ع) للمال وقضائه لحوائج الناس .

فهذه هي النقاط الثلاث التي ينقسم اليها الهدف الثاني .

الهدف الثالث : من مقابلة المهدي (ع) للآخرين :

إعطاؤهم الاطروحة الصحيحة الكاملة لفلسفة غيبته والبيان الحق لأهداف مستقبله. لكي يحملها الفرد إلى أبناء عقيدته وإخوانه ويثقفهم بما سمعه من الإمام المهدي (ع) ، من تعاليم .

وقد سبق أن سمعنا في القسم الأول من هذا التاريخ ، من الإمـام العسكري عليه السلام ، حين كان يعرض ولده المهـــدي (ع) على

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي ص ١٦٣

الآخرين ، إنه بين مثل هذا البيان عدة مرات ، اهمها بيـــانه المفصل لأحمد بن إسحاق الأشعري . إلا أن المرة والمرات القليلة ، لا تكفي في توجيه القواعد الشعبية الموسعة ، بل لا بد من تكرار ذلك وتأكيده . وبخاصة حين يقترن الموضوع بامور توجب غرابته في الأذهان وبعده عنها ، فلا بد أن يتصدى المهدي (ع) بنفسه في اثناء مقابلاته لبيـــان ذلك . بنحو مختصر حيناً ومفصل احياناً.

ولو تعمقنا قليلاً ، لرأينا أن نفس عرض هذا البيان ، من قبل الامام المهدي (ع) كاف في أقامة الحجة على صدقه بانه هو المهدي . بل انه ليربو في الأثر على المعجزات التي سبق أن أشرنا اليهـا ، من حيث التاثير المنطقي الدقيق . فان العرض الحقيقي الكامل لمسألة الإمـــام المهدي ، بما تكتنفه من مشكلات وعوائق ، وتذليل جميع ذلك بالبينه والبرهان ، لهو اقوى دليل على صدقه واخلاصه . على حـين لم يكن مسبوقاً ببيانه من أحد إلا من قبل الأئمة الماضين آبائه عليهم السلام .

فالمهدي (ع) حين كان يبين اطروحته الكاملـة ، لم يكن ابداً في مستوى أقل من مستوى المعجزات التي يقيمها في الموارد الاخرى .

فمن ذلك ما بينه الامام (ع)، للآودي حين أعطاه حصاة فتحولت في يده إلى ذهب ، كما سبق . قال له : انا قائم الزمان ، أنا الذي أملؤها عدلاً كما ملئت جوراً . إن الأرض لا تخلو من حجة ، ولا يبقى الناس في فترة . فهذه أمانة في رقبتك فحدث بها أشقائك من أهل الحق[1] .

---

(١) انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ١٠٢ وا كمال الدين (المخطوط) .

ومنه ما بينه (ع) ، لابراهيم بن مهزيار حين قابله في بعض أطراف مكة ، وقال له فيما قال : إعلم يا أبا اسحاق ! أنه - يعنى الامـــام العسكري (ع) - قال صلوات الله عليه : يا بني ، ان الله جل ثناؤه لم يكن ليخلي أطباق أرضه وأهل الجد من طاعته وعبادته ، بلا حجة يستعلي بها وإمام يؤتم به ويقتدى بسبيل سنته ومنهاج قصده .

وأرجو يا بني أن تكون أحد من أعده الله لنشر الحق وطي الباطل وإعلاء الدين وإطفاء الضلال . فعليك يا بني ، بلزوم خوافي الأرض وتتبع أقاصيها . فان لكل ولي من أولياء الله عدواً مقارعاً وضداً منازعاً ، افتراضاً لثواب مجاهدة اهل نفاقه، وخلافة اولي الالحاد والفساد ، فلا يوحشنك ذلك[1] .

ومنه : ما بينه (ع) في الدعاء ، وما أكثر ما في الدعاء من حـكم وفوائد . حيث قال : اللهم صل على وليك المحيي لسنتك والقائم بامرك الداعي اليك الدليل عليك ، وحجتك على خلقـــك ، وخليفتك في أرضك وشاهدك على عبادك .

اللهم أعز نصره ومد في عمره . وزين الأرض بطول بقائه . اللهم اكفه بغي الحاسدين وأعزه من شر الكائدين وادحر عنه إرادة الظـالمين وتخلصه من الجبارين .

اللهم اعطه في نفسه وذريته وشيعته ورعيته وخاصته وعامتـه وعدوه وجميع أهل الدنيا ، ما تقربه عينه وتسربه نفسه ، وبلغه

---

(١) انظر اكمال الدين (المخطوط) .

أفضل أمله في الدنيا والآخرة ، انك على كل شيء قدير .

اللهم جدد به ما محي من دينك ، وأحي به ما بدل من كتابك . وأظهر به ما غير من حكمك ، حتى يعود دينك به وعلى يديه ، غضاً جديداً خالصاً مخلصاً لا شك فيه ولا شبهة معه ، ولا باطل عنده لا بدعة لديه .

اللهم نور بنوره كل ظلمة ، وهد بركنه كل بدعة ، واهدم بعزته كل ضلالة ، واقصم به كل جبار واخمد بسيفه كل نار ، واهلك بعدله كل جبار . واجر حكمه على كل حكم ، وأذل لسلطانه كل سلطان . اللهم أذل كل من ناواه وأهلك كل من عاداه ، وامكر بمن كاده واستأصل من جحد حقه واستهان بامره وسعى في إطفاء نوره وأراد إخماد ذكره[1] .

فنرى من هذه البيانات ، أن المهدي (ع) يؤكد على عده امور :

الأمر الأول : الاشارة الى الحديث النبوي الشريف المتواتر ، بان المهدي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

الأمر الثاني : القاعدة الالهية العامة التي تقتضي نصب الامام الذي يكون حجة على عباده في كل زمان ومكان . وهي أن الارض لا تخلو من حجة ، ولا يبقى الناس في فترة ، يعني من دون امام . إذن فلا يمكن أن يمر الزمان من دون أن يكون لله عز وجل حجة على خلقه . ومعه فيتعين أن يكون الامام موجوداً في كل زمان . إذن فيتعين وجود

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي ص ١٧٠ .

الامام المهدي(ع) اثناء غيبته . اذ لو لم يكن موجوداً لانقطعت الحجة وحصلت الفترة .

الأمر الثالث : انه (ع) ذخره الله عز وجل لمستقبل الاسلام وأعده لنشر الحق وطي الباطل واعلاء الدين وإطفاء الضلال . وهذه هي الاطروحة الحقة لمستقبل المجتمع المسلم عند ظهور المهدي (ع) . وهو المراد من الحديث النبوي (ع) : أنه يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

الأمر الرابع الإشارة الى أنه يعيش أمداً طويلاً ، يقدره الله عز وجل ، لأجل تنفيذ الوعد الكبير .

الأمر الخامس : الدعاء له بان ينجيه الله عز وجل من كيد الأعداء ، وشر المعتدين . وذلك لغرضين :

أولهما : استجابة الله تعالى لهذا الدعاء ، وتحقق هذا المطلوب الكبير ، لاجل اذخاره ليومه الموعود .

ثانيهما : إعطاء التوجيه للقارىء أو الداعي ، بان يتمنى سلامة الإمام المهدي (ع) ، من الاعداء وبغي الظالمين وشر الكائدين . فيدعو الله تعالى بذلك ، وهو لا شك يجيب دعاءه .

الأمر السادس : ان للمهدي (ع) القابلية الكاملة لقيادة المجتمع الاسلامي ودحر الاعداء وإقامة العدل الإلهي الكامل . وهو المستفاد من قوله : اللهم نور بنوره كل ظلمة وهد بركنه كل بدعة ، واهدم بعزته كل ضلالة .

الأمر السابع : انه عليه السلام بعد ظهوره يجدد ما محي من الدين بفعل طول الزمن او تبديل المنحرفين والظالمين ، وما غير من أحكام القرآن . حتى يعود العدل الإسلامي الصحيح والدين الإلهي على يديه غضاً جديداً خالصاً مخلصاً ، لا شك فيه ولا شبهة معه ، ولا باطل عنده ولا بدعة لديه .

الأمر الثامن : إظهار أقصى الحرمة والعقوبه ، في معاداته أو انكار حقه أو مناوأته . سواء في حال غيبته أو بعد ظهوره . ويشمل ذلك : الخروج على تعاليم دينه وعصيان أوامر شريعته . فان مخالفة الدين مخالفة له ، ومناوأته مناوأة له ، بطبيعة الحال .

فهذه هي الأمور الأساسية في دعوته الكبرى اثناء غيبته وبعد ظهوره . عجل الله فرجه .

* * *

يبقى أمران آخران واردان فيما ورد من كلماته عليه السلام ، لا بد من ذكرهما ومعرفة الوجه فيهما :

الأمر الأول : ما ورد في كلامه عليه السلام مع ابراهيم بن مهزيار وكلامه (ع) مع علي بن ابراهيم بن مهزيار ، من أن أباه الامام العسكري (ع) أمره بلزوم خوافي الارض وتتبع أقاصيها ، وأن لا يسكن من الجبال إلا وعرها ومن البلاد إلا عفرها .

وعلل ذلك في حديثه مع ابراهيم بن مهزيار : بان لكل ولي من أولياء الله عدواً مقارعاً وضداً منازعاً . وفي حديثه مع علي بن ابراهيم

بقوله : والله مولاكم أظهر التقية فوكلها بي ، فأنا في التقية الى يوم يؤذن لي بالخروج[1] . وكلاهما يعني الحذر من الأعداء والإتقاء من شرهم والابتعاد من كيدهم أثناء غيبته ، توصلاً لحفظه لأجل تنفيذ اليوم الموعود .

وقد سبق أن قلنا أن للإمام المهدي (ع) غنى عن ذلك ، بجهل الناس بشكله ونوعية حياته وعمله ومكانه ، وقد أصبح هذا الأمر في الازمنة الاخيرة واضحاً . لوضوح استحالة تعرف أي شخص على حقيقته ما لم يشأ هو ذلك .

إن افضل اسلوب للإختفاء هو جعل الحياة بسيطة واضحة عادية ليس فيها أي شيء ملفت للنظر ، تسير كما تسير حياة أي فرد آخر . وإما تعقيد الهارب الحياة على نفسه ، وتضييق السبل والدخول في المواقف الصعبة والاماكن الحرجة ، فانها لا تزيده إلا خطراً ولا تقربه إلا من الشر فان عيون السلطات والاعداء تحوم دائماً حول الاماكن الشاذة التي قد يسكنها الهاربون ، والحياة المعقدة التي قد يتخذها الفارون . فتخليص النفس من هيئة الهارب وحياته ، وإسباغ الحياة الطبيعية عليها ، أفضل طريق للنجاة في أغلب الاحيان .

ولكننا - على أي حال - اذا التفتنا الى العلة المذكورة لذلك وهو الحذر من الاعداء والاتقاء من كيد المعاندين والمنحرفين . عرفنا ان هذا الحذر متى توقف على ذلك ، كان ذلك ضرورياً لا محالة .

---

(١) الغيبة ص ١٦١ .

أعني : أن الحياة الطبيعية ، وان كانت في الغالب هي السبيل الأفضل لنجاة الهارب، إلا أنها ليست دائماً كذلك ، لا محالة . فاذا واجه الهارب ظرفاً لا تكتب له فيه النجاة ألا بالفرار الى البراري والشعاب ، كان ذلك ضرورياً جزماً .

ومن هنا يمكن أن يكون أمر الامام العسكري (ع) لولده باختيار اقاصي الارض ووعرها مكاناً له ، مقيداً بقرينة التعليل ، بما اذا كان هناك حاجة الى ذلك . وأما اذا لم يحتج الى ذلك ولم يكن من حضوره المواسم والحواضر والاتصال بالسفراء والاختلاط بالناس خطر ، كان ذلك ممكناً له لا محالة ، ان لم يكن ضرورياً له لممارسة نشاطه الاعتيادي الذي عرفناه .

الأمر الثاني : ما قاله (ع) برواية الشيخ بسنده عن الآودي ، الذي عرفناه فيما سبق : أن الأرض لا تخلو من حجة ، ولا يبقى النـاس في فترة ، أكثر من تيه بني إسرائيل وقد ظهر أيام خروجي[1] .

ونحوه قوله لبعض مواليه : وان تحبس نفسك على طاعة ربك . فان الامر قريب إن شاء الله تعالى[2] .

وهذا المعنى بظاهره مقطوع العدم،بعد أن مضى على ذلك التاريخ ما يزيد على الألف عام ، ولم يظهر الإمام المهدي(ع) . ومعه لا بد من المصير إلى رفض هذه الأخبار أو إلى تأويلها .

---

(١) الغيبة ص ١٥٢ .

(٢) الغيبة ١٥٤ .

أما الرفض فله مجال واسع ، وذلك : بان ندعي : ان العبارات التي تدل على قرب الظهور ، مدسوسة في هذه الأحاديث سهواً أو عمداً. وهذا ـ كما قلنا في مقدمة هذا التاريخ لا يعني طرح مجموع الخبر ـ .

ويقرب ذلك : أن خبر الآودي رواه الشيخ الصدوق في اكمال الدين بدون هذه الزيادة[1] . على أن هذين الخبرين في أنفسهما ليسا صحيحين ، بحسب القواعد ، وفيهما رواة مجاهيل .

واما التأويل ، فله أيضاً بعض المجال . وذلك بان يقال : بان المهدي (ع) استعمل المجاز في كلامه ، لاجل رفع معنويات أصحابه ومواليه . وإشعارهم بضرورة الانتظار في كل وقت ؛ خاصة في مثل قوله (ع): وان تحبس نفسك على طاعة ربك فان الأمر قريب. ووجه المجاز هو أن يكون الزمان من حين صدور هذا الكلام إلى حين الظهور قيامه (ع) بدولة الحق يعتبر قليلا ، تجاه ما قاسته البشرية خلال عمرها المديد من آلام الظلم والحيف والاستبداد .

وعلى أي حال ، فهذه هي الخطوط العامة للاطروحة الكاملة التي يذكرها الإمام المهدي (ع) لبعض من يقابله من الناس .

الهدف الرابع : قضاء حاجة المحتاجين من أصحابه .

قد عرفنا مفصلاً ، أن الإمام المهدي (ع) ، كان يقضي حوائج الناس ، ويحل مشاكلهم ويدبر أمرهم عن طريق سفرائه الموكلين بهذا الأمر . ومن هنا لم تكن هناك حاجة واضحة وكبيرة ، لأن يتصدى

---

(١) انظر المصدر المخطوط .

لقضاء حوائج الناس وحل مشاكلهم بنفسه عند مقابلته . ما عدا ما قد يراه من المصلحة أحياناً .

وما يتصور تعلق المصلحة فيه من ذلك ينقسم إلى أقسام ثلاثـة : أحدها : حل المشاكل الفكرية والعقائدية . ثانيها : حل المشاكل الماليـة وبذل العطايا لبعض الموالين . ثالثها : حل المشاكل الأخرى، كالعائلية والاجتماعية وغيرها .

اما القسم الأول فالمهم فيه ما سمعناه قبل قليل من عرض الاطروحة الحقة على الآخرين . وحيث يكون الهدف الأساسي من المقابلة مكرساً حول ذلك ، لا يبقى بعده أمر ذي بال .

وأما القسم الثاني : فسيأتي الحديث عنه ، في حقل قادم عند عرض الشؤون المالية للإمام المهدي (ع) .

وأما القسم الثالث : فلم نجد له نقلاً تاريخياً يطابقـه . إذن فحل المهدي(ع) للمشاكل العائلية والاجتماعية وغيرها، كان مكرساً عن طريق السفراء ، بما فيه الكفاية ولا حاجة للقيام به أثناء المقابلة ، التي ينبغي أن تكرس لغرض آخر أعمق وأهم .

الهدف الخامس : ممازجة النـاس ومحادثتهم ، وتزريق التعليمات والتوجيهات اليهم، بحسب ما هو المصلحة في كل وقت. وتعليمهم بعض الأدعية والأذكار .

فمن ذلك : ما سمعناه من رواية الآودي أنه كان يظهر في كل سنة يوماً لخواصه ، فيحدثهم ويحدثونه . وذلك في حدود عـام الثلثمائة

كما سبق .

ومن ذلك : انه عليه السلام في عام ٢٩٣ بعد طوافه حول الكعبة خرج إلى جماعة ، لم يكن فيهم مخلص غير محمد بن القاسم العلوي على ما سنسمع . فانهم بينما هم جلوس إذ رأوا شاباً يخرج اليهم عليه إزاران وفي يده نعلان . فلما رأوه قاموا له هيبة له ، وجلس متوسطاً فيهم . ثم التفت يميناً وشمالاً ثم قال : أتدرون ما كان أبو عبدالله عليه السلام يقول في دعاء الالحاح ؟!. قال : كان يقول : اللهم اني أسالك باسمك الذي به تقوم السماء وبه تقوم الأرض وبه تفرق بين الحق والباطل وبه تجمع بين المتفرق وتفرق بين المجتمع . وبه أحصيت عدد الرمال وزنة الجبال وكيل البحار . أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تجعل لي من أمري فرجاً .

ثم نهض ودخل الطواف . قال الراوي : فقمنا لقيامه ، حتى إذا انصرف وانسينا أن نذكر أمره وأن نقول من هو وأي شيء هو ؟.إلى الغد في ذلك الوقت ، فخرج علينا من الطواف ، فقمنا له كقيامنا بالأمس، وجلس في مجلسه متوسطاً، فنظر يميناً وشمالاً، وقال: أتدرون ما كان يقوله أمير المؤمنين عليه السلام بعد صلاة الفريضة ، فقلنا: وما كان يقول ؟ قال : كان يقول : اليك رفعت الأصوات وعنت الوجوه ولك وضعت الرقاب واليك التحاكم في الاعمال .. إلى آخر الدعاء .

ثم نظر بعد هذا الدعاء يميناً وشمالاً ، فقال : أتدرون ما كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول في سجدة الشكر ؟ فقلنا: وما كان يقول؟..

فذكر لهم نص دعاء آخر . ثم قام ودخل الطواف . فقاموا لقيامه .

وهكذا جاءهم في اليوم الثالث ، ونظر يميناً وشمالاً ، وعلمهم نص دعاء آخر لعلي بن الحسين . قال الراوي : ثم نظر يميناً وشمالاً ، ونظر إلى محمد بن القاسم من بيننا . فقال : يا محمد بن القاسم أنت على خير إن شاء الله تعالى ــ وكان محمد بن القاسم يقول بهذا الامر . ثم قام ودخل الطواف . فما بقي منا أحد إلا وقد ألهم ما ذكره من الدعاء .. إلى آخر الرواية[1] .

فنرى المهدي عليه السلام،هنا لا يتعرض إلا لتعليم الدعاء والخشوع لله عز وجل . وهو أمل مطلوب في الدين ومتسالم عليه بين سائر المسلمين مخلصهم ومنحرفهم على السواء . وبذلك تجنب شر الجماعة غير المخلصين الموجودين في ضمن هؤلاء الناس . ولم يحصل منهم إلا على الاحترام والتقدير والتصديق به والانفعال بأقواله وأدعيته .

ولكن المهدي عليه السلام في نفس الوقت يحاول أن يحلل ذلك بالدعوة إلى الحق الذي يراه ، من حيث لا يشعر الآخرون . فيروي الادعية عن أئمة الهدى عليهم السلام ، ويشير إلى المخلص المؤمن به الموجود ضمن هذه الجماعة ويقول له أمام الجميع أنت على خير إن شاء الله تعالى . ليفسح المجال للآخرين بالتفكير الجدي أنه بماذا أصبح هذا الرجل على خير دونهم .

وهو في كل ذلك يتكلم كفرد اعتيادي ، ليس له أي ميزة على

---

(١) انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ١٥٦ وما بعدها .

الآخرين ، سوى هذا العلم الذي يحمله والروايات التي يقولها . وبذلك استطاع أن يدعو إلى الاسلام الحق ، من دون أن يقع في خطر أو أن يتوجه اليه نقد .

يبقى أن تعرف أنه عليه السلام حين كان يكثر من النظر إلى اليمين والشمال ، انما كان يريد التأكد من موقفه وعدم وجود ما يدل عليه أو من يعرفه أو من يشكل عليه خطراً بشكل من الاشكال ، في حديثه هذا . لا انه كان خائفاً بالفعل ، وإلا لكان في غنى عن مواجهة هؤلاء الجماعة بمثل هذا القول .

ولم يكن ذلك الموقف مقتضياً التصريح بشخصيته، أو عرض شيء من تعاليمه أو فلسفة غيبته أو اطروحة عمله . وما ذلك إلا لوجود المنحرفين غير المخلصين من هذه الجماعة .. وانما عرفوا انه هو المهدي بعد أيام ببعض القرائن التي كانت لديهم[1] .

* * *

فهذه هي الاهداف العامة الاساسية التي كان المهدي (ع) يتوخاها في مقابلاته للآخرين . وأما الهدف السادس والاخير ، وهو قبض المال ممن حمل اليه المال ، فقد عرفنا مثاله من تسليم وفد القميين المال اليه من اول يوم من وفاة ابيه . ومورد تفصيل الكلام فيه هو الحقل الخاص بالامور المالية للامام المهدي .

* * *

---

(١) انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ١٥٦ وما بعدها.

تبقى هناك اهـداف خاصة كان المهدي يتوخاها من وراء بعض المقابلات . تندرج تحت عنوانين رئيسيين ، عرفنا امثلتها فيما سبق فلا حاجة الى افاضة الكلام فيها .

احدهما : اجابه شخص اصر على السفير الثاني رضي الله عنه ان يوفر له فرصة المقابلة مع الامام المهدي (ع) . وهذا هو الذي رأى المهدي (ع) . بزي التجار [1] ، كما سبق ان سمعنا .

ثانيهما : تانيب شخص منحرف على انحرافه وسوء عمله ، ولذلك عدة امثلة ، فمنها موقفاه مع عمـه جعفر بن علي اللذين عرفناهما في القسم الاول من هذا التاريخ ، وموقفه مع محمد بن علي بن بلال الذي عرفناه مدعياً للسفارة زوراً ، اذ اشرف عليه المهدي عليه السلام من علو داره وامره بدفع ما عنده من الاموال الى العمري .

ووراء هذه الاهداف العريضة ، امور ضمنية قد يتعرض لها المهدي في كلامه او يستهدفها في عمله ، عند مقابلاته مع الآخرين . الا انها حيث كانت صغيرة الحجم وكثيرة العدد ، فلا حاجة الى اطـــالة المقام ببيانها .

الحقل الرابـع
تصرفه في الشؤون المالية

من قبض وتوزيـع ، في غيبته الصغرى عن طريق غـــير السفراء

---

(١) انظر تفصيل الحادثة في كتاب غيبة للشيخ الطوسي ص ١٦٤ .

الاربعة .. اما عن طريق المقابلة معه ، أو بدون ذلك . أما السفراء الاربعة فقد عرفنا حالهم تفصيلاً فيما سبق .

كان أول مال قبضه الامام المهدي عليه السلام ، بعد توليه الامامة بعد أبيه عليه السلام ، هو المال الذي حمله اليه وفد القميين الذي ورد إلى سامراء ، في اليوم الاول لوفاة الامام العسكري عليه السلام .

ثم انه عليه السلام لم يشأ أن يستمر على ذلك ، بل أعلن منذ ذلك الحين تنصيبه سفيراً في بغداد لقبض الاموال واخراج التوقيعات . واستمر السفراء على القبض لسائر الاموال التي ترد من سائر الاطراف الاسلامية ، كما سبق .

وكان السفراء في السنوات الاولى للغيبة الصغرى ، يحوّلون بعض الاموال إلى سامراء ، حيث كان يسكن المهدي (ع) في تلك الفترة . فكان يتم اخراج التعاليم بشأنها من المهدي «ع» عن طريق بعض الوكلاء الخاصين[1] . وكان يسوؤه رد المال الذي كان يعطيه لمواليه ويعتبره خطأ موجباً الاستغفار[2] .

واما فيما بعد ذلك من الزمن ، فيتم الكلام فيه في عدة نقاط :

النقطة الاولى : ان المهدي «ع» كان يطالب عن طريق سفرائه بتوقيعاته، بدفع الاموال التي في ايدي الناس له . ولا يجوز لهم التخلف او التقصير ولا في درهم واحد .

---

(١) البحار جـ ١٣ ص ٧٩ .

(٢) انظر الارشاد ص ٣٣٣ واعلام الورى ص ٤١٩ .

فمن ذلك : التوقيع الذي ورد على الشيخ محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه ابتداء لم يتقدمه سؤال منه . نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم . لعنة الله والملائكة والناس اجمعين على من استحل من اموالنا درهماً [1] . وقوله ـ في توقيع آخر ـ : واما المتلبسون باموالنا فمن استحل شيئاً فاكله فانما يأكل النيران [2] .

ومن توقيع آخر : واما ما سألت عنه من امر من يستحل ما في يده من اموالنا ويتصرف فيه تصرفه في ماله من غير امرنا . فمن فعل ذلك فهو ملعون ونحن خصماؤه يوم القيامة . وقد قال النبي (ص) المستحل « من عترتي ما حرم الله ملعون على لساني و لسان كل نبي مجاب » . فمن ظلمنا كان في جملة الظالمين لنا ، وكانت لعنة الله عليه لقوله عز وجل : الا لعنة الله على الظالمين . الى غير ذلك من النصوص .

نستطيع أن نفهم من ذلك أمرين :

الامر الاول : انه كان للمهدي عليه السلام أموال لدى الناس وفي ذممهم ، متكونة من تلك الاموال التي هي للإمام الشرعي في نظر الاسلام . كالانفال والخمس والخراج . وحيث يرى المهدي (ع) ثبوت الامامة لنفسه ، فهو يرى ملكيته لهذه الاموال ، وكونه احق بها من اي شخص آخر من الحكام والمحكومين معاً .

---

(١) الاحتجاج ص ج ٢ .

(٢) المصدر ص ٢٨٣ .

ومطالبة الامام المهدي (ع) بهذه الاموال في واقعه، مطالبة بتطبيق هذه الاحكام الاسلامية بوجوب دفع هذه الى الامام (ع) . ويكون الخارج على هذا القانون، عاصياً لله عز وجل وللامام ومستحقا للعقاب.

ولعلنا نستطيع ان نفهم من مجموع الاخبار الواردة في هذا الصدد بالنسبة الى الوكلاء والسفراء ، ان تجاراتهم كانت على الاغلب باموال الامام نفسه ، لا باموالهم الشخصية ، وان كانوا على ذلك من ظاهر الحال . ومن هنا كان في امكانهم ان يستعملوا ما يقبضوه من الموالين من اموال الامام في التجارة ، باذن الامام عليه السلام . وتكون الارباح للامام (ع)اوبينهما بنسبة معينة ، حسب الاتفاق .

الامر الثاني : ان هذه الحدّية الكاملة من قبل المهدي عليه السلام في المطالبة بالاموال التي ترجع اليه، يمكن فهمها على مستويين رئيسيين:

المستوى الاول: المستوى العام بالنسبة الى سائر الناس الذين تشتغل ذممهم بشيء من اموال الامام .

ونحن اذا نظرنا بهذا المستوى ، نجد ان نمط اموال الامام ـ لولا الدافع الايماني القوي ـ من اسهل الاشياء . فليس على الشخص المنحرف الذي لا يريد أن يدفع الى المهدي عليه السلام ، أمواله أي حسيب أو رقيب ، بعد ما عرفناه من غيبة المالك الحقيقي ، وتخفى نوابه وستر هذه الصفة فيهم الى أكبر حد مستطاع . وعدم توفر السلطة التنفيذية لديهم لاقتضاء الاموال المغدورة .

إذن ، فلا بد من إيجاد دافع إيماني شرعي لدى الفرد المسلم بدفع ما

يملكه الإمام (ع) في ذمته ، وعدم جواز التخلف عنه . وذلك للحد من التيار العام القاضي بدفع هذه الاموال الى السلطات الحاكمة دون الإمام .

المستوى الثاني : المستوى الخاص ، حين تتعلق المصلحة الاجتماعية الإسلامية بالعفو وعدم المطالبة بالاموال . فإنه عليه السلام كان يعطف في توقيعاته موارد العفو والتحليل على موارد التحريم ، لكي يفهم الآخرون بأن الغرض من المطالبة هو الوصول الى المصلحة الإسلامية دون الحرص على الاموال . فمتى اقتضت المصلحة العفو وغض النظر كان ذلك نافذاً .

فمن ذلك قوله عليه السلام في أحد توقيعاته : وأما المتلبسون بأموالنا ، فمن استحل منها شيئاً فأكله فانما ياكل النيران . وأما الخمس فقد ابيح لشيعتنا وجعلوا منه من حل الى وقت ظهور امرنا لتطيب ولادتهم ولا تخبث[1] . ونعرف من التعليل بطيب الولادة أن المحلل هو خصوص خمس الجواري المملوكات المجلوبات عن طريق الفتح الاسلامي ، لا كل الخمس . وهو ما يذهب اليه الفقهاء عادة .

ومن ذلك قوله في توقيع آخر : وأما ما سألت عنه من امر الضياع التي لناحيتنا ، هل يجوز القيام بعمارتها ، واداء الخراج منها ، وصرف ما يفضل من دخلها الى الناحية احتساباً للإجر وتقرباً اليكم . فلا يحل لأحد ان يتصرف من مال غيره بغير إذنه . فكيف يحل ذلك من مالنا.

---

(١) الاحتجاج ص ٢٨٣ وما بعدها

من فعل ذلك بغير امرنا فقد استحل منا ما حرم عليه . ومن أكل من أموالنا شيئاً ، فإنما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً .

وأما ما سالت عنه من أمر الرجل الذي يجعل لناحيتنا ، ضيعة ويسلمها من قيم يقوم بها ويعمرها، ويؤدي من دخلها خراجها ومؤنتها ويجعل ما بقي من الدخل لناحيتنا . فإن ذلك جائز لمن جعله صاحب الضيعة قيماً عليها . انما لا يجوز ذلك لغيره .

وأما ما سالت عنه من الثمار من اموالنا يمر به المار فيتناول منه ويأكل ، هل يحل له ذلك . فإنه يحل له أكله ويحرم عليه حمله[1] .

النقطة الثانية : انه كان للمهدي عليه السلام بواسطة أمواله العامة علاقات مالية خاصة ، يمثلها نوابه الأربعة وغيرهم . تجاه كل من له علاقة مالية في تجاراتهم أو حق شرعي في ذمته . وكان عليه السلام يامر باقتضاء هذه الأموال ، وقد يعطي وصلاً بقبضها . ومن هنا ينفتح الكلام في أمرين :

الأمر الأول : أمره عليه السلام باقتضاء أمواله ودفعها اليه .

فمن ذلك ما يرويه بعض مواليه عن نفسه قائلاً : كان للناحية عليّ خمسمائة دينار ، فضقت بها ذرعاً . ثم قلت : لي حوانيت اشتريتها بخمس مئة وثلاثين ديناراً قد جعلتها للناحية بخمسمائة دينار ، ولم أنطق بذلك .

فكتب ـ يعني الإمام المهدي (ع) ـ الى محمد بن جعفر ـ وهو

---

(١) الاحتجاج ص ٢٩٩، ج ٢ . وما بعدها .

أحد الوكلاء ـ : اقبض الحوانيت من محمد بن هارون بالخمسمائة دينار التي لنا عليه[1] .

فتراه عليه السلام يامر وكيله بقبض الحوانيت ، دلالة على كفاية دفعها الى الناحية وفاء لما في ذمة محمد بن هارون تجاهها .. الى أمثلة أخرى من هذا القبيل .

الأمر الثاني : إعطاؤه الوصول التي تدل على قبض الأموال .

فمن ذلك : أن محمد بن الحسن الكاتب المروزي ، وجه الى حاجز الوشا ، وهو أحد الوكلاء ، مائتي دينار . وكتب الى الغريم (يعني المهدي (ع)) بذلك فخرج الوصول[2] .

ومن ذلك : ما تحدث به أحدهم ، فقال : اجتمع عندي خمسمائة درهم ينقص عشرون درهماً ، فلم أحب أن ينقص هذا المقدار . فوزنت من عندي عشرين درهماً ودفعتها الى الأسدي (وهو أحد الوكلاء) . ولم أكتب بخبر نقصانها . وإني أتممها من مالي . فورد الجواب : قد وصلت الخمسمائة التي لك فيها عشرون .

وتسمية المهدي (ع) بالغريم، دليل واضح على ايمان قواعده الشعبية بأنه دائن لهم بحقوق أموال ، وأنهم مرتبطون به مالياً الى جانب ارتباطهم العقائدي .

النقطة الثالثة : ان المهدي عليه السلام قد يستقل أحياناً بالايعاز

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي ١٧١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٧ .

بدفع المال الى شخص من دون توسيط سفرائه .

كالذي سبق أن سمعناه في أبي سورة المدعو بمحمـــد بن الحسن بن عبد الله التميمي ، إذ رافقه المهدي عليـه السلام في سفره من كربلاء الى الكوفة ، وحوله على علي بن يحيى الرازي ليقبض المال الذي عنده. وأعطاه صفته والدلالة على حقيقته من طرف خفي[1] .

فهذه بعض التصرفات المالية التي كان يقوم بها المهدي (ع) ، فاذا ضممناها الى ما عرفناه من التصرفات المالية للسفراء الاربعة . وعرفنا أنه ليس كل ما حدث في تلك الفترة التي نؤرخ لها قد نقل في التاريخ ووصل الينا ، كما سبق أن بينا أسبابه في مقدمة هذا التاريخ .. عرفنا مدى السعة والشمول الذي كان عليه النشاط الاقتصادي للامام المهدي عليه السلام .بالرغم من خفائه وعزلته .

الحقل الخامس

حله للمشكلات العامة والخاصة

كان عليه السلام ، وهو في غيبته قائداً فذاً ، يشعر بالآلام وآمال امته وقواعده الشعبيةويتجاوب معهم فكراً وعملاً بما تقتضيه مصلحتهم ومصلحة الاسلام .

---

(١) انظر تفصيل الحادثة في الغيبة ص ١٦٣ وانظر ص ١٨١ ايضاً .

فكان عليه السلام يبت بالامور الخاصة والعامة ، ويذلل مشاكلها عن طريق ما يعرفه من حـــال المجتمع والافراد . ويتمثل ذلك في عدة نقاط :

النقطة الاولى : استعراضه للمشكلات العامةومحاولته حل بعضها. وهنا لا بد ان نفهم أمرين :

الأمر الأول : انه ليس من الصعب على الامام المهدي (ع) بالرغم من غيبته وتخفيه أن يكون على مستوى الأحداث العامة في المجتمع . فإننا إما أن ننظر اليه كإمام عالم بالغيب بتعليم من الله عز وجل ، كما دلت عليه سائر الدلالات السابقة . وإما أن نجرد منه شخصاً عادياً من بشريته قائداً في مسؤوليته .

أما على الفرض الأول ، وهو كونه إمـــاماً عالماً بالغيب . فمن الواضح إطلاعه على الأحداث العامة وإن لم يكن يعيش غمارها ، فضلاً عما إذا كان يعيش فيها على ما سبق ان عرفناه .

وأما على الفرض الثاني ، حيث تفرض عليه مسؤوليته أن يكون مواكباً للأحداث شاعراً بالام وآمال امته وقواعده الشعبية .. فإن له طريقين رئيسيين يمكن أن يقترنا ويمكن أن يفترقـــا في الإطلاع على الأحداث .

الطريق الأول : اختلاطه المباشر بالناس، وممازجته معهم ، بشكل لا يشعرون بهويته وحقيقته . فاننا سبق ان عرفنا أنه مجهول العنوان والاسم من حيث انطباقه على الشخص . وليس مختفياً جسماً عن الناس

كما قد تقول به الافكار غير المبرهنة .

وقد رأينا صوراً عن ممازجته للناس ومحادثته معهم ، تارة بعنوانه الصريح وحقيقته ، وأخرى بغيره ، بحسب ما كان يرى من المصلحة باختلاف الزمان والمكان . ومعه يكون بطبيعة الحال مطلعاً بشكل تفصيلي وكبير على سائر الأحداث ومشاطراً للامة الإسلامية بالأحاسيس. بل يكون مشاركاً بالعمل على رفع تلك الامة وتحقيق آمالها ، في حدود المصلحة والامكان .

الطريق الثاني : استقصاؤه للأخبار عن طريق سفرائه الأربعة وغيرهم ممن كانوا يحظون بمقابلته ، على ما عرفنا . فانه من المؤكد ، ان قسماً مهماً من الأحاديث التي يقولها المهدي (ع) للآخرين ـ مما سمعناه ومما لم نسمعه ـ وخاصة سفراؤه المسؤولون عن قيادة قواعده الشعبية بالنيابة عنه ، تتضمن التوجيهات الاجتماعية والنقد للاوضاع العامة وتشخيص الوضيفة الإسلامية تجاهها .. على المستوى العالي الذي يراه المهدي (ع) مناسباً مع مخاطبيه .

بل من المستطاع القول : أن المهدي (ع) يعطي توجيهاته وتثقيفه العام للمجتمع والأفراد ، وإن كان مجهول العنوان . فانه إذ يجالس الناس أو يساكنهم أو يرافقهم في طريق أو سفر ، وان لم يعرفوه يحاول باستمرار أن يعطيهم من هداه توجيهه بالنحو الذي ينفع الفرد والمجتمع معاً ، ويكون طريقاً إلى تذليل المشاكل ورفع الآلام، بالنحو الذي تقتضيه المصلحة .

وهذا هو الباب الواسع الذي يفسر لنا الحديث الوارد عنه عليه السلام بأن فائدته حال غيبته كالشمس إذا غيبها السحاب.وبه نستطيع أن نفهم أحد الخطوط الرئيسية في غيبته الصغرى ، والخط الأكبر لسياسته في غيبته الكبرى على ما سنعرض له بالتفصيل من هذا التاريخ والتاريخ القادم .

الأمر الثاني : اننا سنرى ان المشكلات العامة التي تصدى المهدي(ع) لحلها ذات مسار معين يمت إلى حل مشكلات قواعده الشعبية بشكل رئيسي . ولا نكاد نجده متعرضاً لحل مشكلة من نوع آخر في المجتمع المسلم أو الدولة .

فان المشكلات العامة التي يتصور وقوعها في المجتمع المسلم ، ذات ثلاث مسارات .

المسار الأول : مشكلات الدعوة الإسلامية ، وهو ما يقع في الحدود الإسلامية وفي الفتح الإسلامي من صعوبات وعقبات تجاه الكافرين .

المسار الثاني : مشكلات الجهاز الحاكم ومن يمت له بصله ، وهو ما يقع بين القواد وامراء الاطراف وبين الخليفة او بينهم بانفسهم، من مشكلات وحروب وعلى رأسها مشكلات الخوارج والقرامطة ، على ما عرفناه في الفصل الخاص بالتاريخ العام لهذه الفترة .

المسار الثالث : المشكلات التي تحدث في القواعد الشعبية التي تمت الى الامام المهدي (ع) بصلة الولاء . بسبب الضغط والارهاب والمطاردة التي يقوم بها الحكام ومن اليهم تجاههم .

اما المسار الاول للمشكلات ، فقد كان الاتجاه العام فيه هو غلبة المسلمين وانتصارهم في حروب الفتح . ولم تكن توجد مشكلة اسلامية اساسية تقتضي رفع اليد من المصلحة الكبرى المتوخاة من غيبة المهدي عليه السلام .

على ان التكفل للفتح الاسلامي لم يكن الا الجهاز الحاكم الذي كان يقوم كيانه على انكار وجود المهدي وامامته ، ومعه لم يكن للمهدي (ع) سبيل معقول لايصال صوته الى الحكام او حملهم على اطاعته . وهم من عرفناهم لا يتوخون الا المصالح الشخصية والتجارات المالية حتى في الفتوح الاسلامية نفسها .

واما المسار الثاني ، فمن الواضح ان المهدي (ع) حين يعتبر كلا الطرفين المتنازعين منحرفين من الاسلام بعيدين عن طريق الحق لا يكون له اي داع او مصلحة ان يتعرض ـ وهو في غيبته واحتجابه ـ الى هذا النزاع او ذلك سلبا ولا ايجاباً .

على اننا ينبغي ان نعرف ان ثمة من المشكلات العامة مايكون وجودها موافقاً للمصلحة الاسلامية على الخط الطويل . من حيث انها تربي الامة وتوعيها على واقعها وادراك مشاكلها وتمسكها بدينها . فان الامة لا يربيها في عصور الانحراف الا المرور بالمحن ومواجهة المشكلات . ومثل هذه المشكلات لا يمكن الا ان يقف المهدي (ع) تجاهها موقفاً سلبياً تاركاً لها مسارها الخاص حتى تتمخض عن نتائجها وتصل الى نهاياتها . ولا يبعد ان كثيراً من مشكلات المسلمين ، بالرغم

من سوئها وبشاعة مظهرها ، لها من النتائج والاثار الحسنة العميقة الغور في المدى البعيد . على شرح وتوضيح نتعرض له في بحث مقبل في سياسة المهدي في الغيبة الكبرى ان شاء الله تعالى .

واما غير هذا النحو من المشاكل ، اي التي لا تكون مؤثرة في تربية الامة ، فانه وان لم يرد في تاريخنا تدخل المهدي عليه السلام في تذليلها ولكننا لا نستطيع ان ننفيه بل في الامكان ان نؤكد وقوعه عندما تمت المشكلة الى اساس الاسلام وتكون العقيدة نفسها مهددة بالخطر . لكن بالنحو الذي لا يلتفت اليه الناس ، ولا يعلمون صدوره من الامام المهدي (ع) بصفته الواقعية . وبرعم لا يكون قابلاً للنقل التاريخي . على شرح وتفصيل ياتي في الحديث عن الغيبة الكبرى ايضاً .

على اننا لا نعدم ، بخصوص هذا المسار الثاني ، نقلا تاريخياً ضئيلاً فيما اذا كانت المشكلة تمت الى قواعده الشعبية بصلة ، على ما سنسمع من موقفه عليه السلام تجاه ذلك الرجل الذي تحول قرمطياً وغير ذلك .

واما المسار الثالث ، فهو الذي ورد في تاريخنا تصدي الامام المهدي (ع) لرفعه وتذليله، باعتباره القائد لقواعده الشعبية والمسؤول الاعلى عن حفظها ورعايتها .

وقد ورد في تاريخنا تذليله لعدة مشكلات عامة من هذا القبيل نذكر اثنين منهما على سبيل المثال :

الاولى: حيلولته عليه السلام ضد المؤامرات التي كانت تحاك لقواعده

الشعبية في الظلام على حين غرة وغفلة منهم .

فقد اصدر المهدي عليه السلام توقيعاً يتضمن النهي عن زيارة مقابر قريش والحائر ، يعني حرم الامامين الكاظميين عليهما السلام وحرم الحسين عليه السلام . فامتنعت قواعده الشعبية عن الزيارة اطاعة لامر امامهم وان لم يعلموا وجه المصلحة . وعلموا بعد شهر من ذلك الحين ان الخليفة كان قد امر بالقاء القبض على كل من يزور هؤلاء ، الأئمة عليهم السلام [1] .

وبذلك نرى المهدي عليه السلام قد حال سلفاً دون تنفيذ امر الخليفة ، وتوصل الى نجاة قواعده الشعبية من سجون السلطات .

الثانية : حيلولته عليه السلام ضد مؤامرات السلطات على وكلائه على حين غرة منهم .

وهو ما عرفناه فيما سبق مختصراً ونعرضه الآن بشيء من التفصيل. وذلك: انه تناهى الى سمع عبد الله « عبيد الله » بن سليمان ، وهو اول وزراء المعتضد [2] بعض نشاط وكلاء المهدي عليه السلام في الاطراف وانه تجبى اليهم الاموال من النواحي ، وذكروا له اسماءهم ، فهم بالقبض عليهم، فنصحوه ان يتأكد من صحة التهمة ، وذلك بان يدس قوماً لايعرفون ، لدفع الاموال الى الوكلاء ، فمن قبض شيئاً من تلك الاموال قبض عليه .

---

(١) انظر اعلام الورى ص ٤٢١ والغيبة ص ١٧٢ .

(٢) انظر مروج الذهب جـ ٤ ص ١٤٥ .

ولو كانت هذه المؤامرة قد تمت لاستؤصل وكلاء المهدي « ع » عن آخرهم ، بل لكان من المحتمل انكشاف مكان وجود المهدى « ع » نفسه . الا ان المهدي « ع » حال دون ذلك ، فاخرج اليهم توقيعاً يتضمن الامر بان لا ياخذوا من احد شيئاً وان يتجاهلوا الامر . فامتثل الوكلاء امر امامهم وهم لا يعلمون ما السبب .

قال الراوي : فاندس لمحمد بن احمد ـ وهو احد الوكلاء ـ رجل لا يعرفه . وقال : معي مال اريد ان اوصله . فقال له محمد : غلطت . انا لا اعرف من هذا شيئاً ، فلم يزل يتلطف به ومحمد يتجاهل .

وكذلك كان سائر الوكلاء على مستوى المسؤولية ، فامتنعوا كلهم عن الادلاء بشيء ، فلم يظفر منهم الحكام باحد ، ولم تتم الحيلة لهم بذلك . وبقيت مسالة الوكالة عن المهدي على نفس المستوى من الشمول ومن السرية التامة [1] .

النقطة الثانية ، وقوفه ضد الانحراف موقفاً جدياً لا هوادة فيه بصفته ممثلاً للحق الصريح الذي لا يهادن ولا يجامل .

فمن ذلك : أن رجلاً جليلاً من فقهاء اصحابنا ـ بتعبير الراوي ـ كتب الى المهدي (ع) رسالة عن طريق بعض سفرائه ، فلم يرد فيها الجواب ، على كثرة ما كان يرد من اجوبة وتوقيعات عنه عليه السلام . قال الراوي : فنظرنا فاذا العلة في ذلك أن الرجل تحول قرمطياً [2] .

---

(١) انظر اعلام الورى ص ٤٢١ .

(٢) انظر الارشاد ص ٣٣٢ وغيره .

وهذا الموقف الحدي للإمام المهدي «ع» يرشدنا الى أمرين رئيسيين:

الأمر الأول : كونه على مستوى الأحداث ، يعلم بحوادث المجتمع وآماله وآلامه ، على النحو الذي قلناه . وكيف يمكن أن نتصور أن حروب القرامطة مما يخفى على الإمام المهدي «ع» . وهي التي استطاعت أن تزعزع الحكام وترهب المجتمع ردحاً طويلاً من الزمن . وقد عرفنا أن غيبته لا تحول دون معرفة تفاصيل الحوادث فضلاً عن مهماتها وواضحاتها .

الأمر الثاني : إن القرامطة بالرغم من كونهم محسوبين في منطق الحكام ومن اليهم ، على الشيعة ، باعتبارهم من الفرقة الإسماعيلية على ما عرفنا وهي أحد فرق المذهب الشيعي ـ بمعناه العام ـ . وبالرغم من أن القرامطة من الناحية السياسية يشتركون مع الامام المهدي «ع» في كونهم معارضين للحكام القائمين على الدولة الإسلامية ، وعدم الإرتياح الى الوضع السائد .

بالرغم من ذلك : فالحق الذي يؤمن به المهدي «ع» يجب أن يبقى صافياً جدياً صلباً تجاه أي انحراف او ضلال . والقرامطة لهم نقاط ضعف كثيرة في نظر الإمام المهدي «ع» أهمها أنهم لا يؤمنون بامامته وأنهم مختلفون في تفاصيل المذهب فقهاً وعقيدة . وأنهم قد اتخذوا أسوأ الأساليب في التنكيل بالمسلمين وخاصة قوافل الحجاج . حتى بلغ اتساعهم في الظلم والانحراف أنهم اعتدوا على الكعبة المشرفة وقلعوا الحجر الأسود ونقلوه الى هجر ، كما سبق أن سمعنا .

ومن هنا كان واضحاً لدى المجتمع الاسلامي عامة والقواعد الشعبية للامام المهدي «ع» خاصة ، أن هؤلاء القرامطة إنما يحاربون الاسلام والمسلمين ، وإن موّهوا ذلك بمختلف الشعارات والعبارات . ولذا نرى أن اعتناق أي شخص لمذهبهم يعتبر سبباً كافياً لمقاطعته والاعراض عنه على أقل تقدير . مهما كان شانه قبل ذلك كبيراً مشهوراً بالفقه والصلاح .

النقطة الثالثة : حل الامام المهدي «ع» للمشكلات الخاصة لاصحابه وقواعده الشعبية . بحسب ما كانوا يرفعونه اليه من شكاوى وما يشرحون له من مشكلات . فكان يرد الجواب تارة بالدعاء الى الله تعالى بتذليل المشكلة ، وأخرى بالاخبار بانها ستحل وثالثة باعطاء منهج معين للحل والأمر بما يراه الأصلح في الأمر .

وتكون الحلول عادة عن طريق المراسلة وخروج التوقيعات من المهدي «ع» عن طريق سفرائه الأربعة خاصة وسائر وكلائه عامة . وقد سبق أن عرفنا عن ذلك قسماً كبيراً . وتحاشياً للتكرار نذكر ما سبق بنحو موجز ونضيف اليها ما هو جديد .

فمن ذلك حلّه عليه السلام لعدة مشكلات زوجية[1] ودعاؤه للقاسم ابن العلا إن يبقى ولده الحسين بعد أن ولد له عدة بنين وماتوا[2] . ومن ذلك دعاؤه لمريض بالناسور قد عجز الأطباء عنه فشفي شفاء

---

(١) انظر في ذلك غيبة الشيخ الطوسي ص ١٨٤ - ١٨٦ - ١٩٧ .

(٢) انظر الارشاد ص ٣٣١ .

تاماً [1] . ومن ذلك : نهيه لبعض مواليه عن الخروج إلى الحج في بعض السنين . فخرجت القرامطة على القوافل فاجتاحتها [2] . ونهيه لبعض اليمنيين عن الخروج من بغداد الى اليمن، في قافلة لليمنيين ، فخرجت عليهم بنو حنظلة فاجتاحتهم [3] ومنها توزيعه الأكفان على الطالبين لها من مواليه [4] ومنها دعاؤه بولادة ابن بابويه الشيخ الصدوق قدس الله روحه [5] .

ومن ذلك : ان شخصاً ولد له ولد فكتب الى الناحية يستأذن من تطهيره في اليوم السابع ، فورد : لا تفعل . فمات في يومه السابع . فكتب الى الناحية بموته شاكيـــاً الى المهدي (ع) مصابه . فورد : ستخلف غيره وغيره ، فسم الاول احمد ومن بعد احمد جعفر . فجاء كما قال [6]

ومن ذلك : ان شخصاً بالاهواز رزق ولداً اخرس سماه مسروراً. فحمله ابوه وعمه ، وسنه اذ ذاك ثلاثة عشر او اربعة عشر عاماً الى الشيخ الحسين بن روح رضي الله عنه، فسألاه ان يسأل الحضرة - يعني الامام المهدي (ع) - ان يفتح الله لسانه . فذكر الشيخ ابن روح :

---

(١) انظر الإرشاد ص ٣٣٤ .
(٢) انظر الغيبة ص ١٩٦ .
(٣) انظر الارشاد ص ٣٣٢ واعلام الورى ص ٤١٨ .
(٤) انظر الغيبة ص ١٧٢ - ١٨٥ - ١٩٣ واعلام الوري ص ٤٢١ .
(٥) انظر الغيبة ص ١٨٨ وص ١٩٥ .
(٦) المصدر ص ١٧١ وانظر الارشاد ص ٣٣٤ .

انكم امرتم بالخروج الى الحائر .

قال مسرور : فخرجنا انا وابي وعمي الى الحائر فاغتسلنا وزرنا . قال : فصاح بي ابي وعمي : يا سرور . فقلت بلسان فصيح : لبيك . فقال لي : ويحك تكلمت . فقلت : نعم . قال الراوي : وكان مسرور هذا رجلاً ليس بجهوري الصوت[1] .

ومن ذلك ايضاً ما حدث لرجل من قم انكى ولداً له ، فخرج اليه شفاهاً عن طريق احد الوكلاء : ان الولد ولده وواقعها في يوم كذا وكذا من موضع كذا وكذا . وامره بان يسميه محمداً . فاصبح ذلك سبباً لوضوح الحـــال ورجع الاب عن إنكاره . وولد الولد وسمي محمداً[2]

* * *

فهذه هي النقاط الرئيسية فيما يحله الامام المهدي عليه السلام من مشكلات ، وما يذلله من صعوبات .

وبذلك نراه سائراً على نفس الخط الذي سار عليه ابواه العسكريان عليهما السلام في علاقاتهما الخاصة ، غير المالية بقواعدهما الشعبية مع حفظ الفرق في الظروف ومقتضيات المصالح .

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي ص ١٨٨ .

(٢) المصدر ص ١٨٧ .

الحقل السادس
تعيينه لوكلاء متعددين
غير السفراء الأربعة

ثبت النقل التاريخي بوجود سفراء أو وكلاء غير السفراء الأربعة السابقين، مشتتين في مختلف البلدان الإسلامية التي فيها شيء من القواعد الشعبية المؤمنة بالإمام المهدي عليه السلام .

ومما لا شك فيه أن هناك فرقاً أساسياً بين هؤلاء الوكلاء وأولئك السفراء ، ويتضح هذا الفرق في أمرين رئيسيين :

أولهما : أن السفير يواجه الإمام المهدي(ع) مباشرة ويعرفه شخصياً ويأخذ منه التوقيعات والبيانات . على حين أن الوكلاء ليسوا كذلك بل يكون اتصالهم بالمهدي (ع) عن طريق سفرائه ، ليكونوا همزة الوصل بينهم وبين قواعدهم الشعبية .

ثانيهما: إن مسؤولية السفير في الحفاظ على اخوانه في الدين وقواعده الشعبية عامة وشاملة . على حين نرى مسؤولية الوكيل خاصة بمنطقته على ما سنسمع تفصيله .

والمصلحة الأساسية لوجود الوكلاء أمران أساسيان :

الأمر الأول : المساهمة في تسهيل عمل السفير وتوسيعه ، حيث لا يكون بوسع السفير بطبيعة الحال ، وبخاصة في ظرف السرية والتكتم الاتصال بالقواعد الشعبية المنتشرين في العراق وغير العراق من البلاد

الإسلامية . فيكون لعمل الوكلاء بهذا الصدد أكبر الأثر في إيصال التعاليم والتوجيهات إلى أوسع مقدار ممكن من القواعد الشعبية .

الأمر الثاني : المساهمة في اخفاء السفير نفسه، وكتمان اسمه وشخصه حيث قلنا في ما سبق أن الفرد الاعتيادي العارف بفكرة السفارة، غاية ما يستطيعه هو الاتصال باحد الوكلاء من دون معرفة باسم السفير أو عمله أو مكانه ، وقد لا يكون الوكيل على استعداد للتصريح بذلك أصلاً .

ونحن ذاكرون فيما يلي اسماء من وردنا في التاريخ وكالته في زمن الغيبة الصغرى . وما نذكره ليس على وجه الحصر إذ لعل عدداً من الوكلاء لم يرد اسمه في التاريخ ، بعد ملاحظة سعه المناطق التي كانوا فيها من البلاد الإسلامية ، وطول المدة التي تناوبوا فيها على احتلال مركز الوكالة ، خلال سبعين عاماً مدة هذه الفترة، مما يؤدي إلى اختفاء عدد من الاسماء ، وخاصه في ظروف التكتم والحذر .

ولعل أحسن نص جامع لاسماء عدد من الوكلاء، ما ذكره الصدوق في اكمال الدين[1] مروياً عن أبي علي الأسدي عن أبيه عن محمد بن أبي عبدالله الكوفي أنه ذكر عدد من انتهى إليه ممن وقف على معجزات صاحب الزمان صلوات الله عليه ورواه، من الوكلاء : ببغداد العمري وابنه وحاجز والبلالي والعطار . ومن الكوفة العاصمي ومن أهل الأهواز محمد بن ابراهيم بن مهزيار . ومن أهل قم أحمد بن اسحاق

---

(١) أنظر المخطوط فصل من شاهد القائم .

ومن أهل همدان محمد بن صالح ومن أهل الري : الشامي ، والأسدي - يعني نفسه - . ومن أهل أذربيجان القاسم بن العلا . ومن نيشابور محمد بن شاذان النعيمي . إلى آخر الحديث .

ونحن نذكرهم فيما يلي على نفس هذا الترتيب الذي ذكره الصدوق. ثم نذكر ما وجدناه من أسماء الأشخاص الآخرين الذين ورد النص بوكالتهم في بعض النصوص التاريخية :

العمري : هو الشيخ عثمان بن سعيد السفير الأول ، عن الإمام المهدي عليه السلام . وإنما سمي وكيلا من رواية الصدوق ، باعتبار المعنى الأعم للوكالة . وقد سبق ان ترجمناه مفصلاً .

ابنه : الشيخ محمد بن عثمان العمري السفير الثاني . وقد سبق ان ترجمناه أيضاً .

حاجز بن يزيد..الملقب بالوشا[1] . روى فيه الشيخ المفيد باسناده عن الحسن بن عبد الحميد ، قال شككت في أمر حاجز . فجمعت شيئاً ثم صرت إلى العسكر - يعني سامراء - . فخرج إلي : ليس فينا شك ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا . ترد ما معك إلى حاجز بن يزيد"[2] .

وروى الكليني بسنده عن محمد بن الحسن الكاتب المحروزي انه قال: وجهت إلى حاجز الوشاء مائتي دينار وكتبت إلى الغريم بذلك فخرج الوصول . وذكر انه كان قبلي ألف دينار واني وجهت إليه مائتي

---

(١) منتهى المقال جـ ١ ص ٢٤١ .

(٢) الأرشاد ص ٣٢٢

دينار . وقال : ان أردت أن تعامل أحداً فعليك بأبي الحسين الأسدي بالري . فورد الخبر بوفاة حاجز ـ رضي الله عنه ـ بعد يومين أو ثلاثة .. إلخ الحديث[1] .

وهذا الحديث يدلنا على عدة أمور :

الأول : أنه كانت العادة أن يوصل الناس جملة من الأموال التي للإمام(ع) إلى حاجز الوشا . ومن هنا وجه إليه المروزي مائتي دينار.

الثاني : أن الوشا ذو طريق مضبوط مضمون إلى المهدي عليه السلام بحيث يخرج به الوصول .

الثالث : الدلالة على وكالة حاجز بقرينة التحويل على أبي الحسين الأسدي بعد موته . ولا شك أن الأسدي هذا كان من الوكلاء على ما سنذكر بعد قليل .

ولم يعلم من امر حاجز أكثر من ذلك ، فقد أهمل التاريخ تاريخ ولادته ووفاته ومقدار ثقافته وعلاقاته ، ونحو ذلك من خصائصه.ولله في خلقه شؤون .

البلالي : هو أبو طاهر محمد بن علي بن بلال ، الذي ترجمناه في من أدعى السفارة زوراً . وقد عرفنا أن ابن طاووس عدّه من السفراء المعروفين في الغيبة الصغرى الذين لا يختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي عليه السلام فيهم . وعبر عنه المهدي (ع) في بعض

---

(١) الغيبة ص ٢٥٧ .

توقيعاته : بأنه الثقة المأمون العارف بما يجب عليه[1]. وذكره الصدوق في قائمة الوكلاء كما سمعنا .

إلا أن الشيخ في الغيبة ذكره في المذمومين[2]، وروى فيه أحاديث عرفناها فيما سبق . مما يدل على أنه كان وكيلاً صالحاً في مبدأ أمره ثم انحرف وفسد حاله بعد ذلك .

العطار : ذكره الصدوق في النص السابق من الوكلاء ، ولكننا لم نستطع أن نميز شخصيته لوجود عدد ممن لقب بهذا اللقب ، لم يذكر في التاريخ عن أي منهم كونه موسوماً بالسفارة أو الوكالة . سواء كان معاصراً للزمن الذي نبحث عنه أو لم يكن .

وهم : محمد بن يحيى العطار وابنه أحمد بن محمد بن يحيى . ويحيى بن المثنى العطار . والحسن بن زياد العطار . وابراهيم بن خالد العطار وعلي بن عبد الله أبو الحسن العطار . وعلي بن محمد بن عمر العطار ومحمد بن عبد الحميد العطار ، ومحمد بن أحمد بن جعفر القمي العطار وداود بن يزيد العطار وغيرهم .

فغاية ما يثبت بهذه العبارة : أن شخصاً بهذا اللقب كان وكيلاً للناحية في الغيبة الصغرى ، لعله أحد هؤلاء ولعله شخص آخر .

العاصمي : من الوكلاء أيضاً ، باعتبار النص الذي ذكرناه عن الصدوق . وهذا اللقب اسم لشخصين :

أحدهما : عيسى بن جعفر بن عاصم . وقد دعا له أبو الحسن

---

(١) رجال الكشي ص ٤٨٥ .

(٢) انظر ص ٢٤٥ .

الإمام الهادي عليه السلام[1] .

ثانيهما : أحمد بن محمد بن أحمد بن طلحة ، أبو عبد الله . يقال له: العاصمي . كان ثقة في الحديث سالماً خيراً . أصله كوفي وسكن بغداد . روى عن الشيوخ الكوفيين له كتب منها : كتاب النجوم وكتاب مواليد الأئمة وأعمارهم[2] .

وكلاهما لم يوسم بالوكالة أو السفارة . ولم يعلم معاصرته للغيبة الصغرى . فتبقى رواية الصدوق وحدها دالة على ذلك .

محمد بن ابراهيم بن مهزيار: عده ابن طاووس من السفراء والأبواب المعروفين الذين لا يختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي فيهم[3] . أقول : يريد بالسفير هنا معناه الأعم وهو كل من له ارتباط بالمهدي (ع) ولو بالواسطة . وليس المراد كونه سفيراً مباشراً لضرورة انحصار السفراء بالأربعة .

وروى الشيخ في الغيبة بسنده إلى الشيخ الكليني مرفوعاً إلى محمد بن ابراهيم بن مهزيار . قال: شككت عند مضى أبي محمد ـ الحسن العسكري (ع) ـ وكان اجتمع عند أبي مال جليل ، فحمله وركب السفينة وخرجت معه مشيعاً له فوعك وعكاً شديداً . فقال : يا بني ردني ردني فهو الموت . واتق الله في هذا المال . وأوصى إليّ ومات . فقلت في

(١) رجال الكشي ص ٥٠٢ .

(٢) رجال النجاشي ص٧٣ .

(٣) جامع الرواة ج ١ ص ٤٤ .

نفسي لم يكن أبي ليوصي بشيء غير صحيح . أحمل هـذا المال إلى العراق وأكتري داراً على الشط ولا أخبر أحداً . فإن وضح لي شيء كوضوحه أيام أبي محمد (ع) أنفذته . وإلا تصدقت به .

فقدمت العراق واكتريت داراً على الشط ، وبقيت أياماً ، فاذا أنا برسول معه رقعة فيها : يا محمد معك كذا وكذا في جوف كـذا وكذا حتى قص علي جميع ما معي مما لم أحط بـه علماً . فسلمت المال إلى الرسول ، وبقيت أياماً لا يرفع ليّ رأس ، فاغتممت . فخرج إليّ : قد أقمناك مقام أبيك فاحمد لله[1] .

فنرى أن محمد بن ابراهيم هذا ، قد شك بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام ، لبعد المزار وغموض الحال ، فيمن يكون إماماً بعـده . فكان بينه وبين تسليم المال إلى المصدر الوثيق : تلك العلامـة التي كان كل إمام يعطيها عند مقابلته الأولى ، كما عرفنا في شأن الإمـامين العسكريين(ع) . وهي ذكر الإمام لاوصاف المال تفصيلاً قبل أن يطلع عليه حساً . وقد سمعنا كيف أن الوفود التي تحمل المال تجعل هـذه العلامة محكاً في إثبات الإمامة،فلا يسلموه إلا لمن أعطى هذه الأوصاف. وقد قام الإمام المهدي (ع) بذلك أمام وفد القميين الذي عرفناه.وكرر الآن إعطاء هذه العلامة ، عن طريق رسوله ليزول الشك عن ابن مهزيار ، ويطمئن إلى تسليم المال إلى ركن وثيق .

وقد قدم من الأهواز الى العراق لأجل ذلك ، وسلم المـال بحقه .

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي ص ١٧١ .

وخرج اليه من قبل الإمام المهدي (ع) : قد أقمناك مقام أبيك فاحمد الله . وهذا النص ظاهر بتعيينه للوكالة ، كما كان أبوه وكيلاً .

وكان ينوي أنه إن لم يجد العلامة المعينة المتفق عليها ، أن يتصدق بالمال . وهذا هو الأنسب بحال هذا الرجل الجليل . دون ما رواه الشيخ المفيد في الإرشاد من قوله : فان وضح لي شيء كوضوحه في أيام أبي محمد (ع) انفذته وإلا أنفقته في ملاذي وشهواتي[1] ولا ما رواه الطبرسي من قوله : وإلا قصفت به[2] . فإنه منـاف لجلالة قدره ولتنصيبه وكيلاً بعد أبيه ، كما دل عليه نفس الحديث الذي رواه . فان من له نية القصف والملذات لا يكون أهلاً لهذه الوكالة الكبرى البتة .

أحمد بن إسحاق : بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري . أبو علي القمي . وكان وافد القميين . روى عن أبي جعفر الثاني — يعني الإمام الجواد (ع) — وأبي الحسن — الهادي (ع) — وكان من خاصة أبي محمد — العسكري — عليه السلام[3] .

له كتب ، منها : كتاب علل الصلاة ، كبير . ومسائل الرجال لأبي الحسن الثالث (ع)[4] . عاش بعد وفاة أبي محمد عليه السلام[5] .

قال الشيخ في الغيبة : وكان في زمـان السفراء المحمودين أقوام

---

(١) الارشاد ص ٣٣١ .

(٢) اعلام الورى ص ٤١٨ .

(٣) رجال النجاشي ص ٧١ .

(٤) الفهرست للشيخ ص ٥٠ .

(٥) رجال الكشي ص ٤٦٧ .

ثقات ترد عليهم التوقيعات ، من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل .
قال : منهم : أحمد بن إسحاق وجماعـــة ، خرج التوقيع في مدحهم .
وروى بسنده عن أبي محمد الرازي قال : كنت وأحمد بن أبي عبد الله بالعسكر ـ يعني سامراء ـ فورد علينـــا من قبل الرجل ـ يعني المهدي (ع) ـ فقال : أحمد بن إسحاق الأشعري وإبراهيم بن محمـــد الهمداني وأحمد بن حمزة بن اليسع ثقات[1] .

وكان أحمد بن إسحاق هذا ، من الخاصة الذين عرض الإمـــام العسكري (ع) عليهم ولده المهدي (ع) ، وأعطاه الاطروحـة الكاملة لفكرة الغيبة مع البرهنة على إمكانها والتنظير بحال الأنبياء السابقين . كما سمعنا فيما سبق .

وكان قد بشره الامام العسكري (ع) بولادة المهدي (ع) إذ أرسل اليه توقيعاً بالخط الذي ترد به التوقيعات يقول فيه : ولد لنـا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً . فانا لم نظهر عليـه إلا الاقرب لقرابته والمولى لولايته . أحببنا إعلامـك ليسرك الله به مثل ما سرنا به والسلام[2] .

وكل ذلك يدل على أنه كان من خاصة الخاصة الموثوقين عند الأئمة المعصومين عليهم السلام . والاخبار في ذلك كثيرة لا حاجـــة الى استقصائها في هذا المجال .

---

(١) الغيبة ص ٢٥٨ .
(٢) انظر اكمال الدين (المخطوط) .

وأما تاريخ ميلاده ووفاته ، فلا يكاد يكون معروفاً إلا بمقدار معرفة تواريخ الأئمة (ع) الذين كان معاصراً لهم .

وأما وكالته في عهد الغيبة الصغرى ، فهي تثبت برواية الصدوق التي أسلفناها .

محمد بن صالح : بن محمد ، الهمداني ، الدهقان . من أصحاب العسكري (ع) . وكيل الناحية[1] . يدل على ذلك ما ذكره الامام المهدي (ع) نفسه في توقيع له لاسحاق بن اسماعيل ، يقول فيه : فاذا وردت بغداد ، فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا ، والذي يقبض من موالينا[2] .

وقد غلى آخر عمره[3] فاصبح منحرفاً ، وإنما كان ممدوحاً موثوقاً قبل انحرافه . ولعله هو المقصود من قول المهدي (ع) في بعض بياناته: وقد علمتم ما كان من أمر الدهقان عليه لعنة الله وخدمته وطول صحبته ، فابدله الله بالأيمان كفراً حين فعل ما فعل . فعاجله الله بالنقمة ولم يمهله[4] . أقول : ويحتمل أن يكون المراد من ذلك : عروة بن يحيى الدهقان . والله العالم .

الشامي : غير معروف النسب ، كان من اهل الري وكان من

---

(١) جامع الرواة ج ١ ص ١٣١ .
(٢) رجال الكشي ص ٤٨٥ .
(٣) جامع الرواة ج ١ ص ١٣١ .
(٤) جامع الرواة جـ ٢ ص ٤٤٧ . عن السيد التفريشي في ربيع الشيعة .

وكلاء القائم .

الأسدي : محمد بن جعفر بن محمد بن عون . الأسدي . الرازي . كان أحـــد الابواب[1] . يكنى أبا الحسين . له كتاب الرد على اهل الاستطاعة[2]

الكوفي ساكن الري . يقال له : محمد بن أبي عبد الله . كان ثقة صحيح الحديث ، إلا أنه روى عن الضعفاء ، وكان يقول بالجـــبر والتشبيه . وكان أبوه وجهاً . روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى . ومـات ليلة الخميس لعشر خـلون من جمادي الاولى سنة اثني عشره وثلاث مائة[3] .

قال الشيخ في الغيبة : وكان في زمـان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبـل المنصوبين للسفارة من الاصل . منهم : أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي رحمه الله .

وروى عن صالح بن أبي صالح . قـال : سالني بعض الناس في سنة تسعين ومائتين قبض شيء فامتنعت من ذلـك ، وكتبت ـ يعني الى المهـدي (ع) ـ استطلع الرأي . فأتاني الجواب : بالري محمـد بن جعفر العربي ، فليدفع اليه فانه من ثقاتنا[4] .

وقد سبق أن سمعنا الامام المهدي عليه السلام، تصب الاسدي هذا

---

(١) المصدر ص ٨٣ .

(٢) الفهرست للشيخ ص ١٧٩ .

(٣) رجال النجاشي ص ٢٨٩ .

(٤) أنظر الغيبة ص ٢٥٧ .

وكيلاً بعد موت حاجز الوشا[1] .

وروى أيضاً عن أبي جعفر محمد بن علي بن نوبخت ، قال : عزمت على الحج وتاهبت فورد علي - يعني من المهدي (ع) - : نحن لذلك كارهون . فضاق صدري واغتممت وكتبت : أنا مقيم بالسمع والطاعة . غير أني مغتم بتخلفي عن الحج . فوقع : لا يضيقن صدرك فانك تحج من قابل .

فلما كان من قابل استأذنت فورد الجواب - يعني بالإذن بالسفر - . فكتبت : إني عادلت محمد بن العباس وأنا واثق بديانته وصيانته . فورد الجواب : الاسدي نعم العديل ، فان قدم فلا تختر عليه . قال : فقدم الاسدي فعادلته[2] .

ومات الاسدي على ظاهر العدالة ، لم يتغير ولم يطعن فيه .. في شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة[3] . اقول : وهذا انسب بحاله مما نقلناه عن النجاشي من كونه كان يقول بالجبر والتشبيه . والله العالم .

وكان المعتاد دفع أموال الامام (ع) الى الاسدي ليوصلها اليه ، ولو بواسطة السفير ، وكان يخرج به الوصول . روي عن محمد بن شاذان النيشابوري . قال : اجتمع عندي خمسمائة درهم ينقص عشرون درهماً.

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٥٧ ايضاً .

(٢) المصدر ص ٢٥٧ .

(٣) المصدر ص ٢٥٨ .

فلم أحبّ أن ينقص هـذا المقدار ، فوزنت من عنـدي عشرين درهماً ودفعتها للأسدي . ولم أكتب بخبر نقصانها وأني أتممتهـا بمالي . فورد الجواب ـ أي من الناحية ـ قد وصلت الخمسمائة التي لـك فيها عشرون[1] .

القاسم بن العلا : من أهل آذربيجان . قال ابن طاوس : انه من وكلاء الناحية[2] . يكنى بأبي محمد[3] .

روي عنه أنه قال : ولد لي عـدة بنين فكنت أكتب ـ يعني إلى الناحية ـ وأسأل الدعاء لهم . فلا يكتب إلي بشيء من أمرهم . فماتوا كلهم . فلما ولد لي الحسين ابني كتبت اسأل الدعـاء ، واجبت وبقي والحمد لله[4] . وقد أشرنا الى هذه الرواية في مناسبة سابقة .

عمّر مائة وسبع عشر سنة ، منهـا ثمانون سنة صحيح العينـين . لقي الإمام الهادي (ع) والإمام العسكري (ع) . وأصيب بالعمى بعـد الثمانين . وكان مقيماً بمدينة الران من ارض أذربيجان . وكان لا تنقطع توقيعات مولانا صاحب الزمان اليه ، على يد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري وبعده على أبي القاسم بن روح ، قدس الله روحهما[5] .

وقد روى الشيخ في الغيبة والراوندي في الخرايج حديثاً مطولاً

---

(١) غيبة الشيخ ص ٢٥٨ .

(٢) جامع الرواة جـ ٢ ص ١٩ .

(٣) المصدر والصفحة .

(٤) الارشاد ص ٣٣١ .

(٥) انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ١٨٨ وما بعدها والخرايج ص ٦٩ .

يدل على جلالة قدره ، يحتوى على عدد من التفاصيل .منها : أن الامام المهدى (ع) زوده قبل موته بسبعة ثياب للتكفين ، وأخبره أنه يموت بعد أربعين يوماً ، فمات في الموعد المعين .

ومنها : أن ابنه كان شارباً للخمر ، فتاب عنه في أيام أبيه الاخيرة . وكان فيما أوصاه : يا بني إن اهلت لهذا الامر ، ـ يعني الوكالة لمولانا ـ فيكون قوتك من نصف ضيعتي المعروفة بفرجيذه. وسائرها ملك مولاي . وأن لم تؤهل له فاطلب خيرك من حيث يتقبل الله . وقبل الحسن وصيته على ذلك .

ومنها : أن الامام المهدي (ع) أرسل إلى ابنه كتاب تعزية على أبيه في آخره دعاء : ألهمك الله طاعته وجنبك معصيته . وهو الدعاء الذي كان دعا به أبوه . وكان آخره : قد جعلنا إياك إماماً لك وفعاله لك مثالاً[1] . فنجد أن الامام (ع) قد جعل هذا الشخص الجليل قدوة لولده ومثالاً ، لمكان تقواه وإخلاصه. ولم تنتقل الوكالة إلى الابن ليأكل من تلك الضيعة بحسب وصية أبيه ، فانه كان منوطاً بجعله وكيلاً،وإلا فعليه أن يطلب المال من حيث يتقبل الله .

وقد خرج إلى القاسم بن العلا، توقيعان من لعن بعض المنحرفين كاحمد بن هلال[2] .

محمد بن شاذان : بن نعيم النعيمي النيشابوري . عده ابن طاووس

---

(١) انظر الغيبة ص ١٩٢ والخرايج ص ٦٨ .

(٢) رجال الكشي ص ٤٤٩ .

من وكلاء الناحية ، وممن وقف على معجزات صاحب الزمان ورآه عليه السلام[1] .

وقد أخرج الصدوق في اكمال الدين[2] عنه حديثاً مطولاً حول الاجتماع بالمهدي (ع) . إلا أن الظاهر ، على تشويش في عبارة الحديث أن الذي اجتمع به عليه السلام ليس هو محمد بن شاذان بل غانم أبو سعيد الهندي الذي كان جديد الإسلام وباحثاً عن الحق .

وفي توقيع صادر عن الامام المهدي (ع) : واما محمد بن شادان بن نعيم ، فانه رجل من شيعتنا أهل البيت[3] .

فهؤلاء اثني عشر من السفراء والوكلاء عن الامام المهدي عليه السلام . عدهم الصدوق في روايته . ونضيف إلى ذلك جماعة . هم :

ابراهيم بن مهزيار ، أبو إسحاق الاهوازي[4] والد محمد بن ابراهيم بن مهزيار . وقد سمعنا قول المهدي (ع) في توقيعه لمحمد بن ابراهيم : قد أقمناك مقام أبيك فاحمد الله . وهو دال على أن اباه كان وكيلاً للناحية أيضاً .

روي عن ولده محمد بن ابراهيم أنه قال : أن أبي لما حضرته الوفاة دفع إلي مالاً وأعطاني علامة . ولم يعلم بتلك العلامة أحد إلا الله عز وجل . وقال : من أتاك بهذه العلامة فادفع إليه المال . قال : فخرجت

---

(١) جامع الرواة ج ٢ ص ١٣٠ .

(٢) انظر المخطوط .

(٣) اعلام الورى ص ٤٢٤ .

(٤) رجال النجاشي ص ٣٠ .

إلى بغداد ونزلت في خان . فلما كان في اليوم الثاني إذ جاء شيخ ودق الباب . فقلت للغلام : أنظر من هذا ؟ فقال : شيخ بالباب . فقلت : أدخل . فدخل وجلس . فقال : أنا العمري . هات المال الذي عندك وهو كذا وكذا ومعه العلامة . قال : فدفعت إليه المال[١] .

فوجود أموال الامام عند ابراهيم بن مهزيار ومعرفته بالعلامة السرية التي لا يعلم بها إلا الشيخ العمري السفير عن المهدي (ع) بتعليم منه عليه السلام.يدل على أن ابراهيم هذا كان وكيلاً عن الناحية المقدسة.

وقد عده ابن طاوس من سفراء الصاحب والأبواب المعروفين الذين لا يختلف الاثنا عشرية فيهم[٢] . له كتاب البشارات[٣] .

محمد بن حفص : بن عمرو ، أبو جعفر . أبوه يدعى بالعمري والجمال ، وكان وكيلاً لابي محمد العسكري عليه السلام[٤] . وكان وكيل الناحية ، وكان الأمر يدور عليه[٥] . مما يدل على أنه كان له نشاط متزايد بهذا الأمر .

الحسين بن علي بن سفيان : بن خالد بن سفيان . أبو عبدالله البزوفري .

---

(١) رجال الكشي ص ٤٤٧ .
(٢) جامع الرواة جـ ١ ص ٣٥ .
(٣) رجال النجاشي ص ١٣ .
(٤) جامع الرواة جـ ٢ ص ٢٦٢ . وانظر الكشي ص٤٤٧ .
(٥) انظر رجال الكشي . نفس الصفحة .

شيخ جليل من أصحابنا . له كتب[1] . روي الشيخ في الغيبة عن بعض العلويين سماه . قال : كنت بمدينة قم فجرى بين اخواننا كلام في أمر رجل أنكر ولده . فانفذوا إلى الشيخ[2] ـ صانه الله ـ وكنت حاضراً عنده ـ أيده الله ـ فدفع إليه الكتاب فلم يقرأه ، وأمره أن يذهب إلى أبي عبد الله البزوفري ـ أعزه الله ـ ليجيب عن الكتاب . فصار إليه ، وأنا حاضر . فقال أبو عبد الله : الولد ولده وواقعها في يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا . فقل له فليجعل اسمه محمداً . فرجع الرسول إلى البلد وعرفهم ، ووضح عندهم القول . وولد الولد وسمي محمداً[3] .

وقد نقلنا مضمون هذا الخبر فيما سبق . وهو يدل بوضوح على استقاء هذه المعلومات من الامام المهدي (ع) ولو بالواسطة . فيدل على انه كان وكيلاً في الجملة . ومن هنا قال المجلسي في البحار تعليقاً على هذا الخبر : يظهر منه أن البزوفري كان من السفراء . ولم ينقل . ويمكن أن يكون وصل ذلك إليه بتوسط السفراء أو بدون توسطهم في خصوص الواقعة[4] .

الحسين بن روح : بن أبي بحر النوبختي. وهو السفير الثالث للامام

---

(١) انظر ما في رجال النجاشي ص ٦٣ وما بعدها .

(٢) هو احد السفراء : الثاني او الثالث .

(٣) انظر ص١٨٧ .

(٤) انظر جـ ١٣ ص ٨٦ .

المهدي عليه السلام . إلا أنه أبان سفارة سلفه الشيـــخ محمد بن عثمان العمري ، كان وكيلاً له ، ينظر في أملاكـه ، ويلقي بأسراره لرؤساء الشيعة . وكان خصيصاً به ، فحصل في أنفس الشيعة محصلاً جليـــلاً لمعرفتهم باختصاصه بأبي جعفر وتوثيقه عندهم ، ونشر فضله ودينــه وما كان يحتمله من هذا الأمر . فمهدت له الحال في طول حيـاة أبي جعفر إلى أن انتهت الوصية بالنص عليـه . فلم يختلف في أمره ، ولم يشك فيه أحد[1] .

وأصبح العمري قبل موته بسنتين أو ثلاث يحول عليـــه أموال الامام عليه السلام . لكي يعوّد الرأي العام ويهيء الجو بالرجوع إليه حين تؤول السفارة إليه . كما سبق ان عرفنا .

ومن هنا أمكن أن يعـــد الشيخ ابن روح في السـفراء تارة ، وفي الوكلاء أُخرى ، رضي الله عنه وأرضاه .

ابراهيم بن محمد الهمداني: وكيل الناحية. كان حج أربعين حجة[2].

كان معاصراً للإمام الجواد عليه السلام، وقد كتب له بخطه: وعجل الله نصرتك ممن ظلمك وكفاك مؤنته ، وأبشرك بنصر الله عاجـــلاً وبالأجر آجلاً . وأكثر من حمد الله .

وروي عنه أنه قال : وكتب إليّ : وقد وصل الحساب تقبـل الله منك ورضي عنهم وجعلهم معنا في الدنيا والآخرة . . وقد كتبت إلى النضر ، أمرته أن ينتهي عنك وعن التعرض لك ولخلافك ، وأعلمته

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٢٧ .

(٢) جامع الرواة جـ ١ ص ٣٢ .

موضعك عندي . وكتبت إلى أيوب أمرته بذلك أيضاً . وكتبت إلى مواليّ . بهمدان كتاباً أمرتهم بطاعتك والمصير إلى أمرك . وان لا وكيل لي سواك[1] .

وهذا الخطاب إليه من الامام عليه السلام يدل على جلالة قدره ونفوذ حكمه ، ووكالته . إلا أن الامام الذي صدر عنه هذا الخطاب غير مذكور ، ولعل ظاهر السياق من عبارة المصدر كونه الامام الجواد عليه السلام لا الحجة المهدي عليه السلام .

نعم ، ورد توثيقه عن الامام المهدي(ع) مبتدءاً بذلك من دون سبق سؤال[2] . والمراد بذلك توكيله وارجاع الناس إليه لا محالة،وهو إذ ذاك من شيوخ الطائفة ومبرزيها الذين لهم قدم في مدح الأئمة السابقين لهم .

أحمد بن اليسع : بن عبدالله القمي . روى أبوه عن الرضا عليه السلام . ثقة ثقة . له كتاب نوادر[3] .

وقد ورد توثيقه عن الامام المهدي عليه السلام[4] . وهو يدل في الجملة على توكيله والاذن برجوع الناس إليه ، كما أسلفنا .

أيوب بن نوح : بن دراج النخعي ، أبو الحسين . كان وكيلاً لابي الحسن ـ الهادي (ع) ـ وأبي محمد ـ العسكري (ع) ـ ، عظيم المنزلة

---

(١) رجال الكشي ص ٥٠٨ وما بعدها
(٢) انظر رجال الكشي ص ٤٦٧ والغيبة ص ٢٥٨ .
(٣) رجال النجاشي ص ٧١ .
(٤) انظر رجال الكشي ص ٤٦٧ والغيبة ص ٢٥٨ .

عندهما ، مأموناً . وكان شديد الورع كثير العبادة ، ثقة في رواياتـه . وأبوه نوح بن دراج كان قاضياً بالكوفة ، وكان صحيح الاعتقـاد . له كتاب نوادر[1] . وروايات ومسائل عن أبي الحسن الثالث ـ الهادي ـ عليه السلام[2] :

روى الشيخ عن عمر بن سعيد المدائني ، قال : كنت عنـــد ابي الحسن العسكري عليه السلام بصريا ، إذ دخل أيوب بن نوح ووقف قدامه ، فامره بشيء ثم انصرف . والتفت إليّ أبو الحسن عليه السلام. وقال : يا عمر ان احببت ان تنظر إلى رجل من أهل الجنـة ، فانظر إلى هذا[3] .

إذن فهو جليل المقام مقرب للأئمة عليهم السلام ، ووكيل للامـام الهادي عليه السلام . واما وكالته عن الامام المهدي ، فلا يدل عليه إلا توثيقه الذي ورد في التوقيـع الصادر عنه عليه السلام[4] . وهو كما قلنا يدل في الجملة على توكيله ، والاذن برجوع الناس إليه .

* * *

فهؤلاء طائفة ممن اضطلعوا بمهمة الوكالة عن الامام المهدي (ع) في غيبته الصغرى ، لتكيل وتوسيع عمل السفراء الاربعـــة في مختلف البلدان الإسلامية .

---

(١) رجال النجاشي ص ٨٠ .

(٢) الفهرست للشيخ ص ٤٠ .

(٣) الغيبة للشيخ ص ٢١٢ .

(٤) رجال الكشي ص ٤٦٧ .

وقد اتضح من ذلك أن الوكيل لا يكون عاملاً بين يدي السفير ولا يحق له قبض الأموال ولا اخراج التوقيعات ، إلا باذن الإمام المهدي (ع) نفسه ، وليس للسفير أن يستقل عنه في الايكال إلى أي شخص كان .

ويظهر من بعض الأخبار أن فكرة الوكالة، وتعدد الوكلاء، كانت نافذة المفعول منذ السنوات الأولى للغيبة الصغرى ، ومنذ أوائل وجود السفارة .

فقد سمعنا فيما سبق أنه بلغ خبر الوكلاء إلى عبد الله بن سليمان الوزير فحاول القبض عليهم بحيلة معينة ، فكان تخطيط الامام المهدي حائلاً له عن بلوغ غرضه ونجاح خطته. فإذا علمنا ان عبدالله بن سليمان هنا - كما تسميه مصادرنا - هو عبيد الله بن سليمان بن وهب، الذي وزر للمعتضد أول خلافته[1] ، وليس في فترة الغيبة الصغرى وزير يكون ابن سليمان غيره . وعرفنا ان المعتضد تولى الخلافة عام ٢٧٩ . فيكون هذا الوزير قد تولى وزارته في نفس العام لا محالة. وهو يصادف الاعوام الأولى لتولي الشيخ محمد بن عثمان العمري السفير الثاني لمهام سفارته .

وظاهر الخبر الذي سمعناه ، والذي رواه الطبرسي[2] كون نظام الوكلاء لم يكن جديداً حادثاً في ذلك العام . وانما كان التفات السلطات إليه جديداً . إذن فهو موجود منذ الاعوام الأولى للغيبة الصغرى، وقد

---

(١) انظر مروج الذهب ج ٤ ص ١٤٥ والكامل ج ٦ ص ٧٣ .

(٢) اعلام الورى ص ٤٢١ .

كان خفياً على السلطات بفعل سريته الشديدة من ناحيـــة ، وانشغال الدولة بقتال صاحب الزنج من ناحية أخرى . ذلك القتـــال الذي لم تتنفس منه الدولة الصعداء إلا في مبدأ خلافة المعتضد .

الحقل السابـع

اعلانه انتهاء السفارة

وبدء الغيبة الكبرى

وهو آخر جزء من التخطيط العـــام الذي سار عليه الأئمة عليهم السلام وأصحابهم للوصول الى الغيبة الكبرى، ليكون الامام المهدي(ع) مذخوراً لليوم الموعود .

وقد كانت الغيبة الصغرى كافية لاثبـــات وجود المهدي (ع) بما يصل الى الناس عن طريق سفرائه وغيرهم على البينات والبيانات . كما أوجبت بكل وضوح أن يعتاد الناس على غيبة الامام ويسيغون فكرة اختفائه ، بعد أن كانوا يعاصرون عهد ظهور الأئمة ، وامكان الوصول الى مقابلة الامام .

وقد رأينا كيف أن الامام المهدي (ع) كان متدرجاً في الاحتجاب فهو أقل احتجاباً في أول هذه الفترة . وكلما مشى بها الزمـــان زاد احتجابه ، حتى لا يكاد ينقل عنه المشاهدة في زمن السفير الرابع لغير السفير نفسه .

وحينما كانت هذه الفترة مشارفة على الانتهاء ، كان الجيل المعاصر

لزمان ظهور الأئمة (ع) قد انتهى . وبدأ أجيال جديدة الى الوجود قد اعتادت غيبة الامام (ع) وفكرة القيادة وراء حجاب ، وأصبحت معدة ذهنياً بشكل كامل لتقبل فكرة انقطاع السفارة أساساً واحتجاب الامام عن قواعده الشعبية تماماً .

وهذا هو الذي يفسر لنا السبب الرئيسي الاول من أسباب ثلاثة لانتهاء السفارة والغيبة الصغرى ، نلخصها فيما يلي :

السبب الاول : استيفاء الغيبة الصغرى لأغراضها . وهو واضح بعد الذي ذكرناه من كون الغرض الأساسي هو تهيئة الذهنية العامة لغيبة الامام (ع) ، وهو مما قد حصل بالفعل خلال هذه الفترة .. فانها فترة كافية لحصول ذلك ، وخاصة بعد أن تزايد احتجاب الامام بالتدريج حتى انحصرت رؤيته بشخص واحد هو السفير نفسه ، ولم يبق بعد ذلك الا أن يحتجب الامام (ع) عن كل أحد على الاطلاق .

السبب الثاني : ما ذكرناه في ترجمة السفير الرابع ، وكنا قد حملنا قبل ذلك فكرة تفصيلية عن مناشئه وأسبابه . وهو صعوبة الزمان وازدياد المطاردة والمراقبة من قبل الجهاز الحاكم ومن اليه ، للقواعد الشعبية الموالية للإمام المهدي (ع) بل لكبرائهم وعلمائهم ؛ ولم ينج من هذا الضيق حتى السفير نفسه ، الى حد لم يستطع السفير الرابع أن يقوم بعمل اجتماعي ذي بال ، ولم يرولنا من أعماله إلا ما هو قليل وبسيط .

ولم يكن من المتوقع زوال ذلك الحال في زمان قريب ، وفي عدد

من السنين قليل . لأن كيان الدولة وأساس الخلافـــة قائم على ذلك . وخط الأئمة (ع) وأصحابهم يمثل على طول الخـــط المعارضه الصامدة الواعيه ضد الحكام واتحاد الظلم الساري في المجتمع .

إذن فلو وجد سفير جديد ، فاما أن يكون عارفاً بموقفه شاعراً بمسؤوليته عازماً على العمل المخلص في سبيل خطه ، وإما أن لا يكون. فان لم يكن كذلك ، فهو غير صالح للسفارة سلفاً . وإن كان كذلك لم يستطع العمل ، ولم يكن حاله بأحسن من حال السفير الرابع إن لم يكن أسوأ وأردأ . ولو أراد السفير أن يضحي تضحية كبـيرة فينجز عملاً كبيراً ، لكان بذلك خارجاً على السرية والتكتم المطلوبة من السفير .

إذن فكل سفير جديد يعيّن ، لا بد أن يفشل في مهمته جزماً بالنظر الى ظروف المجتمع في ذلك الحين . ومعه لا داعي الى استمرار السفارة ، بل لا بد من رفع اليد عنها ، والوصول الى نهايتها .

السبب الثالث : عدم إمكان المحافظة على السرية الملتزمة في خط السفارة ، لو طال بها الزمان أكثر من ذلك ، وانكشاف أمرهـــا شيئاً فشيئاً .

وهذا واضح جداً في التسلسل الطبيعي لتطور الحوادث ، فانه لو صار عزم الامام المهدي (ع) أن يديم أحد السفارة ويسلسلها بين الأشخاص على مدى الزمان ، فان ذلك سوف ينتج حتماً انكشاف أمر السفارة والسفير ، واشتهار ذكرهـــا في المجتمع على لسان المؤمن

والمنحرف والحكام والمحكومين . مهما حاول السفير أن يخفي أمره ويستر عمله . نعم ! إذا تسلسلت السفارة بين الاشخاص من دون القيام باي عمل ، أمكن الإخفاء التام إلا أن هذا خلاف الهدف من السفارة والمطلوب من السفير .

ولئن استطاع السفراء أن يخفوا سفارتهم لمدة سبعين عاماً ، فانه لن يكون ذلك مستطاعاً الى الأبد . وسوف ينكشف ـ بحسب طبيعة الأشياء ـ أمر السفير . ومعه يتعذر عليه العمل ، إن لم يؤد به الى التنكيل به تحت سياط السلطات ، وقد يؤدي الى جعل المهدي (ع) نفسه في مورد الخطر .

إذن فلا بد من قطع السفارة ، تلافياً لما قد يحدث من مضاعفات .

فلكل هذه الاسباب ، ولأسباب أخرى يضيق المجال عن ذكرها أعلن الامام المهدي عليه السلام ، في توقيعه الذي أصدره إلى السفير الرابع قبل موته ، انتهاء عهد السفارة وانقطاع الغيبة الصغرى وصلة الناس بامامهم وقائدهم . وبدأ الغيبة الكبرى حتى يأذن الله تعالى في اليوم الموعود الذي يتحقق به الغد الاسلامي الكبير .

وقد سمعنا نص البيان عند التعرض الى ترجمة السفير الرابع الشيخ السمري، ولكن ينبغي أن نستذكره هنا ، لنستطيع أن نستلهم منه أموراً جديدة :

قال الامام المهدي (ع) في توقيعه : بسم الله الرحمن الرحيم . يا علي ابن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك . فانك ميت ما بينك

وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ولا توص الى أحد ، فيقوم مقامك بعد وفاتك . فقد وقعت الغيبة التامة . فلا ظهور إلا باذن الله تعالى ذكره . وذلك بعد طول الامد وقسوة القلوب وامتلاء الارض جوراً.

وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة ، إلا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة ، فهو كذاب مفتر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فنرى الامام المهدي (ع) قد أكد في هذا البيان على امور :

الأمر الاول : اخباره بموت الشيخ السمري في غضون ستة أيام . وهو من الاخبار بالغيب الذي نقول بامكانه للامام ، كما سبق أن قلنا. ولم يشك أحد يومئذ في صدق هذا الخبر ، وقد غدا عليه اصحابه بعد ستة أيام فوجدوه محتضراً يجود بنفسه ، كما سمعنا فيما سبق .

الامر الثاني : نهيه عن أن يوصي الى أحد ، ليقوم مقامه ويضطلع بمهام السفارة بعد وفاته ، وبذلك يكون هو آخر السفراء ، ولا سفير بعده، ويكون خط السفارة قد انقطع.وعهد الغيبة الصغرى قد انتهى.

الأمر الثالث : أنه لا ظهور إلا باذن الله تعالى ذكره. وهذا معناه الاغماض في تاريخ الظهور ، وايكال علمه إلى الله وحده وارتباطه باذنه عز وجل .

ولهذا الاغماض عدة فوائد ، أهمها اثنان :

الأولى : بقاء قواعده الشعبية منتظرة له في كل حين ، متوقعة ظهوره في أي يوم . وهذا الشعور إذا وجد لدى الفرد فانه يحمله على

السلوك الصالح وتقويم النفس ودراسة واقعه المعاش ومعرفة تفاصيل دينه جهد الامكان . ليحظى في لحظة الظهور بالزلفى لدى المهدي (ع) والقرب منه ، ولا يكون من المغضوب عليهم لديه ، أو المبعدين عن شرف ساحته .

بل ان الفرد ليشعر ، وهو في حالة انتظار امامه في أي يوم ، ان انحرافه وفسقه قد يؤدي به إلى الهلاك ، والإبعاد كلياً عن العدل الإسلامي العظيم الذي يسود العالم تحت قيادة الإمام المهدي عليه السلام. فإن الإمام المهدي (ع) بعد ظهوره سوف يكون حدّياً في تطبيق العدل الإسلامي ، وسيذيق كل منحرف عقائدياً أو سلوكياً أشد الوبال ، فانه لا مكان للانحراف في مجتمع العدل المطلق .

الثانية : حماية المهدي (ع) من أعدائه بعد ظهوره . فان الاغماض في التاريخ يوفر محض المفاجئة والمباغتة للعدو على حين غرة منه، وهو من أقوى عناصر النصر وأسبابه، ان لم يكن أهمها وأقواها على الاطلاق،

على حين لو كان الموعد معيناً لكان بامكان الأعداء أن يجمعوا أمرهم ويهيئوا أسلحتهم ، قبيل الموعد المحدد حتى إذا ما آن أوان ظهوره قاتلوه واستاصلوه قبل أن يفهم به الناس ، ويجتمع حوله الأعوان .

لا يفرق في أعداء المهدي (ع) بين من يعتقد بظهوره وبين من لا يعتقد . فان الموعد لو كان محدداً طيلة هذا الزمان لكان أمراً مشهوراً ولاوجد في أذهان الأعداء احتمالاً على الأقل بظهوره ، وهو مساوق مع احتمال استئصال الأعداء واجتثاثهم ، وهذا بنفسه يكفي للتألب عليه

واعلان التعبئة العامة وحالة الطوارىء ضد الامام المهدي .

إذن فاللازم لهذه المصالحوغيرها، بقاء الموعد غامضاً مجهولاً منوطاً باذن الله عز وجل وعلمه وحده .

الأمر الرابع : الإشاره إلى ان أمد الغيبة التامـــة الكبرى سوف يكون طويلاً مديداً .

وانما ينص المهدي (ع) على ذلك ليجعل الفرد المؤمن من قواعـــده الشعبية ، مسبوقاً ذهنياً بطول الغيبة ومتوقعاً لتاديها، فلا ياخذهالياس أو يتلبسه الشك مهما طالت أو تمادت ، وان أصبحت آلاف السنين . فانه ما دام عارفاً بانها ستطول وانها منوطة باذن الله عز وجل عنـد تحقق المصلحة للظهور وتهيوء البشرية لتلقي الدعوة الإسلامية الكبرى. فان الفرد يعرف عند تاخر الظهور أن المصلحة بعد لم تتحقق ، وان الاذن الإلهي لم يصدر .

وهذا السبق الذهني ، يعني احتمال طول المدة ، وهو لا ينافي حال الانتظار وتوقع الظهور في كل يوم وكل شهر وكل عام . فان طول الأمد الموعود به في كلام المهدي عليه السلام ، لفظ عام ينطبق على السنين القليلة وعلى السنين الطويلة . بل لو كان الامام المهدي (ع) قد ظهر بعد الغيبة الصغرى بقليل لكان قد ظهر بعد طول الأمد ، لان السبعين عاماً مع الشعور بالظلم وحالة الانتظار تكون أمداً طويلاً بحسب الجو النفسي للفرد والمجتمع لا محالة .

هذا ، فضلاً عما إذا تاخر الامام المهدي (ع) في ظهوره . عشرات

السنين أو مئاتها ـ كما حدث بالفعل ـ أو آلافها . فان طول الامد يكون قد تحقق بأوضح صورة واصعب انحائه . ومعه يكون الفرد متوقعاً انتهاء هذا الامد الطويل في كل ساعة وفي كل يوم ، وصدور الاذن الإلهي بالظهور .

الأمر الخامس : الاشارة إلى قسوة القلوب. والمراد به ضعف الدافع الإيماني ، والشعور بالمسؤولية ، والمشارفة على الانحراف ، بل سقوط أغلب أفراد المجتمع المسلم به .

وذلك لان الفرد يواجه امتحاناً إلهياً صعباً خلال الغيبة الكبرى من جهات ثلاث ، يكون عليه أن يخرج منه ناجحاً ظافراً . والخروج منه بنجاح يحتاج إلى عمق في الإيمان والإخلاص والإرادة لا يتوفر إلا في القليل من الأفراد .

الجهة الأولى : موقف الفرد تجاه شهوات نفسه ونوازعه الغريزية التي تتطلب الاشباع باي شكل وحال . وكما قالوا : ان الغرائز لا عقل لها . فعلى الفرد أن يلاحظ ذلك فيكفكف من غلواء شهواته ويزعها بعقله وإيمانه عن الحرام إلى الحلال .

الجهة الثانية : موقف الفرد تجاه الضغط الخارجي الذي يعيشه وما يتطلبه من تضحيات في سبيل دينه وإيمانه، ضد الفقر والمرض والسلاح والحرج الاجتماعي،ونحو ذلك من المصاعب التي تصادف الفرد في طريقه الإيماني الطويل .

فإن كان الفرد شاعراً بالمسؤولية قوي الإرادة استطاع تذليل هذه

الصعوبة والتضحية في سبيل الإيمان . واما إذا لم يكن قوي الارادة وكان غير شاعر بالمسؤولية ، فانه سوف يعطي الدنية من نفسه بقليل أو بكثير ، ويتعرض للانحراف في كثير من مناطق طريقه الطويل .

الجهة الثالثة : موقف الفرد تجاه الاعتقاد بوجود امامه الغائب وقائده المحتجب ، فانه بعد ان عرفه بالدليل القطعي ، لا ينبغي أن تثبطه الشكوك ولا ان تزعزعه الأوهام ، ولا أن يؤثر في زحزحة اعتقاده طول الأمد .

فإذا كان الفرد ناجحاً من سائر الجهات ، كان من الأقلين عدداً المرتفعين شأناً ، الواعين لدينهم ، وسوف لن يبتلى بقسوة القلب التي أشار لها المهدي (ع) في كلامه . تلك القسوة التي يبتلي بها الأكثرون الذين لا يكونون على المستوى المطلوب من الايمان والاخلاص .

الأمر السادس : الاشادة إلى امتلاء الأرض جوراً .

وفيه تطبيق واضح للكلام النبوي الشريف القائل بأن المهدي يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً . وهو الحديث المستفيض الذي رواه عدد من علماء الإسلام والمحدثين العظام من مختلف المذاهب .

والسر في امتلاء الأرض بالظلم والجور ، واضح بعد الذي قدمناه في الأمر السابق ، من فشل أكثر البشر في الامتحان الإلهي خلال الغيبة الكبرى . وسيطرة المادة واشباع الشهوات عليهم وضعف الوازع الديني والاخلاقي إلى حد كبير . جداً في المسلمين . اما غير المسلمين

فحدث عنهم ولا حرج من حيث إنكارهم لاصل الدين الاسلامي وأساس التوحيد . ومن حيث موقفهم المخرب تجاه الاسلام والمسلمين ، ذلك الموقف الذي ذاق منه المسلمون خلال التاريخ أشد العذاب والتنكيل .

فإذا لم يكن لدى الدين الحق ، قائد عظيم كالامام المهدي عليه السلام، لكونه غائباً غير مواجه للمجتمع بصفته الحقيقية ، ليجمع شمل الدين ويلم شعثه ويرأب صدعه ويدفع عدوه ؛ فان الغلبة تكون لا محالة للسلاح الأقوى والعدد الاكبر ، وهو جيش الكفر من ناحية وجيش الشهوات والانحراف من ناحية أُخرى . فتمتلأ الأرض جوراً وظلماً بطبيعة الحال،وسيأتي في بحوثنا عن الغيبة الكبرى[1] مزيد توضيح لذلك.

الأمر السابع : من الأمور التي يشير إليها المهدي عليه السلام في التوقيع : اثبات حدوث السفياني والصيحة ، وانه أمر حق لا محيص عنه قبيل خروج المهدي (ع) وظهوره .

وهذا ما نطقت به كثير من الاخبار ، رواها محدثوا كلا الفريقين. ولا يبعد أن تكون أخبار السفياني متواترة أو قريبة من التواتر . وسنعرض إلى ذلك وإلى مغزاها الاجتماعي وأسبابها ونتائجها ، في التاريخ القادم عن الغيبة الكبرى ان شاء الله تعالى .

الامر الثامن: ان من ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو مفتر كذاب .

وهو واضح في مدلوله . فان المراد بيان احتجاب الامام المهدي(ع)

---

(١) في الكتاب الثاني من هذه الموسوعة .

عن الناس حتى زمان تحقق هاتين العلامتين . فمن الواجب تكذيب كل من ادعى رؤية المهدي (ع) قبل تحقق ذلك . وانما ينفتح المجال لاحتمال صدقه بعد تحقق العلامتين ، بمعنى أن ذلك الحين هو موعد الظهور . فمن ادعى رؤية المهدي (ع) يومئذ فهو صادق أو محتمل الصدق على الاقل . واما قبل ذلك فلا .

وقد اصطدم ذلك ـ في نظر عدد من العلماء ـ بالاخبار القطعية المتواترة التي وردتنا عن مقابلة الكثيرين للامام المهدي عليه السلام خلال غيبته الكبرى، من بعد صدور هذا البيان الذي سمعناه إلى الآن، بنحو لا يمكن الطعن فيه أو احتمال الخلاف. ومقتضاها لزوم تصديق المخبرين في الجملة ، مع ان هذا التوقيع المهدوي يوجب علينا تكذيبه . فكيف يتم ذلك ، وما هو وجه الجمع بينه وبين تلك الاخبار .

وما قيل أو يمكن أن يقال من وجوه الجمع ـ لو حصلت المعارضة ـ عدة وجوه :

الوجه الاول : الطعن في سند التوقيع الشريف ورواته . حيث قالوا : انه خبر واحد مرسل ضعيف ، لم يعمل به ناقله وهو الشيخ في الكتاب المذكور ، واعرض الاصحاب عنه . فلا يعارض تلك الوقائع والقصص التي يحصل القطع عن مجموعها بل من بعضها المتضمن لكرامات ومفاخر لا يمكن صدورها عن غيره عليه السلام[1] .

إلا أن هذا الوجه لا يمكن قبوله :

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٠ .

اما كونه خبر واحد فهو ليس نقصاً فيه ، لما ثبت في علم أصول الفقه من حجية خبر الواحد الثقة . واما القول بعدم حجيته فهو شاذ لا يقول به إلا القليل النادر من العلماء .

واما كونه خبراً مرسلاً ، فهو غير صحيح ، إذ رواه الشيخ في الغيبة[1] فقال : أخبرنا جماعة عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه قال حدثني أبو محمد أحمد بن الحسن المكتب . قال : كنت بمدينة السلام في السنة التي توفى فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري قدس سره . إلى آخر الخبر . كما رواه الصدوق ابن بابويه في اكمال الدين عن أبو محمد المكتب نفسه ، فأين الإرسال ؟. والزمن بحسب العادة مناسب مع وجود الواسطة الواحدة .

واما كونه ضعيفاً ، فهو على تقدير تسليمه ، يكفي للاثبات التاريخي ، كما قلنا في مقدمة هذا التاريخ ، وان لم يكن كافياً لاثبات الحكم الشرعي ، كما حقق في محله .

واما إعراض الشيخ الطوسي والاصحاب عن العمل به، فإنما تخيّله صاحب الاشكال باعتبار إثبات الشيخ وغيره رؤية الامام المهدي (ع) في غيبته الكبرى . وهذا مما لا شك فيه ، إلا أنه إنما يصلح دليلاً على اعراضهم لو كانت هناك معارضة ومنافات بين التوقيع واثبات الرؤية واما مع عدم المعارضة ـ على ما سيأتي ـ فيمكن أن يكون العلماء : الشيخ الطوسي وغيره قد التزموا بكلا الناحيتين، من دون تكاذب

(١) منتخب الأثر ص ٣٩٩ وغيبة الشيخ ص ٢٤٢

بينهما . ومعه لا دليل على هذا الاعراض منهم .

على ان الاعراض لو كان حاصلاً لما أضر بحجيـة الحديث ، لما هو الثابت المحقق في علم الاصول ، بان اعراض العلماء عن الرواية لا يوجب وهنا في الرواية سنداً ولا دلالة .

الوجه الثاني : الطعن في الاخبار الناقلة لمشاهدة الامام المهدي عليه السلام في غيبته الكبرى سنداً ، أي من ناحية رواتها ، والشطب عليها جملة وتفصيلاً . كما قد يميل إليه المفكرين المحدثين .

إلاّ أن هذا مما لا سبيل إلى تصديقه.فإنها طائفة ضخمة من الاخبار قد يصل عددها إلى عـدة مئات . على ان بعضها مروي بطرق معتبرة وقريبة الاسناد فلا يمكن رفضها بحال . وهـــذا كله واضح لمن استقرأ تلك الاخبار وعاش أجواءها . وسياتي الكلام عنها في التاريخ القادم عن الغيبة الكبرى إن شاء الله تعالى .

الوجه الثالث : الطعن في الاخبار الناقلة للمشاهدة ، بحسب الدلالة والمضمون . بأحد نحوين :

النحو الأول : ان تحمل هذه الاخبار على الوهم ، وان هؤلاء الذين زعموا أنهم رأوا وسمعوا .. لم يرو ولم يسمعوا . وإنما كان كلامهم كذباً متعمداً أو اضغاث أحلام ولو من قبيل أحلام اليقظة. وهذا هو الوجه الذي قد يميل إليه المفكرون المتأثرون بالمبادىء المادية الحديثة .

إلا أن هذا أيضاً مما لا يمكن الاعتراف به . فان كثرتها مانعـة عن كلا الأمرين : اما تعمد الكذب فهو مما ينفيه التواتر، فضلاً عما زاد عن

ذلك بكثير . مضافاً إلى وثاقة وتقوى عدد مهم من الناقلين ، وعدم احتمال تعمدهم للكذب أساساً .

واما كونها من قبيل الأوهام والأحلام ، فهو مما ينفيه تكاثر النقل أيضاً ، بل يجعل الاعتراف به في عداد المستحيل . وتستطيع أن تجد أثر ذلك في نفسك. فلو أخبرك واحد لكان احتمال الوهم موجوداً وان كان موهوناً ، إلا أنه لو أخبرك ثلاثة أو أربعة بحادثة معينة لحصل لك الاطمئنان أو العلم بصدق الخبر وحصول الحادثة ، فضلاً عما إذا أخبرك بها عشرة ، فكيف إذا أخبرك به العشرات بل المئات . وهل تستطيع أن تحملهم كلهم على الوهم أو أحلام اليقظة، إلا إذا كنت تعيش الوهم أو أحلام اليقظة .

النحو الثاني : أن يقول قائل : ان الناقلين للمشاهدة وان كانوا صادقين وغير واهمين ، فانهم قد عاشوا حادثة حسية معينة . إلا أنهم في الحقيقة ، لم يشاهدوا المهدي (ع) ، بل شاهدوا غيره وتوهموا أنه هو على غير الواقع .

إلا أن هذا غير صحيح أيضاً لامرين :

أولاً : انه مما ينفيه التواتر، فضلاً عما زاد عليه من أعداد الروايات والنقول ان يحصل القطع بان المجموع لم يكونوا مغفلين بهذا الشكل، بل أن بعضهم - إن لم يكن كلهم - قد شاهدوا المهدي (ع) نفسه .

ثانياً : انه مما تنفيه الدلائل الواضحة والبراهين اللائحة التي يقيمها المهدي عليه السلام أثناء المقابلة ، وينقلها هؤلاء الناقلون مما لا يمكن

صدورها من أحد سواه . فيتعين أن يكون هو الامام المهدي (ع) دون غيره . وسيأتي التعرض إلى هذه الدلائل في التاريخ القادم .

الوجه الرابع : ان نعترف بصدقها ومطابقتها للواقع ، لكن يلتزم بوجوب تكذيبها تعبداً . إطاعة للأمر الوارد في التوقيع. وقد احتمل هذا الوجه بعضهم .

إلا انه مما لا يكاد يصح .. فانه خلاف ظاهر الحديث بل صريحه . حيث يقول : فهو كذاب مفتر الدال على عدم مطابقة قوله للواقع . ولم يقل فكذبوه ، ليكون من قبيل الأمر الصادر من الامام ليطاع تعبداً . على انه لا يمكن للامام المهدي (ع) أن يأمر بالتكذيب مع علمه بوقوع المشاهدة الثابتة عندنا بالتواتر .

الوجه الخامس : حمل التوقيع الشريف على دعوى المشاهـــدة مع ادعاء الوكالة أو السفارة عنه عليه السلام ، وإيصال الاخبار من جانبه إلى الشيعة على مثال السفراء في الغيبة الصغرى . قالوا : وهذا الوجه قريب جداً . وقد نقل عن البحار وغيره[1] .

إلا أنه في الواقع بعيد جداً ، بمعنى أنه خلاف الظاهر من عبارة الإمام المهدي (ع) في بيانه . فانه يحتاج إلى ضم قيد أو لفظ إلى عبارته لم تقم قرينة على وجودها.. كما لو كان قد قال : الا فمن ادعى المشاهدة مع الوكالة فهو كذاب مفتر . إلا أن المهدي (ع) لم يقل ذلك كما هو واضح ، ومقتضاه عموم التكذيب لمن ادعى السفارة وغيره .

---

(١) انظر منتخب الاثر ص ٤٠٠ والبحار ج ١٣ ص ١٤٢ .

نعم ، من ادعى السفارة أو الوكالة يجب تكذيبه . إلا أن هذا غير ادعاء المشاهدة . إذ بالإمكان تصديق الفرد على المشاهدة وتكذيبه على الوكالة . إلا أن الدليل على تكذيب الوكالة ليس هو قوله : فهو كذاب مفتر . وإنما هو قوله : ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك . فانه دال على انتفاء السفارة بعد السمري ، فكل من يدعيها على مدى التاريخ فهو كاذب لا محالة ، إلى عصر الظهور . ولذا قال الواعون من معاصري الغيبة الصغرى،انه (عندنا ان كل من ادعى الأمر بعد السمري فهو كافر منمس ضال مضل)[1] . وبذلك كانوا يستدلون على كذب دعاوى السفارات بعد السفير الرابع .

واما إيصال الاخبار من جانبه إلى الشيعة،فان كانت محتفة بقرائن توجب العلم أو الاطمئنان بمطابقتها للواقع ، فلا ينبغي تكذيبها . وانما يجب التكذيب ـ لو ثبت الأمر به ـ مع احتمال الخطأ وعـــدم وجود الدلالة على الصواب .

إذن فلا يتم شيء من هذه الوجوه الخمسة للجمع بين التوقيع الشريف واخبار المشاهدة ، على تقدير صحة التعارض بينهما .

إلا أن الصحيح هو عدم وجود التعارض بينهما بالمقدار الذي يثبت الحق وتقتنص منه النتيجة الإسلامية المطلوبة على مـــا سنرى . من مقابلات الإمام المهدي (ع) ، من حيث مطابقتها للواقع وعدمها ، ومن حيث الاعراب عن المقابلة أو السكوت عنها .. تنقسم إلى عدة أقسام.

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٥٥ .

فيقع الكلام فيها على سبعة مستويات :

المستوى الأول : اننا سبق ان عرفنا ان الإمام المهدي (ع) ليس مختفياً بشخصه عن الناس ، وانما يراهم ويرونه ، ولكنه يعرفهم ولا يعرفونه . فما هو الواقع خارجاً هو الجهل بعنوانه كامام مهدي ، لا اختفاء جسمه ، كما تقول به بعض الافكار غير المبرهنة .

وقد عرفنا ان جهالة عنوان كافية في نجاته من السلطات الظالمة خاصة بعد أن تنمو أجيال جديدة لا تعرف شكله وسحنته. إذن فالمهدي (ع) يستطيع أن يعيش في المجتمع كاي فرد من أفراده لا يلفت النظر ولا يثير الانتباه ، بصفته عاملاً أو تاجراً أو رجل دين ، أو يتخذ في كل فترة زمنية عملاً معيناً ، وهكذا . كما سنعرض له مفصلاً في التاريخ القادم .

وعلى ذلك ، فرؤية الناس للمهدي (ع) ثابتة في كل يوم وعلى الدوام كلما مشى في الطريق أو ذهب إلى السوق أو إلى الحج أو إلى زيارة أحد أجداده الأئمة عليهم السلام . غاية الأمر أن الناس يرون فيه شخصاً عادياً ويجهلون بالكلية كونه هو المهدي (ع) ، بل من المتعذر حتى مجرد الالتفات إلى ذلك أو احتماله ، كما هو واضح .

ومثل هذه الرؤية أو المقابلة للمهدي(ع) ، لا ينفيها التوقيع الشريف بحال ، فانها لا تقترن أبداً بادعاء المشاهدة . بسبب جهل المشاهد بحقيقة من رآه وكونه هو المهدي. فهو لا يدعي أنه رأى المهدي ليلزم تكذيبه. وإذا أعرب عن ذلك ، فانما يقول : رأيت فلاناً .. ويذكر العنوان

الظاهر الذي اتخذه المهدي (ع) في ذلـــك المجتمع ، لا العنوان الواقعي للمهدي البتة . وظاهر بيان انتهاء السفارة ان ما هو كاذب أو ما يجب تكذيبه هو ادعاء مشاهدة المهدي بصفته إماماً مهدياً أو الالتفات إلى ذلك ولو بالنتيجة ، أي بعد انتهاء المقابلة . وهو مما لا يمكن أن يحدث في المقابلات الاعتيادية للمهدي (ع) .

إذن فخبر التكذيب بعيد عن تكذيب هذا النوع من المشاهدة . كما ان الاخبار الدالة على مشاهدة المهدي (ع) بعيدة عنه أيضاً . لما عرفناه من عدم إمكان الإعراب عن مشاهدة المهدي (ع) على هـذا المستوى من المشاهدة . وإنما تضمنت تلك الاخبار الاعراب عن مشاهـــدة المهدي بصفته مهدياً ، ولو من حيث النتيجة ، بالدلائل التي يقيمها المهدي(ع) على نفسه أثناء المقابلة .

إذن فهذا المستوى من المقابلة ، خارج عن نطـــاق كلا الطرفين المدعى تعارضهما .. لا ينفيه التوقيع ولا تثبته الاخبار الأخرى. ومعه فلا معارضة بينهما على هذا المستوى ، فـأن المعارضة إنما تتحقق فيما لو اجتمع النفي والاثبات على مورد واحد ، وليس في المقام كذلك .

المستوى الثاني : ان الفرد يرى المهدي بصفته مهدياً ، ولكنه لا يعرب عن ذلك إلى الأبد .

وهذا المستوى مما لا يمكن الاستدلال على بطلانه أو نفيه، ان لم ندع أنه هو الأغلب مقابلات المهدي (ع) . وان المقابلات التي أعرب عنها الناس ووصلنا خبرها ـ على كثرتها ـ أقل بكثير من المقابلات التي لم

يعرب عنها أصحابها ولم يصلنا خبرها. خاصة بعد أن نعرف أن العلماء والصالحين من سلفنا الصالح ، كانوا يرون عدم جواز الاعراب عن المقابلة لاحد ، بدوافع مختلفة . اما لكونهم تخيلوا أن التوقيع الشريف الذي نتحدث عنه دال على عدم الجواز، واما لكونهم تخيلوا ان الاعراب عن المقابلة بما فيها من ملابسات قد تؤدي إلى خطر على المهدي نفسه . واما لكونهم تخيلوا ان مقتضى الأخلاق والتواضع هو السكوت ، واما لانهم تلقوا أمراً من المهدي (ع) حين المقابلة بالكتمان . أو لغير ذلك من الدوافع . وبذلك ضاعت على التاريخ أكثر مقابلات الإمام المهدي «ع» في غيبته الكبرى .

وهذا المستوى من المقابلات ، مما لا يمكن الاستدلال على بطلانه، إلا برفض التصور الإمامي للمهدي «ع» وغيبته . وهو خلاف المفروض من هذا التاريخ ، حيث بنيناه على التسليم بصحة هذا التصور ، وأوكلنا البرهنة عليه إلى بحث آخر . كما قلنا في المقدمة ، ومع الاعتراف بهذا التصور تكون مقابلته على هذا المستوى محتملة على أقل تقدير . ولا يدل التوقيع الشريف على نفيه وبطلانه لفرض عدم اقترانها بدعوى المشاهدة . كما لا معنى لتكذيبها ، بعد أن سكت عنها أصحابها ، كما لا يدل عدم نقلها على عدم تحققها ، لكون أصحابها قد تعمدوا اخفاءها والسكوت عنها .

وهذا المستوى أيضاً خارج عن اخبار المشاهدة ، لكونها جميعاً من المشاهدات المنقولة كما هو واضح . ومعه يكون هذا المستوى خارجاً

عن طرفيّ النفي والاثبات للطرفين من الاخبار المدعى تعارضها: إذن فلا تعارض على هذا المستوى أيضاً .

المستوى الثالث : ان الفرد يرى الامام المهدي «ع» بصفته مهدياً ولو بحسب النتيجة ، ولكنه لا يخبر بالصراحة والوضوح ، بكونه قد شاهد المهدي «ع» . وانما ينقل ما وقع له من الحادثة ويكون المستنتج له ولغيره ، من مجموع ما حدثت من دلائل هو أن ذاك الشخص الذي أقامها هو المهدي عليه السلام . والمخبر من ناحيته يجعل المجال للتفلسف والاستنتاج للسامع مفتوحاً . وان كان يعتقد بنفسه ان من رآه هو الإمام المهدي «ع» بعينه .

ففي مثل ذلك ، إذا استظهرنا من التوقيع الشريف ، كما هو غير بعيد من قوله : ادعى المشاهدة ، ما إذا ادعى المتكلم رأساً أنه رأى المهدي «ع» وتعهد بذلك للسامع . فهذا هو المنفي بلسان التوقيع واما إذا لم يخبر بذلك صراحة وانما أوكل الجزم بذلك إلى وجدان السامع.. فهو مما لا ينفيه التوقيع الشريف .

ومن المعلوم لمن استعرض أخبار المشاهدة التي ادعى معارضتها مع التوقيع ، ان أكثرها يتضمن نقلاً للحادث مع إيكال الجزم بكون المرئي هو الإمام المهدي «ع» إلى وجدان السامع، وعدم تعهد المتكلم بذلك، وان كان معتقداً به . إذن فمثل هذه الأخبار تكون مداليلها ثابتة بدون أن ينفيها التوقيع بحال .

نعم ، لو فرض وجود خبر يقول لك : بانه شاهد المهدي عليه

السلام، وتعهد لك بالصراحة بذلك فانه يخرج عن هذا المستوى الثالث.
واما كونه هل يقع طرفاً للمعارضة مع التوقيع أو لا يقـــع ، فهو مما سيتضح على المستويات الآتية .

المستوى الرابع: كون الفرد يرى الإمام المهدي عليه السلام. ويخبر صراحة انه رأى المهدي ، متعهداً باثبات ذلك . إلا أنه يذكره مدعماً بالبراهين والأدلة التي تورث القطع للسامـــع بان الشخص المرئي هو المهدي نفسه . لاستحالة أن يقوم بذلك شخص سواه عادة .

ففي مثل ذلك ، وان اقتضى الفهم الابتدائي للتوقيع نفي المشاهدة على هذا المستوى ، إلا أنه بحسب الدقـــة ، يستحيل دلالة التوقيع على ذلك ، لفرض كوننا قاطعين بكون المرئي هو الإمـــام المهدي «ع» والقاطع يستحيل عقلاً أن يحتمل الخلاف أو يكلف بالتكذيب . ومعه يكون الحكم بكون مدعي المشاهدة مفتر كذاب ، مختصاً بصورة الشك بما إذا كان المرئي هو المهدي «ع» أو غيره . ولا يشمل صورة العـــلم بكونه هو المهدي «ع» . فكان المهدي «ع» من توقيعه الشريف يريـــد أن يقول : انه إذا أخبرك شخص بأنه رأى المهدي وشككت بقوله فاحمله على انه كاذب ؛ بمعنى ان القاعدة العامة في دعوى المشاهـــدة هو الكذب وعدم المطابقة مع الواقع ، إلا مع القطع بالثبوت والمطابقة . والمفروض على هذا المستوى القطع بذلك . فلا يكون منفياً بالتوقيـــع كما هو واضح .

ونحن إذا استعرضنا أخبار المشاهدة، نجدها جميعاً مدعمة بالشواهد

القطعية الدالة على كون الشخص المرئي هو الإمام المهدي «ع» فان هذه الشواهد هي السبيل الوحيد إلى معرفة ذلك . إلا أننـــا الآن حيث لم نعش هذه الشواهد ولم نعاصرها وكان كل خبر مستقلاً، ظنياً بالنسبة إلينا ، فما عندنا من العلم فعلاً ، هو العلم الناشيء من التواتر ، حيث قلنا بأن هذه الاخبار تفوق التواتر . اذن فنحن نعلم أن أشخـــاصاً اخبروا عن مشاهدة المهدي وعاشوا شواهد قطعية عن ذلك ، ومعه لا يمكن أن تكون مثل هذه الاخبارات مشمولة للتوقيع الشريف بحال .

فعلى هذه المستويات الأربعة ، التي تنتظم فيها سائر الاخبار ، ولا يكاد يشذ منها شيء ترتفع المعارضة المتخيلة بين التوقيـــع الشريف واخبار المشاهدة . ولا يكاد يكون التوقيـع نافياً لها بحال .

المستوى الخامس : ان الفرد يخبر عن مشاهدة الإمام المهدي عليه السلام ، من دون أن يقترن خبره بدليل يوجب القطع أو الاطمئنان بأن المرئي هو المهدي عليه السلام نفسه .

وهذا المستوى لا يكاد يوجد في أخبار المشاهـــدة ، فانها كلها أو الأعم الأغلب منها على الأقل ، تحتوي على الدلائل القطعية على ذلـــك كما قلنا ، وسنرى ذلك حين نعرض لها بالتفصيل في التاريخ القادم .

نعم ، لو فرض وجود مثل هـــذا الخبر أو سمعت شيئاً من ذلك من أحد بدون أن يقترن بدليل واضح ، فاعرف انه كذاب مفتر . فانه يكون مشمولاً للتوقيع الشريف،لو اقتصرنا على قسم من عبارته . ولا ضير في ذلك ، فان المنفى هو أقل القليل . وهو يحملنا على التنزه

عن الدعاوى الفارغة والاستغلالات الخرافية المتعمدة .

نعم لو أخذنا بقوله «ع» : وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة وفهمنا منه التنبيه على الدعوات المنحرفة بالخصوص ، على ما سيأتي على المستوى الآتي..كان ذلك قرينة على ان دعوى المشاهدة المقترنة بالدعوة المنحرفة ، هي الكاذبة دائماً . ومعه يكون ادعاء المشاهدة المجرد عن الدعوة المنحرفة ، غير منصوص على كذبه في التوقيع ، وان تجرد عن الدليل الواضح ، بل يبقى محتمل الصدق على أقل تقدير .

المستوى السادس : ان يدعى شخص مشاهدة الإمام المهدي عليه السلام ، بدون برهان واضح ، كالمستوى السابق ، ولكنه يدعى أن المهدي عليه السلام قد قال له أموراً أو أمره بتبليغ أشياء نعرفها بكونها باطلة ومنحرفة . فيحاول هذا الفرد أن يتزعم باسم المهدي «ع» مسلكاً منحرفاً أو حركة ضالة في داخل نطاق القواعد الشعبية المؤمنة بالمهدي «ع» .. من أي نوع من أنواع الانحراف كان .

والادعاء على هذا المستوى كاذب ومزوّر جزماً للعلم بعدم صدور ما هو باطل من الإمام الحق المذخور لدولة الحق .

والمطمأن به هو أن هذا المستوى من الادعاء هو المقصود من التكذيب في التوقيع الشريف . فان المستظهر من قوله «ع» : وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة. كون المراد منه الإشارة إلى حدوث دعوات منحرفة وحركات غير محمودة في داخل القواعد الشعبية الامامية، تقوم على دعوى المشاهدة ، خلال الغيبة الكبرى . مع إلفات نظر المؤمنين

وتحذيرهم من تلك الدعوات ، وتنبيههم على خطرهـــا على الإسلام والمجتمع الإسلامي .

إذن فمدعي المشاهدة كاذب مزور في خصوص ما إذا كان منحرفاً ينقل أموراً باطلة عن الإمام المهدي عليه السلام . واما فيما سوى دلك فلا يكون التوقيع الشريف دالاً على بطلانه ، سواء نقـــل الفرد عن المهدي «ع» أموراً صحيحة بحسب القواعد الإسلامية، أو محتملةالصحة على أقل تقدير ، أو لم ينقل شيئاً على الاطلاق .

المستوى السابع : أن يؤمن شخص بانسان أنه هو المهدي المنتظر كما حدث في التاريخ خـــلال الدعوات المهدوية المتعددة . فيخبر ـ إذا رآه ـ أنه رأى المهدي .

وهذا يكون كاذباً جزماً ، لانه وإن كان رأى مدعى المهدوية ، إلا أنه لم ير المهدي الحقيقي المعين من قبل الله تعالى لانقاذ العـــالم من الظلم في اليوم الموعود . فاخباره برؤية المهدي «ع» لا يكون مطابقاً للواقع ، وان اعتقد المخبر صدقه . فيكون المراد من التوقيع الشريف هو التحدير من هذه الدعوات المهدوية الباطلة .

والمعارضة ـ على هذا المستوى ـ غير موجودة بين التوقيع الشريف واخبار المشاهدة . فان التوقيع وان كان مكذباً لهذه المشاهدة ، إلا أن أخبار المشاهدة المقصودة لا تثبتها ، فانها جميعاً تدور حـــول مشاهدة المهدي الغـــائب محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام ، دون غيره . وهو المهدي الحقيقي بالفهم الامامي ، وعند من يعترف بصحة هـــذا

التوقيع الشريف ونفوذه . ومعه لا معنى لهذه المعارضة المدعاة .

إلا أنه يمكن المناقشة على أي حال في تعرض التوقيع لهذا المستوى السابع . باننا وان جزمنا بكذب المخبر برؤية المهدي ، إذا كان قد رأى مدعي المهدوية . إلا أن هذا الاعتقاد ناشىء عن الدليل الخاص الدال على انحصار المهدي وانطباقه على محمد بن الحسن عليه السلام دون غيره كما عليه الفهم الامامي المفروض صحته في هذا التاريخ . واما استفاده ذلك من التوقيع الشريف ، فغير ممكن . لان المستفاد من قوله: وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة . انه تحذير من الدعوات المنحرفة التي تقوم في داخل نطاق شيعة المهدي «ع» وقواعده الشعبية . وبذلك تخرج الدعوات المهدوية الخارجة عن هذا النطاق، لانهم ليسوا من شيعةالمهدي محمد بن الحسن عليه السلام ، كما دل عليهم قوله : وسيأتي لشيعتي .

ومعه يكون هذا التوقيع ساكتاً عن التعرض إلى تكذيب الدعوات المهدوية الأخرى ، وان علمنا كذبها بدليل آخر .

اذن فقد تحصل من كل ذلك ، ان الاشكال الذي ذكروه غير وارد على التوقيع ولا على أخبار المشاهدة ، وانه بالامكان الأخذ به وباخبار المشاهدة ، ولا يجب تكذيبها إلا ما كان قائماً على الانحراف والخروج عن الحق .

وبهذا ينتهي الحقل السابع في اعلان الامام المهدي عليه السلام انتهاء السفارة وبدأ الغيبة الكبرى .

وبانتهائه ينتهي المهم من أعمال المهدي عليه السلام اتجاه سياسته

العامة والخاصة خلال غيبته الصغرى . وبقيت هنـــاك تفاصيل قليلة من الأنسب تحويلها على تاريخ الغيبة الكبرى القادم .

وبهذا ينتهي ما أردنا بيانه من تاريخ الغيبة الصغرى بما فيها من ملابسات وحقائق .

والحمد لله على حسن التوفيق وصلى الله على سيد رسله وخاتم أنبيائه رسول الإسلام ورائد الحق ، وعلى آله الطيبين الطـاهرين . نبتهل إلى الله أن يمن على البشرية المظلومة بقرب الفرج ولقاء اليوم الموعود ، يوم العدل المطلق ، على يد قائده الكبير المهدي القائم عليه السلام .

وقع الفراغ من تسويد هذه الصفحات بيد المحتاج إلى رحمة ربه الكريم محمد بن محمد صادق الصدر بتاريخ يوم الجمعة الثامن من ربيع الثاني عام ١٣٩٠ للهجرة النبوية المباركة. الموافق ١٢ حزيران لعام ١٩٧٠ الميلادي.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

محمد الصدر

النجف الأشرف – العراق

أهم مصادر هذا التاريخ

١ – الاتحاف بحب الأشراف . تأليف الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي . ط مصر عام ١٣١٨ .

٢ – اثبات الوصية لأبى الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي . ط النجف م : الحيدرية عام ١٣٧٤ – ١٩٥٥ .

٣ – الاحتجاج . تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي . ط النجف . م : النعمان عام ١٣٨٦ – ١٩٦٦ .

٤ – الارشاد للشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد . ط طهران . دار الكتب الاسلامية . عام ١٣٧٧ هـ .

٥ – أعلام الورى بأعلام الهدى . تأليف ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ط طهران عام ١٣٧٩ هـ .

٦ – اكمال الدين واتمام النعمة للشيخ ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الملقب بالصدوق . نسخة مخطوطة في مكتبتنا الخاصة .

٧ – البحار للشيخ محمد باقر بن المولى محمد اكمل الملقب بالمجلسي . الجزء الثالث عشر خاصة . ط عام ١٣٠٥ .

٨ – تاريخ ابن الوردي . تأليف زين الدين عمر بن المظفر الشهير بابن الوردي ط . مصر م : الوهبية عام ١٢٨٥ .

٩ - تاريخ ابي الفداء للملك المؤيد صاحب حماة اسماعيل بن علي محمد الشافعي .

١٠ - تاريخ الطبري . تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبري .

١١ - تاريخ سامراء للشيخ ذبيح الله المحلاتي . ط النجف م : الزهراء . عام ١٣٦٨ ﻫ .

١٢ تذكرة الخواص تأليف ابي المظفر يوسف شمس الدين الملقب بسبط ابن الجوزي - ط النجف . م : العلمية عام ١٣٦٩ ﻫ .

١٣ - جامع الرواة . للمولى محمد بن علي الأردبيلي . افست . إيران مهمل من ذكر المطبعة والتاريخ .

١٤ - الخرائج والجرائح . لقطب الدين ابي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي . ط بومباي . عام ١٣٠١ .

١٥ - خلاصة الرجال تأليف جمال الدين الحسين بن يوسف المطهر الشهير بالعلامة الحلي . طبع على الحجر عام ١٣١٠ ﻫ .

١٦ - رجال الشيخ الطوسي . لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي . ط النجف. م : الحيدرية . الطبعة الأولى . عام ١٣٨١ - ١٩٦١ .

١٧ - رجال الكشي . لأبي عمر محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي . ط النجف . م : الآداب . مهمل من التاريخ .

١٨ - رجال النجاشي . لأبي العباس احمد بن علي بن احمد بن العباس النجاشي . ط . إيران . م المصطفوي . مهمل من التاريخ .

١٩ - كتاب الغيبة . تأليف شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي . ط النجف عام ١٣٨٥ ﻫ .

٢٠ – العبر في خبر من غبر . للحافظ الذهبي ط الكويت دائرة المطبوعات والنشر . عام ١٩٦٠ .

٢١ – الفصول المهمة . تأليف نور الدين علي بن محمد بن احمد المالكي الشهير بابن الصباغ . ط إيران . عام ١٣٠٣ .

٢٢ – الكنى والألقاب. تأليف الشيخ عباس القمي . ط النجف م: الحيدرية. عام ١٣٧٦ – ١٩٥٦ .

٢٣ – الفهرست لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي. ط النجف. م الحيدرية. عام ١٣٨٠ – ١٩٦٠ .

٢٤ – الكافي لثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني . الأصول . نسخة خطية في مكتبتنا الخاصة .

٢٥ – الكامل في التاريخ تأليف محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الملقب بابن الأثير . ط بيروت . الطبعة الثانية ١٣٨٧ – ١٩٦٧ .

٢٦ – مروج الذهب لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي. ط بيروت. دار الأندلس . عام ١٣٨٥ – ١٩٦٦ م

٢٧ – مقاتل الطالبيين . لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الاصبهاني – ط بيروت – دار إحياء علوم الدين عام ١٣٨٠ – ١٩٦١ م

٢٨ – مناقب آل ابي طالب . تأليف محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني. ط النجف م : الحيدرية . عام ١٣٧٥ – ١٩٥٦ م .

٢٩ منتخب الأثر في الامام الثاني عشر . للشيخ لطف الله الصافي . ط طهران . افست المصطفوي – مهمل من التاريخ .

٣٠ - نور الابصار للشيخ سيد الشبلنجي المدعو بمؤمن . ط مصر . الطبعة الثانية . عام ١٣٨٤ - ١٩٦٣ .

٣١ - وسائل الشيعة تأليف الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي . طبع على الحجر عام ١٣٢٣ هـ .

٣٢ - وفيات الأعيان . لأبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر ابن خلكان . ط مصر . م السعادة ١٣٦٧ - ١٩٤٨ .

الفهرس

القسم الأول

تاريخ الأمامين العسكريين

القسم الثاني

تاريخ الغيبة الصغرى